

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(٠٣٢)

كُلّية الدعوة وأصول الدين
قِسْم العقيدة

المسائل العقدية المتعلقة بالسمع والبصر لله في الكتاب والسنة والرد على المخالفين

رِسَالة عِلْمِيَّة مُقدَّمة لنَيْل دَرَجَة العَالميّة العَاليّة (الدكتوراه)

إعْدَادُ الطَّالِبِ:

عايد بن عبيد بن سحلان العنزي

بإِشْرَافِ الأُسْتَاذِ الدُّكتُورِ
محمد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني
الأستاذُ بكُلّيةِ الدعوة وأصول الدين
بالجَامِعَة الإِسْلامِيَّة بالمدِيْنَة المنوَّرَة

العام الجامعي

١٤٣٢-١٤٣٣هـ


بسم الله الرحمن الرحیم

المقدمـــة

الحمد لله السميع البصير، امتنَّ على المؤمنين بالهُدى والنور والرَّشاد، وأقام حُجته على أهل الاستكبار والعناد، ونشر رحمته على العباد؛ ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1]، نحمده على نِعَمه وآلائه، ونشكره على فضْله وإحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل القرآن هدًى للناس، وبيِّناتٍ من الهدى والفرقان، وجعله شفاء لما في الصدور والأسقام، فانتفع به المؤمنون، وحاد عن سبيله المستكبرون، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين. أما بعد :

فمن فضل الله ونعمته على أهل السنة والجماعة؛ أن وفقهم للعمل بكتابه وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، فالهداية والنور والحق إنما هي في الكتاب والسنة، فالله يقول في شأن كتابه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[2] ، وقال في شأن رسوله – صلى الله عليه وسلم – : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3].

فكل إنسان لا يمكنه أن يخرج من ظلمات الجهل والشرك والكفر والشك إلى نور العلم والتوحيد والإيمان واليقين إلا بالكتاب والسنة؛ ففيهما بحمد الله الهداية والتوفيق والرشاد والتذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فالإيمان بالأسماء والصفات يقوي اليقين بالله ، وهو سبب لمعرفة الله ، والعلم به ، ومعرفة الله – جل وعلا – تكون بمعرفة أسمائه وصفاته ، وبمعرفة آثار الأسماء والصفات وهذا الأمر يورث ثمرات عظيمة وفوائد جليلة، تجعل صاحبها يذوق حلاوة الإيمان ، وقد حُرِمها قوم كثيرون من المعطِّلة والمؤوِّلة والمشبهة، ووفق لها أهل السنة والجماعة .

---

(١) سورة النساء آية (١٦٥)

(٢) سورة الإسراء آية (٩)

(٣) سورة الشورى آية (٥٢)

« ومعلوم أن الضلال والتهوك؛ إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث به الله محمداً -صلى الله عليه وسلم- من البينات والهدى، وتركهم البحث عن طريقة السابقين؛ من الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله »[١].

ومن مسائل العقيدة التي لم يتم إفرادها ببحث –حسب علمي- مسألة سمع الله وبصره في الكتاب والسنة، وما يتعلق بهما من مسائل وردٍ على المخالفين؛ من الطوائف الضالة، والمنحرفة .

وقد ذكر الله -جل وعلا - في آيات كثيرة السمع والبصر، مسمياً واصفاً بهما نفسه، فيما يقرب من مائة آية، مرة يجمع بين السمع والبصر، ومرة بين السمع والعلم، ومرة يذكر البصر وحده متعلقاً بعمل العباد، كقوله: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾[٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[٣]كما أنه ورد لفظ مادة (نظر) و(رأى) في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، باشتقاقات مختلفة ، وكذلك وردت في السنة النبوية ، وهذه الأمور تدل على أهمية هذا الموضوع، وغزارة مادته العلمية .

وقد منَّ الله عز وجل عليَّ بقبولي في الدراسات العليا في هذه الجامعة المباركـــة في كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة ، ولما كان كل طالب مكلَّفًا بتقديم موضـــوع في هذا المجال لينال به الدرجة العالية العالمية (الدكتوراه) . اخترت بعد الاستعانة بالله عز وجل الكتابة في هذا الموضوع، وجعلته بعنوان :

(المسائل العقدية المتعلقة بالسمع والبصر لله تعالى في الكتاب والسنة والـــرد علـــى المخالفين) .

---

(١) الرسالة الحموية / ابن تيمية / ص ٦

(٢) سورة البقرة آية (٩٦)

(٣) سورة غافر آية (٤٤)

أسباب اختيار الموضوع و أهميته تتلخص في الأمور التالية :

أولاً : أنه يتعلق بجانب مهم من جوانب العقيدة، وهو معرفة الله جل وعلا وذلك بمعرفة أسمائه وصفاته .

ثانيًا: كثرة ورود لفظ السمع والبصر وما يتعلق بهما في القرآن والسنة مما رغبني في الكتابة فيه.

ثالثًا: الكتابة في مثل هذا الموضوع مما يزيد الإيمان ويشرح الصدر؛ لأن العبد إذا آمن بصفة (السمع) ؛ علم أن الله يسمعه ؛ فلا يقول إلا خيراً ، فإذا آمن بصفات (البصر، والرؤية ، والنظر ، والعين) ؛ علم أن الله يراه ؛ فلا يفعل إلا خيراً ؛ فما بالك بعبد يعلم أن الله يسمعه ، ويراه ، ويعلم ما هو قائله وعامله ، أليس حريٌّ بهذا العبد أن لا يجده الله حيث نهاه ، ولا يفتقده حيث أمره وهذا هو الإحسان الذي هو أعلى مراتب الدين .

رابعًا: إنّ صفة السّمع والبصر مشتركة بين أكثر الكائنات الحية، ولذلك جاء النص عليها في الرد على المخالفين بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[(١)] .

خامسًا : الرغبة الشخصية في الإفادة من هذا الموضوع الذي يحوي كثيراً من المسائل المهمة.

سادسًا: مما زادني رغبة في الكتابة فيه استحسان بعض مشايخي لهذا الموضوع حين عرضه عليهم.

سابعًا : عدم وجود رسالة علمية في هذا الموضوع – حسب علمي – مع وجود المادة العلمية الكافية لبناء هذا الموضوع.

---

(١) سورة الشورى آية (١١)

ثامـــناً : كثرة الانحرافات العقدية عند الطوائف والفرق المخالفة للكتاب والسنة، المتعلقة بهاتين الصفتين مما يستدعي جمعها والرد عليها .

الدراسات السابقة :

بعد البحث و النظر والاستفسار من المؤسسات العلمية المختصة لم أجد أي رسالة علمية تتعلق بموضوع البحث المراد دراسته .

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة وفهارس

المقدمة : وتشتمل على أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة ، وخطة البحث، ومنهجي في البحث .

التمهيد :ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم السمع وما يتعلق به .

المطلب الأول : تعريف السمع في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : الكلمات المرادفة له .

المطلب الثالث : تنوع إطلاقات السمع في الكتاب والسنة .

المبحث الثاني : مفهوم البصر وما يتعلق به .

المطلب الأول : تعريف البصر في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني : الكلمات المرادفة له.

المطلب الثالث : تنوع إطلاقات البصر في الكتاب والسنة .

المبحث الثالث : منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات إجمالاً .

المبحث الرابع : منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال بالكتاب والسنة .

الباب الأول: المباحث العقدية المتعلقة بالسمع لله تعالى في الكتاب والسنة .

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : إثبات اسم السميع لله تعالى، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : بيان معناه المضاف إلى الله ودلالته .

المبحث الثاني : الأدلة على ثبوته على سبيل الانفراد والاقتران، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة الشرعية الخبرية عند الانفراد وعند الاقتران .

المطلب الثاني : الأدلة الشرعية العقلية .

المبحث الثالث : مقتضى هذا الاسم وأثره .

المبحث الرابع : المسائل المتعلقة بهذا الاسم، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : دعاء الله به ، والأدلة على ذلك .

المطلب الثاني : إضافة التعبيد له، والأدلة على ذلك .

المطلب الثالث : التوسل إلى الله به، والأدلة على ذلك .

المبحث الخامس : الأسماء المقاربة له في المعنى .

الفصل الثاني : إثبات صفة السمع لله عز وجل ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : بيان معناها المضاف إلى الله ودلالته .

المبحث الثاني : الأدلة على ثبوتها وتنوع دلالتها، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة الشرعية الخبرية .

المطلب الثاني : الأدلة الشرعية العقلية .

المبحث الثالث : بيان تعلقها بذات الله وفعله .

الباب الثاني : المباحث العقدية المتعلقة بالبصر لله تعالى في الكتاب والسنة. وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : إثبات اسم البصير لله تعالى . وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : بيان معناه المضاف إلى الله ودلالته .

المبحث الثاني : الأدلة على ثبوته على سبيل الانفراد والاقتران، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة الشرعية الخبرية عند الانفراد وعند الاقتران .

المطلب الثاني : الأدلة الشرعية العقلية .

المبحث الثالث : مقتضى هذا الاسم وأثره .

المبحث الرابع : المسائل المتعلقة بهذا الاسم، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : دعاء الله به ، والأدلة على ذلك .

المطلب الثاني : إضافة التعبيد له، والأدلة على ذلك .

المطلب الثالث : التوسل إلى الله به، والأدلة على ذلك .

المبحث الخامس : الأسماء المقاربة له في المعنى .

الفصل الثاني : إثبات صفة البصر لله تعالى وما يتعلق بها . وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : بيان معناها المضاف إلى الله ودلالته .

المبحث الثاني : الأدلة على ثبوتها وتنوع دلالتها، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة الشرعية الخبرية .

المطلب الثاني : الأدلة الشرعية العقلية .

المبحث الثالث : بيان تعلقها بذات الله وفعله .

المبحث الرابع : المسائل المتعلقة بصفة البصر، وفيه ثلاثة مطالب :

المبحث الأول : الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال القلوب .

المبحث الثاني : الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال اللسان .

المبحث الثالث : الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال الجوارح .

الفصل السادس: العقائد المنحرفة في صفة (البصر، النظر، والرؤية، والعين) لله تعالى والرد على المخالفين ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : العقائد المنحرفة في اسم البصير والرد على المخالفين، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الانحرافات لدى من أنكره بالكلية والرد عليهم .

المطلب الثاني : الانحرافات لدى من أثبته مجرداً عن الصفة والرد عليهم .

المبحث الثاني : العقائد المنحرفة في صفة (البصر، والنظر، والرؤية) لله تعالى، والرد على المخالفين، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : الانحرافات لدى من أنكرها بالكلية والرد عليهم .

المطلب الثاني : الانحرافات لدى من تأولها على غير معناها والرد عليهم .

المطلب الثالث : الانحرافات لدى من فوضها والرد عليهم .

المطلب الرابع : الانحرافات لدى من شبهها بصفة المخلوقين والرد عليهم .

المبحث الثالث: العقائد المنحرفة في صفة العين لله تعالى، والرد على المخالفين، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الانحرافات لدى من أنكرها بالكلية والرد عليهم .

المطلب الثاني : الانحرافات لدى من تأولها على غير معناها والرد عليهم .

المطلب الثالث : الانحرافات لدى من فوضها والرد عليهم .

المطلب الرابع : الانحرافات لدى من شبهها بصفة المخلوقين والرد عليهم .

الخاتـــمة : وفيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

الفهارس : سأقوم بعمل الفهارس التالية :

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس الآثار.

فهرس الأبيات الشعرية.

فهرس الأعلام.

فهرس الفرق والمذاهب والأديان.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

منهجي في البحث :

١- جمع المادة العلمية المتعلقة بالسمع والبصر لله تعالى في الكتـــاب والـــسنة، ثم تقسيم ذلك على حسب الأبواب، والفصول، والمباحث .

٢- الاعتماد في تقرير المسائل المتعلقة بالبحث على الاستدلال بآيات القرآن، وما جاء من الأحاديث النبوية الصحيحة، على فهم سلف الأمة .

٣- عزو الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مع كتابتـــها بالرســـم العثماني .

٤- عزو الأحاديث النبوية والآثار إلى مصادرها ونقل حكم العلماء على الأحاديث إلا إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فأكتفي بذلك

٥- شرح الكلمات الغريبة، والمصطلحات العلمية التي تحتاج إلى إيضاح.

٦- الترجمة للأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في البحث، ترجمة موجزة .

٧- التعريف الموجز بالفرق، والطوائف، والأديان، والملل، الـوارد ذكـرهم في البحث.

٨- الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط .

٩- تذييل البحث بالفهارس العلمية، على النحو المبين في الخطة .

هذا وأسأل الله - سبحانه وتعالى- أن يمن علينا بالتوفيق والسداد، في القول والعمل، إنه سميع قريب مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له على جزيل الفضل والإنعام، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد :

اعترافا بالفضل وجميل الإحسان، وانطلاقا من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** »[١]، فإنني أتقدم بالشكر والعرفان لهذه الجامعة المباركة [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة] التي استقيت من ينابيعها المباركة من خلال دراستي بها جميع المراحل الدراسية الجامعية ، وأسأل الله أن يبارك فيها، ويوفق القائمين عليها من مسؤولين وموظفين.

كما أخص بالشكر كلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في عميدها وأعضاء هيئة التدريس فيها، وأثني على ذلك بقسم العقيدة رئيسا وأعضاء القسم الفضلاء.

كما أتقدم بالشكر لجامعة الحدود الشمالية بعرعر التي منحتني التفرغ لإكمال هذه الدراسة، وأسأل الله أن يبارك فيها، ويوفق القائمين عليها من مسؤولين وموظفين.

كما أتقدم بالشكر والتقدير والاحترام لشيخي الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني المشرف على هذه الرسالة على ما أولاه من رعاية واهتمام ، وقد استفدت من ملحوظاته واستدراكاته، وكذلك من علمه وأخلاقه الفاضلة، فأقول له جزاك الله من معلم خيرا، وبارك الله لك في علمك وعمرك وذريتك، ووفقك الله لكل خير في الدنيا والآخرة.

كما أشكر شيخي الفاضل الأستاذ الدكتور : إبراهيم بن عامر الرحيلي على ما أولاه من مساعدة في اختيار الموضوع والسير في خطته ، أسأل الله تعالى أن يوفقه ويبارك له في عمره .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٨٨/٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٧٧٦/١ برقم (٤١٦).

كما أتقدم بالشكر الجزيل للشيخين الفاضلين –حفظهما الله– الأستاذ الدكتور : هشام بن إسماعيل الصيني من جامعة أم القرى والأستاذ الدكتور : عبدالقادر بن محمد عطا على تقبلهما مناقشة هذه الرسالة وإبداء الملحوظات عليها، فجزاهما الله خيرا .

كما أتقدم بالشكر لكل من ساعدني بنصيحة أو رأي أو إعارة كتاب أو دعوة خالصة.

وأخيرا.. لا أدعي أني بلغت الكمال بهذا العمل، ولكن حسبي أنني بذلت جهدي، وشأن كل عمل بشري أن يعتريه النقص والخطأ والزلل والنسيان، فما فيه من حق وصواب فذلك بفضل الله وكرمه وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ أو نقص أو تقصير فذلك مني ومن الشيطان، وأستغفر الله في سري وعلني.

وأسأل الله أن يهدي قلوبنا، وأن ينيرها بنور الإيمان، ويصلح نياتنا، ويسدد ألسنتنا، وأن يوفقنا لكل خير، أنه سميع قريب مجيب ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول : مفهوم السمع، وما يتعلق به

المطلب الأول: تعريف السمع في اللغة، والاصطلاح:

أصل الكلمة:

قال ابن فارس[١]: « السين والميم والعين أصلٌ واحدٌ، وهو إيناسُ الشيء بالأُذُن، من النّاس وكلِّ ذي أُذُن. تقول: سَمِعْت الشيء سَمْعاً. والسِّمع : الذِّكْر الجميل.

يقال قد ذَهَب سِمْعُهُ في الناس، أي صِيته. ويقال: سَمَاعِ بمعنى استمِعْ. ويقال سَمَّعْتُ بالشيء، إذا أشعتُهُ ليُتَكلَّم به »[٢].

ويأتي سمع على صيغ يقال : سَمِعَه سَمْعاً وسِمْعاً وسَماعاً وسَماعةً وسَماعِيةً. وقال بعضهم : السَّمْعُ المصدر والسِّمع الاسم ، والسَّمْعُ أَيضاً الأُذن والجمع أَسْماعٌ والمَسْمَع ، كَمَقْعَدٍ : مصدرُ سَمِعَ سَمْعَاً ، وسَمَّعَه الصوت وأَسمَعه استَمَعَ له وتسَمَّع إِليه أَصْغى .

والسَّمْعُ ما وَقَر في الأُذن من شيء تسمعه، ويقال: ساءَ سَمْعاً؛ فأَساءَ إِجابةً أَي: لم يَسْمَعْ حسَناً. ورجل سَمّاعٌ إِذا كان كثير الاستماع لما يُقال ويُنْطَقُ به .

وفَعَلْتُ ذلك تَسْمِعَتَك وتَسْمِعةً لك أَي لِتَسْمَعَه.

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، نزيل همذان، الشافعي، ثم المالكي، لغوي، توفي سنة ٣٩٥هـ. انظر : السير، ١٠٣/١٧.

(٢) مقاييس اللغة/ لابن فارس/ ١٠٢/٣ / المحقق : عبد السلام محمد هارون / الناشر : دار الفكر / الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ويُعَبَّر بالسَّمْع تارةً عن الفَهم ، وتارةً عن الطاعة ، تقول : اسْمَعْ ما أقولُ لك، و لم تَسْمَعْ ما قلتُ لك ، أي لم تَفْهَمْ، ويقال: أَسْمَعَكَ الله ، أي لا جَعَلَكَ أصَمَّ ، وهو دعاءٌ، والسَّمَّاع ، كشَدّادٍ : المُطيع .

ورجل سميع: أي سامع، ورجل سمّاع:إذا كان كثير الاستماع لما يقال وينطق كقوله تعالى:﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾[1].

والسميع على وزن فعيل من أبنية المبالغة، قال الزجاج[2]: ويجيء في كلامهم: سمع بمعنى أجاب.[3]

وقد يطلق السمع ويراد به القبول والعمل بما يسمع .

وفي الاصطلاح :

السمع قوة في الأُذن به يدرك الأصوات وفعله يقال له السمع أيضاً ، وقد سمع

---

(١) سورة المائدة آية (٤١)

(٢) أبو إسحاق: إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، النحوي، اللغوي، المفسر،من أقدم تلاميذ المبرد. له مصنفات كثيرة منها : معاني القرآن، الاشتقاق، العروض، مختصر النحو.وغيرها .مات سنة(٣١١)هـ. انظر: الفهرست / ابن النديم / ص ٨٤ـ ٨٥ / تحقيق : إبراهيم رمضان / دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى، وسير أعلام النبلاء / الذهبي/ ٣٦٠/١٤ / مؤسسة الرسالة بيروت – الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ

(٣) انظر: تهذيب اللغة/ الأزهري /٢/ ٧٤ ـ ٧٧ /تحقيق : محمد عوض مرعب / دار إحياء التراث العربي بيروت – ٢٠٠١م ط : الأولى، وتاج العروس من جواهر القاموس / الزَّبيدي / ٢١ / ٢٢٣ ـ ٢٣٧/تحقيق مجموعة من المحققين/دار الهداية ، ولسان العرب / بنمنظور /٦ / ٣٦٣ـ ٣٦٨ / تحقيق أمين عبدالوهاب و محمد الصادق ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ

سمعاً، ويعبر تارة بالسمع عن الأذن[١].

قال المناويّ[٢] رحمه الله : «السّماع فهم (السّامع) ما كوشف به من البيان »[٣] .

وقال ابن القيّم رحمه الله: « وحقيقة السّماع تنبيه القلب على معاني المسموع وتحريكه عنها طلباً أو هرباً، وحبّاً أو بغضاً »[٤].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهانى ص ٢٤٢ تحقيق محمد سيد كيلاني / دار المعرفة

(٢) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، من كبار العلماء بالدين والفنون.ولد سنة(٩٥٢) هـ له نحو ثمانين مصنفا، منها الكبير، والصغير، والتام، والناقص.(كنوز الحقائق ،شرح الجامع الصغير) وغيرها. مات سنة(١٠٣١) هـ .
انظر : الأعلام / للزركلي /٦ / ٢٠٤ / دار العلم للملايين/ بيروت الطبعة الخامسة ١٩٨٠م

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف / المناوي / ص ١٩٧ / تحقيق: د. عبدالحميد حمدان / دارعالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ

(٤) مدارج السالكين / ابن القيم / ٤٨٢/١ /تحقيق : محمد حامد الفقي /دار الكتاب العربي – بيروت /الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ .

المطلب الثاني :الكلمات المرادفة له

جاء في اللغة العربية، عدة مرادفات، لكلمة سمع، ومشتقاته مثل :

أصغى، أنْصت، آنس، وعى، أصاخ، أذِن،شهّر، توجس، نَدْس، وجد، قرع، أرعى، أقبل، ألقى، صَوْت، استرق، نشر، أذاع، أفشى، فضح .[1]

تَقُولُ : سَمِعْت الرَّجُلَ يَقُولُ كَذَا ، وَآنَسْتُ صَوْتَهُ ، وَوَجَدْت حِسَّهُ، وَقَرَع سَمْعِي .

وَتَقُولُ وعت تعي الأُذن ، آنس يؤنس الصوت، أذِن إليه وله .

وَتَقُولُ : أصغيت لَهُ ، وَأَصَخْت لَهُ ، وَأَرْعَيْته سَمْعِي ، وَرَاعَيْته سَمْعِي ، وَأَقْبَلْت عَلَيْهِ بِسَمْعِي ، وَأَلْقَيْت إِلَيْهِ السَّمْع .

تقول : استرق السمع إذا كان يتسّمع مختفياً .

ويقال : توجّست الشيء ، وتوجّست الصوت إذا تسمّعت إليه وأنت خائف ، والتوجّس التسمّع إلى الصوت الخفيّ .

تقول: رجل نَدْس وهو السريع الاستماع للصوت الخفيّ .

يتبين لنا من خلال ما تقدم: أن السمع له عدة مرادفات في اللغة العربية ، وهذا يدل على سعة هذه اللغة؛ لغة القرآن الكريم .

---

(١) انظر : نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد / إبراهيم اليازجي / ١ / ٣٣ ــ ٣٥ / مطبعة المعارف / مصر ١٩٠٤م ، المنجد في المترادفات والمتجانسات / رفائيل نخل اليسوعي / ص٩٩ / دار المشرق بيروت ط ٣

المطلب الثالث : تنوع إطلاقات السمع في الكتاب والسنة .

ذكر السمع بمشتقاته في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواضع كثيرة ، وقد تنوعت إطلاقاته بحسب سياق الكلام .

قال ابن القيم : « فعل السمع يراد به أربعة معان:

أحدها: سمع إدراك ومتعلقه الأصوات.

الثاني: سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني.

الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل .

الرابع: سمع قبول وانقياد.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[(١)] ، وقوله : ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾[(٢)] .

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾[(٣)] ليس المراد سمع مجرد الكلام بل سمع الفهم والعقل، ومنه سمعنا وأطعنا

ومن الثالث:(سمع الله لمن حمده) وفي الدعاء المأثور:(اللهم اسمع)[(٤)] أي: أجب وأعط ما سألتك .

ومن الرابع قوله تعالى : ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾[(٥)] أي قابلون له ومنقادون

---

(١) سورة المجادلة آية (١)

(٢) سورة آل عمران آية (١٨١)

(٣) سورة البقرة آية (١٠٤)

(٤) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ١/ ٢١٧ ح ١١٤ عن زيد بن أرقم مرفوعاً وانظر المنتقى شرح الموطأ ١/ ٢٠٤ ، ح ١٨٣

(٥) سورة المائدة آية (٤١)

غير منكرين له »[١].

والسمع قد يعبر به تارة عن الأُذْن نحو ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ ﴾[٢]وتارة عن فعله كالسماع نحو ﴿ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴾[٣]، وتارة عن الفهم نحو ﴿ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا ﴾[٤]، وتارة عن الطاعة، تقول: اسمع ما أقول لك .

وكل موضع أثبت السمع للمؤمنين، أو نفاه عن الكافرين، أو حث على تحريه؛ فالقصد به إلى تصور المعنى والتفكر فيه [٥].

وقد فرّق القرآن الكريم بين السماع، والاستماع، والإصغاء، والإنصات، بطريقة بليغة ودقيقة، ومناسبة للموقف .

فالسمع يكون بقصد ومن دون قصد، ومثاله في كتاب الله العزيز قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[٦] والاستماع يكون بقصد من أجل الاستفادة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾[٧].

---

(١) بدائع الفوائد / ابن القيم / ٢/ ٣٠٨ /تحقيق : هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي / دار نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة / الطبعة الأولى.

(٢) سورة البقرة آية (٧)

(٣) سورة الشعراء آية (٢١٢)

(٤) سورة البقرة آية (٩٣)

(٥) انظر : مفردات غريب القرآن / الراغب الأصفهاني /ص ٢٤٨ ــ ٢٤٩/تحقيق:محمد خليل عيتاني / دار المعرفة بيروت /الطبعة الثالثة، وكتاب الكليات ــ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،/ لأبي البقاء الكفوي/ ص ٧٨١/تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري/دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(٦) سورة القصص آية (٥٥)

(٧) سورة الأحقاف آية (٢٩)

والإصغاء: حيث التركيز وتفاعل القلب والمشاعر، قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[١].

والإنصات هو ترك الأشغال والسكوت والتفرغ للاستماع، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [٢].

وعن أبي موسى الأشعري قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم:(**إنما جُعِل الإمام ليؤتمّ به فإذا كبّر فكبّروا وإذا قرأ فأنصتوا**)[٣].

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله :« والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه.

وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع »[٤].

والسنة موافقة للقرآن الكريم في إطلاقات السمع .

---

(١) سورة التحريم آية (٤)

(٢) سورة الأعراف آية (٢٠٤)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه /كتاب الصلاة/باب التَّشَهُّدِ فِي الصَّلاَةِ./ رقم الحديث(٤٠٤) ص١٠٣/مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء (١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ابن سعدي / ص ٣١٤/المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق / مؤسسة الرسالة /الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ / عدد الأجزاء (١)

المبحث الثاني :

مفهوم البصر، وما يتعلق به .

المطلب الأول : تعريف البصر في اللغة والاصطلاح :

يطلق البصر في اللغة على أصلين من المعاني :

الأصل الأول : العِلْمُ بالشيء؛ يقال هو بَصِيرٌ به. والبصير : العليم . ومنه : بصر العين ، وهو الرؤية ، سميت به لأنه يحصل بها العلم .

ومنه : البصيرة : وهي القوة المدركة ، وتسمى الحجة أيضاً ، وكذا الفطنة .

ومنه الاستبصار : وهو الاستبانة والوضوح .

ويقال للعين الناظرة : بصر لأنها آلة البصر والجمع أبصارٌ بَصُرَ به بَصْراً وبَصَارةً وبِصَارةً وأبْصَره وتبصَّرهُ نظر إليه هل يُبْصِرُه قال سيبَوَيْه[1] : بَصُرَ صَار مُبْصِراً وأبْصَرَه إذا أخْبر بالذي وقَعَتْ عينُه عليه.

وحكى اللحياني[2] بَصِرَ به بكَسْرِ الصاد أي: أبْصَرَه وباصَرَهُ نَظَرَ معه إلى شيءٍ

(١) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه،مولى بني الحارث بن كعب، وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي؛الفارسي، ثم البصري. كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو،وأخذ النحو عن الخليل بن أحمد ، توفي في سنة ثمانين ومائة وقيل غيرها انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / ابن خلكان ٣/ ٤٦٤المحقق : إحسان عباس ، الناشر : دار صادر – بيروت ، / وسير أعلام النبلاء / الذهبي / ٨/ ٣٥١ ــ ٣٥٢ .

(٢) علي بن المبارك – وقيل : ابن حازم – أبو الحسن اللحياني من بني لحيان بن هذيل بن مدركة. وقيل : سُمّي به لعظم لحيته . أخذ عن الكسائي وأبي زيد وأبي عمرو الشيباني والأصمعي وأبي عبيدة ، وعمدته على الكسائي . وأخذ عنه القاسم بن سلام ؛ وله النوادر المشهورة . انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / السيوطي / ٢ / ١٨٥ / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / الناشر المكتبة العصرية / صيدا .

أيُّهما يُبْصِرُه قبل صاحِبِه وباصَرَهُ أيضاً أبْصَرَهُ ،ورجُلٌ بَصيرٌ مُبْصِرٌ فعيلٌ .

وقوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾[١] له مَعْنَيَان: إن شئتَ كان الإِنسانُ هو البَصِيرةُ على نَفْسِه أي: الشاهد، وإن شئتَ جَعَلْتَ البصيرةَ هنا غَيْرَهُ؛ فَعَنَيْتَ به يَدَيْهِ ورِجْلَيْه ولسانَه لأن كلَّ ذلك شاهدٌ عليه يومَ القيامة.

وأمّا الأصل الآخَر: الغِلظ ـــ وهو البُصْر(بضمِّ الباءِ،وإسكان الصاد)،فبُصْر الشَّيْءِ غِلَظُه. ومنه البَصْرُ، هو أن يضمَّ أدِيمٌ إلى أديم، يخاطانِ كما تُخاطُ حاشِيَةُ الثّوب.

فبصر كل شيء غلظه وسمكه . وفي حديث ابن مَسْعُود : (**بُصْرُ كلِّ سماءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمائةِ عامٍ**)[٢] ، يُرِيدُ غِلَظَها وسَمْكَها [٣].

أما تعريفها في الاصطلاح :

البصر يقال للجارحة الناظرة نحو قوله تعالى :﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴾[٤]،﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٥] وللقوة التي فيها .

ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر نحو قوله تعالى : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ

---

(١) سورة القيامة آية (١٤) .

(٢) النهاية لابن الأثير ١/ ١٣٢، والفائق في غريب الحديث / الزمخشري / ١ / ١١٤ .

(٣) انظر : مقاييس اللغة / ابن فارس / ١ / ٢٥٣ ـــ ٢٥٤ ، والمفردات في غريب القرآن / الراغب الاصفهاني / ٤٩ ، والمحكم والمحيط الأعظم / أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي / ٨ / ٣١٥ ـ ٣١٨ ، تحقيق عبد الحميد هنداوي / دار الكتب العلمية بيروت . ، و تاج العروس من جواهر القاموس / ١٠ / ١٩٦ـ ٢٠٦ ،ولسان العرب – ابن منظور / ١ / ٤١٧ـ ٤٢١ .

(٤) سورة القمر الآية (٥٠) .

(٥) سورة الأحزاب الآية (١٠) .

﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[١]، وقال :﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[٢] وجمع البصر أبصار ، وجمع البصيرة بصائر[٣]

(١) سورة ق الآية (٢٢)

(٢) سورة النجم الآية (١٧)

(٣) المفردات / الراغب / ص ٥٩

المطلب الثاني : الكلمات المرادفة له

للبصر عدة مرادفات في اللغة العربية مثل : الرؤية ، النظر ، المعاينة، المشاهدة، التشوف ، الصفح ، الإيناس ، المطالعة .

تَقُولُ : رَأَيْت الشَّيْءَ ، وَأَبْصَرْته ، وَعَايَنْته ، وَآنسْته إِينَاساً ، وَشَاهَدْته ،

وَيُقَالُ : اشْتَافَ الرَّجُل إِذَا تَطَاوَلَ وَنَظَرَ ، وَقَدْ اشْتَافَ الشَّيْءَ ، وَجَلَّى بِبَصَرِهِ إِلَيْهِ، إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ .

وَتَشَوَّفَ إِلَى الشَّيْءِ ، وَتَطَلَّعَ إِلَيْهِ ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ مَوْضِعٍ عَالٍ وَتَطَاوَلَ لِيُبْصِرَهُ .

وَصَفَحَ الْقَوْم إِذَا عَرَضَهُمْ وَاحِداً وَاحِداً ، وَصَفَحَ وَرَق الْكِتَاب إِذَا نَظَرَ فيه وَرَقَة وَرَقَة ، وَقَدْ تَصَفَّحَ الْكِتَابَ إِذَا نَظَرَ فِي صَفَحَاتِهِ ، وَتَصَفَّحَ الْقَوْمَ إِذَا تَأَمَّلَ وُجُوهَهُمْ وَنَظَرَ إِلَى حِلاهم وَصُوَرِهِمْ يَتَعَرَّفُ أَمْرَهُمْ .(١)

والنظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الروية(٢)

الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة ، والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر.(٣)

واستطلعتُ رأيَ فلانٍ، إذا نظرتَ ما الذي يَبْرُزُ إليك منه. وطَلْعة الإنسان: رؤيته؛ لأنَّها تطلُع .(٤)

يقال آنسْتُ الشيء إذا رأيتَه.(٥)

---

(١) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد / المؤلف : إبراهيم اليازجي / ٢٥ ــ ٣٠ .

(٢) المفردات في غريب القرآن / الراغب الاصفهانى ص ٤٩٧

(٣) تفس المصدر السابق ص ٢٦٨

(٤) مقاييس اللغة / ابن فارس / ٣/ ٤١٩

(٥) نفس المصدر السايق ١ / ١٤٥

المطلب الثالث : تنوع إطلاقات البصر في الكتاب والسنة.

ورد ذكر البصر في الكتاب والسنة في مواضع كثيرة باشتقاقات مختلفة.

ذكر أهل التفسير أنه يأتي على أربعة **أوجه:**

الأوّل: البصر بالقلب ومنه قوله تعالى:﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾(١).

الثّاني: البصر بالعين، ومنه قوله تعالىَ : ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾(٢)

الثّالث: البصر بالحجّة، ومنه قوله تعالى: ﴿لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴾(٣)

الرّابع: البصر: الاعتبار، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾(٤) أي تعتبرون وقد جعل بعضهم هذا الوجه من النّوع الأوّل وهو البصر بالقلب.(٥)

والسنة موافقة للقرآن في ذلك .

ومما يوافق البصر في المعنى النظر ، والرؤية ، والعين ، والشاهد ، وقد ورد ذكرهما كثيراً في الكتاب والسنة باشتقاقات مختلفة، وإليك التفصيل في ذلك :

وردت مادة (نظر) في القرآن والسنة في مواضع كثيرة ، باشتقاقات مختلفة، ذكر

---

(١) سورة (الأعراف الآية (١٩٨)

(٢) سورة ق الآية (٢٢)

(٣) سورة طه الآية (١٢٥)

(٤) سورة الذاريات الآية (٢١)

(٥) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/ ابن الجوزي/ ص ٢٠٠ / تحقيق : محمد عبدالكريم كاظم الراضي/ مؤسسة الرسالة – لبنان / بيروت / الطبعة : الأولى.

ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم / المؤلف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي / ٨ / ٣٥١٧ / دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

أهل التفسير أنها على أوجه :

١ - نظر الرؤية: قال الله عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[(١)]

٢ -نظر الانتظار: قال تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾[(٢)].

٣ - نظر الاعتبار والتأمل: قال عز وجل: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[(٣)]

٤ - نظر التعطف: العطف والرحمة والشفقة، لقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(٤)]

٥ - نظر المهلة والتأجيل: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[(٥)].

٦ - نظر الخوف والرعب والمذلة: قال عز و جل: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾[(٦)] [(٧)].

---

(١) سورة القيامة الآية (٢٢، ٢٣)

(٢) سورة يس الآية (٤٩)

(٣) سورة آل عمران:(١٣)

(٤) سورة آل عمران الآية (٧٧)

(٥) سورة البقرة الآية (١٦٢-١٦٣)

(٦) سورة الأحزاب الآية (٧٩)

(٧) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/ ابن الجوزي/ ص ٥٨٧- ٥٨٩ ، ومفهوم النظر في القرآن الكريم / د. عبدالحكيم درقاوي / مقالات متعلقة بالقرآن.

كما وردت مادة (عين) في القرآن والسنة في عدة مواضع باشتقاقات مختلفة.

وذكر أهل التفسير منها أوجهاً : -

أحدها : العين الباصرة . ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾[(١)]

والثاني : الحفظ . ومنه قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[(٢)]

وزاد بعضهم أوجه أخرى .[(٣)]

كما وردت مادة (رأى) في القرآن والسنة في مواضع كثيرة باشتقاقات مختلفة

ذكر أهل التفسير أنها على أوجهاً : -

أحدها : النظر والمعاينة . ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[(٤)].

والثاني : العلم . ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾[(٥)] أي : علمنا .

والثالث : الاعتبار . ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾[(٦)]

والرابع : السماع . ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[(٧)].وذكرت أوجه أخرى [(٨)].

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٩٥)

(٢) سورة القمر الآية (١٤)

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/ ابن الجوزي/ ص ٤٤٤

(٤) سورة الزمر الآية (٦٠)

(٥) سورة البقرة الآية (١٢٨)

(٦) سورة النحل الآية (٧٩)

(٧) سورة الأنعام الآية (٦٨)

(٨) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/ ابن الجوزي/ ص ٣١٩ - ٣٢٠

كما ورد مادة (شهد) في الكتاب والسنة في مواضع كثيرة باِشتقاقات مختلفة.

ذكر منها أهل التفسير أوجهاً :

أحدها : الملك الحافظ . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾[1]

والثاني : الشاهد بالحق على المشهود عليه . ومنه قوله تعالى في : ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2]

الثالث : الحاضر . ومنه قوله تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾[3]

وذكرت أوجهاً أخرى [4].

---

(١) سورة ق الآية (٢١)

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٣)

(٣) سورة البقرة الآية (١٣٣)

(٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر / ابن الجوزي / ص ٣٧٩

المبحث الثالث:

منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات إجمالاً .

معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات ، الإيمان بكل ما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة ، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل ، فيسمون الله بما سمى به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه، أوعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ممتثلين قول الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] .

وقد قرر هذا المنهج علماء أهل السنة والجماعةفمن أقوالهم ما يلي:

١ - قال الإمام أحمد -رحمه الله-: « لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا نتجاوز القرآن والسنة ».[2]

٢ - قال الصابوني[3] -رحمه الله- : « إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب

---

(١) سورة الشورى الآية (١١)

(٢) أخرجه غلام الخلال (في جزء من السنة ص ٣٤) وعنه ابن بطة (في الإبانة ٣/ ٣٢٦ ، رقم ٢٥٢) قال حدثنا عبدالله بن أحمد بن عتاب، حدثنا حنبل ،سمعت أبا عبدالله يقول : (نعبد الله بصفاته كما وصف به نفسه ، قد أجمل الصفة لنفسه ، ولا نتعدى القرآن والحديث ؛ فنقول كما قال ، ونصفه كما وصف نفسه ، ولا نتعدى ذلك ، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه) وأسناده صحيح . والأثر ذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية الكبرى ضمن مجموع الفتاوى ٥ / ٢٦

(٣) أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد الصابوني ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، المُفَسِّرُ ، المُحَدِّث، الوَاعِظ ، المصنف ، أحد الأعلام مات سَنَة ٤٤٩هـ . انظر : السير ١٨ / ٤١ ،وطبقات الشافعية الكبرى / السبكي / ٤ / ٢٧١ – ٢٩٢ ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي و د.عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ،١٤١٣هـ

والسنة...يعرفون ربهم عزَّ وجلَّ بصفاته التي نطق بها وحيُه وتتريله، أو شهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الأخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جلّ جلاله منها ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لا يعتقدون فيها تشبيها لصفاته بصفات خلقه...ولا يحرفون كلاما عن مواضعه، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه، ومنَّ عليهم بالتعريف والتفهم، حتى سلكوا سبل التوحيد والتتريه، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه، واتبعوا قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [١]... وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه... وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى، وقاله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب »[٢] .

٣ – قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي؛ بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه؛ لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد . وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة

---

(١) سورة الشورى: الآية١١

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث / أبو عثمان الصابوني / ص ٢٦ – ٢٨ ، تحقيق : بدر البدر/ مكتبة الغرباء / ط : الثانية ١٤١٥ هـ .

المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله »[١] .

وكلام الأئمة في هذا الباب كثير جداً لا يمكن نقله في هذا المقام ، ومن أراد الوقوف على كثير من ذلك فليراجع ما كتبه علماء السنة في هذا الباب[٢].

ومن هنا يتضح أن منهجهم مبني على أسس ثلاثة وهي :

الأساس الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتًا ونفيًا.

الأساس الثاني: تتريه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات.[٣]

وهذه الأسس الثلاثة هي التي تميز عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب عن عقيدة غيرهم من أهل البدع والأهواء .

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى ضمن مجموع الفتاوى ٥ / ٢٦ جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد.

(٢) انظر : كتاب " السنَّة " لعبد اللَّه ابن الأمام أحمد ، وكتاب " التوحيد " للإمام الجليل محمد بن خزيمة ، وكتاب " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " لأبي قاسم اللالكائي الطبري ، وكتاب " السنَّة " لأبي بكر بن أبي عاصم ، وكتاب "ذم التأويل " لابن قدامة .

(٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات / للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص(٤٣) وما بعدها، ضمن مجموعة القواعد الطيبات في الأسماء والصفات / جمع أشرف بن عبد المقصود / مكتبة أضواء السلف الرياض / ط الأولى ١٤١٦ هـ ، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية / د . محمد أمان الجامي / ص ٦٥ ، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٣هـ.

المبحث الرابع :

منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال بالكتاب والسنة .

إنَّ من نِعَمِ الله على هذه الأمة أنْ أكمل لها دينها، وأتمَّ عليها نعمته، ورضي لها الإسلام دينًا، وما قُبِضَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – إلا وقد تركها على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالكٌ.

فسار سلفنا الصالح من الصحابة، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، على نهج نبيِّهم – صلى الله عليه وسلم – وقد أمرَنَا الله – عز وجل – أن نتَّبع سبيل المؤمنين، بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[1]. وحذَّرنا من اتِّباع السُّبُل التي تَفرَّق أصحابها عن الصراط المستقيم؛ فقال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[2]..

فالمنهج الذي عليه أهل السنة والجماعة، قديمًا،وحديثًا، في تلقي الدين وتقريره والعمل به،هو الأخذ بالدليل من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة، وإجماع السلف الصالح ، لأن الإجماع لا يكون إلا على ما لــه دليل من الكتاب والسنة .

وقد أصَّل أهل السنة والجماعة، المنهج الشرعي القويم، في التلقي ومنهج الاستدلال بقواعد علمية منهجية ، استمدوها من القرآن والسنة ونهج السلف الصالح.

وقد ذكرها كثير من أهل العلم بين مُطيل ومختصر، ومجمِل ومفصِّل، وسأختصر

---

(١) سورة النساء الآية (١١٥)

(٢) سورة الأنعام الآية (١٥٣)

على أشهر هذه القواعد[(١)] وهي:

• **القاعدة الأولى:** اقتصارهم في مصدر التلقِّي؛ على الكتاب، والسنة، والإجماع .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « فدِينُ المسلمين مبنيٌّ على اتِّباع كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وما اتَّفقتْ عليه الأمةُ، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة وَمَا تَنَازَعَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ رَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » [(٢)].

• **القاعدة الثانية:** عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة، والاقتصار في بيان وفهم العقيدة على ما في الكتاب والسنة.

يقول ابن رجب[(٣)] –رحمه الله – : « فالعلم النافع من هذه العلوم كلها: ضبطُ نصوص الكتاب والسنة، وفهمُ معانيها، والتقيدُ في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزهد والرقائق والمعارف، وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانيًا، وفي ذلك كفاية لمن عقَل،

---

(١) انظر : "منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد"، لعثمان علي حسن (٢١٩/١) وما بعدها ، مكتبة الرشد الطبعة الخامسة ، و"منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة"، أحمد عبدالرحمن الصويان ، المنتدى الإسلامي، و " موقف ابن تيمية من الأشاعرة" د: عبدالرحمن المحمود (٥١/١ – ٧١)،مكتبة الرشد الطبعة الأولى .

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٦٤/٢٠).

(٣) زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب، البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب ، الإمام الحافظ الفقيه، له مصنفات مفيدة ومؤلفات عديدة ، منها : جامع العلوم والحكم ، وفتح الباري في شرح البخاري وغيرها ، ت ٧٩٥هـ انظر : الدرر الكامنة لابن حجر ٣٢١/٢ـ ٣٢٢، دار الجيل بيروت ط ١٤١٤هـ ، شذرات الذهب لابن العماد ٦/ ٣٣٨-٣٣٩، دار الكتب العلمية .

وشغلٌ لمن بالعلم النافع عُني واشتغل »[١].

وقال الشافعي – رحمه الله – : «حُكمي في أهل الكلام: أن يُضرَبوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبَلَ على الكلام »[٢].

• **القاعدة الثالثة:** حجية السنة في العقيدة، ومن ذلك خبر الآحاد:

وهذه من القواعد الكبرى في منهج السلف – رحمهم الله – تميَّزوا بها عن كثير من أهل الأهواء والبدع.

يقول ابن أبي العز الحنفي[٣] – رحمه الله –: «وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به وتصديقاً له؛ يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع »[٤] .

• **القاعدة الرابعة:** الاعتماد على فهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

قال أحمد بن حنبل – رحمه الله –: « أصول السنة عندنا: التمسكُ بما عليه أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –والاقتداءُ بهم، وتركُ البدع، وكل بدعة

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف/ لابن رجب، ص ٣٥- ٣٦ / المكتبة المحمودية – مصر-.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٧٤/٣ ، والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص ٧٩ ، والهروي في ذم الكلام ٤/ ٢٩٤- ٢٩٥ ، ح ١١٤٢ . وإسناده صحيح ، والأثر ذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية / ضمن مجموع الفتاوى ٥ / ١١٩

(٣) صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي ، الصالحي ، الدمشقي ، ولد ٧٣١هـ ولي قضاء مصر ، توفي ٧٩٢هـ انظر :شذرات الذهب في أخبار من ذهب – ابن العماد / ٦/ ٣٢٥/دار الكتب العلمية/ بيروت ،الأعلام / ٤ /٣١٣

(٤) شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز الحنفي/ ص ٣٥٥ / تخريج الشيخ الألباني/ المكتب الإسلامي ط التاسعة

فهي ضلالة »[١].

• **القاعدة الخامسة**: درء التعارض بين النقل والعقل.

قال ابن القيم : « أن الله سبحانه قد أنزل الكتاب، والميزان، فكلاهما في الإنزال أخوان، وفي معرفة الأحكام شقيقان، وكما لا يتناقض الكتاب في نفسه،فالميزان الصحيح لا يتناقض في نفسه، ولا يتناقض الكتاب والميزان، فلا تتناقض دلالة النصوص الصحيحة، ولا دلالة الأقيسة الصحيحة، ولا دلالة النص الصريح والقياس الصحيح، بل كلها متصادقة، متعاضدة، متناصرة، يصدق بعضها بعضا، ويشهد بعضها لبعض، فلا يناقض القياس الصحيح، النص الصحيح أبدا، ونصوص الشارع نوعان: أخبار وأوامر فكما أن أخباره لا تخالف العقل الصحيح،... فهكذا أوامره سبحانه نوعان: نوع يشهد به القياس والميزان ونوع لا يستقل بالشهادة به ولكن لا يخالفه »[٢].

• **القاعدة السادسة**: ردُّ المتشابه للمحكَم .

اتَّفق أهل السنة والجماعة على: موافقة طريقة السلف من الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث والفقه؛ كالإمام أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم . وهي ردُّ المتشابه إلى المحكم، وأنهم يأخذون من المحكم ما يفسِّر لهم المتشابهَ ويبيِّنُه لهم، فتتفق دلالتهم مع دلالة المحكم، وتوافق النصوصُ بعضُها بعضًا، ويصدِّق بعضُها بعضًا؛ فإنها كلها من عند الله، وما كان من عند الله، فلا اختلاف فيه ولا تناقُض؛ وإنما الاختلاف

---

(١) أخرجها اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/ / ١/١٧٦/ قالها في رسالة عبدوس بن مالك العطار / تحقيق د :أحمد بن سعد الغامدي/ دار طيبة ط الرابعة .

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين / ابن القيم /١/١٣١/ تحقيق : طه عبد الرءوف سعد / دار الجيل – بيروت ، ١٩٧٣م

والتناقض فيما كان من عند غيره.[١]

هذا مختصر لبعض القواعد التي تميز منهج أهل السنة والجماعة في التلقي والاستدلال عن غيرهم من أهل البدع .

---

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/٢٩٤).

الباب الأول:

المباحث العقدية المتعلقة بالسمع لله تعالى في الكتاب والسنة

الفصل الأول : إثبات اسم السميع لله تعالى .

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : بيان معناه المضاف إلى الله ودلالته .

المبحث الثاني : الأدلة على ثبوته على سبيل الانفراد والاقتران

المبحث الثالث : مقتضى هذا الاسم وأثره .

المبحث الرابع : المسائل المتعلقة بهذا الاسم .

المبحث الخامس : الأسماء المقاربة له في المعنى .

المبحث الأول :

بيان معناه المضاف إلى الله ودلالته .

اسم الله السميع من أسماء الله الحسنى ، الثابتة بالكتاب، والسنة ، والإجماع، وسيأتي تفصيل الأدلة في المبحث التالي لهذا المبحث ، أما معناه المضاف إلى الله، ودلالته فقد قرر العلماء ذلك فمن أقوالهم:

قال ابن جرير[(١)] -رحمه الله-: « ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(٢)]يقول جلّ ثناؤه واصفاً نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا يعزب عنه علم شيء منه، وهو محيط بجميعه، محصٍ صغيره وكبيره » [(٣)].

وقال الخطابي[(٤)] -رحمه الله-: « السَّمِيعُ : بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المؤرخ، المفسر ، الامام، ولد في آمل طبرستان سنة(٢٢٤)هـ ، واستوطن بغداد، وتوفي بها سنة(٣١٠)هـ ، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله منها : التفسير الكبير والتاريخ الشهير . انظر : سير أعلام النبلاء / ١٤ / ٢٦٧ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ابن خلكان / ٤ / ١٩١المحقق: إحسان عباس / دار صادر — بيروت .

(٢) سورة الشورى الآية (١١) .

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن / ابن جرير الطبري / ٢١/ ٥١٠المحقق : أحمد محمد شاكر / مؤسسة الرسالة / الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ.

(٤) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي،الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، اللُّغَوِيُّ، ، من أهل بست ولد سنة(٣١٩)هـ صاحب التصانيف منها: (معالم السنن في شرح سنن أبي داود ، وغريب الحديث وغيرها ومات سنة(٣٨٨)هـ: انظر : تذكرة الحفاظ/ الذهبى/ ٣ / ١٤٩ / تحقيق: زكريا عميرات/ دار الكتب العلمية بيروت-لبنان/ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ وسير أعلام النبلاء / ١٧ / ٢٣ .

وبناؤه فعيل: بناء المبالغة كقولهم: عليم من عالم، وقدير من قادر، وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفوت، والنطق والسكوت، والسماع قد يكون بمعنى القبول والإجابة كقول النبي صلى الله عليه وسلم : (**اللهم إني أعوذ بك من قول لا يُسمع**)(١) أي : من دعاء لا يُستجاب »(٢) .

قال ابن القيم : «السميع الذي قد استوى في سمعه سر القول وجهره، وسع سمعه الأصوات، فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشتبه عليه، ولا يشغله منها سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه كثرة السائلين ».(٣)

وقال أيضاً : « السمع يراد به ثلاثة معان:

المعنى الأول: إدراك الأصوات، ومنه قوله تعالى: ﴿ **قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ** ﴾(٤)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند /٢٠/ ٣٠٨ برقم (١٣٠٠٣)/المحقق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ، وآخرون /وقالوا : إسناده صحيح على شرط مسلم/مؤسسة الرسالة ،وأخرجه النسائي في سننه بلفظ (دعاء لا يسمع)/ كتاب الاستعاذة /باب الاستعاذة من نفس لا تشبع /٢٦٣/٨/بشرح السيوطي وحاشية السندي /دار الفكر بيروت ط ١ ،وكذا وابن ماجه في السنن/ باب الانتفاع بالعلم والعمل به/ ١/ ٩٢ برقم (٢٥٠)/ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي / دار الكتب العلمية – بيروت / والحديث صححه الشيخ الألباني بلفظ (دعاء لا يسمع)في صحيح الجامع الصغير وزيادته/٢٧٨/١/برقم (١٢٩٧) المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ

(٢) شأن الدعاء / الخطابي / ص ٥٩ / تحقيق : أحمد يوسف الدقاق / دار الثقافة العربية دمشق / ط٣ عام ١٤١٢هـ

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين / ابن القيم / ص ٢١٢/ تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر/ دار ابن القيم — الدمام/ ط ٢

(٤) سورة المجادلة الآية (١)

كما قالت عائشة رضي الله عنها: (**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جانب البيت وأنه ليخفى عليَّ بعض** كلامها، فأنزل الله:﴿ **قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾[1].

المعنى الثاني:سمع الفهم كقوله:﴿ **وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ** ﴾أي : لأفهمهم ﴿ **وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾[2] لما كان في قلوبهم من الكبر والإعراض عن قبول الحق؛ ففيهم آفتان: إحداهما أنهم لا يفهمون الحق لجهلهم، ولو فهموه لتولوا عنه وهم معرضون عنه لكبرهم، وهذا غاية النقص والعيب.

المعنى الثالث: سمع القبول والإجابة، ومنه قوله تعالى: ﴿ **لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ** ﴾[3] أي قابلون مستجيبون ومنه قول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي أجاب الله حمد من حمده ودعاء من دعاه، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا قام الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا ربنا ولك الحمد، يسمع الله لكم**)[4]، أي يجيبكم، والمقصود أن الإنسان إذا لم يكن له علم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً / عند باب قول الله تعالى (وكان الله سميعا بصيراً) ٤ / ٦٠٧/تحقيق : د. مصطفى الذهبي/مع كشف المشكل للإمام ابن الجوزي، دار الحديث/ القاهرة/الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ،وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند /٤٠ / ٢٢٨ برقم (٢٤١٩٥) / قال محققوه : إسناده صحيح على شرط مسلم.،وأخرجه ابن ماجه في سننه في المقدمة/ باب فيما أنكرت الجهيمة/ برقم (١٨٨) والحديث صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه / ٨١/١ برقم (١٨٧)مكتبة المعارف الرياض ط ١ لعام ١٤١٧هـ.

(٢) سورة الأنفال الآية (٢٣).

(٣) سورة التوبة الآية (٤٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند / ٣٢/ ٢٧١ برقم(١٩٥١١) / قال محققوه :إسناده صحيح على شرط مسلم ، وأخرجه النسائي في سننه /كتاب الافتتاح / باب قوله (ربنا ولك الحمد) / ١٩٧/٢، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن النسائي ١/ ٣٤٨ برقم (١٠٦٣) / مكتبة المعارف الرياض ط ١ لعام ١٤١٩هـ

علم بما يصلحه في معاشه ومعاده كان الحيوان البهيم خيراً منه لسلامته في المعاد مما يهلكه دون الإنسان الجاهل » .[١]

ويقول في قصيدته النونية: «

وهو السَّميعُ يَرى ويَسْمعُ كلَّ ما في الكون من سِرٍّ ومن إعلانِ
ولكلِّ صوتٍ منه سمعٌ حاضرٌ فالسِّرُّ والإِعلان مستويـــانِ
والسَّمعُ منه واسعُ الأصواتِ لا يخفى عليه بعيدُهـــــا والدانـــي »[٢]

قال الشيخ خليل هراس – رحمه الله – :(السميع : المدرك لجميع الأصوات، سرها وعلنها، فلا يخفى عليه شيء منها مهما خفت،بل جميع الأصوات إلى سمعه سواء،كما إن بعيدها والداني ــ أي : القريب ــ سواء، فسمعه سبحانه حاضر عند كل الأصوات منها، لا تشتبه عليه، ولا تختلط بعضها ببعض، ولا يتميز بعضها ببعض بوضوح أوخفاء . واعلم أن سمعه تعالى نوعان :

أحدهما عام : وهو سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجليّة، وإحاطته التامة بها .

والثاني خاص : وهو سمع الإجابة منة للسائلين والداعين و العابدين، فيجيبهم ويثيبهم، ومنه قوله تعالى على لسان أم مريم ــ عليها السلام ــ : ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .[٣] وقوله على لسان إبراهيم الخليل – عليه السلام – :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[٤].

---

(١) مفتاح دار السعادة / ابن قيم الجوزية / ١/ ٧٩ / دار الكتب العلمية – بيروت

(٢) شرح القصيدة النونية لأبن القيم / الشيخ محمد خليل هراس / ٢ / ٧٩ / دار المنهاج مصر / ط الأولى ١٤٢٤هـ

(٣) سورة ال عمران الآية (٣٥)

(٤) سورة إبراهيم الآية (٣٩)

ومنه قول المصلي (سمع الله لمن حمده) أي : استجاب له وقبل منه »[١] .

فصفة السمع لله تعالى صفة ذاتية بالنظر إلى أصلها ، وفعلية بالنظر إلى تجدد آحادها

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : (فإن إبراهيم – عليه السلام – قال :﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ﴾[٢]، والمراد به : أنه يستجيب الدعاء، كما يقول المصلى : سمع الله لمن حمده، وإنما يسمع الدعاء ويستجيبه بعد وجوده؛ لا قبل وجوده، كما قال الله تعالى :﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾[٣]، فهي تجادل وتشتكي حال سمع الله تحاورهما، وهذا يدل على أن سمعه كرؤيته المذكورة في قوله :﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾[٤] وقال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[٥] فهذه رؤية مستقلة ونظر مستقل، وقد تقدم أن المعدوم لا يرى ولا يسمع منفصلاً عن الرائي السامع باتفاق العقلاء، فإذا وجدت الأقوال والأعمال سمعها ورآها .

والرؤية والسمع أمر وجودي، لابد له من موصوف يتصف به، فإذا كان هو الذي رآها وسمعها، امتنع أن يكون غيره هو المتصف بهذا السمع وهذه الرؤية، وأن تكون قائمة بغيره فتعين قيام هذا السمع وهذه الرؤية به بعد أن خلقت الأعمال والأقوال، وهذا مطعن لا حيلة فيه)[٦] .

وسمعه تعالى ملازم لذاته لم يزل، ولا يزال سميعاً؛ إذ إن خلاف السمع الصمم؛

(١) شرح القصيدة النونية لأبن القيم / الشيخ محمد خليل هراس / ٢ / ٧٩ ــ ٨١ ١٤٢٤هــ
(٢) سورة إبراهيم الآية (٣٩)
(٣) سورة المجادلة الآية (١)
(٤) سورة التوبة الآية (١٠٥)
(٥) سورة يونس الآية (١٤)
(٦) مجموع الفتاوى ٦ / ٢٥٦ - ٢٥٧

والصمم نقص؛ والله سبحانه وتعالى متره عن كل نقص .

والسمع – أعني – سماع الأصوات تارة يفيد تهديداً؛ كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾[(١)] ، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ﴾[(٢)] وتارة يفيد إقراراً وإحاطة؛ كقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[(٣)] وتارة يفيد تأييداً؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[(٤)]قالت عائشة – رضي الله عنها –: « الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد كنت في طرف الحجرة ، وإنه ليخفى علي بعض حديثها »[(٥)].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨١)

(٢) سورة الزخرف الآية (٨٠)

(٣) سورة طه الآية (٤٦)

(٤) سورة المجادلة الآية (١)

(٥) تقدم تخريجه ص ٤٢

المبحث الثاني :

الأدلة على ثبوته على سبيل الانفراد والاقتران .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة الشرعية الخبرية عند الانفراد وعند الاقتران .

اسم الله السميع من الأسماء الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، بأدلة متنوعة وكثيرة، فقد سمى الله نفسه به على سبيل الإطلاق مرادا به العلمية، ودالاً على الوصفية، في كثير من النصوص القرآنية، وسماه به رسوله صلى الله عليه وسلم في كثير من النصوص النبوية،وقدذكره كل من جمع أسماء الله الحسنى، قديماً وحديثاً، و لم يختلف أحد فيه .

وإليك التفصيل في الأدلة :

الأدلة من القرآن الكريم : ورد اسم السميع في القرآن خمساً وأربعين مرة، مفرداً ومقترناً، وهي على النحو التالي :

ورد لفظ : (السميع) تسع عشرة مرة .

مقترناً بالعليم في خمس عشرة مرة،كقوله تعالى :﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١].

وبالبصير في أربع مرات، كقوله تعالى : ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢].

---

(١) سورة البقرة(١٢٧) و (١٣٧)، وسورة آل عمران(٣٥) وسورة المائدة(٧٦)، سورة الأنعام (١٣) و (١١٥)، وسورة الأنفال(٦١)، وسورة يونس(٦٥)، وسورة يوسف(٣٤)، سورة الانبياء(٤)، سورة الشعراء (٢٢٠)، و سورة العنكبوت (٥) و(٦٠)، سورة فصلت(٣٦)، سورة الدخان (٦) .

(٢) سورة الاسراء الآية (١) ، و سورة غافر الآية (٢٠) و (٥٦) ، وسورة الشورى الآية (١١).

وورد لفظ (سَمِيع) إحدى وعشرين مرة .

مقترناً بعليم خمس عشرة مرة، كقوله تعالى : ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)] .

وبالبصير أربع مرات، كقوله تعالى :﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[(٢)].

وبالدعاء مرة واحدة، وهي قوله تعالى :﴿سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[(٣)].

وبقريب مرة واحدة وهي قوله تعالى :﴿سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾[(٤)] .

وورد لفظ (سَمِيعًا) ثلاث مرات .

مقترناً بالبصير مرتين ، كقوله تعالى:﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[(٥)] .

وبالعليم مرة واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[(٦)].

وورد لفظ (لَسَمِيعٌ) مرتين .

مرة مقترناً بالعليم وهو قوله تعالى :﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٧)].

ومرة بالدعاء ، وهو قوله تعالى : ﴿لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[(٨)].

---

(١) سورة البقرة (١٨١) و (٢٢٤) و (٢٢٧) و (٢٤٤) و (٢٥٦) وسورة آل عمران الآية (٣٤) و (١٢١) وسورة الأعراف الآية (٢٠٠) وسورة الأنفال الآية (١٧) و (٥٣) سورة التوبة الآية (٩٨) و (١٠٣) سورة النور الآية (٢١) و (٦٠) ، وسورة الحجرات الآية (١)

(٢) سورة الحج الآية (٦١) و (٧٥) وسورة لقمان الآية (٢٨) و سورة المجادلة الآية (١).

(٣) سورة آل عمران الآية (٣٨).

(٤) سورة سبأ الآية (٥٠) .

(٥) سورة النساء الآية (٥٨) و (١٣٤).

(٦) سورة النساء الآية (١٤٨).

(٧) سورة الأنفال الآية (٤٢).

(٨) سورة إبراهيم الآية (٣٩).

هذه الأدلة من القرآن الكريم، التي ورد بها التصريح باسم السميع، وقد جاءت الآيات بكل صيغ الاشتقاق، وهي : سَمِعَ، ويَسْمَعُ، وسَمِيعٌ، وأَسْمَعُ، ونسمع، ومستمعون ، وسيأتي ذكرها عند أدلة إثبات صفة السمع .

أما الأدلة من السنة النبوية : فقد وردت أحاديث فيها التصريح باسم السميع أو الدعاء به وإليك تفصيل الأدلة :

١ــ عن أبي موسى رضي الله عنه قال : (**كنّا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في سَفَر ، فكنا إذا عَلونا كبَّرنا ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : أيها الناس اربَعوا على أنفُسكم ، فإنكم لا تَدْعونَ أصمَّ ولا غائباً ، ولكنْ تدعون سميعاً بصيراً ، ثمَّ أتى عليَّ وأنا أَقولُ في نفسي : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال : يا عبدَ الله بن قيْس ، قل لا حول ولا قوةَ إلا بالله ، فإنها كنزٌ مِنْ كنوز الجنة ، أو قال : ألا أدلك على كلمةٍ هي كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلاّ بالله**) [١].

٢ ــ عن أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِي رضي الله عنه قال : (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر، ثم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، ثم يقول : الله أكبر كبيراثم يقول: أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الدعوات / باب الدعاء إذا علا عقبة/٤/ ٢٦٨ برقم : (٦٣٨٤)، واللفظ له،ومسلم في صحيحه / كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ. /ص ٦٨٥ برقم (٢٧٠٤) / مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٢هــ / عدد الأجزاء (١)

(٢) أخرجه الترمذي في سننه / كتاب الصلاة / باب ما يقول عند افتتاح الصلاة /٢/٩ــ ١٠ برقم (٢٤٢)/ تحقيق :أحمد شاكر، وكمال الحوت / دار الكتب العلمية بيروت ، وأبو داود في سننه / كتاب الصلاة / باب مَنْ رَأَى الاِسْتِفْتَاحَ بِسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ./١/٤٩٠ برقم (٧٧٥)/ تحقيق : عزت عبيد الدعاس/ دار الحديث حمص ، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود/١/ ٢٢١/مكتبة المعارف الرياض ط١ عام ١٤١٩هــ .

٣ ـــ عن عُثْمَان بنَ عَفَّانَ أنه قال : سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (**مَنْ قَال بِسْمِ اللهِ الذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمه شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلاَثَ مَرَّات لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُمْسِي**)[١].

٤ ـــ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدَ[٢] -رضي الله عنه- قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ قُرْبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاشْتَدَّ غَضَبُ أَحَدِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَمَجْنُونٌ تَرَانِي ؟ فَتَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾**[٣]). [٤] **وفي رواية عن معاذ**-رضي الله عنه- **قال** : (**استب رجلان عند النبي فغضب أحدهما غضبا شديدا حتى إنه ليخيل إلي**

(١) أخرجه الأمام أحمد في المسند/١/ ٥٤٦ برقم (٥٢٨) ،قال محققوه : حسن، وأبو داود في سننه / كتاب الأدب / باب مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَح /٣٢٤/٥ برقم (٥٠٨٨)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود٣/ ٢٥٠ .

(٢) سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة الخزاعي، أبو المطرف ، كان اسمه في الجاهلية يَسَاراً فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلّم سُليمان ، مات سنة ٦٥هـــ انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة / بن الأثير / ٢ / ٥٢٣ / تحقيق عادل أحمد الرفاعي / دار إحياء التراث العربي بيروت/ سنة النشر ١٤١٧ هـــ ، والإصابة في تمييز الصحابة/ابن حجر العسقلاني / ٣ / ١٧٢ / تحقيق علي محمد البجاوي / دار الجيل بيروت / سنة النشر ١٤١٢هـــ .

(٣) سورة فصلت الآية (٣٦) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين/ ٢/ ٤٧٨تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا / مع تعليقات الذهبي في التلخيص قال : صحيح / دار العلمية – الكتب بيروت ، والبيهقي في شعب الإيمان / ١٠ / ٥٢٥ / تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد / مكتبة الرشد بالرياض / الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣ هـــ.

أني أرى أنفه يتمزع[١] **فقال يا رسول الله إني لأعرف كلمة إن يقولها هذا الغضبان لذهب عنه غضبه أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)** [٢].

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال : (**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا**[٣] **لقوله،كأنه سلسلة على صفوان، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ فيقولون : قال:الحق، وهوالسميع العليم، فيستمعها مسترق السمع، فربما أدركه الشهاب قبل أن يرمي بها، إلى الذي هو أسفل منه، وربما لم يدركه الشهاب، حتى يرمي بها إلى الذي هو أسفل منه، قال : وهم هكذا بعضهم أسفل من بعض – ووصف ذلك سفيان بيده – فيرمي بها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى تصل إلى الأرض، فتلقى على فم الكافر، والساحر، فيكذب معها مئة كذبة، فيصدق، ويقال : أليس قد قال في يوم كذا وكذا: كذا وكذا فصدق)**[٤].

---

(١) أي : يتقطع ويتشقق من شدة الغضب . انظر : النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير / ٤ / ٦٩٠.

(٢) بهذا اللفظ أخرجه هناد بن السري في الزهد / ٢/ ٦٠٩/ تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي / دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت / الطبعة الأولى ، ١٤٠٦، وعبد بن حميد في المسند / ص ٦٨ / تحقيق صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي / مكتبة السنةالقاهرة / سنة النشر ١٤٠٨، وأخرجه ابن أبي شيبه في المصنف ٦/ ٩٦ح ٢٩٥٨٢،وأبو داود في السنن ح ٤٧٨٢) من غير لفظ السميع العليم بإسناد هناد بن السري وقد ضعف الألباني الحديث في ضعيف الترغيب والترهيب (١١٣/٢) .

(٣) (خَضَعَانا) بفتحتين من الخضوع وفي رواية بضم أوله وسكون ثانية وهو مصدر بمعنى خاضعين. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري/ ابن حجر / ٨/ ٥٣٨ / دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ .

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان / تحقيق : شعيب الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة – بيروت / الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ قال شعيب : إسناده صحيح وأصل الحديث في الصحيحين من غير لفظ "السميع العليم" انظر :صحيح البخاري ح ٧٤٨١ ،وصحيح مسلم ح ٥٩٥٦.

٦ – حديث أبي سُكينة[١] عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(لَمَّا أَمَرَ النبي صلى الله عليه وسلم بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَفْرِ ؛ فَقَامَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ وَوَضَعَ رِدَاءَهُ نَاحِيَةَ الْخَنْدَقِ وَقَالَ : تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِه وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فَنَدَرَ ثُلُثُ الْحَجَرِ وَسَلْمَانُ الفارسي قَائِمٌ يَنْظُرُ ؛ فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بَرْقَةٌ ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ وَقَالَ :** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢] ، **فَنَدَرَ الثُّلُثُ الآخَرُ فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ ؛ فَرَآهَا سَلْمَانُ ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ :** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ **)**[٣] .

٧– هناك أحاديث وردت وفي أسانيدها مقال، ولكن استدل بها بعض العلماء على إثبات هذا الاسم، منها:

الحديث الذي جاء فيه سرد الأسماء الحسنى، وإليك نص الحديث.

روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن**

---

(١) أبو سكينة الحمصي قيل اسمه محلم مختلف في صحبته وكان من المحررين قال ابن عبد البر : شامي حمصي لا أعرف له اسما ولا نسبا، روى عنه بلال بن سعد، له حديث عند أبي داود والترمذي وابن ماجه . انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة/ بن الأثير / ٦ / ١٦٠ ، وتهذيب التهذيب – ابن حجر / ١٢/ ١٢٥دار الفكر – بيروت/ الطبعة الأولى ، ١٤٠٤

(٢) سورة الانعام آية ١١٥.

(٣) أخرجه النسائي في سننه/كتاب الجهاد / باب غزوة الترك والحبشة / ٦ / ٤٣ ،وابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول/١١/ ٣٩٥ / تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط/مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، قال الألباني : حسن ، انظر : صحيح سنن النسائي ٢ /٣٩٩

الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدي المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور)[1].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه/ كتاب الدعوات/٥/٤٩٦-٤٩٧ برقم (٣٥٠٧)، وقال عنه: حديث غريب، ، وأخرجه الطبراني في الدعاء برقم: (١١١)، ١/ ٥١،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، سنة النشر ١٤١٣ هـ ، والبيهقي في الأسماء والصفات، رقم (٦)، ١/٢٢-٢٣،تحقق : عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي – جدة ، الطبعة : الأولى والبغوي في شرح السنة، رقم (١٢٥٧) ٥/٣٢-٣٣،تحقيق : شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – دمشق ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ ، وابن حبان في صحيحه، رقم (٨٠٨) ٣/٨٨-٨٩)، والحاكم في المستدرك / ١/١٦٦-١٧٦)، وقال: (هذا الحديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه، والعلة فيه أن الوليد بن مسلم تفرد به بسياقه بطوله وذكر الأسامي و لم يذكرها غيره، وليس هذا بعلة، فإني لا أعلم اختلافا بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان وبشر بن شعيب وعلي بن عياش وأقرانهم من أصحاب شعيب ...).تحقيق : عبد السلام علوش / دار المعرفة بيروت ط١ .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/٢١٥) :(وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج، قال البيهقي : يحتمل أن يكون التعيين وقع من بعض الرواة في الطريقين معا، ولهذا وقع الاختلاف الشديد بينهما، ولهذا ترك

٨ – عن بن عباس قال : (**كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا أفطر قال اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم**)(١).

٩- عن جابر بن عبد الله وأنس _ رضي الله عنهما _ قالا: (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استسقى قال: اللهم؛ اسقنا سقيا واسعة، وادعة نافعة تشبع بها الأموال، والأنفس، غيثا هنيئا مريئا طبقا مجللاً، تسبغ به على بادينا، وحاضرنا، تنزل به من بركات السموات، وتخرج لنا به من بركات الأرض، وتجعلنا عنده من الشاكرين ؛إنك سميع الدعاء**)(٢).

الشيخان تخريج التعيين) اهـ.

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٧٩/٦-٣٨٠) : (وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسرا في بعض طرق حديثه، ولهذا اختلفت أعيانهما عنه).

وقال أيضا في مجموع الفتاوى (٤٨٢/٢٢) : (إن التسعة والتسعين اسما لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي ... وحفاظ أهل الحديث يقولون هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث))اهـ.

وضعف هذا الحديث الألباني –رحمه الله – في ضعيف الجامع رقم: (٣٥٠٧) ص ٣٨٣، وفي مشكاة المصابيح رقم: ٢٢٨٨، ٧٠٨/٢، المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعةالثالثة ١٤٠٥هـ.

(١) أخرجه الدارقطني في سننه / كتاب الصيام / باب القبلة للصائم / ٢ / ١٨٥ / تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني / دار المعرفة - بيروت ، ١٣٨٦هـ ، والطبراني في المعجم الكبير / برقم (١٢٧٢٠) / ١٢ / ١٤٦/ تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي / مكتبة الزهراء الموصل ١٤٠٤هـ والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم : ٤٣٥٠ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط/ ٨ / ٢٤٨تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني / دار الحرمين القاهرة / سنة النشر ١٤١٥هـ ، قال الهيثمي(في

من خلال ما تقدم في هذا المطلب، يتبين لنا؛ أن اسم الله السميع؛ من الأسماء الحسنى الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة .

المطلب الثاني : الأدلة الشرعية العقلية .

هي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي، والدليل العقلي.

وممن قرر ذلك شيخ الإسلام بقوله : « دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب . فهذه دلالة شرعية عقلية؛ فهي شرعية: لأن الشرع دل عليها، وأرشد إليها؛ و عقلية: لأنها تعلم صحتها بالعقل . ولا يقال : إنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر. وإذا أخبر الله بالشيء، ودل عليه بالدلالات العقلية، صار مدلولاً عليه بخبره، ومدلولاً عليه بدليله العقلي الذي يعلم به، فيصير ثابتًا بالسمع والعقل، وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تسمى: الدلالة الشرعية »[1].

الأدلة الشرعية العقلية على إثبات اسم السميع لله تعالى :

١ – السمع صفة كمال ، وعدمها نقص ، والإله لا يكون إلا كاملاً ، كيف يستحق الناقص العادم للسمع أن يعبده من يسمع ؟ وهذا التقرير العقلي ورد في آيات منها :

قول إبراهيم عليه السلام لقومه حين حطم أصنامهم : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾[2]

وكذلك قوله لأبيه : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ

مجمع الزوائد ٢/ ٤٥٤) : رواه الطبراني في الأوسط وفيه موسى بن محمد بن إبراهيم الحارث التيمي وهو ضعيف .

(١) مجموع الفتاوى / ٦ / ٧١ــ ٧٢ .

(٢) سورة الشعراء الآية (٧٢ ، ٧٣) .

شَيْئًا ﴾[(١)].

قال أبو بكر ابن خزيمه[(٢)]رحمه الله : « وتدبروا أيها العلماء ومقتبسو العلم مخاطبة خليل الرحمن أباه وتوبيخه إياه لعبادته من كان يعبد ... قال خليل الرحمن صلوات الله وسلامة عليه لأبيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا . أفليس من المحال يا ذوي الحجا أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان أيضا فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة عز ربنا وجل عن أن يكون غير سميع ولا بصير فهو كعابد الأوثان والأصنام لا يسمع ولا يبصر أو كعابد الأنعام ألم يسمعوا قول خالقنا وبارئنا ﴿ **أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا** ﴾[(٣)]فأعلمنا عز و جل أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام بل هم أضل سبيلا»[(٤)].

٢- أن الله حي قيوم ، والحي لا يكون إلا سميعاً ، ولا يفقده الحي إلا لآفة من مرض أو فقد أو موت ، والله حي سميع تعالى عن النقص والآفات .

---

(١) سورة مريم الآية (٤٢) .

(٢) أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة ، الحافظ الحجة الفقيه، شيخ الاسلام، إمام الائمة، السلمي النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف.، ولد سنة ٢٢٣هـــ ، ومات سنة ٣١١هـــ رحل إلى العراق، والشام ،والجزيرة، ومصر، تزيد مصنفاته على "١٤٠" مصنفًا منها: "التوحيد وإثبات صفة الرب" "صحيح ابن خزيمة" انظر : السير / ١٤ / ٣٦٥ ـــ ٣٨٢، شذرات الذهب /٢/ ٢٨٦ ، وطبقات الشافعية الكبرى/ السبكي / ٣ / ١١٠ .

(٣) سورة الفرقان الآية (٤٣ ، ٤٤) .

(٤) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل / ابن خزيمة /١/ ١٠٩ ، تحقيق : د.عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان / مكتبة الرشيد – الرياض / الطبعة الخامسة.

قال البيهقي[1]- رحمه الله- : « إن قال قائل : و ما الدليل على أنه سميع بصير؟

قيل :لأنه حيّ، ويستحيل وجودحيّ يتعرّى عن الوصف بما يدرك المسموع، والمرئيّ، أوبالآفة المانعة منه، ويستحيل تخصيصه من أحد هذين الوصفين، بالآفة لأنّها منع، والمنع يقتضي مانعاً و ممنوعاً، و من كان ممنوعاً كان مغلوباً، وذلك صفة الحدث، والباري قديم لم يزل، وهو سميع بصير لم يزل و لا يزال»[2].

٣- يقرر الدليل العقلي أن السميع لا يكون سميعاً إلا بسمع ، ومن لم يكن يسمع فليس بسميع ، وهذا يقرر اتصاف الله بأنه سميع بسمع يسمع به سبحانه.

قال أبو القاسم الأصبهاني[3] رحمه الله : « الدليل على أن السميع لا يكون إلا بسمع ،... فالسميع صفة مشتقة من السمع . كما أن الضارب صفة مشتقة من الضرب، والضرب مصدر لأن الفعل صدر عنه ، وإذا كان صادراً عن المصدر كانت الصفة المبنية من الفعل صادرة عنه أيضاً وهي الضارب . وإذا صح هذا ، صح أن السميع صفة مبنية من أصل مشتقة منه صادرة عنه . وذلك الأصل هو السمع ، فصح أن السميع لا يكون إلا بسمع . والدليل على ذلك أيضاً : أنه إذا بطل السمع حصل

---

(١) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي شيخ خراسان ، الحافظ صاحب التصانيف، ولد سنة ٣٨٤هـ ، ومات سنة ٤٥٨هـ ، وله السنن الكبرى والصغرى وغيرها ، انظر : السير / ١٨ / ١٦٣ - ١٣٩ ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد ٣ / ٣٠٣ - ٣٠٥ .

(٢) شعب الإيمان : البيهقي / ١/ ٢٦٣ / تحقيق : د.عبد العلي عبد الحميد حامد /إشراف: مختار أحمد الندوي / مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

(٣) أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ، الملقب بقوام السنة، إمام في التفسير، والحديث، واللغة، والأدب، ولد سنة ٤٥٧هـ ، وتوفي سنة ٥٣٥هـ صنف كثيراً من الكتب في التفسير وغيره كالترغيب والترهيب انظر : السير / ٢٠ / ٨٠ شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد / ١٠٥، ١٠٦.

الصمم ، ... فيكون الله تعالى في قول من يثبت السميع ولا يثبت السمع ، سميعاً أصم ... كما تقول في القدير والعليم ، فيبطل الصفات كلها وتكون ألفاظاً لا معاني لها ، ويكون الله تعالى خالياً عن الصفات والأسماء ... »[١].

والدليل على أنه سميع؛ ما جاء في كتاب الله من استجابة دعاء أنبيائه،كقوله تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾[٢]، وقوله : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾[٣].

والآيات في هذا كثيرة ، وهي تدل دلالة سمعية عقلية؛ على أن الله جل جلاله سميع.

من خلال ما تقدم يتبين لنا، أن اسم السميع لله تعالى، ثابت بالأدلة العقلية، كما هو ثابت بالأدلة الشرعية .

---

(١) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة/ الأصبهاني /٢ / ١٤٣، تحقيق د : محمد بن ربيع المدخلي / دار الراية الرياض / سنة النشر ١٤١٩هـ

(٢) سورة الأنبياء الآية (٧٦)

(٣) سورة الأنبياء الآية (٨٣ ، ٨٤)

المبحث الثالث :

مقتضى هذا الاسم وأثره .

أرشدنا الله جل وعلا في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لتدبر أسمائه الحسنى ، ومعرفتها ، وإحصائها ، وفهم معانيها، والعمل بمقتضاها .

وقد قرر العلماء هذا الأصل العظيم في كتبهم فمن أقوالهم :

يقول قوام السنة الأصفهاني رحمه الله : « قال بعض العلماء : أول فرض فرضه الله على خلقه : معرفته ، فإذا عرفه الناس عبدوه ، قال الله تعالى :﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾[(١)]، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها ؛ فيعظموا الله حق عظمته ، ولوأراد رجل أن يعامل رجلاً : طلب أن يعرف اسمه وكنيته ، واسم أبيه وجده ، وسأل عن صغير أمره وكبيره ، فالله الذي خلقنا ورزقنا ، ونحن نرجو رحمته ونخاف منسخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها»[(٢)].

ويقول العز بن عبد السلام[(٣)] : « فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من : الخوف ، والرجاء ، والمهابة ، والمحبة ، والتوكل ، وغيرذلك من ثمرات معرفة الصفات»[(٤)].

---

(١) سورة محمد الآية (١٩)

(٢) الحجة في بيان المحجة ، ج ١ ، ص ١٢٢

(٣) أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب، السلمي الدمشقي الشافعي ،الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد سنة ٥٧٨هـ له كتب كثيرة منها " التفسير الكبير " و " الالمام في أدلة الاحكام "وغيرها ومات سنة ٦٦٠هـ انظر : البداية والنهاية / ابن كثير / ١٣ / ٢٧٠/ تحقيق : علي شيري / دار إحياء التراث العربي / الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ ، و الأعلام / الزركلي /٤/ ٢١ /

(٤) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال / العز بن عبدالسلام / ص ٦٧/ تحقيق أحمد فريد المزيدروتي / دار الكتب العلمية بيروت / ط : الأولى

وقال ابن القيم رحمه الله: «كل اسم من أسمائه عز وجل له تعبد مختص به، علماً ومعرفة وحالاً. علماً ومعرفة: أي إن من علم أن الله مسمى بهذا الاسم وعرف ما يتضمنه من الصفة ثم اعتقد ذلك فهذه عبادة.وحالاً: أي إن لكل اسم من أسماء الله مدلولاً خاصاً وتأثيراً معيناً في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك، تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه»[(١)].

وقال أيضاً: « والأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين ، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها ، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على العلم والجوارح . فعلم العبد بتفرد الرب بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً . وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، وأنه يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله ، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطناً ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح ».[(٢)]

اسم السميع من أسماء الله الحسنى، ولا بد من إثبات حكمه ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، ويسمع ضجيج الأصوات، على اختلاف اللغات لايشغله سمع عن سمع، ولاتغلطه المسائل، ولايتبرم بإلحاح الملحين[(٣)].

قال ابن القيم في النونية معبراً عن هذا المعنى :

---

(١) مدارج السالكين / ١ / ٤٢٠

(٢) مفتاح دار السعادة ص٩٠

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١٣ / ١٢

وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والداني[١].

فمن تدبر هذا الاسم العظيم وقف على آثار وثمرات عظيمة، وحكم جليلة، تحصل بها السعادة في الدنيا والآخرة، ومن هذه الآثار :

أولاً: فرض الله على عبادة أن يعلموا أنه سميع قال تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢] فمن لم يعلم ذلك فهو مقصر بحق ربه ومعرفته، كما أنه يشتق من هذا الاسم إثبات صفة السمع لله تعالى كما يليق بعظمته وجلاله. قال تعالى : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٣]

قال الأزهري[٤] رحمه الله: « والعجب من قوم فسّروا (السميع) بمعنى المُسْمِعْ فرارًا من وصف الله بأن له سمعًا، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه، فهو سميع ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسميع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه ونحن نصف الله بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف»[٥].

---

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم / أحمد بن إبراهيم بن عيسى / ٢ / ٢١٥ تحقيق : زهير الشاويش / المكتب الإسلامي – بيروت / الطبعة الثالثة

(٢) سورة البقرة الآية (٢٤٤)

(٣) سورة الشورى الآية (١١)

(٤) أبو منصور، محمد بن أحمد بن الازهر بن طلحة الازهري،الهروي، اللغوي، الشافعي ، وكان رأسا في اللغة والفقه. وله كتاب " تهذيب اللغة " المشهور، وكتاب " التفسير وغيرها ، مات سنة ٣٧٠ هـ انظر : سير أعلام النبلاء / ١٦ / ٣١٥ ـــ ٣١٧ ، ومعجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب / ياقوت الحموي الرمي / ٥ / ٢٣٢١ ـــ ٢٣٢٢ / تحقيق : د. إحسان عباس / دار الغرب الإسلامي بيروت / ط١ عام ١٩٩٣م .

(٥) تهذيب اللغة / الأزهري / ٢ / ١٢٤

ثانيًا: يحصل بهذا الاسم مراقبة الله – عز وجل – فيما يقوله اللسان، سواء أسر القول أو جهر به، وسواء كان ذلك في جماعة أو في خلوة، قال الله – عز وجل –: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾[1] وقوله : ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] و﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[3] و﴿سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾[4]. هذا يثمر في القلب الخوف من الله – عز وجل – والمحافظة على اللسان من أن ينطق بما يسخط الله تعالى، ومن تعبد لله تعالى بهذا الاسم الكريم جنب لسانه الفحش من القول كسب، وسخرية، وغيبة، ونميمة، وبهتان، ولهو باطل أو نشر لباطل يضل به الناس.

ثالثًا:بهذا الاسم يتحقق اللجوء إلى الله – عز وجل – وسؤاله سبحانه من حاجات الدنيا والآخرة، فهو السميع لدعاء عباده سرهم ونجواهم، وهو السميع بمعنى (المجيب) لدعائهم والمفرج لكرباتهم، وهذا المعنى من معاني السميع يجعل في القلب الطمأنينة والأنس بالله تعالى وحسن الظن به سبحانه، والرجاء فيما عنده، وعدم الملل من دعائه، وعدم اليأس من كشف الشدائد وقضاء الحاجات، فهو سبحانه السميع لدعاء عباده، المجيب القريب منهم، وهذا يثمر صدق التوكل على الله سبحانه، والتعلق به وحده والرجاء فيما عنده.وقد دعا الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – والصالحون ربهم سبحانه بهذا الاسم ليقبل منهم أو ليستجيب دعاءهم، قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[5].وقوله :﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[6]

---

(١) سورة الرعد الآية (١٠) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٨١).

(٣) سورة الحج الآية (٦١) .

(٤) سورة سبأ الآية (٥٠) .

(٥) سورة البقرة الآية (١٨٦).

(٦) سورة البقرة الآية (١٢٧) .

رابعًا: هذا الاسم يعوّد العبدالصبر على ما يلاقيه من أذى الخلق جميعهم ، سواء ما يقولونه من السب، والشتم، والبهتان، والظلم، والتهم الباطلة، لأن الله – عز وجل – يسمع كلامهم ولايخفى عليه أمرهم؛ وسينصف سبحانه عباده المؤمنين منهم إن عاجلاً أو آجلاً، وهذا يثمر في القلب الصبر والرضى والطمأنينة والاستعانة به سبحانه، وانتظار فرجه ونصره، وعدم استبطاء ذلك، لأن الله سبحانه سميع ، ولكنه يمهل ولا يهمل.

خامساً : هذا الاسم يزرع في القلب الأدب مع الله تعالى والحياء منه.
يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: « إن الأدب مع الله تبارك وتعالى هو القيام بدينه والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنًا. ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق- علمًا وعملاً وحالاً- والله المستعان »[1].

سادساً : الاستعاذة بهذا الاسم عند حصول وساوس شياطين الإنس والجن.قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] وقوله : ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[3] وقوله : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[4].

قال ابن القيم: « وتأمل حكمة القرآن الكريم كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ السميع العليم في الأعراف والسجدة، وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويرون بالأبصار بلفظ السميع البصير في سورة حم المؤمن فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ

---

(١) مدارج السالكين / ٢ / ٤٠٣.
(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٠).
(٣) سورة غافر الآية (٥٦) .
(٤) سورة فصلت الآية (٣٦).

﴿إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ، لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة ترى بالبصر، وأما نزغ الشيطان فوساوس وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم؛ فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها، وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يرى بالبصر ويدرك بالرؤية »[1].

سابعاً : إذا أيقن العبد أن الله سميع؛ عظم توكله، واعتماده عليه، قال تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2] وقوله : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

قال الشيخ السعدي رحمه الله : «أعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به، الاعتماد على ربه، والاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور، فلذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى، في جلب المنافع، ودفع المضار، مع ثقته به، وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم، بعزته يقدر على إيصال الخير، ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به، يفعل ذلك.

ثم نبهه على الاستعانة باستحضار قرب الله، والنزول في منزل الإحسان فقال: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: يراك في هذه العبادة العظيمة، التي هي الصلاة، وقت قيامك، وتقلبك راكعا وساجدا خصها بالذكر، لفضلها وشرفها، ولأن من استحضر فيها قرب ربه، خشع وذل، وأكملها، وبتكميلها، يكمل سائر عمله، ويستعين بها على جميع أموره.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾لسائر الأصوات على اختلافها وتشتتها وتنوعها، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾الذي أحاط بالظواهر والبواطن، والغيب والشهادة. فاستحضار العبد رؤية الله له في جميع

---

(١) بدائع الفوائد / ابن القيم ٢/ ٤٦٣.

(٢) سورة الأنفال الآية (٦١)

(٣) سورة الشعراء الآية (٢١٧ ــ ٢٢٠)

أحواله، وسمعه لكل ما ينطق به، وعلمه بما ينطوي عليه قلبه، من الهم، والعزم، والنيات، مما يعينه على منزلة الإحسان » [١].

هذا نزر يسير، ونقطة من بحر، من آثار هذا الاسم العظيم ، وقد استفدت في جمع هذه الآثار من عدة كتب في الأسماء والصفات .[٢]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي/ ص ٥٩٩/ تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق/ مؤسسة الرسالة / الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ

(٢) انظر في هذه المعاني : النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى / محمد الحمود النجدي / ١ /٢٢٥ / مكتبة الأمام الذهبي الكويت ط الرابعة ، وأسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به/ د : عمر الأشقر / ص ١٢١ وما بعدها / دار النفائس الأردن / الطبعة الأولى ، أسماء الله الحسنىفي الكتاب والسنة/ د.محمود عبد الرازق الرضواني / ١/ ٤٩٤ وما بعدها / ، ولله الأسماء الحسنى / الشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل / ١ / ٤٩٩ وما بعدها ، فقه الأسماء الحسنى / د : عبدالرزاق البدر / ص ١٢٦ وما بعدها / مطابع الحميضي الرياض / الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ

المبحث الرابع :

المسائل المتعلقة بهذا لاسم .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : دعاء الله به ، والأدلة على ذلك .

الدعاء أعظم أنواع العبادة، وقد أمر الله بدعائه في آيات كثيرة، ووعد بالإجابة، وأثنى على أنبيائه ورسله؛ فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[(١)]، وأخبر سبحانه أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه؛ فقال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[(٢)].

وأصل الدعاء في اللغة : إمالة الشيءَ إليك بكلام يكون منك؛ طلباً، أو نداءً، أو رغبة، أو رجاءً، أوسؤالاً،أوابتهالاً . تقول: دعوت أدعُو دعاءً. ودعاه ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً أي: صحت به، واستدعيته[(٣)].

أما الدعاء من جهة الشرع فقد عرفه الخطابي بقوله: « معنى الدعاء استدعاء العبدِ ربَّه عزَّ وجل العناية، واستمدادُه منه المعونة، وحقيقته : إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرّؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعارُ الذلة البشريَّة، وفيه معنى الثناء على الله – عز وجل –، وإضافة الجود والكرم إليه »[(٤)].

والدعاء ينقسم إلى نوعين:

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٩٠) .

(٢) سورة البقرة االآية (١٨٦)

(٣) انظر : مقاييس اللغة ٢٧٩/٢، ولسان العرب ٢٥٧/١٤ـــ ٢٦٢، والقاموس المحيط ١٦٥٥/١

(٤) شأن الدعاء للخطابي ص٤ .

دعاء مسألة: وهو سؤال الله تعالىبأسمائه الحسنى؛ ما ينفع الداعي ، وطلب كشف ما يضره.

ودعاء عبادة: وهو التعبّد لله تعالى بمقتضى هذه الأسماء التي فيها ثناء على الله تعالى، والنوعان متلازمان. قال تعالى : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[١] وهاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء : دعاء العبادة، ودعاء المسألة فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة، ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان. [٢]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٣]

قال الإمام القرطبي[٤]:« فادعوه بها أي: اطلبوا منه بأسمائه؛ فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رزاق ارزقني ... »[٥].

---

(١) سورة الأعراف : (٥٥، ٥٦)

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٥ /١٠ــ١١. واقتضاء الصراط المستقيم / ابن تيمية / ص ٣١٧/ تحقيق : د : ناصر عبد الكريم العقل / دار عالم الكتب، بيروت، لبنان. وبدائع الفوائد/ ابن القيم / ٣ / ٣ .

(٣) سورة الأعراف الآيه (١٨٠)

(٤) أبو عبد الله: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الخزرجي ، القرطبي ،من كبار المفسرين ،صالح متعبد، من أهل قرطبة،صاحب كتاب التذكرة بأمور الآخرة، والتفسير الجامع لأحكام القرآن (المتوفى سنة(٦٧١)هــ). انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب – ابن العماد / ٥/ ٣٣٤ ، وطبقات المفسرين / السيوطي / ص ٧٩ / تحقيق : علي محمد عمر / مكتبة وهبة – القاهرة، والأعلام ٣٢٢/٥

(٥) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي / ٢٨٧/٧

وقال ابن القيم_ في معنى الدعاء بها_: «وهو مرتبتان: إحداهما: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلب ومسألة.فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يسأل إلا بها، فلا يقال يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات اغفر لي وارحمني؛ بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب؛ فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم، ومن تأمل أدعية الرسل ولاسيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقة لهذا»[1].

وجاء في حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (**الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[2]).[3]

والأدلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة على نوعي الدعاء .

أما دعاء الله باسمه السميع فيشمل النوعين : دعاء العبادة، ودعاء المسألة :

أما دعاء العبادة : فهو اعتقاد يدفع المسلم لمراقبة ربه في كل صغيرة وكبيرة من حياته ، ويعلم أن الله يسمعه في سره ونجواه ، فيتقيه ويخشاه ، ولا يخاف من أحد سواه.

والأدلة عليه من الكتاب العزيز : قوله تعالى : ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾[4]، وقوله :﴿ **قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ**

---

(١) بدائع الفوائد ١/١٧١

(٢) سورة غافر الآية (٦٠)

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه /كتاب التفسير / باب سورة المؤمن /٥/٣٤٩ برقم (٣٢٤٧)، وقال حديث حسن صحيح، وأبو داود في سننه / كتاب الصلاة / باب الدعاء /٢/١٦١ برقم (١٤٧٩) ، وابن ماجه في سننه / كتاب الدعاء / باب فضل الدعاء / برقم (٣٨٢٨) ٢/ ١٢٥٨/ قال الشيخ الألباني : صحيح، كما في صحيح الجامع الصغير ١/ ٦٤١ برقم(٣٤٠٧)

(٤) سورة الزخرف الآية (٨٠)

رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴾[١] وقوله : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[٢]فهذه الآيات فيها الحث على مراقبة الله والتعبد له باسمه السميع سبحانه وتعالى .

ومن السنة النبوية : حديث أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ رضى الله عنه ،: (**قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَلنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا ، فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا ، إِنَّهُ مَعَكُمْ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ**)[٣].

وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: (**الحَمْدُ للهِ الذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لقَدْ جَاءَتِ المُجَادِلةُ إلى النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ البَيْتِ تَشْكُو زَوْجَهَا وَمَا أَسْمَعُ مَا تَقُول؛ فَأَنْزَل اللهُ:** ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾[٤][٥].

أما دعاء المسألة: وهو سؤال الله تعالى باسمه السميع ما ينفع الداعي ، وطلب كشف ما يضره.

والأدلة عليه من القرآن العظيم؛قوله تعالى عن خليله إبراهيم –ﷺ– : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ

---

(١) سورة سبأ الآية (٥٠)

(٢) سورة طه الآية (٤٦)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الجهاد والسير / باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير /٤٩٧/٢/ برقم (٢٩٩٢) ،ومسلم في صحيحه / كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ. /برقم(٢٧٠٤) ص ٦٨٥

(٤) سورة المجادلة الآية (١)

(٥) تقدم تخريجه ص ٤٢

﴿ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[1]،وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2].

ودعاء زوجة عمران؛ كما في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3]

وكذلك دعاء زكريا – عليه السلام– : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[4]

ودعا يوسف - عليه الصلاة والسلام - ربه أن يصرف عنه كيد النسوة ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5].

والأمر بالالتجاء إليه عند حصول وساوس شياطين الإنس والجن:

قال تعالى:﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[6]

وقوله : ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[7] وقوله : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[8]

أما من السنة النبوية : حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (...**أن إبراهيم عليه السلام قَال: يَا إِسْمَاعِيلُ ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ ، قَال فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ ، قَال**

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٣٩).

(٢) سورة البقرة الآية (١٢٧).

(٣) سورة آل عمران الآية (٣٥).

(٤) سورة آل عمران الآية (٣٨)

(٥) سورة يوسف الآية (٣٤).

(٦) سورة الأعراف الآية (٢٠٠)

(٧) سورة غافر الآية (٥٦)

(٨) سورة فصلت الآية (٣٦)

وَتُعِينُنِي قَال وَأُعِينُكَ ، قَال فَإِنَّ اللهَ أمرني أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا ، وَأَشَارَ إِلى أَكَمَةٍ[١] مُرْتَفِعَةٍ عَلى مَا حَوْلَهَا ، قَال فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ ، فَجَعَل إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بالحِجَارَةِ ، وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي ، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لهُ ، فَقَامَ عَليْهِ وَهْوَ يَبْنِي ، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ ، وَهُمَا يَقُولاَنِ : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ، قَال فَجَعَلاَ يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْل البَيْتِ ، وَهُمَا يَقُولاَنِ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٢].

وحديث أبي سعيد -رضي الله عنه- أنه قال: (**كَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ، ثُمَّ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، ثَلاَثًا ثُمَّ يَقُولُ: الله أَكْبَرُ كَبِيرًا ثَلاَثًا، أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ، ثُمَّ يَقْرَأُ**)[٣].

وحديث عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الذي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شيء فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَيَضُرُّهُ شيء، وَكَانَ أَبَانُ قَدْ أَصَابَهُ طَرَفُ فَالَجٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِيَ اللهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ**)[٤].

يتبين لنا من خلال هذا المطلب؛ أن الدعاء باسم الله السميع؛أمر متفق عليه ثابت بالكتاب والسنة والحمد لله.

---

(١) الأَكَمَه المكان المرتفع كالرابية . انظر : غريب الحديث لابن الجوزي / ١/ ٣٣ ، تحقيق : د.عبدالمعطي أمين قلعجي/ دار الكتب العلمية – بيروت

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء/٢ / ٦٥٦برقم (٣٣٦٤)

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٨

(٤) تقدم تخريجه بنحوه ص ٤٩

المطلب الثاني : إضافة التعبيد له، والأدلة على ذلك

من توحيد العبودية لله تعالى التعبيد له بأسمائه الحسنى، الواردة في الكتاب والسنة، وقد أجمع العلماء على ذلك؛ وممن قرر هذا الأمر من العلماء :

ابن حزم[١]ــ رحمه الله ــ حيث قال : «اتفق أهل العلم على استحسان الأسماء المضافة إلى الله كعبد الله وعبد الرحمن وما أشبه ذلك ، واتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد العزى وعبد هبل وعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وشريعة الإسلام الذى هو الدين الخالص لله وحده، تعبيد الخلق لربهم كما سنه رسول الله ﷺ ، وتغيير الأسماء الشركية، إلى الأسماء الإسلامية، والأسماء الكفرية إلى الأسماء الإيمانية، وعامة ما سمى به النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وعبد الرحمن، كما قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾[٣]فإن هذين الاسمين هما أصل بقية أسماء الله تعالى»[٤].

وقال عبدالرحمن بن حسن[٥]- رحمه الله- : « (حكى(ابن حزم) رحمه الله اتفاق

---

(١) أبومحمد: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري،عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام.ولد سنة (٣٨٤) هـــ ،له مصنفات كثيرة ؛ من أشهرها : الفصل في الملل والاهواء والنحل،والمحلى، كتاب الاجماع وغيرها، مات سنة ٤٥٧هـــ انظر : تذكرة الحفاظ / الذهبي /٣ / ١١٤٦ ، الأعلام /٤ / ٢٥٤

(٢) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات/ ابن حزم / ص ١٥٤ / دار الكتب العلمية بيروت

(٣) سورة الإسراء الآية (١١٠)

(٤) مجموع الفتاوى / ١ / ٣٧٩

(٥) عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب النجدي الحنبلي ، العالم الرباني ، المحقق الكبير ، توفي سنة ١٢٨٥هـــ . انظر : علماء نجد خلال ثمانية قرون / عبدالله البسام / ١/ ١٨٠ ــ ٢٠١ ، دار العاصمة الرياض ، الطبعة الثانية ، والأعلام / للزركلي/ ٤ / ٧٦

العلماء على تحريم كل ما عبد لغير الله ، لأنه شرك في الربوبية والإلهية، لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له ، استعبدهم لعبادته وحده ، وتوحيده في ربوبيته وإلهيته: فمنهم من عبد الله ووحده في ربوبيته وإلهيته ، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته. وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد ،كما قال تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾[(١)] فهذه هي العبودية العامة ، وأما العبودية الخاصة فإنها تخص بأهل الإخلاص والطاعة كما قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[(٢)] ونحوها»[(٣)].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله : « قد أجمع العلماء على أنه لا يجوز التعبيد لغير الله سبحانه، فلا يجوز أن يقال: عبد النبي، أو عبد الحسين، أو عبد الكعبة أو نحو ذلك ؛ لأن العبيد كلهم عبيد الله عز وجل » .[(٤)]

وبما أن التعبيد لا يكون إلا بالأسماء الحسنى وهي التي جمعت ثلاثة شروط :

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»[(٥)].

واسم الله السميع قد توفرت فيه هذه الشروط: فقد سمى الله نفسه به على سبيل

---

(١) سورة مريم الآية (٩٣)

(٢) سورة الزمر الآية (٣٦)

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / عبدالرحمن بن حسن / ص ٥٢٤ / تحقيق : د . الوليد بن عبدالرحمن آل فريان / وزارة الشؤون الإسلامية المملكة العربية السعودية / الطبعة الرابعة .

(٤) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله / ١٨/ ٥٢ / أشرف على جمعه وطبعه : محمد بن سعد الشويعر / الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية / ابن تيمية / ص٢٤ / المحقق: سعيد بن نصر بن محمد / مكتبة الرشد الرياض / الطبعة الأولى١٤٢٢هـ .

الإطلاق؛ مرادا به العلمية، ودالاً على الوصفية، في كثير من النصوص القرآنية؛ كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(١)]، وسماه به رسوله صلى الله عليه وسلم، في كثير من النصوص النبوية، كقوله صلى الله عليه وسلم : (**أعوذ بالله السميع العليم**)[(٢)] ،وقد ورد المعنى محمولا عليه مسنداً إليه، مع اجتماع علامات الاسم فيه ،كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(٣)]، وجاء الدعاء به في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[(٤)]وقوله :﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[(٥)].

وعلى هذا فالتعبيد به أمر مشروع، وهو من آداب دعاء العبادة، وتوحيد العبودية لله.قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : « من أسماء الله تعالى: "السميع" يجب على طريق أهل السنة والجماعة أن يثبت هذا الاسم من أسماء الله فيدعى الله به، ويعبد به؛ فيقال مثلاً: عبد السميع ويقال: يا سميع، يا عليم، وما أشبه ذلك»[(٦)].

وقد تسمى بهذا الاسم جمع من العلماء فمنهم على سبيل المثال لا الحصر :

١ــ عبد السميع بن محمد بن عبد الوهاب بن عصام بن الحكم أبو الأزهر الشيباني العكبري ، مات سنة سبع وأربعين وثلاثمائة. [(٧)]

---

(١) سورة الشورى الآية (١١)

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٨

(٣) سورة المائدة الآية (٧٦)

(٤) سورة إبراهيم الآية (٣٩)

(٥) سورة آل عمران الآية (٣٨)

(٦) منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل ضمن "مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمدبن صالح العثيمين " ٥ /١٨٦ / جمع وترتيب: فهد السليمان / دار الوطن الرياض ط١

(٧) تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي / ١١/ ١٣٩ / دار الكتب العلمية بيروت .

٢ـــ عبد السّميع بن عبد الودود بن عبد المتكّبر بن هارون بن عبيد الله بن المهتدي بالله ، أبو أحمد الهاشميّ، ولد سنة أربعٍ وأربعمائة من الهجرة .[1]

٣ ـــ عبد السميع بن عبد العزيز بن غلاب الواسطي المقرىء ، سنة ثمان عشرة وستمائة بواسط كنيته أبو العز .[2]

٤ ـــ عبد السميع بن عبد الصمد الهاشمي ، له: كتاب المشجر في عشرة مجلدات. والحاوي لأنساب الناس.[3]

٥ ـــ عبد السميع بن عبد العزيز بن غلاب بالتشديد أبو العز الواسطي المقرىء مات في رمضان سنة ثمان عشرة وستمائة.[4]

وغير هؤلاء كثير قديماً وحديثاً .

المطلب الثالث : التوسل إلى الله به والأدلة على ذلك .

التوسُّل في اللغة: التقرُّب، يقال: توسّل إليه؛ تقرَّب إليه، ووسَل إليه؛ قَرُب منه،

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام / للإمام الذهبي ٣٢ /١٧٠ / تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري./ دار الكتاب العربي.لبنان/ بيروت./ الطبعةالأولى.

(٢) تكملة الإكمال / محمد بن عبد الغني البغدادي / ٤ / ٣٩١ / تحقيق : د. عبد القيوم عبد رب النبى / دار النشر : جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ١٤١٠ الطبعة : الأولى

(٣) طبقات النسابين/العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد / ص ٢١٦ / دار الرشد ، الرياض

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء / ابن الجزري / ١/ ٣٤٩/ المحقق: ج برجستراسر / دار الكتب العلمية / طبعة : الأولى ١٤٢٧ هـــ

والواسل: اسم فاعل من وسل؛ هو المتقرِّب، والوسيلة في الأصْل؛ما يُتَوَصَّلُ به إلى الشَّيْء ويُتَقَرَّبُ به، وجَمْعُها وَسائِلُ . يُقال : وَسَلَ إليه وَسيلَة، وتَوَسَّل.[١]

ولا يخرج التّوسّل في الاصطلاح؛ عن معناه في اللّغة : فيطلق على ما يتقرّب به إلى اللّه تعالى من فعل الطّاعات، وترك المنهيّات .

قال الراغب الأصبهاني : « وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة ، والواسل الراغب إلى الله تعالى» [٢].

وجاء لفظ الوسيلة في القرآن في عدة آيات منها:

١- قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[٣].

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : «اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة إلى الله تعالى؛ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، على وفق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بإخلاص في ذلك لله تعالى، لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة: إلى رضى الله تعالى ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة، وأصل الوسيلة: الطريق التي تقرب إلى الشيء، وتوصل إليه وهي العمل الصالح بإجماع العلماء، لأنه لا وسيلة إلى الله تعالى إلا باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم »[٤].

٢ـــ وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ

---

(١) انظر « القاموس المحيط » (٤ / ٦٥) و « النهاية في غريب الحديث » (٥ / ٤٠٢) .

(٢) المفردات في غريب القرآن / ص ٥٢٤

(٣) سورة المائدة الآية (٣٥)

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / الشنقيطي /١/ ٤٠٢ / دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان

عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾[١].

قال شيخ الإسلام : « فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه، هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات» .[٢]

فالوسيلة الشرعية هي التوسل بأسماء الله وصفاته، أو بتوحيده والإخلاص له، أو بالأعمال الصالحات، هذه الوسيلة الشرعية التي جاءت بها النصوص.[٣]

ونفصّل القول: في التوسل بأسماء الله؛لأنه هو المقصود في هذا المطلب فقد دل على مشروعية التوسل بأسماء الله الكتاب، والسنة، والإجماع .

فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٤]

قال القرطبي – رحمه الله ـ:« ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ أي: اطلبوا منه بأسمائه؛ فيطلب بكل اسم ما يليق له تقول: يا رحيم ارحمني يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هاد اهدني، يا فتّاح افتح لي، يا توّاب تُب عليَّ، وهكذا»[٥].

وقال الشيخ السعدي ــ رحمه الله ــ : « أمر العباد أن يدعوه بها لأنها وسيلة مقربة

---

(١) سورة الإسراء الآية (٥٦ ــ ٥٧)

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة/ ابن تيمية / ص ١٢٥ / المحقق د : ربيع بن هادي المدخلي / دار الأمام أحمد / القاهرة / الطبعة الأولى ١٤٣١هـ

(٣) ومن أراد البسط في أدلة التوسل المشروع والمبتدع فعليه مراجعة الكتب التالية: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة / لشيخ الإسلام ابن تيمية، والصارم المنكي في الرد على السبكي / لابن عبد الهادي، والتوسل أنواعه وأحكامه/ للشيخ محمد محمد ناصر الألباني، وتحفة القاري في الرد على الغماري / للشيخ حماد الأنصاري ، والتوصل إلى حقيقة التوسل / للشيخ نسيب الرفاعي.

(٤) سورة الأعراف الآية (١٨٠)

(٥) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي / ٧ / ٢٨٧

إليه يحبها ويحب من يحبها ويحب من يحفظها ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها»[١]

وقد ورد في السّنّة المطهّرة أحاديث كثيرة يتوسّل فيها النّبيّ صلى الله عليه وسلم بأسمائه تعالى وصفاته منها :

حديث أنس بن مالك قال :(**كان النّبيّ صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر قال: يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث**)[٢] .

وقد اتّفق الفقهاء على أنّ التّوسّل إلى اللّه تعالى بأسمائه وصفاته مستحبّ لأيّ: شأن من أمور الدّنيا، والآخرة .[٣]

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : « التوسل بأسماء الله – تعالى – وذلك على وجهين:

الوجه الأول : أن يكون ذلك على سبيل العموم، ومثاله ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – في دعاء الهم والغم قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:(**ما أصاب أحداً قطّ همّ ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ص ٥٠١

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه / كتاب الدعوات،/(٥/٥٠٤) برقم (٣٥٢٤)، والحاكم في المستدرك / كتاب الدعاء/٢/١٨٨/ وقال: هذا حديث صحيح و لم يخرجاه/ ، والحديث حسنه الألباني في التوسل أحكامه وأنواعه/ ص ٣٢ / مكتبة المعارف الرياض / الطبعة الأولى ١٤٢١هـ

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية / وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت / ١٤/ ١٥١

في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي...)[(١)].فهنا توسل بأسماء الله -تعالى - على سبيل العموم.

الوجه الثاني : أن يكون ذلك على سبيل الخصوص بأن يتوسل الإنسان باسم خاص لحاجة خاصة تناسب هذا الاسم، مثل ما جاء في حديث أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حيث طلب من النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دعاءً يدعو به في صلاته، فقال: **(قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)**[(٢)]، فطلب المغفرة والرحمة وتوسل إلى الله - تعالى - باسمين من أسمائه مناسبين للمطلوب وهما (الغفور) و(الرحيم).وهذا النوع من التوسل داخل في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[(٣)] ، فإن الدعاء هنا يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة» [(٤)].

وبعد هذا التقرير؛ فإن التوسل باسم الله السميع من التوسل المشروع، وقد جاء التوسل به في الكتاب والسنة؛ وإليك التفصيل في ذلك :

فمن القرآن العظيم:

١ـــ قوله تعالى : ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٤٦) رقم (٣٧١٢) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه ٣/ ٢٥٣ قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح، والحديث ذكره الألباني في الصحيحة (١/ ٣٣٦- ٣٤١) رقم (١٩٩). وعزاه كذلك لابن حبان والطبراني وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح/ كتاب الأذان/ باب الدعاء قبل السلام/٣٧١/١/ برقم (٨٣٤)، و مسلم في الصحيح/كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ. برقم (٢٧٠٥) ص٦٨٦.

(٣) سورة الأعراف الآية (١٨٠)

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين/ ٢ / ٣٣٦

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [(١)]

قال الشيخ أبوبكر الجزائري ــ حفظه الله ــ : « ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾: هذه الجملة وسيلة توسل بها إبراهيم -عليه السلام-، وولده لقبول دعائهم» [(٢)].

٢ــ وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(٣)]

قال أبو حيان[(٤)]- رحمه الله - : « ومناجاتها الله بالخطاب السابق إنما هو وسيلة إلى هذة الاستعاذة ، كما يقدّم الإنسان بين يدي مقصوده، ما يستترل به إحسان من يقصده، ثم يأتي بعد ذلك بالمقصود» [(٥)].

٣ــ وقوله تعالى : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[(٦)].

٤ــ وقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى

---

(١) سورة البقرة الآية (١٢٧)

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير / أبو بكر الجزائري / ١/ ١١٤ / مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية / الطبعة : الخامسة

(٣) سورة آل عمران الآية (٣٥)

(٤) أبو حيان محمد يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي ، الغرناطي ، المصري ، شيخ النحاة، من كبار العلماء بالعربية، والتفسير، والحديث، والتراجم، واللغات،صنف التصانيف منها: البحر المحيط في التفسير ، مات سنة (٧٤٥)هــ . انظر : طبقات المفسرين / أحمد بن محمد الأدنروي / ص٢٧٨ــ ٢٨٠ / تحقيق : سليمان بن صالح الخزي / مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة / الطبعة الأولى، والأعلام / ١٥٢/٧

(٥) تفسير البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي / ٢ / ٤٥٨ / تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض/ دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت / الطبعة الأولى

(٦) سورة آل عمران الآية (٣٨)

لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[١]

٥ـ وقوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴾[٢]

٦ـ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[٣]

٧ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[٤]

فهذه الآيات كلها؛ فيها التوسل باسم الله السميع عز وجل .

وأما الأدلة من السنة المطهرة فكثيرة منها :

١ ـ قوله صلى الله عليه وسلم : (**مَنْ قَالَ بِسْمِ اللهِ الذي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِه شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُمْسِيَ**)[٥]

٢ ـ قوله صلى الله عليه وسلم :(**إذا أفطر اللهم لك صمنا ، وعلى رزقك أفطرنا ، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم**)[٦].

٣ ـ وكذلك ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم إذا استسقى قال : (**اللهم؛ اسقنا**

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٣٩)

(٢) سورة سبأ الآية (٥٠)

(٣) سورة غافر الآية (٥٦)

(٤) سورة فصلت الآية (٣٦)

(٥) تقدم تخريجه ص ٤٩

(٦) تقدم تخريجه ص ٥٣

سقيا واسعة، وادعةنافعة، تشبع بها الأموال، والأنفس، غيثا هنيئا مريئا طبقا مجللاً، تسبغ به على بادينا، وحاضرنا، تنزل به من بركات السموات، وتخرج لنا به من بركات الأرض، وتجعلنا عنده من الشاكرين؛ إنك سميع الدعاء) (١)

فالشاهد من الأحاديث قوله ﴿أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾وقوله ﴿سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾وهذا فيه دلالة على التوسل باسمه السميع .

(١) تقدم تخريجه ص ٥٣

المبحث الخامس :

الأسماء المقاربة له في المعنى .

فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي، والسفلي، من الأصوات؛ يسمعها سرّها وعلنها ، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب، والبعيد، والسر، والعلانية، عنده سواء .

قال ابن القيم : « السميع الذي قد استوى في سمعه سر القول، وجهره، وسع سمعه الأصوات، فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشتبه عليه، ولا يشغله، منها سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه كثرة السائلين» [1].

وقال أيضاً : « السمع يراد به ثلاثة معان:المعنى الأول:إدراك الأصوات.

المعنى الثاني:سمع الفهم . المعنى الثالث:سمع القبول والإجابة» .[2]

وقد جاء في الأسماء الحسنى ما يقارب اسم السميع؛من جهة تعلقه بالمعنى العام، أو الخاص؛ وذلك على درجات فمن هذه الأسماء :

١ ـــ العليم : الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان ويعلم الغيب والشهادة ، والظواهر والبواطن ، والجلي والخفي، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[3] وهو أكثر الأسماء اقتراناً باسم السميع؛ في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[4]،﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[5]

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين / ابن القيم / ص ٢١٢

(٢) مفتاح دار السعادة / ابن قيم الجوزية / ١/ ٧٩ / بإختصار .

(٣) سورة الانفال الآية (٧٥)

(٤) سورة البقرة(١٣٧)

(٥) سورة التوبة الآية (١٠٣)

وعلمه محيط بكل شيء، كما أن سمعه محيط بكل شيء، والسمع وسيلة من وسائل العلم .

٢ ــ البصير : الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة، والظاهرة.

وقد جاء في القرآن الكريم؛ الاقتران بين اسم السميع، والبصير، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١]،﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[٢] فكل من السمع، والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة[٣]،والبصر والسمع من وسائل العلم .

٣ ــ القريب : هو القريب من كل أحد، وقربه نوعان:

قرب عام من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، وإحاطته وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.وقرب خاص من عابديه، وسائليه، ومجيبيه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول، والإثابة.[٤]

وقد ورد اقترانه بالسميع مرة واحدة؛ في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾[٥] .

---

(١) سورة الاسراء الآية (١)

(٢) سورة النساء الآية (١٣٤)

(٣) الحقّ الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية /الشيخ عبدالرحمن السعدي /ص٣٤ــ ٣٦/ دار ابن القيم الدمام / الطبعة الثانية ١٤٠٧هــ

(٤) نفس المصدر ص ٦٤

(٥) سورة سبأ الآية (٥٠)

يقول البقاعي[١] رحمه الله : « ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾أي:لا يغيب عنه شيء من حال من يكذب عليه فهو جدير بأن يفضحه كما فضحكم في جميع ما تدعونه، ولا يبعد عليه شيء، ليحتاج في إدراكه إلى تأخير لقطع مسافة أو نحوها، بل هو مدرك لكل ما أراد كلما أراد.. »[٢]، وهو سبحانه قريب في علوه يسمع ويرى، وعال في قربه.

٤ ـــ الرقيب ، والشهيد .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى : «﴿ٱلرَّقِيبَ﴾و(الشهيد) مترادفان، وكلاهما يدلُّ على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾[٣] ،﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ شَهِيدٌ﴾[٤] ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب الشهيد ، فمتى علم العبد أنَّ حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر وهاجس يبغضه الله ، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله ، وتعبَّد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه ، فإن الله يراه» [٥].

---

(١) أبو الحسن: إبراهيم بن عمر البقاعي ،برهان الدين، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ،الإمام الكبير، برع في جميع العلوم، وفاق الأقران، وله كتاب في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور وكتاب (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران) أربع مجلدات، مات سنة ٨٨٥ هـــ انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / الشوكاني / ١ / ٢٠ ، و الأعلام للزركلي ١ / ٥٦

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور / برهان الدين إبراهيم البقاعي/ ٦ / ١٩٥ ـــ ١٩٦ / تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي دار النشر / دار الكتب العلمية ـــ بيروت / ١٤١٥ هـــ

(٣) سورة النساء الآية (١)

(٤) سورة المجادلة الآبة (٦)

(٥) الحق الواضح المبين ص ٥٨-٥٩

٥ ـــ المهيمن ؛ وهو بمعنى الشّهيد ؛ أي الحاضر مع عباده ، يسمع أقوالهم ، ويبصر أفعالهم ، فلا يغيب عنه من أمرهم شيء يقولونه ، أو يفعلونه [(١)]، قال تعالى : ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾[(٢)].

٦ ـــ الخبير ، والمحيط ، المطلع على السرائر والضمائر وخفايا الأمور، الّذي وسع علمه كلّ شيء ، وأحاط بما في العالم العلويّ والسّفليّ ، فلا يغيب عن علمه شيء . [(٣)]

٧ ـــ اللّطيف ؛ فإنّه يفسّر بمعنى : الخبير بالخفايا ،وما دقّ ولطف من الأمور، وهو يتضمن جميع الصفات كالعليم والقدير والسميع والبصير وغيرها [(٤)].

٨ ـــ الحفيظ ، يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد كلها ظاهرها وباطنها ، فلا يفوته منها شيء ، ثُمَّ يحاسبهم عليها ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشرّ ، وهو يتضمن العلم والحياة وسائر مشروطاتها.[(٥)]

---

(١) انظر : شأن الدعاء / الخطابي / ص ٤٦ ، تفسير أسماء اللّه الحسنى/ للزجّاج / ص٣٢/ تحقيق: أحمد يوسف الدقاق/ دار المأمون للتراث دمشق/ ط٥ ، جامع الأصول في أحاديث الرسول / لابن الأثير ١٧٦/٤ تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط/ مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان ـــ الطبعة : الأولى ، تفسير القرطبي ٦/ ٢١٠

(٢) سورة يونس الآية (٦١)

(٣) انظر : تفسير أسماء اللّه الحسنى للزجّاج ص٤٥ ، تيسير الكريم الرَّحمن لابن سعدي ص ٢٥١،٩٤٥، شرح النّونيّة للهرّاس ٨٢/٢

(٤) انظر : الأسنى شرح الأسماء الحسنى / القرطبي / ١ / ٢٣٠ ـــ ٢٣٧/ تحقيق: د. محمد جبل،وطارق أحمد/ دار الصحابة للتراث بطنطا / ط١ ،والحقّ الواضح المبين لابن سعدي ص٦١، شرح النّونيّة للهرّاس ١٠٠/٢ ـــ ١٠١ .

(٥) انظر : الأسماء والصفات/ للبيهقي / ١/ ١٧٧/ تحقيق عبدالله الحاشدي / مكتبة السوادي، الأسنى شرح الأسماء الحسنى / القرطبي/ ٣٠٧/١ – ٣١٣ ، الحقّ الواضح المبين لابن سعدي

وهناك أسماء قرنت بنصوص الدّعاء لفظًا ومعنًى، أو معنًى فقط؛ كالقريب، والمجيب، والبرّ،والرحيم، وفي ذلك تنبيه على أنَّها من أكثر الأسماء دلالةً على إجابة الدّعاء، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1]، وقال : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[2] ،وقال : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[3] وقال :﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾[4]

وهي تقارب اسم السميع لأنه من أهمّ الأسماء الَّتي قرنت بنصوص الدّعاء ، قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾[5] ، وقال : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[6]. ؛ أي سميع لكلّ من دعاه ، لا تختلف عليه الأصوات ، مهما اختلفت اللغات ، وتفنّنت الحاجات . [7]

ومما يدل على كمال سمعه كمال عدله ؛ ومن الأسماء الحسنى الدالة على ذلك : المؤمن: الذي يؤمن خلقه من ظلمه[8] ، والحكم، والفتّاح ؛ أي القاضي بالحقّ ؛ فلا يجور أبدًا ، ولا يضيع مثقال ذرّة من خير أو شرّ [9]، قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ

ص٥٩ ، شرح النّونيّة للهرّاس ٢/٩٩ .

(١) سورة البقرة الآية (١٨٦)

(٢) سورة غافر الآية (٦٠)

(٣) سورة الأنفال الآية (٩)

(٤) سورة الطّور الآية (٢٨)

(٥) سورة إبراهيم الآية (٣٩)

(٦) سورة يوسف الآية (٣٤).

(٧) انظر : تيسير الكريم الرَّحمن لابن سعدي/ ص ٨٤٣ .

(٨) تفسير الطبري / ٢٣/ ٣٠٢

(٩) انظر : الأسنى شرح الأسماء الحسنى / القرطبي / ١/ ٢٢٢

وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[١] ؛ أَيْ سَمِيع لِأَقْوَالِ خَلْقه بَصِير بِهِمْ فَيَهْدِي مَنْ يَشَاء وَيُضِلّ مَنْ يَشَاء وَهُوَ الْحَاكِم الْعَادِل فِي جَمِيع ذَلِكَ .[٢]

وممّا يتضمّن التّتريه عن المعاجلة بالعقوبة اسم الحليم ، والصّبور؛ فإنّ الذّنوب تقتضي ترتّب آثارها؛ من العقوبات العاجلة ، ولكن حلم الله على عباده ، وصبره عليهم، ومحبّته للعفو عنهم ، تقتضي إمهال العصاة ، وعدم معاجلتهم بالعقوبة ؛ ليتمكّنوا من الإتيان بأسباب المغفرة ، فيتجاوز عن خطيئاتهم ؛ ولهذا يعافيهم ، ويرزقهم ، رغم جرائرهم وجرائمهم [٣].

وجاء في الحديث عن أبي موسى الأشعريّ مرفوعًا : (**لا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ ، وَيَرْزُقُهُمْ**) [٤] .

فصبره وحلمه من مقتضيات سمعه سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة غافر الآية (٢٠)

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير / ص ١٢٨٦ / تحقيق : محمود عبدالقادر الأرناؤوط / مكتبة الرشد الرياض ط١

(٣) انظر : تفسير أسماء اللّه الحسنى للزجّاج ص٤٥ ، الحقّ الواضح المبين لابن سعدي ص٥٦ ، ٥٨ ، شرح النّونيّة للهرّاس ٢/٩٧.

(٤) أخرجه البخاريّ في صحيحه كتاب التوحيد / باب قول اللّه تعالى : (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) ٤/ ٦٠٥ رقم (٧٣٧٨)،ومسلم في صحيحه/ كتاب صفة القيامة / باب لا أحد أصبر على أذى، من الله / رقم (٢٨٠٤) ص٧١٢

الفصل الثاني :

إثبات صفة السمع لله عز وجل .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : بيان معناها المضاف إلى الله ودلالته .

المبحث الثاني : الأدلة على ثبوتها وتنوع دلالتها .

المبحث الثالث : بيان تعلقها بذات الله وفعله .

المبحث الرابع : المسائل المتعلقة بصفة السمع .

المبحث الأول :

بيان معناها المضاف إلى الله ودلالته .

صفةُ السمع صفة ذاتيةٌ فعلية، ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بالكتاب، والسنة، والإجماع، وسيأتي تفصيل الأدلة في المبحث التالي لهذا المبحث .

أما معناها المضاف إلى الله، ودلالته؛فسمع الله منه ما هو عام يراد به : إدراك الأصوات، ومنه ما هو خاص يراد به القبول والإجابة، والفهم، وكلها واردة في الكتاب، والسنة، وقد قرر ذلك العلماء فمن أقوالهم :

قال ابن خزيمة – رحمه الله – : «وقد أعلمنا ربنا_الخالق البارئ _ أنه يسمع قول من كذب على الله وزعم أن الله فقير، فكذبهم الله في مقالتهم تلك، فردّ الله ذلك عليهم، وخبّر أنه الغني وهم الفقراء، وأعلم عباده المؤمنين أنه السميع البصير، فكذلك خبّر المؤمنين: أنه قد سمع قول المجادلة، وتحاور النبي صلى الله عليه وسلم والمجادلة، وخبّرت الصديقة بنت الصديق _ رضي الله عنهما _ أنه يخفى عليها بعض كلام المجادلة، مع قربها منها، فسبحت خالقها الذي وسع سمعه الأصوات: وقالت: (**سبحان من وسع سمعه الأصوات**)[1] فسمع الله _ جل وعلا _ كلام المجادلة، وهو فوق سبع سموات مستو على عرشه وقد خفي بعض كلامها على من حضرها وقرب منها، وقال:_ عز وجل _ لكليمه موسى، وأخيه ابن أمه هارون – عليهما السلام – يؤمنهما فرعون، حين خافا أن يفرط عليهما، أو أن يطغى: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾[2]، فأعلم الرحمن –جل وعلا– أنه سمع مخاطبة كليمه موسى وأخيه هارون _ عليهما السلام _ وما يجيبهما به

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٢ بلفظ (الحمد لله الذي وسع)

(٢) سورة طه الآية (٤٦)

فرعون، وأعلم أنه يرى ما يكون من كل منهم»[١].

وقال الخطابي- رحمه الله - : «السَّمِيعُ : بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة وبناؤه فعيل: بناء المبالغة كقولهم: عليم من عالم، وقدير من قادر، وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفوت، والنطق والسكوت، والسماع قد يكون بمعنى القبول والإجابة كقول النبي صلى الله عليه وسلم : (**اللهم إني أعوذ بك من قول لا يُسمع**)[٢] أي: من دعاء لا يُستجاب»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله : « السمع يراد به ثلاثة معان:

المعنى الأول:إدراك الأصوات، ومنه قوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ**﴾[٤]

كما قالت عائشة رضي الله عنها: (**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جانب البيت وأنه ليخفى عليَّ بعض كلامها**، فأنزل الله:﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا**﴾[٥]

المعنى الثاني:سمع الفهم كقوله:﴿ **وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ** ﴾أي : لأفهمهم ﴿**وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ**﴾[٦] لما كان في قلوبهم من الكبر والإعراض عن قبول الحق؛ ففيهم آفتان: إحداهما أنهم لا يفهمون الحق لجهلهم ولو فهموه لتولوا عنه وهم معرضون عنه لكبرهم، وهذا غاية النقص والعيب.

---

(١) كتاب التوحيد/ بن خزيمة / ١ / ١٠٧ / تحقيق : د . عبدالعزيز الشهوان / دار الرشد الرياض.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٢

(٣) شأن الدعاء / الخطابي / ص ٥٩

(٤) سورة المجادلة الآية (١)

(٥) تقدم تخريجه ص ٤٢

(٦) سورة الأنفال الآية (٢٣)

المعنى الثالث:سمع القبول والإجابة، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾[(١)]أي قابلون مستجيبون ومنه قول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي أجاب الله حمد من حمده ودعاء من دعاه، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا ربنا ولك الحمد، يسمع الله لكم**)[(٢)] أي يجيبكم، والمقصود أن الإنسان إذا لم يكن له علم بما يصلحه في معاشه ومعاده كان الحيوان البهيم خيراً منه لسلامته في المعاد مما يهلكه دون الإنسان الجاهل ».[(٣)]

وقد أوضح ذلك في قصيدته النونية:

وهو السَّميعُ يَرى ويَسْمعُ كلَّ ما ... في الكون من سِرٍّ ومن إعلانِ
ولكلِّ صوتٍ منه سمعٌ حاضرٌ ... فالسِّرُّ والإعلان مستويانِ
والسَّمعُ منه واسعُ الأصواتِ لا ... يخفى عليه بعيدُها والداني

قال الشيخ خليل هراس رحمه الله : « السميع : المدرك لجميع الأصوات،سرها وعلنها ، فلا يخفى علية شيء منها مهما خفت ،بل جميع الاصوات الى سمعه سواء،كما أن بعيدها والداني ــ أي : القريب ــ سواء ، فسمعه سبحانة حاضر عند كل الاصوات منها، لا تشتبه عليه ، ولا تختلط بعضها ببعض ، ولا يتميز بعضها ببعض بوضوح أو خفاء ... واعلم أن سمعه تعالى نوعان :

أحدهما : عام : وهو سمعه لجميع الأصوات، الظاهرة، والباطنة، الخفية، والجليلة، واحاطتة التامة بها .

والثاني : خاص : وهو سمع الإجابة منه للسائلين والداعين و العابدين ،فيجيبهم

(١) سورة التوبة الآية (٤٧)

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٢

(٣) مفتاح دار السعادة / ابن قيم الجوزية / ١/ ٧٩

ويثيبهم ، منه قوله تعالى على لسان أم مريم ــ عليها السلام ــ : ﴿ **إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾ (١) وقوله على لسان إبراهيم الخليل ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ** ﴾(٢). ومنه قول المصلي (سمع الله لمن حمده) أي : استجاب له وقبل منه» (٣) .

وقال أيضاً : «أمَّا السَّمْعُ فقد عبَّرت عنه الآيات بكل صيغ الاشتقاق، وهي : سَمِعَ، ويَسْمَعُ، وسَمِيعٌ، وأسْمَعُ، فهو صفة حقيقية لله، يدرك بها الأصوات» (٤).

وهذا يدل على أنه سمع حقيقي يليق بجلال الله وعظمته .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : « إن السمع الذي اتصف به ربنا – عز وجل – ينقسم إلى قسمين: سمع إدراك وسمع إجابة، فسمع الإدراك معناه أن الله يسمع كل صوت خفي أو ظهر، حتى إنه – عز وجل – يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ**﴾(٥). قالت عائشة – رضي الله عنها –: (**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد كنت في الحجرة – أي حجرة النبي صلى الله عليه وسلم – والمرأة تجادله وهو يحاورها وإنه ليخفى عليَّ بعض حديثها**)(٦). والله – عز وجل – أخبر بأنه سمع كل ما جرى بين هذه المرأة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا سمع إدراك، ثم إن سمع الإدراك قد يُراد

---

(١) سورة ال عمران الآية (٣٥)

(٢) سورة إبراهيم الآية (٣٩)

(٣) شرح القصيدة النونية لابن القيم /شرح الشيخ محمد خليل هراس / ٢ / ٧٩ ــ ٨١ / دار المنهاج مصر / ط الأولى ١٤٢٤هــ

(٤) شرح العقيدة الواسطية / الهراس / ص١٢٠ / تحقيق : علوي بن عبدالقادر السقاف / دار الهجرة .

(٥) سورة المجادلة الآية (١)

(٦) تقدم تخريجه ٤٢

به بيان الإحاطة والشمول، وقد يراد به التهديد، وقد يُراد به التأييد، فهذه ثلاثة أنواع.

الأول: يراد به بيان الإحاطة والشمول مثل هذه الآية.

الثاني: يُراد به التهديد مثل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[1]. وانظر كيف قال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾حين وصفوا الله تعالى بالنقص ، قبل أن يقول : ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ مما يدلّ على أن وصف الله بالنقص أعظم من قتل الأنبياء.

الثالث: سمع يُراد به التأييد، ومنه قوله – تبارك وتعالى – لموسى وهارون : ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [2]، فالمراد بالسمع هنا التأييد يعني: أسمعك وأؤيدك ، يعني أسمع ما تقولان وما يُقال لكما.

أما سمع الإجابة فمعناه : أن الله يستجيب لمن دعاه، ومنه قول إبراهيم : ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[3]. أي مجيب الدعاء، ومنه قولالمصلي: (سمع الله لمن حمده)[4] يعني استجاب لمن حمده فأثابه، ولا أدري أنحن ندرك معنى ما نقوله في صلاتنا أو أننا نقوله تعبداً ولا ندري ما المعنى؟! عندما نقول: الله أكبر، تكبيرة الإحرام يعني أن الله أكبر من كل شيء – عز وجل – ولا نحيط بذلك ؛ لأنه أعظم من أن تحيط به عقولنا، وعندما نقول: سمع الله لمن حمده. يعني استجاب الله لمن حمده ، وليس المعنى أنه يسمعه فقط ، لأن الله يسمع من حمده ومن لا يحمده إذا تكلم ، لكن المراد أنه يستجيب لمن حمده

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨١)

(٢) سورة طه الآية (٤٦)

(٣) سورة إبراهيم الآية (٣٩)

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٢

بالثواب ، فهذا السمع يقتضي الاستجابة لمن دعاه».[١]

ومما يقارب صفة السمع صفة الأَذَنُ (بمعنى الاستماع) وهي صفةٌ فعلية ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بالسنة النبوية وسيأتي بيان الأدلة الشرعية عليها في المبحث القادم .

(١) تفسير العلامة محمد العثيمين / ٧ / ٦ـ٧

المبحث الثاني :

الأدلة على ثبوتها وتنوع دلالتها .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة الشرعية الخبرية .

صفة السمع من الصفات الثابتة؛ بالأدلة من الكتاب ، والسنة النبوية، والإجماع، وقد وردت الأدلة بكل صيغ الاشتقاق، وهي : سَمِعَ، ويَسْمَعُ، وسَمِيعٌ، وأسْمَعُ، ونسمع، ويُسمع، ومستمعون؛ وإليك التفصيل في ذلك :

فالأدلة من القرآن الكريم :

سبق في الفصل الأول ذكر الآيات الدالة على اسم الله السميع[١] وهو مشتق من صفة السمع ، أما الآيات الدالة على صفة السمع فهي كالآتي :

١ ــ قوله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[٢].

هذه الآية أجمع الأدلة على إثبات صفة السمع لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته وقد جمعت صيغ الاشتقاق (سمع ، يسمع ، سميع) وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم منها سعة سمع الله تعالى واتصافه به فمن أقوالهم :

ما قالته عائشة رضي الله عنهاعند ذكر سبب نزول هذه الآية :(**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول،** فأنزل الله عز وجل: ﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي**

---

(١) انظر : الفصل الأول، المبحث الثاني .

(٢) سورة المجادلة الآية (١)

زَوْجِهَا﴾[١].

وفي رواية قالت : (**تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة**[٢] **ويخفي عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي تقول: يا رسول الله! أكل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك! فما برحت** حتى نزل جبريل بهذه الآية: **﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾** [٣].

وكذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – «أنها استوقفته طويلا ووعظته، وقالت: يا عمر؛ قد كنت تدعى عميراً، ثم قيل لك عمر، ثم قيل لك أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات،

---

(١) تقدم تخريجه ص٤٢

(٢) خولة بنت ثعلبة ،ويقال: خويلة ،وخولة أكثر ،وقيل خولة بنت حكيم ،وقيل خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف، كانت تحت أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت _ رضي الله عنهما _ فظاهر منها فأنزل الله عز وجل صدر سورة المجادلة . انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب / ابن عبد البر/ ٤/ ١٨٣١/ / تحقيق علي محمد البجاوي / الناشر دار الجيل بيروت ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة/ ابن الأثير الجزري / ٧/ ١٠٢

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن / كتاب الطلاق/ باب الظهار /١/ ٦٦٦ برقم (٢٠٦٣) ، والحاكم في المستدرك / ٣ / ٢٩٤ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ص ٣٨١ وفي الإرواء ٧/ ١٧٥

أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر؟» [١].

وقد استدل بهذه الآية على إثبات صفة السمع لله جل وعلا جمع من الأئمة الأعلام؛ ممن كتب في الأسماء والصفات، أو رد على المخالفين في ذلك [٢] .

٢ ــ قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[٣]

وقد استدل بهذه الآية على إثبات صفة السمع لله عز وجل جمع ممن كتب في الأسماء والصفات أو الرد على المخالفين في هذا الباب .[٤]

٣ ــ ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[٥]

قال ابن كثير رحمه الله : « أي لا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه،

---

(١) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب / ابن عبد البر/ ٤ /١٨٣١ ، تفسير القرطبي / ١٧/ ٢٦٩ ــ ٢٧٠

(٢) انظر: نقض الإمام أبي سعيد على المريسي الجهمي العنيد / الدارمي / ١/ ٢٢١ / تحقيق د: رشيد الألمعي ، وكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل / ابن خزيمة / ١ / ١٠٦ وكتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد / ابن مندة / ٣ / ٤٣ / تحقيق د : علي فقيهي ، وكتاب الأسماء والصفات/البيهقي/ ص ٢٢٩/ دار الكتب العلمية بيروت ، الحجة في بيان المحجة / قوام السنة الأصبهاني/ ٢ / ١٣٥

(٣) سورة آل عمران الآية (١٨١)

(٤) انظر: نقض الإمام أبي سعيد على المريسي الجهمي العنيد / الدارمي / ١/ ٢٢١ / ، وكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل / ابن خزيمة / ١ / ١٠٦ ، وكتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الأتفاق والتفرد / ابن مندة / ٣ / ٤٣ / ، وكتاب الأسماء والصفات/البيهقي/ ص ٢٢٩/ دار الكتب العلمية بيروت .وكتاب الحجة في بيان المحجة / قوام السنة الأصبهاني/ ٢ / ١٣٥ .

(٥) سورة طه الآية (٤٦)

وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى عليّ من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي»[١].

وقد استدل بهذه الآية على إثبات صفة السمع لله عز وجل جمع ممن كتب في الأسماء والصفات أو الرد على المخالفين في هذا الباب [٢].

٤ ــ ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[٣]

قال الطبري رحمه الله : « وذكر أن هذه الآية نزلت في نفر ثلاثة تدارءوا في سماع الله تبارك وتعالى كلام عباده. ــ ثم أورد بسنده ــ عن محمد بن كعب القرظي[٤]، قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشيّ، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع، قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فإنه يسمع إذا أسررتم، قال: فنزلت﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾». [٥]

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ١٨٩

(٢) انظر: نقض الإمام أبي سعيد على المريسي الجهمي العنيد / الدارمي / ١/ ٢٢١ / ، وكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل / ابن خزيمة / ١ / ١٠٧ ، وكتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الأتفاق والتفرد / ابن مندة / ٣ / ٤٣ / ، وكتاب الأسماء والصفات/البيهقي/ ص ٢٢٩/ دار الكتب العلمية بيروت .وكتاب الحجة في بيان المحجة / قوام السنة الأصبهاني/ ٢ / ١٣٥ .

(٣) سورة الزخرف الآية (٨٠)

(٤) محمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي المدني، كان أبوه كعب من سبي بني قريظة، ثقة ، عالم ،مات سنة عشرين ومائة وقيل قبل ذلك . انظر : سير أعلام النبلاء / الذهبي / ٥ / ٦٥ ، و تقريب التهذيب / ابن حجر / ص ٥٠٤ / تحقيق محمد عوامة / دار الرشيد سوريا

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن / ٢١/ ٦٤٧ ، كما ذكر ذلك القرطبي في الجامع لأحكام

قال القاسمي[١] رحمه الله : « ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ فهو يسمع ، ومن يشاء من ملائكته ... وفصل في تلك الآية بين السماع والكتابة ؛ لأنه يسمع بنفسه ، وأما كتابة الأعمال فتكون بأمره ، والملائكة يكتبون»[٢].

وقد استدل بهذه الآية على إثبات صفة السمع لله عز وجل جمع ممن كتب في الأسماء والصفات أو الرد على المخالفين في هذا الباب . [٣]

٥ ــ قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾[٤]

قال ابن خزيمة – رحمه الله – : « وقال عز وجل ــ لكليمه موسى ولأخيه هارون ــ صلوات الله عليهما ــ، ﴿كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ فأعلم جل وعلا عباده المؤمنين أنه كان يسمع ما يقول لكليمه موسى، وأخيه» [٥].

وقد استدل بهذه الآية على إثبات صفة السمع لله عز وجل جمع ممن كتب في

القرآن / ١٦/ ١١٩

(١) أبو محمد:جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط ــ رضي الله عنه ــ ،إمام الشام في عصره، عالم مشارك في أنواع من العلوم. ولد سنة ١٢٨٣هـــ من تصانيفه الكثيرة: محاسن التأويل في تفسير القرآن ، ودلائل التوحيد وغيرها ، ومات سنة – ١٣٣٢ هـــ . انظر : معجم المؤلفين / عمر كحالة : ٣ / ١٥٨ ، والأعلام / للزركلي / ٢ / ١٣٥

(٢) محاسن التأويل / القاسمي / ١٥/ ٥٤٩٧/ تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي / دار إحياء الكتب العربية / ط١ عام ١٣٧٦هـــ .

(٣) انظر: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل / ابن خزيمة / ١ / ١٠٧ ، وكتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الأتفاق والتفرد / ابن مندة / ٣ / ٥١ / ، وكتاب الأسماء والصفات/البيهقي/ ص ٢٢٩/ دار الكتب العلمية بيروت .

(٤) سورة الشعراء الآية (١٥)

(٥) كتاب التوحيد / ابن خزيمة / ١ / ١٠٨

الأسماء والصفات أو الرد على المخالفين في هذا الباب .[١]

٧ ــ قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [٢]

قال الطبري رحمه الله : « وقوله:﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾يقول: أبصر بالله وأسمع، وذلك بمعنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه.وتأويل الكلام: ما أبصر الله لكلّ موجود، وأسمعه لكلّ مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء» [٣]

قال السعدي ــ رحمه الله ــ : « وقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ تعجب من كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالمسموعات والمبصرات، بعد ما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات» [٤]

قال الشنقيطي ــ رحمه الله ــ : «قوله تعالى:﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾، أي ما أبصره وما أسمعه جل وعلا. وما ذكره في هذه الآية الكريمة من اتصافه جل وعلا بالسمع والبصر، ذكره أيضاً في مواضع أخر، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٥] ... والآيات بذلك كثيرة جداً »[٦].

٨ ــ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[٧]

---

(١) انظر: نقض الإمام أبي سعيد على المريسي الجهمي العنيد / الدارمي / ١/ ٢٢١ / ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل / ابن خزيمة / ١ / ١٠٨ ،

(٢) سورة الكهف الآية (٢٦)

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن / ١٧ / ٦٥٠

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ص ٤٧٤

(٥) سورة الشورى الآية (١١)

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / ٣ / ٢٥٧

(٧) سورة فاطر الآية (٢٢)

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : « وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة، والتبليغ؛ فإن ذلك حاصل لهم، وبه قامت الحجة عليهم، لكن ذاك إسماع الآذان، وهذا إسماع القلوب، فإن الكلام له لفظ ومعنى، وله نسبة إلى الآذان والقلب، وتعلق بهما فسماع لفظه حظ الأذن، وسماع حقيقة معناه ومقصوده، حظ القلب. فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود والمراد الذي هو حظ القلب، وأثبت لهم سماع الألفاظ الذي هو حظ الأذن» [1].

قال يحيى العمراني[2]:«ومعنى الآية أن الله يسمع الإيمان من يشاء من خلقه أن يفقههم ويفهمهم ، وما أنت بمفقه الكفار الإيمان الذين هم بمترلة من في القبور، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[3] يعني لأعطاهم الإيمان ! ﴿ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ ﴾! أي لو بين لهم كل ما يختلج في صدورهم ! ﴿لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾! لما سبق عليهم في علم الله أنهم لا يؤمنون» .[4]

قال السعدي –رحمه الله – : « ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُ﴾سماع فهم وقبول، لأنه تعالى هو الهادي الموفق» [5].

---

(١) مدارج السالكين / ابن قيم الجوزية / ١ / ٤٣

(٢) أبو الخير يحيى بن سالم بن أسعد بن يحيى ، ، العمراني ، اليماني ، الشافعي . فقيه ، أصولي ، متكلم ، نحوي ، كان شيخ الشافعية في بلاد اليمن ولد سنة ٤٨٩ هــومن تصانيفه البيان والزوائد وكتاب الانتصار في الرد على القدرية ، مات سنة ٥٥٨ هــ . انظر : طبقات الشافعية / السبكي / ٣٣٧/٧ ــ ٣٣٨ ، وشذرات الذهب / ابن العماد / ١٨٥/٤

(٣) سورة الأنفال الآية (٢٢ــ ٢٣)

(٤) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / العمراني / ٢/ ٣٧٨/ تحقيق : د. سعود الخلف / أضواء السلف / ط١

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / السعدي / ٦٨٨

٩ ــ وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[(١)]

قال الطبري – رحمه الله –: « فتأويل الآية إذًا: ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيرًا، لأسمعهم مواعظ القرآن وعِبَره، حتى يعقلوا عن الله عز وجل حججه منه، ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم، وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون. ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا، لتولوا عن الله وعن رسوله، وهم معرضون عن الإيمان بما دلَّهم على صحته مواعظُ الله وعبره وحججه، معاندون للحق بعد العلم به» [(٢)].

قال البغوي –رحمه الله – : « ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ أي: لأسمعهم سماع التفهم والقبول» [(٣)].

١٠ – وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[(٤)] وقوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾[(٥)]

قال ابن خزيمة – رحمه الله – : « أفليس من المحال ــ يا ذوى الحجا ــ أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان أيضًا فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة؟، بنا وجل عن أن يكون غير سميع ولا بصير فهو كعابد الأوثان والأصنام لا

---

(١) سورة الأنفال الآية (٢٣)

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن / ١٣ / ٤٦٣

(٣) معالم التنزيل / البغوي / ٣ / ٣٤٣ / تحقيق : محمد النمر، وجماعة / دار طيبة الرياض

(٤) سورة مريم الآية (٤٢)

(٥) سورة الشعراء الآية (٧٣)

يسمع ولا يبصر أوكعابد الأنعام» .[١]

قال الطبري ـــ رحمه الله ـــ : « يقول: اذكره حين قال لأبيه ﴿**يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ**﴾ يقول: ما تصنع بعبادة الوَثَن الذي (لايسمع وَلا يُبْصِرُشيئا) وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا" يقول: ولا يدفع عنك ضرّ شيء، إنما هو صورة مصوّرة لا تضرّ ولا تنفع ، يقول ما تصنع بعبادة ما هذه صفته؟ اعبد الذي إذا دعوته سمع دعاءك، وإذا أحيط بك أبصرك فنصرك، وإذا نزل بك ضرّ دفع عنك» [٢]

في الآيتين دلالة على وجوب عبادة الله لانفراده بصفات الكمال، وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين .

هذا ما تيسر ذكره من الأدلة من الكتاب على إثبات صفة السمع لله تعالى مع ذكر بعض أقوال المفسرين والمختصين في الأسماء والصفات، وهي تدل دلالة واضحه على إثبات صفة السمع لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته .

ثانياً ـــ الأدلة من السنة النبوية على إثبات صفة السمع لله تعالى :

تقدم في الفصل الأول ذكر الأدلة من السنة النبوية على إثبات اسم السميع لله جل وعلا ، وهو مشتق من صفة السمع، أما أدلتها من السنة فهي كثيرة ومتنوعة تدل على إثبات صفة السمع صفة ذاتية، وصفه فعلية، على ما يليق بجلال الله وعظمته وتفصيلها كالآتي :

أولاً : ما دل على سمعه لجميع الأصوات وإحاطته التامه بها وهو سمع عام :

١- عن عائشة رضي الله عنها ؛ أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم :(**هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد؟ قال : (لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما**

---

(١) كتاب التوحيد / ابن خزيمة / ١ / ١٠٩

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن/ ١٨ / /٢٠٢ ـــ ٢٠٣

لقيت منهم يوم العقبة،...فرفعت رأسي، فإذا أنابسحابة قد أظلتني فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك،...).[1]

٢ ــ وحديث عائشة رضي الله عنها في قصة المجادلة وقولــها : (**الحمد لله الذي وسع سمعُه الأصوات**).[2]

٣ــ عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه قال:(**اجتمع عند البيت ثلاثة نفر قرشيان وثقفي ــ أو ثقفيان وقرشي ــ كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم،فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما نقول ؟ فقال الآخر : يسمع إذا جهرنا ، ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا ؛ فإنه يسمع إذا أخفينا ، قال : فأنزل الله عز وجل** :﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3].[4]

٤ــ عن أبي يونس سليم بن جبير[5] مولى أبي هريرة قال : **سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾**إلى قوله تعالى** ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[6] قال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب بدء الخلق /باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٢/ ٦٠٤ برقم (٣٢٣١) ،واللفظ له، ومسلم في صحيحه / كتاب الجهاد والسير / باب مَا لَقِي النَّبِي -صلى الله عليه وسلم- مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ. برقم (١٧٩٥) ص ٤٧٠

(٢) تقدم تخريجه ٤٢

(٣) سورة فصلت الآية (٢٢) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم) / ٤/ ٦٥٥ برقم (٧٥٢١) ،واللفظ له، ومسلم في صحيحه / كتاب صفات المنافقين وأحكامهم / برقم (٢٧٧٥) ص ٧٠٦

(٥) سليم بن جبير الدوسي أبو يونس المصري،مولى أبي هريرة رضي الله عنه ، ثقة ،وثقه النسائي، مات سنة (١٢٣) هــ انظر / السير : ٥/ ٣٠٠ ، وتقريب التهذيب / ابن حجر / ص ٢٤٩ / تحقيق : محمد عوامة / دار الرشيد سوريا ط٤

(٦) سورة النساء الآية (٥٨)

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع إبهامه على أذنه؛ والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقرؤها ويضع إصبعيه، قال ابن يونس[١]: قال المقري[٢]: يعني ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾يعني: أن لله سمعاً وبصراً.

قال أبو داود: وهذا رد على الجهمية) [٣].

قال البيهقي رحمه الله: « والمرادبالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله بالسمع والبصر، فأشار إلى محلي السمع والبصر منّا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى»[٤].

٥ ــ عن أبي موسى الأشعري ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل يشرك به ويجعل له ولد، وهو يعافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم**)[٥]

استدل بهذا الحديث جمع من العلماء على إثبات صفة السمع لله عز وجل منهم :

---

(١) محمد بن يونس النسائي، ثقة، وثقه أبو داود وحدث عنه ولا يكاد يعرف ، من الطبقة الحادية عشرة. انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال /الذهبي /٣٧٧/٦ / تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود /دار الكتب العلمية بيروت ، والتقريب / ص٥١٥

(٢) أبو عبد الرحمن : عبد الله بن يزيد المكي، المقرئ، أصله من البصرة ،أو الأهواز، ثقة ،فاضل، أقرأ القرآن نيفا وسبعين سنة ،من التاسعة مات سنة ثلاث عشرة ومائتين وقد قارب المائة وهو من كبار شيوخ البخاري . انظر : التقريب ص ٣٣٠

(٣) أخرجه أبو داود في السنن / كتاب السنة / باب فِى الْجَهْمِيَّةِ / ٥ / ٩٦ــ ٩٧ برقم (٤٧٢٨) ، والحاكم في المستدرك /٢ / ٦١٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه / ١/ ٤٩٨/ تحقيق : شعيب الأرنؤوط وقال : إسناده صحيح على شرط الصحيح /والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ١٥٦

(٤) الأسماء والصفات / ١ / ٤٦٢ ــ ٤٦٣ / تحقيق عبدالله الحاشدي / مكتبة السوادي ــ جدة ــ السعودية

(٥) تقدم تخريجه ص ٨٧.

اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ذكر الحديث تحت عنوان : سياق ما دل من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم بأن الله سميع بسمع بصير ببصر قادر بقدرة[١].

٦ــ وعن أبي موسى رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (**إذا اجتمع أهل النار في النار و معهم من أهل القبلة من شاء الله قالوا ما أغنى عنكم إسلامكم و قد صرتم معنا في النار ؟ قالوا : كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا قال فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا فيقول الكفار : يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا قال: وقرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾.**[٢] [٣]

الشاهد من الحديث قوله (فسمع الله ما قالوا) وهذا فيه إثبات صفة السمع لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته .

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / أبو القاسم اللالكائي /٣ / ٤٠٧ / تحقيق : د. أحمد سعد حمدان / دار طيبة – الرياض ، ١٤٠٢

(٢) سورة الحجر الآية (١ ، ٢)

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين / ٢/ ٢٦٥ /وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه / ووافقه الذهبي في التلخيص / تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية – بيروت ـــ وفي الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص ، وابن أبي عاصم في السنة/ ٢ / ٣٧٣ رقم (٧٠٠) ، وابن جرير فى التفسير (٢/١٤) ، وجاء من طريق آخر عن أبي سعيد الخدري ،أخرجه ابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان / ١٦ / ٤٥٧ / تحقيق : شعيب الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة – بيروت / قال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح ، والهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان/ ١ / ٦٤٦المحقق : محمد عبد الرزاق حمزة / دار الكتب العلمية، والأصفهاني في الحجة في بيان المحجة / ٢ / ٥٠٦

هذه الأحاديث تدل دلالة واضحة؛ على إثبات سمع الله على ما يليق بجلاله.

ثانياً : ما دل على سمع الإجابه منه تعالى للسائلين والداعين :

سمع الله منه ما يتعلق بمشيئته سبحانه وتعالى، فيجيب الدعاء ويُسمع من يشاء ، وهذا السمع صفة فعل لله تعالى والأدلة عليه من السنة ما يأتي :

١ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن الرسول صلى الله عليه و سلم قال : (**إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده؛ فقولوا اللهم ربنا لك الحمد؛ فإنه من وافق قوله قول الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه**)[1].

٢ ــ وعن أبي موسى الأشعري قال : قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم : (**إِذا قَالَ الإِمَام سمع الله لمن حَمده فَقولُوا رَبنَا وَلَك الْحَمد يَسْمَع الله لكم**)[2].

قال النووي : (ومعنى سمع الله لمن حمده أي أجاب دعاء من حمده ومعنى يسمع الله لكم يستجب دعاءكم)[3]

٣ ــ حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ - قال: (...**فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي ، فَيُؤْذَنُ لِي ، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا ، لا تَحْضُرُنِي الآنَ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ : يُسْمَعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمَّتِي ، أُمَّتِي، فَيَقُولُ : انْطَلِقْ ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب صفة الصلاة / باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد/١/ ٤٥٦ برقم (٧٩٦) ، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة / باب التسميع والتحميد والتأمين رقم (٤٠٩) / ص ١٠٤

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب الصلاة / باب التَّشَهُّدِ فِى الصَّلاَةِ./برقم (٤٠٤) ص ١٠٣

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / النووي /٤ / ١٢١ / دار إحياء التراث العربي – بيروت/ الطبعة الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـــ .

إِيمَانٍ)[١] .

الشاهد من الحديث قوله (يُسْمَعْ لَكَ)، وهذا يدل على إثبات هذه الصفة لله على ما يليق بجلاله .

٤ ــ عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – : (**أَن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم– كان يقول** : **اللَّهمَّ إِني أَعُوذُ بك من قَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، ودعاءٍ لا يُسمعُ ، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن علمٍ لا يَنفَع ، أعُوذ بك من هؤلاء الأربع**).[٢]

قال المناوي ــ رحمه الله ــ : « (ودعاءٍ لا يُسمعُ) أي :(لا يستجاب ولا يعتد به؛ فكأنه غير مسموع» [٣].

٥ ــ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم : (**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَىْءٍ كأَذَنه لِنِبِيٍّ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآن يجهر به)**[٤].

قال أبو عبيد القاسم بن سلام[٥]– رحمه الله – : « أما قولــه "كأَذَنه" ؛ يعني :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب التوحيد /باب كَلاَمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ /٤/ ٦٤٧ رقم (٧٥٠٩) واللفظ له ، ومسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا / برقم (١٩٣) ص ٦١

(٢) أخرجه أحمد في المسند/ برقم (٦٥٥٧) /١١/ ١١٧) قال محققوه : إسناده صحيح على شرط مسلم، وأبوداود في السنن / كتاب الصلاة/ باب في الاستعاذة ١٩٢/٢ (١٥٤٨)، ، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٢٩٧) ١ / ٢٧٨

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير / ١ / ٤١٧ / عبد الرؤوف المناوي / دار النشر / مكتبة الإمام الشافعي – الرياض – ١٤٠٨هــ / الطبعة: الثالثة

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب فضائل القرآن / باب (من لم يتغن بالقرآن) / ٣/ ٥٧٦برقم (٥٠٢٤)، ومسلم في صحيحه / كتاب صلاة المسافرىن / باب اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ برقم (٧٩٢) ص ١٨٩، واللفظ له.

(٥) أبو عبيد: القاسم بن سلام بن عبد الله،الامام، الحافظ، المجتهد ، كان عالماً بالقراءات، و اللغة،

ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبيٍ يتغنى بالقرآن ،.. يُقال : أذنتُ للشيء ءآذَنُ له أذَناً : إذا استمعتُه... »[١].

وقال البغوي رحمه الله : « قولــه : (ما أذِنَ الله لشيءٍ كأَذَنه) يعني : ما استمع الله لشيء كاستماعه ، والله لا يشغله سمع عن سمع ، يقال : أذِنْتُ للشيء آذَنُ أذَناً بفتح الذال : إذا سمعت له... »[٢].

وقال ابن كثير رحمه الله: « معناه أنَّ الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم، كما قالت عائشة رضي الله عنها :(سبحان الذي وسع سمعه الأصوات)[٣] ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم ؛ كما قال تعالى :﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ** ﴾[٤] ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ ؛ كما دل عليه هذا الحديث العظيم ، ومنهم من فسر الأذَن ها هنا بالأمر، والأوَّل أولى ؛ لقولــه : ((ما أذِنَ الله لشيءٍ كأَذَنه لنبي يتغنى بالقرآن)) ؛

والغريب،صنف التصانيف الكثيرةمنها : كتاب الأموال ،وفضائل القرآن ،والناسخ والمنسوخ ، وغريب الحديث، وغيرها. مات سنة (٢٢٤)هـ . انظر :صفة الصفوة / ابن الجوزي/٤/ ١٣٢ / تحقيق : محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعه جي / دار المعرفة – بيروت ، والسير ١٠ / ٤٩٠

(١) غريب الحديث / القاسم بن سلام / ٢/ ١٣٩ / تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان / دار الكتاب العربي – بيروت ط : الأولى

(٢) شرح السنة / البغوي / ٣٣/٣ / تحقيق : علي معوض و عادل عبدالجواد / دار الكتب العلمية ـــ بيروت ط : الأولى .

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٢

(٤) سورة يونس الآية (٦١)

أي : يجهر به ، والأذَن : الاستماع ؛ لدلالة السياق عليه» .[١]

يتبين لنا من خلال هذه الأدلة ؛ أن سمع الله منه ما يتعلق بمشيئته سبحانه وتعالى، فيجيب الدعاء، ويُسمع من يشاء ، وهذا السمع صفة فعل لله تعالى، على ما يليق بجلاله وعظمته .

المطلب الثاني : الأدلة الشرعية العقلية على إثبات صفة السمع :

يقول ابن القيم: «ليس في القرآن صفة إلا وقد دل العقل الصريح على إثباتها لله، فقد تواطأ عليها دليل العقل ودليل السمع . فلا يمكن أن يعارض بثبوتها دليل صحيح ألبتة لا عقلي ولا سمعي ».[٢]

وصفة السمع لله تعالى من الصفات التي دل العقل على إثباتها، مع دلالة السمع،

ومن الأدلة العقلية الشرعية؛على إثبات صفة السمع لله تعالى ما يلي:

١ ــ قياس الأولى[٣] : وهو أن يقال :كل كمال ثبت للمخلوق ليس فيه نقص

---

(١) فضائل القرآن / ابن كثير / ص١٧٩ -١٨٠ / تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري / مكتبة ابن تيمية / الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـــ

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة:ابن قيم الجوزية، محمد بن أيوب، تحقيق: د.علي

(٣) قياس الأولى: هو أنّ كلّ كمال اتصف به المخلوق، وأمكن أن يتصف به الخالق، فهو أولى وأحق أن يتصف به .

قال شيخ الإسلام : "ولهذا كانت طريقة الأنبياء صلوات اللَّه عليهم وسلامه الاستدلال على الرب تعالى بذكر آياته، وإن استعملوا في ذلك "القياس" استعملوا قياس الأولى، لم يستعملوا قياس شمولٍ تستوي أفراده، ولا قياس تمثيل محض، فإن الرب تعالى لا مثيل له، ولا يجتمع هو وغيره تحت كلي تستوي أفراده، بل ما ثبت لغيره من كمال لا نقص فيه فثبوته له بطريق الأولى، وما تنزه غيره عنه من النقائص فتنزهه عنه بطريق الأولى".مجموع الفتاوى، (١٤١/٩). وانظر: شرح العقيدة الأصفهانية ١/ ١٥١ ــ ١٥٢. والعقيدة التدمرية ٥٠ ، ونقض تأسيس

بأي وجه من الوجوه، فالله أولى به، فإنما استفاده المخلوق من خالقه وربه ومدبره، وكل نقص يتره عنه المخلوق فالله أولى أن يتره عنه وصفة السمع حقيقة في حق المخلوق، وهي صفة كمال، فالعقل يقتضي أن كل ما ثبت للمخلوق ولا نقص فيه بوجه من الوجوه، يكون الخالق متصفا به من باب أولى.[١]

وهذا التقرير العقلي ورد في آيات من القرآن الكريم؛ منها :

قول إبراهيم عليه السلام لقومه حين حطم أصنامهم : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾[٢]،وكذلك قوله لأبيه ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[٣].

قال أبو بكر ابن خزيمه رحمه الله : « وتدبروا أيها العلماء ومقتبسو العلم مخاطبة خليل الرحمن أباه وتوبيخه إياه لعبادته من كان يعبد ... قال خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه لأبيه ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[٤]. أفليس من المحال يا ذوى الحجا أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر (لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ فِى) ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان أيضا فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة عز ربنا وجل عن أن يكون غير سميع ولا بصير فهو كعابد

الجهمية ٢ / ٣٩٧ ، ودرء تعارض العقل والنقل /لابن تيمية/ بتحقيق محمد رشاد سالم / ١/٣٠ ، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٣٤٧).

(١) انظر : مجموع الفتاوى، (١٤١/٩) ، تفسير السعدي / ص ٦٤٠، شرح العقيدة الواسطية / الهراس / ص ٧٤

(٢) سورة الشعراء الآية (٧٢)

(٣) سورة مريم الآية (٤٢)

(٤) سورة مريم الآية (٤٢)

الأوثان والأصنام لا يسمع ولا يبصر أو كعابد الأنعام ألم يسمعوا قول خالقنا وبارئنا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[1]، فأعلمنا عز و جل أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام بل هم أضل سبيلا»[2].

كما قرر ذلك شيخ الإسلام في شرحه للعقيدة الأصفهانية حيث قال : «الطريق الثالث: لأهل النظر في إثبات السمع والبصر؛ أن السمع والبصر من صفات الكمال، فإن الحي السميع البصير، أكمل من حي ليس بسميع ولا بصير، كما أن الموجود الحي، أكمل من موجود ليس بحي، والموجود العالم، أكمل من موجود ليس بعالم، وهذا معلوم بضرورة العقل، وإذا كانت صفة كمال فلو لم يتصف الرب بها لكان ناقصا والله متره عن كل نقص... ومن المعلوم في بداية العقول أن المخلوق لا يكون أكمل من الخالق، إذ الكمال لا يكون إلا بأمر وجودي، والعدم المحض ليس فيه كمال، وكل موجود للمخلوق فالله خالقه، ويمتنع أن يكون الوجود الناقص، مبدعاً وفاعلاً للوجود الكامل؛ إذ من المستقر في بداية العقول؛ أن وجود العلة أكمل من وجود المعلول، دع وجود الخالق الباري الصانع؛ فإنه من المعلوم بالاضطرار إنه أكمل من وجود المخلوق المصنوع المفعول. وقد بسطنا الكلام على مثل هذه الطريقة في غير هذا الموضع، وبينا أن الله سبحانه وتعالى؛ يستعمل في حقه قياس الأولى، كما جاء بذلك القرآن، وهو الطريق التي يسلكها السلف والأئمة ؛كأحمد وغيره من الأئمة، فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص يتره عنه مخلوق فالخالق أولى أن يتره عنه... فكل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق فالخالق أحق به من وجهين:

أحدهما: أن الخالق الموجود الواجب بذاته القديم أكمل من المخلوق القابل للعدم

(١) سورة الفرقان الآية (٤٤)

(٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل / ابن خزيمة /١/ ١٠٩ ، تحقيق : د.عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان / مكتبة الرشيد – الرياض / الطبعة الخامسة

المحدث المربوب .

والثاني: أن كل كمال فيه؛ فإنما استفاده من ربه وخالقه، فإذا كان هو مبدعاً للكمال وخالقاً له؛ كان من المعلوم بالاضطرار أن معطي الكمال وخالقه ومبدعه أولى؛ بأن يكون متصفا به من المستفيد المبدع المعطي...فإذا علم انتفاء التساوي بين الكامل والناقص، وعلم أن الرب أكمل من خلقه؛ وجب أن يكون أكمل منهم، وأحق منهم بكل كمال بطريق الأولى والأحرى» [(١)].

٢ـ أن الله حي قيوم ، والحي متصف بالسمع ، ولا يفقده الحي إلا لآفة من مرض أو فقد أو موت ، والله حي سميع تعالى عن النقص والآفات .

٣ـ يقرر الدليل العقلي أن السميع لا يكون سميعاً إلا بسمع ، ومن لم يكن يسمع فليس بسميع ، وهذا يقرر اتصاف الله بأنه سميع بسمع يسمع به سبحانه .

قال أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله : « الدليل على أن السميع لا يكون إلا بسمع،... فالسميع صفة مشتقة من السمع . كما أن الضارب صفة مشتقة من الضرب، والضرب مصدر لأن الفعل صدر عنه ، وإذا كان صادراً عن المصدر كانت الصفة المبنية من الفعل صادرة عنه أيضاً وهي الضارب . وإذا صح هذا ، صح أن السميع صفة مبنية من أصل مشتقة منه صادرة عنه . وذلك الأصل هو السمع ، فصح أن السميع لا يكون إلا بسمع . والدليل على ذلك أيضاً : أنه إذا بطل السمع حصل الصمم ، ... فيكون الله تعالى في قول من يثبت السميع ولا يثبت السمع ، سميعاً أصم ... كما تقول في القدير والعليم ، فيبطل الصفات كلها وتكون ألفاظاً لا معاني لها ، ويكون الله تعالى خالياً عن الصفات والأسماء ... »[(٢)] وقد جاء في كتاب الله من

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية / ١٥١ ـ ١٥٣

(٢) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة/ الأصبهاني /٢ / ١٤٣، تحقيق د : محمد بن ربيع المدخلي / دار الراية الرياض / سنة النشر ١٤١٩هـ

استجابة دعاء أنبيائه كقوله تعالى ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾[(١)] وقوله : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾[(٢)].

والآيات في هذا كثيرة ، وهي تدل دلالة سمعية عقلية على أن الله جل جلاله متصف بصفة السمع .

٤ ــ ومن الأدلة العقلية أن الله أظهر بطلان ألوهية الأصنام بأنها متصفة بالنقص والعجز فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾[(٣)]، وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾[(٤)]

فدل هذا على أن الذي لا يسمع ولا يبصر أنه لا يغني شيئاً، وأنه لا يستحق العبادة، والله عز وجل مستحق للعبادة، وهو الخالق سبحانه وتعالى، فلزم من ذلك: أنه متصف بالسمع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «الطريق الرابع: في إثبات السمع والبصر والكلام ؛إن نفي هذه الصفات نقائص مطلقا، سواء نفيت عن حي أو جماد، وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيء ولا يخلقه ولا يجيب سائلاً ولا يعبد ولا يدعى، كما قال الخليل ــ عليه السلام ــ: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٧٦)

(٢) سورة الأنبياء الآية (٨٣ ، ٨٤)

(٣) سورة الأحقاف الآية (٥)

(٤) سورة مريم الآبة (٤٢)

شَيْئًا ﴾[(١)]، وقال إبراهيم لقومه: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[(٢)]،وقال تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[(٣)]، وقال تعالى : ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾[(٤)]، وهذا لأنه من المستقر في الفطر؛ أن مالا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم لا يكون رباً معبوداً، كما أن مالا يغني شيئاً ولا يهدي ولا يملك ضراً ولا نفعاً؛ لا يكون رباً معبوداً،ومن المعلوم أن خالق العالم؛ هو الذي ينفع عباده بالرزق وغيره، ويهديهم، وهو الذي يملك أن يضرهم بأنواع الضرر، فإن هذه الأمور من جملة الحوادث التي يحدثها رب العالمين، فلو قدر أنه ليس محدثاً لها كانت حادثة بغير محدث، أو كان محدثها غيره، وإذا كان محدثها غيره؛ فالقول في إحداث ذلك الغير كالقول في سائر الحوادث، فلا بد أن تنتهي إلى قديم لا محدث، ولذلك من المستقر في العقول أن مالا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم؛ ناقص عن صفات الكمال، لأنه لا يسمع كلام أحد ولا يبصر أحداً ولا يأمر بأمر ولا ينهى عن شيء ولا يخبر بشيء، فإن لم يكن كالحي الأعمى الأصم، كان بمترلة ما هو شر منه، وهو الجماد الذي ليس فيه قبول؛ أن يسمع ويبصر ويتكلم، ونفي قبول هذه الصفات أبلغ في النقص والعجز وأقرب إلى إنصاف المعدوم ممن يقبلها، واتصف بأضدادها إذ الإنسان الأعمى أكمل من الحجر والإنسان الأبكم أكمل من التراب ونحو ذلك مما لا يوصف بشيء من هذه الصفات وإذا كان نفي هذه الصفات معلوما بالفطرة إنه من أعظم النقائص والعيوب وأقرب شبها بالمعدوم كان من المعلوم بالفطرة أن الخالق أبعد عن هذه النقائص والعيوب من كل ما ينفى عنه وإن اتصافه بهذه العيوب من أعظم

---

(١) سورة مريم الآية (٤٢)

(٢) سورة الشعراء الآيات (٧١،٧٢،٧٣)

(٣) سورة الأعراف الآية (١٤٨)

(٤) سورة طه الآية (٨٨)

الممتنعات وهذه الطريق ليست الثانية ولا الثالثة فإن الثانية مبنية على أنه حي فلا بد من اتصافه بها أو بضدها والثالثة مبنية على أنها صفات كمال فيجب اتصاف الرب بها وأما هذه فمبنية على أن نفي هذه الصفات نقائص ومعايب ومذام يمتنع وصف الرب بها والله سبحانه وتعالى أعلم»[1].

قال يحي العمراني رحمه الله : « والدليل على إثبات السمع والبصر ما أخبر الله عن إبراهيم أنه قال : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[2]ولو كان إله إبراهيم لا يسمع ولا يبصر لكان دليله منقلبا عليه» [3].

قال الشيخ ابن السعدي رحمه الله : «ما أخبر به تعالى عن المعبودات التي عبدت من دونه، بأنها لا تملك نفعا ولا ضرا، ولا تنصر غيرها ولا تنصر نفسها، وسلبها الأسماع والأبصار، وأنها على فرض سماعها لا تغني شيئا، وغير ذلك من الصفات الدالة على نقصها غاية النقص، وما أخبر به عن نفسه العظيمة من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة، والقدرة والقهر، وغير ذلك من الصفات التي تعرف بالأدلة السمعية والعقلية، فمن عرف ذلك حق المعرفة عرف أن العبادة لا تليق ولا تحسن إلا بالرب العظيم الذي له الكمال كله، والمجد كله، والحمد كله، والقدرة كلها، والكبرياء كلها، لا بالمخلوقات المدبرات الناقصات الصم البكم الذين لا يعقلون » [4].

قال الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله : « وقد تقرر في الفطر والعقول، أن عدم السمع والبصر، والأرجل والأيدي، نقص وعيب يمتنع معه دعوة الفاقد لذلك؛ لامتناع كونه إلهاً، إذ الإله يجب أن يكون سميعاً بصيراً حياً قادراً، كاملاً، لا نقص فيه، ولا عيب،

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية / ١٥٣ ــ ١٥٤

(٢)سورة مريم الآية (٤٢)

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / يحيى بن أبي الخير العمراني / ١ / ١٣٥

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ١٢٤

قال تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[1]»).[2]

وبهذا يتبين توافق الأدلة الشرعية والأدلة العقلية على إثبات صفة السمع لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته .

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٩٤)

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري / الشيخ : عبد الله بن محمد الغنيمان / ١ / ١٥٨

المبحث الثالث :

بيان تعلقها بذات الله وفعله .

تنقسم الصفات الثبوتية من جهة تعلقها بالله إلى قسمين:

الصفات الذاتية، والصفات الفعلية، وكلا النوعين يجتمعان في أنهما صفات له تعالى أزلاً وأبداً، لم يزل متصفاً بهما ماضياً ومستقبلاً لائقان بجلال رب العالمين .

والصفات الذاتية : هي التي لا تنفك عن الذات ، أو التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها ، أو ما يوصف الله بها ولا يوصف بضدهاومنها: الوجه — اليدان .

والصفات الفعلية : هي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة ، ومنها: الاستواء — المجيء .[1]

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « الصِّفَات الاختيارية : وَهِي الْأُمُور الَّتِي يَتَّصِف بهَا الرب عز وَجل فتقوم بِذَاته بمشيئته وَقدرته ؛ مثل كَلَامه وسَمعه وبصره وإرادته ومحبته وَرضَاهُ وَرَحمته وغضبه وَسخطه ؛ وَمثل خلقه وإحسانه وعدله ؛ وَمثل استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله، وَنَحْو ذَلِك من الصِّفَات الَّتِي نطق بهَا الْكتاب الْعَزِيز وَالسّنة»[2] .

والسمع الذي أثبته الله لنفسه نوعان :

١. سمع إدراك المسموع .

٢. وسمع إجابة المسموع .

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٣/٣٢١-٣٢٤، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٤ ، التعريفات /الجرجاني/ ص١٧٥/تحقيق : إبراهيم الأبياري/ دار الكتاب العربي - بيروت، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية / عبدالعزيز السلمان / ص ٤٢٩ / مكتبة الرياض الحديثة / الطبعة السادسة ، و الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها / د : محمد بن خليفة ص ٦٥

(٢) مجموع الفتاوى/ ٦ / ٢١٧ ، وجامع الرسائل / ابن تيمية / ٢ / ٣ المحقق : د. محمد رشاد سالم / دار العطاء — الرياض (رسالة في الصفات الاختيارية)

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : « والسمع الذي هو بمعنى سماع الأصوات من صفاته الذاتية؛ والسمع بمعنى الاستجابة من صفاته الفعلية؛ لأن الاستجابة تتعلق بمشيئته: إن شاء استجاب لمن حمده؛ وإن شاء لم يستجب؛ وأما سماع الأصوات فإنه ملازم لذاته لم يزل، ولا يزال سميعاً ؛ إذ إن خلاف السمع الصمم؛ والصمم نقص؛ والله سبحانه وتعالى متره عن كل نقص؛ وكلا المعنيين يناسب الدعاء: فهو سبحانه وتعالى يسمع صوت الداعي، ويستجيب دعاءه» [1].

والله سبحانه وتعالى سميع يَسمع بوصف ذاته، ويُسمع من شاء من خلقه بوصف فعله، وقد تقدم ذكر الأدلة على ذلك والحمد لله .

---

(١) تفسير العلامة محمد العثيمين / ٤ / ٤٧

المبحث الرابع :

المسائل المتعلقة بصفة السمع . وفيه ثلاث مطالب

المطلب الأول : التوسل إلى الله بها والأدلة على ذلك .

التَّوسُّل إلى الله بِصفاته، أمر مشروع؛ وهو من أفضل الأعمال،دلت على مشروعيته أدلة كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع .

فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١]

وجه الدلالة : أن الله سبحانه وتعالى : أمرنا أن ندعوه متوسلين بأسمائه الحسنى ، وأسماؤه – سبحانه – متضمنة لصفاته ، فتكون داخلة في هذا المطلب وبذلك يتضح دلالة الآية على مشروعية التوسل بأسمائه وصفاته .

وفي قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢]

الشاهد من الآية ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ ﴾إذا قالوا برحمتك فتوسلوا إلى الله برحمته ليستجيب دعاءهم [٣] .

وقد وردت في السّنّة المطهّرة أدعية كثيرة يتوسّل بها النّبيّ –صلى الله عليه وسلم –

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٨٠)

(٢) سورة يونس الآية (٨٥ ، ٨٦)

(٣) انظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير / أبوبكر الجزائري / ٢ / ٥٠٠

بصفات الله تعالى منها :

١ ــ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (**كان النّبيّ صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر قال : يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث**) [(١)] .

٢ ــ وقوله صلى الله عليه وسلم :(**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت؛ المنان بديع السموات والأرض؛ يا ذا الجلال والإكرام**)[(٢)]

قال ابن القيم رحمه الله : «فهذا سؤال له وتوسل إليه وبحمده ؛وأنه الذي لا إله إلا هو المنان، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته،وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعاً عند المسؤول، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد»[(٣)] .

فكل من كتب في التوسل قديماً، وحديثاً ،نص على جواز التوسل بصفات الله تعالى، وأنه من أنواع التوسل المشروع وبعضهم نص على الإجماع .[(٤)]

وبعد هذا التقرير فإن التوسل بصفة السمع لله تعالى من التوسل المشروع وقد جاء التعليل بالتوسل بها في الكتاب والسنة وإليك التفصيل في ذلك :

فمن الكتاب العظيم :

---

(١) تقدم تخريجه ص ٧٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند / ٢٠/٦١/ قال محققوه: حديث صحيح ، وأبو داود في السنن / كتاب الصلاة / باب الدعاء/٢/١٦٧ رقم (١٤٩٥) ،والنسائي في السنن /كتاب السهو / باب الذكر بعد التشهد/ ٣ / ٥٢، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/ ٤١٠

(٣) بدائع الفوائد / ابن القيم / ١ / ١٦٨

(٤) انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة / لشيخ الإسلام ابن تيمية، والصارم المنكي في الرد على السبكي / لابن عبد الهادي ، ومجموع فتاوى ابن باز / ٢ /٤٠٣، و التوسل أنواعه وأحكامه/ للشيخ الألباني، و تحفة القاري في الرد على الغماري / للشيخ حماد الأنصاري ، الموسوعة الفقهية الكويتية / ١٤/ ١٥١/ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت

١ –قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١]

قال الشيخ السعدي رحمه الله :« وأما قول الخليل وإسماعيل –عليهما السلام– وهما يرفعان القواعد من البيت ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾فإنه توسل إلى الله بهذين الاسمين إلى قبول هذا العمل الجليل، حيث كان الله يعلم نياتهما ومقاصدهما، ويسمع كلامهما، ويجيب دعاءهما فإنه يراد بالسميع في مقام الدعاء: دعاء العبادة ودعاء المسألة ــ معنى المستجيب . كما قال الخليل في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾» [٢] .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : « ومن فوائد الآية: التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته المناسبة لما يدعو به؛» [٣].

٢ ــ وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٤]

٣ ــ قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[٥].

قال ابن القيم رحمه الله : « وأما قول إبراهيم الخليل: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ فالمراد بالسمع هنا؛ السمع الخاص وهو سمع الإجابة والقبول، لا السمع العام، لأنه سميع لكل مسموع، وإذا كان كذلك فالدعاء هنا؛ يتناول دعاء الثناء ودعاء الطلب، وسمع

---

(١) سورة البقرة الآية (١٢٧)

(٢) القواعد الحسان في تفسير القرآن / السعدي / ص ٥٥ /مكتبة الرشد الرياض ط١

(٣) تفسير العلامة محمد العثيمين / ٤ / ٥٠

(٤) سورة آل عمران الآية (٣٥)

(٥) سورة إبراهيم الآية (٣٩)

الرب تبارك وتعالى له إثابته على الثناء، وإجابته للطلب فهو سميع لهذا وهذا» . [١]

٤ ــ وقوله تعالى : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[٢]

في هذه الآية فيها التعليل بأن الله يسمع الدعاء ، وهو من التوسل بصفة الله .

وأما الأدلة من السنة النبوية :

١ ــ حديث ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (أن إبراهيم عليه السلام قَال: يَا إِسْمَاعِيلُ ، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ ، قَال فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ ، قَال وَتُعِينُنِي قَال وَأُعِينُكَ ، قَال فَإِنَّ اللهَ أمرني أَنْ أَبْنِى هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلى مَا حَوْلَهَا ، قَال فَعِنْدَ ذَلكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَل إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ ، وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي ، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لهُ، فَقَامَ عَليْهِ وَهْوَ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، قَال فَجَعَلاَ يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْل البَيْتِ ، وَهُمَا يَقُولاَنِ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾)[٣]

هذا الحديث موافق للآية وفيه التوسل باسم السميع المتضمن لصفة السمع .

٢ – عن بن عباس رضي الله عنهما قال : (**كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا أفطر قال اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم**)[٤]

هذا الحديث كسابقه في الدلالة على التوسل بصفة السمع .

٣ ــ وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه إذا استسقى قال : (**اللهم اسقنا سقيا**

---

(١) بدائع الفوائد / ابن قيم الجوزية / ٣ / ٥١٥

(٢) سورة آل عمران الآية (٣٨)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الأنبياء برقم (٣١٨٥) / ٣ / ١٢٣٠

(٤) تقدم تخريجه ص ٥٣

واسعة وادعة نافعة تشبع بها الأموال والأنفس غيثا هنيئا مريئا طبقا مجللا تسبغ به على بادينا وحاضرنا تنزل به من بركات السماوات وتخرج لنا به من بركات الأرض وتجعلنا عنده من الشاكرين إنك سميع الدعاء) [1]

في هذا الحديث التعليل بأن الله يسمع الدعاء ، وهو من التوسل بصفة الله .

وفي ختام هذا المطلب يتبين لنا أن التوسل بصفة السمع من التوسل المشروع .

---

(١) تقدم تخريجه ص٥٣

المطلب الثاني : الاستعاذة بها والأدلة على ذلك .

الاستعاذة في اللغة : الالْتِجَاءُ ، والاعتصام .[١]

ومعناها في الشرع : طلب الإعاذة، والحماية من المكروه ، وهي الالتجاء والاعتصام والتحرز وحقيقتها الهرب من شيءتخافه إلى من يعصمك منه ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا وملجأ ووزرا فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه وفر إليه، وألقى نفسه بين يديه، واعتصم به واستجار به والتجأ اليه. [٢]

والاستعاذة بالله عبادة لله؛ ولهذا أمر الله بها في غير آية، وتواترت السنن عن النبي صلى الله عليه و سلم بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «الاستعاذة لا تكون إلا بالله وصفاته في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**أعوذ بوجهك**)[٣]... ونحو ذلك؛ وهذا أمر مقرر عند العلماء» [٤].

وقال أيضاً : « إِنَّمَا يُسْتَعَاذُ بِالْخَالِقِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَلِهَذَا احْتَجَّ السَّلَفُ

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة / ابن فارس / ٤ / ١٨٣ ، تاج العروس من جواهر القاموس / الزبيدي / ٩ / ٤٣٩ ، تهذيب اللغة / تهذيب اللغة / ١ / ٣٥٧ ، لسان العرب / ابن منظور / ٣ / ٤٩٨.

(٢) انظر : بدائع الفوائد / ابن القيم / ٢ / ٤٢٦ ، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله آل الشيخ / ص ١٧٤ ــ ١٧٥/ مكتبة الرياض الحديثة - الرياض

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة / باب في قول الله تعالى " أو يلبسكم شيعا " / ٤/ ٥٨٦ رقم (٧٣١٣)

(٤) القواعد النورانية الفقهية / ابن تيمية /ص ٣٣٤ــ ٣٣٥ / تحقيق : د. أحمد الخليل / دار ابن الجوزي .

- كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ - عَلَى أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ فِيمَا احْتَجُّوا بِهِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ**)[١] قَالُوا : فَقَدْ اسْتَعَاذَ بِهَا وَلَا يُسْتَعَاذُ بِمَخْلُوقٍ»[٢]

وقال ابن القيم : « وما استعاذ به النبي صلى الله عليه وسلم غير مخلوق فإنه لا يستعيذ إلا بالله أو صفة من صفاته» .[٣]

قال الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ : « قوله" أعوذ بكلمات الله التامات " هذا ما شرعه الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به بدلا عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن فشرع الله للمسلمين أن يستعيذوا به أو بصفاته» [٤].

وقال أيضاً : « وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله ولهذا نهوا عن الرقى التي لا يعرف معناها خشية ان يكون فيها شيء من ذلك». [٥]

وبعد هذا التقرير فالاستعاذة بصفات الله من الاستعاذة المشروعة، وهي من كمال التوحيد ، وقد جاء في السنة النبوية ما يدل على الاستعاذة باسم السميع وصفة السمع مشتقة منه والدليل :

١ـــ حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رضي الله عنه قَالَ:(**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ يَقُولُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ. ثُمَّ يَقُولُ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. ثَلاَثًا ثُمَّ يَقُولُ « اللَّهُ أَكْبَرُ**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب الذكر والدعاء والتوبة / باب فِى التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ./ ص ٦٨٦ برقم (٢٧٠٨)

(٢) مجموع الفتاوى / ١ / ٣٣٦

(٣) بدائع الفوائد – ابن القيم الجوزية / ٢ / ٤٣٠

(٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله / ص ١٧٨

(٥) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله / ص ١٧٧

كَبِيرًا». ثَلاثًا « أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ »[١].

الشاهد من الحديث (أعوذ بالله السميع) فهذه استعاذه باسم السميع وهو مشتق من صفة السمع .

كما جاء في الكتاب والسنة تعليل الاستعاذة بسمع الله الذي يسمع المستعيذ ويجيب الدعاء ومن الأدلة على ذلك :

أولاً : من القرآن الكريم :

١ ــ قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢]

قال ابن جرير رحمه الله : (يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾، وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدُّك عن الإعراض عن الجاهلين، ويحملك على مجازاتهم ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ ﴾، يقول: فاستجر بالله من نزغه ، ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، يقول: إن الله الذي تستعيذ به من نزغ الشيطان ﴿ سَمِيعٌ ﴾ لجهل الجاهل عليك، ولاستعاذتك به من نزغه، ولغير ذلك من كلام خلقه، لا يخفى عليه منه شيء ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما يذهب عنك نزغ الشيطان، وغير ذلك من أمور خلقه)[٣].

٢ ــ وقوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤]

٣ ــ وقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٥].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٨

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٠)

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن /١٣/ ٣٣٢

(٤) سورة غافر الآية (٥٦)

(٥) سورة فصلت الآية (٣٦)

قال ابن كثير رحمه الله : « أي أن شيطان الإنس ربما ينخدع بالإحسان إليه، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقة؛ الذي سلطه عليك فإذا استعذت بالله، والتجأت إليه، كفه عنك ورد كيده» [١].

قال ابن القيم رحمه الله : « وتأمل سر القرآن الكريم كيف أكد الوصف بالسميع العليم بذكر صيغة هو الدال على تأكيد النسبة واختصاصها وعرف الوصف بالألف واللام في سورة حم لاقتضاء المقام لهذا التأكيد، وتركه في سورة الأعراف لاستغناء المقام عنه فإن الأمر بالاستعاذة في سورة حم وقع بعد الأمر بأشق الأشياء على النفس وهو مقابلة إساءة المسيء بالإحسان إليه وهذا أمر لا يقدر عليه إلا الصابرون ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم كما قال الله تعالى والشيطان لا يدع العبد يفعل هذا بل يريه أن هذا ذل وعجز ويسلط عليه عدوه فيدعوه إلى الإنتقام ويزينه له فإن عجز عنه دعاه إلى الإعراض عنه وأن لا يسيء إليه ولا يحسن فلا يؤثر الإحسان إلى المسيء إلا من خالفه وآثر الله تعالى وما عنده على حظه العاجل فكان المقام مقام تأكيد وتحريض فقال فيه ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ** ﴾ وأما في سورة الأعراف فإنه أمره أن يعرض عن الجاهلين وليس فيها الأمر بمقابلة إساءتهم بالإحسان بل بالإعراض وهذا سهل على النفوس غير مستعص عليها فليس حرص الشيطان وسعيه في دفع هذا كحرصه على دفع المقابلة بالإحسان»[٢].

ثانياً : من السنة النبوية :

١ ـــ حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدَ رضي الله عنه قَالَ: **اسْتَبَّ رَجُلَانِ قُرْبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاشْتَدَّ غَضَبُ أَحَدِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ "، فَقَالَ**

---

(١) تفسير ابن كثير /ص ١٣٠٣

(٢) بدائع الفوائد / ٢ /٨١٠

الرَّجُلُ: أَمَجْنُونٌ تَرَانِي ؟ فَتَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١]. [٢] وفي رواية عن معاذ قال : (استب رجلان عند النبي فغضب أحدهما غضبا شديدا حتى إنه ليخيل إلي أني أرى أنفه يتمزع فقال يا رسول الله إني لأعرف كلمة إن يقولها هذا الغضبان لذهب عنه غضبه أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) [٣]

٢ ــ وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – : (**أَن رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– كان يقول : اللَّهمَّ إِني أَعُوذُ بك من قَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، ودعاءٍ لا يُسمعُ ، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن علمٍ لا يَنفَع ، أعُوذ بك من هؤلاء الأربع**)[٤].

قال المناوي رحمه الله : « (ودعاءٍ لا يُسمعُ) أي :(لا يستجاب ولا يعتد به فكأنه غير مسموع) » [٥].

ومن هذه الأدلة يتبين لنا مشروعية الاستعاذة بصفة السمع الذاتية أو الفعلية وهي سمع الاستجابة .

---

(١) سورة فصلت الآية (٣٦)

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٨

(٣) تقدم تخريجه ص٤٩

(٤)تقدم تخريجه ص ١٠٨

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير / ١ / ٤١٧

المطلب الثالث : القسم بها، والأدلة على ذلك .

دلَّت النصوص الواردة في الكتاب والسنة النبوية على جواز القسم بصفات الله تعالى، فمن القرآن العظيم قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[1].

قال القرطبي – رحمه الله – : « لما طرده بسبب آدم ــ عليه السلام ــ حلف بعزة الله أنه يضل بني آدم بتزيين الشهوات وإدخال الشبهة عليهم، فمعنى:﴿ **لَأُغْوِيَنَّهُمْ** ﴾ لاستدعينهم إلى المعاصي» [2].

قال الشوكاني ــ رحمه الله ــ : «فأقسم بعزّة الله أنه يضلّ بني آدم بتزيين الشهوات لهم ، وإدخال الشبه عليهم حتى يصيروا غاوين جميعاً» [3].

أما من السنة فقد وردت أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما منها :

١ــ حديث ابن عباس رضي الله عنهما : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (**أعوذ بعزتك**)[4].

٢ ــ وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**يبقى رجل بين الجنة والنار فيقول : يا رب اصرف وجهي عن النار ، لا وعزتك لا أسألك**

---

(١) سورة ص الآية (٨٢)

(٢) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي / ١٥ / ٢٢٩

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير / الشوكاني / ٤ / ٦٣٤

(٤) صحيح البخاري / كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى " وهو العزيز الحكيم "" سبحان ربك رب العزة " ومن حلف بعزة الله وصفاته / برقم (٧٣٨٣) / ٤ / ٦٠٧ ، ومسلم في صحيحه / كتاب الذكر والدعاء والتوبة / باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ / برقم (٢٧١٧) ص ٦٨٨

غيرها)[١].

٣ ـــ وعن أيوب ـ عليه الصلاة و السلام ـ قال : (... **وعزتك لا غنى بي عن بركتك)** [٢]

وقد قرر علماء أهل السنة والجماعة من المحدثين والفقهاء هذه المسألة وإليك بعض ما ورد عنهم :

قال الإمام البخاري رحمه الله في جامعه الصحيح «باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته»[٣] ثم ذكر تحته بعض الأحاديث .

كما أورد البيهقي – رحمه الله – في السنن الكبرى بعض الأحاديث ، وبوَّب عليها بقوله : « باب ما جاء في الحلف بصفات الله تعالى : كالعزة ، والقدرة ، والجلال ، والكبرياء ، والعظمة ، والكلام ، والسمع ، ونحو ذلك» .[٤]

وقال الحافظ ابن عبد البر[٥] رحمه الله : « الحلف بصفات الله تعالى جائز تجب فيها الكفارة ؛ لأنها – أي الصفات – منه تعالى ذكره» [٦]

---

(١) صحيح البخاري / كتاب الرقائق / باب الصراط جسر جهنم /٤/ ٣٣٤ برقم (٦٥٧٣)

(٢) صحيح البخاري / كتاب الغسل / باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل /١/ ١٤٨ برقم (٢٧٩) .

(٣) صحيح البخاري / كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى " وهو العزيز الحكيم " " سبحان ربك رب العزة " ومن حلف بعزة الله وصفاته .٤ / ٦٠٦

(٤) السنن الكبرى / البيهقي / كتاب الأيمان / ١٠/٤١/ تحقيق : محمد عبد القادر عطا / مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ

(٥) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، ولد سنة ٣٦٨هـ، صاحب المصنفات مثل التمهيد وغيرها. انظر : السير، ١٥٣/١٨. الأعلام / ٨ / ٢٤٠

(٦)الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار / ابن عبد البر / ٢٠٦/٥/ تحقيق سالم محمد عطا–

وقال أبو العباس القرطبي[١] رحمه الله : « وقوله صلى الله عليه وسلم : (**من كان حالفًا فليحلف بالله**)[٢] لا يُفهم منه قَصْرُ اليمين الجائزة على الحلف بهذا الاسم فقط ، بل حكم جميع أسماء الله تعالى حكم هذا الاسم . فلو قال : والعزيز ، والعليم ، والقادر ، والسميع ، والبصير ؛ لكانت يمينًا جائزة . وهذا متفق عليه . وكذلك الحكم في الحلف بصفات الله تعالى ؛ كقوله : وعزة الله ، وعلمه ، وقدرته ، وما أشبه ذلك مما يَتَمَحَّضُ فيه الصفة لله ، ولا ينبغي أن يختلف في هذا النوع أنها أيمان كالقسم الأول»[٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « فمعلوم أنَّ مَن حلف بصفاته كالحلف به ، كما لو قال : وعزة الله تعالى ، أو لعمر الله ، أو والقرآن العظيم ، فإنه قد ثبت جواز الحلف بالصفات ونحوها عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ، ولأن الحلف بصفاته كالاستعاذة بها ، وإن كانت الاستعاذة لا تكون إلا بالله ، في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**أعوذ بوجهك**)[٤] ، و(**أعوذ بكلمات الله التامات**)[٥]، و(**أعوذ**

محمد علي معوض / دار الكتب العلمية / بيروت / سنة النشر ٢٠٠٠م

(١) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، الأنصاري، القرطبي، المالكي، يعرف بابن المزين، محدث فقيه، ولد سنة ٥٧٨هـ، وتوفي سنة ٦٥٦هـ، من مؤلفاته: المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، ومختصر الصحيحين، التذكرة في ذكر الموتى وأحوال الآخرة. انظر : شذرات الذهب/ ابن العماد / ٢٧٢/٥ـ ٢٧٣ ، ومعجم المؤلفين، ٢١٤/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الشهادات / باب كيف يستحلف /٢ / ٣٦١ برقم (٢٦٧٩) ، ومسلم في صحيحه / كتاب الأيمان / باب النَّهْيِ عَنِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى / ص ٤٢٣ برقم (١٦٤٦)

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم / القرطبي / ٦٢٣/٤ / تحقيق محيي الدين ديب ، يوسف بديوي وآخرين / دار ابن كثير / ودار الكلم الطيب / دمشق .

(٤) تقدم تخريجه ص ١٢٥

(٥) تقدم تخريجه ص ١٢٦

برضاك من سخطك)[١] ونحو ذلك ، وهذا أمر متقرر عند العلماء» [٢]

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري[٣] إمام الشافعية في زمانه رحمه الله : (وَيَنْعَقِدُ الْيَمِينُ بِقَوْلِهِ: وَعِلْمُ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَحَقِّهِ وَعَظَمَتِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَنَحْوِهَا)[٤].

وقال ابن قدامة[٥] إمام الحنابلة في زمانه رحمه الله : « والقسم بصفات الله تعالى كالقسم بأسمائه» [٦].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : « القسم بقول الإنسان : " وحياة الله " لا بأس بها ؛ لأن القسم يكون بالله سبحانه وتعالى ، وبأي اسم من أسمائه ، ويكون كذلك بصفاته : كالحياة ، والعلم ، والعزة ، والقدرة ، وما أشبه ذلك ، فيجوز أن يقول الحالف: وحياة الله ، وعلم الله ، وعزة الله ، وقدرة الله ، وما أشبه هذا مما يكون من

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب الصلاة / باب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ./ برقم (٤٨٧) ص ١٢١

(٢) الفتاوى الكبرى / ابن تيمية / ٤ / ١٣٠ / المحقق : محمد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا / دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ

(٣) أبو يحيى:زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الانصاري ، المصري،القاضي، الشافعي ، شيخ الاسلام ، عالم مشارك في الفقه والفرائض والتفسير وغيرها ولد سنة ٨٢٣ هـ له مصنفات كثيرة منها : تحفة الباري على صحيح البخاري ،وأسنى المطالب في شرح روض الطالب أربعة أجزاء، وغيرها ومات سنة ٩٢٦ هـ انظر : البدر الطالع / الشوكاني / ١ / ٢٥٢ ــ ٢٥٣، الأعلام للزركلي / ٣ / ٤٦ ، : معجم المؤلفين / ٤/ ١٨٢

(٤) أسنى المطالب في شرح روض الطالب / شيخ الإسلام زكريا الأنصاري / ٢٤٤/٤ / تحقيق: د . محمد محمد تامر / دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٢ هـ

(٥) عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين: فقيه، من أكابر الحنابلة، له تصانيف، منها " المغني " والكافي " ذمّ التَّأْوِيْلِ " وغيرها مات سنة ٦٢٠هـ انظر : سير أعلام النبلاء / ٢٢/ ١٧٤ ، وشذرات الذهب / ابن العماد / ٥ / ٨٧

(٦) المغني / ابن قدامة / ٤٧٦/٨/تحقيق : عبدالسلام شاهين /دار الكتب العلمية بيروت ط١

صفات الله سبحانه وتعالى »[١].

وبعد تقرير هذه المسألة يتبين لنا أن القسم بالصفات مشروع ومن الصفات الثابتة صفة السمع لله تعالى فيشرع القسم بها وقد أورد البيهقي رحمه الله بسنده أثراً عن أبي عياض[٢]رحمه الله ، قال : « سألت ابن عمر أو سئل ابن عمر رضي الله عنهما وأنا أسمع، عن الخمر ، فقال : لا ، وسمع الله عز وجل ، لا يحل بيعها ، ولا ابتياعها ، فحلف بسمع الله عز وجل»[٣]

وهذا الأثر فيه القسم بسمع الله .

وقد نص بعض العلماء على القسم بهذه الصفة منهم :

البيهقي في السن الكبرى تحت باب مَا جَاءَ فِى الْحَلِفِ بِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى كَالْعِزَّةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْجَلاَلِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَالْكَلاَمِ وَالسَّمْعِ وَنَحْوَ ذَلِكَ .[٤]

وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري إمام الشافعية في زمانه رحمه الله بقوله : «وَيَنْعَقِدُ

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢/٢١٩-٢٢٠

(٢) أبو عياض: عمرو بن الاسود العنسي الحمصي، نزيل داريا، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من سادة التابعين دينا وورعا، مات في خلافة معاوية،روى له الجماعة سوى الترمذي . انظر : تهذيب الكمال / المزي / ٢١ / ٥٤٤ / تحقيق : د. بشار عواد معروف / مؤسسة الرسالة – بيروت ، وسير أعلام النبلاء / ٤ / ٧٩

(٣) كتاب الأسماء والصفات / البيهقي / باب ما جاء في إثبات صفة السمع / ١ /٤٦٠/ قال محققه عبدالله الحاشدي : إسناده ضعيف ، وأخرجه في السنن الكبرى /كتاب الأيمان / باب مَا جَاءَ فِى الْحَلِفِ بِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى كَالْعِزَّةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْجَلاَلِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَالْكَلاَمِ وَالسَّمْعِ وَنَحْوَ ذَلِكَ / ٤١/١٠ ، وأخرجه علي بن الجعد الجوهري في مسنده / ٣٣٨/١ برقم (٢٣٢٥)/ تحقيق عامر أحمد حيدر / الناشر مؤسسة نادر بيروت / سنة النشر ١٤١٠

(٤) السنن الكبرى / البيهقي / كتاب الأيمان / ٤١/١٠

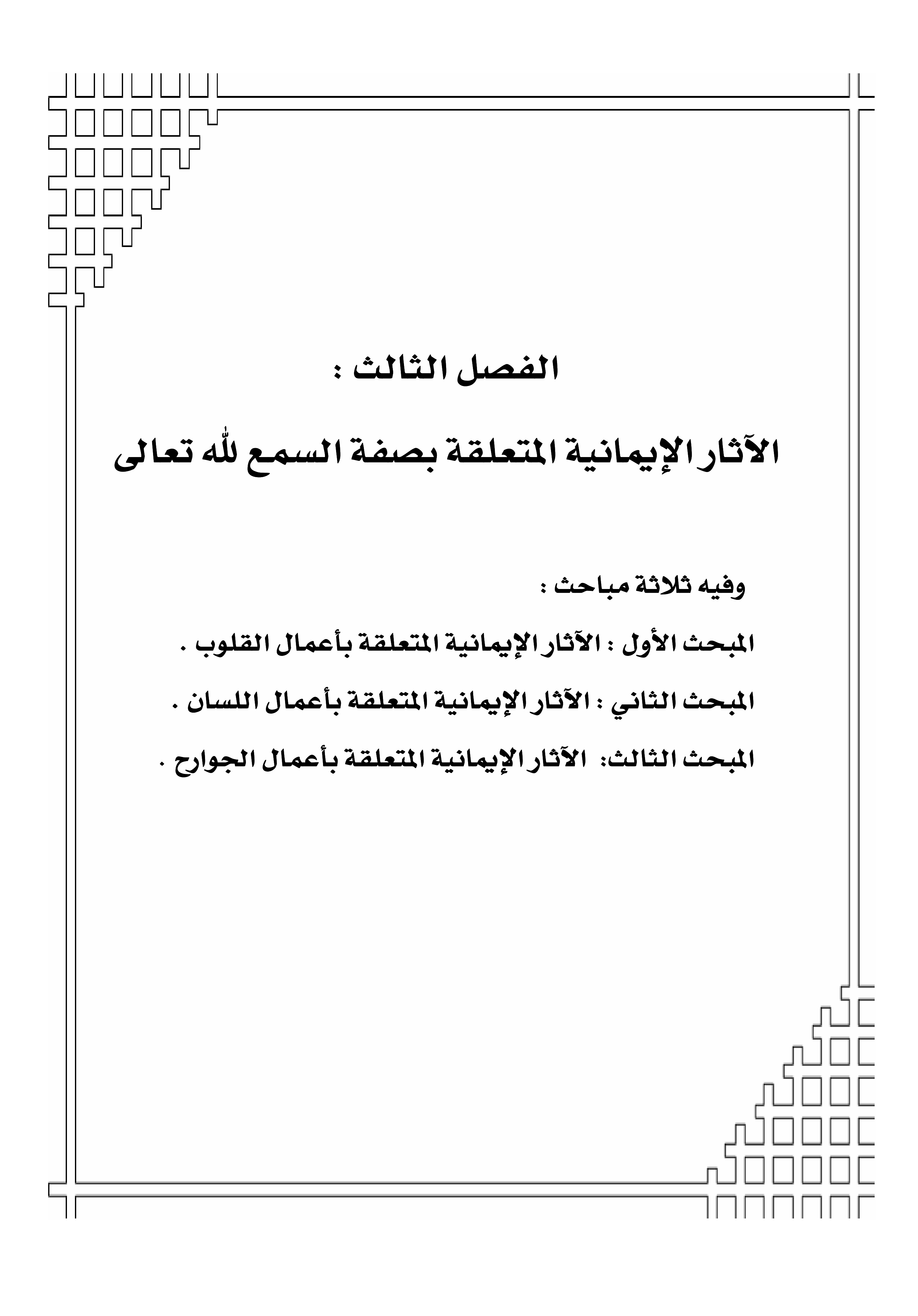
الْيَمِينُ بِقَوْلِهِ: وَعِلْمُ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَحَقِّهِ وَعَظَمَتِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَنَحْوِهَا »[1].

وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله : « الحلف بالصفات جائز بالإجماع ،فتحلف تقول وكلام الله وقدرة الله ومجيء الله وسمع الله وبصر الله هذا وتقول بسمع الله كان كذاوببصر الله كان كذا وبكلام الله كان كذا، هذا جائز بالإجماع لأن صفات الله جل وعلا غير مخلوقة».[2]

---

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب / شيخ الإسلام زكريا الأنصاري / ٤/٢٤٤ / تحقيق: د . محمد محمد تامر / دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٢ هـ

(٢) شرح العقيدة الواسطية / الشيخ صالح آل الشيخ / ١ / ٢٤١



الفصل الثالث :

الآثار الإيمانية المتعلقة بصفة السمع لله تعالى

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال القلوب .

المبحث الثاني : الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال اللسان .

المبحث الثالث: الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال الجوارح .

المبحث الأول :

الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال القلوب .

القلب هو ملك الأعضاء، بصلاحه تستقيم الأعضاء، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»(١).

وهذا القلب له أقوال وأعمال تقوم به من غير قول اللسان،وعمل الجوارح ، وقد اجتهد العلماء في بيان ذلك، فمن أقوالهم:

قال شيخ الإسلام رحمه الله : «بل قَوْلُ الْقَلْبِ وَعَمَلِهِ هُوَ الْأَصْلُ : مِثْلَ تَصْدِيقِهِ وَتَكْذِيبِهِ وَحُبِّهِ وَبُغْضِهِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَحْصُلُ بِهِ مَدْحٌ وَذَمٌّ وَثَوَابٌ وَعِقَابٌ بِدُونِ فِعْلِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَمِنْهُ مَا لَا يَقْتَرِنُ بِهِ ذَلِكَ إلَّا مَعَ الْفِعْلِ بِالْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ ، إذَا كَانَتْ مَقْدُورَةً وَأَمَّا مَا تُرِكَ فِيهِ فِعْلُ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ لِلْعَجْزِ عَنْهُ فَهَذَا حُكْمُ صَاحِبِهِ حُكْمُ الْفَاعِلِ فَأَقْوَالُ القلب وأفعاله إلى ثلاثة أقسام... »(٢).

وقال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : «أقوال القلب هي العقائد، وأقوال اللسان وهي الخبر عما في القلب، وأعمال القلب وهي الإرادة والمحبة والكراهية وتوابعها»(٣).

وقال ابن أبي العز الحنفي ــ رحمه الله ــ : « القول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ح (٥٢) ٤٤/١

(٢) مجموع الفتاوى "السلوك" ٧٥٨/١٠-٧٦٠

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ٨/١ /تحقيق : محمد حامد الفقي / دار المعرفة – بيروت /الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ .

نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح »[١].

وقال الشيخ حافظ الحكمي –رحمه الله-: « قول القلب : هو تصديقه وإيقانه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٢]...

وعمل القلب: هو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل، والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه»[٣].

بعد هذه المقدمة اليسيرة نذكر الآثار الإيمانية القلبية المتعلقة ،بصفة السمع لله تعالى مستنبطين ذلك من أدلة الكتاب والسنة فنقول :

إن للتعبد باسم السميع وصفة السمع ، آثاراً عظيمة ، وثماراً يانعة ، على قول القلب وعمله ،قال العز بن عبد السلام رحمه الله: « فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمحبة والتوكل وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات »[٤].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : «والأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضية لآثارها من العبودية والأمر ، اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين ، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٤١

(٢) سورة الزمر (٣٣-٣٤).

(٣) معارج القبول/ حافظ حكمي/ ٢/٥٨٨-٥٨٩/تحقيق : عمر بن محمود /دار ابن القيم – الدمام/الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

(٤) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال / العز بن عبدالسلام / ص ٦٧/ تحقيق أحمد فريد المزيدروتي / دار الكتب العلمية بيروت / ط : الأولى

والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنا ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفي عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل مالا يرضى الله وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطنا ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح »[(١)].

وبعد تتبع الآيات والأحاديث؛ التي ورد فيها وصف الله تعالى بأنه ذو سمع ـ على ما يليق بجلاله وعظمته ـ، وجدنا آثاراً إيمانية قلبية تتمثل : بالإخلاص ، والتقوى، والتوكل ، واليقين ، والانقياد ، والقبول ، والخوف ، والرجاء ، والمحبة ،والصدق ، والكمال المطلق ، والمراقبة ، والذل ، والخضوع ، والتعظيم ، والخشية ، والهيبة.، والتلذذ بالعبادة.، والإحسان ، والسكينة ، والطمأنينة.، والصبر ،والحياء ، والتدبر ، والتفهم ، . وإليك تفصيل الأدلة الدالة على ذلك وهي كالآتي :

١ ــ قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(٢)]

قال الشيخ السعدي رحمه الله : « ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ لجميع الأصوات باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾بالظواهر والبواطن، والغيب والشهادة، والأمور الماضية والمستقبلة، فالكامل تعالى الذي هذه أوصافه هو الذي يستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، ويخلص له الدين»[(٣)]

فهذه الآية تضمنت عدة أعمال قلبيه : الإخلاص ، الكمال المطلق ، الخوف

---

(١) مفتاح دار السعادة / ابن قيم الجوزية / ٢ / ٩٠

(٢) سورة المائدة الآية (٧٦)

(٣) تفسير السعدي ص ٢٤٠

،والرجاء .

٢ ــ قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

قال ابن كثير ــ رحمه الله ــ : « ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾أي: السميع لأقوالكم، ﴿الْعَلِيمُ﴾بأحوالكم. وفي هذا تهديد لهم ووعيد» [(١)].

ومما تضمنته هذه الآية من أعمال القلوب : المراقبة ، والخوف ، والرجاء ، والذل ، والتعظيم .

٣ــ ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

قال الشيخ السعدي رحمه الله : « ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾لسائر الأصوات على اختلافها وتشتتها وتنوعها، ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ الذي أحاط بالظواهر والبواطن، والغيب والشهادة. فاستحضار العبد رؤية الله له في جميع أحواله، وسمعه لكل ما ينطق به، وعلمه بما ينطوي عليه قلبه، من الهم، والعزم، والنيات، مما يعينه على منزلة الإحسان»[(٢)].

تتضمن هذه الآية : التوكل ، اليقين ، والمحبة ، والإحسان ، والمراقبة .

٤ ــ ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

قال الآلوسي ــ رحمه الله ــ : « ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ جل شأنه لأقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ ﴾بأحوالهم من الأعمال الظاهرة والعقائد والصفات الباطنة ، والجملة تذييل لتحقيق حصول المرجو والمخوف وعداً ووعيداً» [(٣)]

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير / ٥ / ٣٣٢ / المحقق : سامي بن محمد سلامة / دار طيبة للنشر والتوزيع

(٢) تفسير السعدي ص ٥٩٩

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / ١٥ / ٢٣٥

قال الشيخ السعدي رحمه الله : « فإن اللّه سميع للأصوات، عليم بالنيات، فمن كان صادقا في ذلك أناله ما يرجو، ومن كان كاذبا لم تنفعه دعواه، وهو العليم بمن يصلح لحبه ومن لا يصلح »[١].

تضمنت الآية : الصدق ، الخوف ، والرجاء ، الإحسان .

٥ ـ ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢]

قال الشيخ السعدي رحمه الله : « ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. ﴿ ٱلْبَصِيرُ ﴾ بما كان وما يكون، وما نبصر وما لا نبصر، وما يعلم العباد وما لا يعلمون.قال في أول هاتين الآيتين ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ ﴾[٣] ثم وصفها بهذه الأوصاف المقتضية للاستعداد لذلك اليوم العظيم، لاشتمالها على الترغيب والترهيب» [٤].

في الآية : الخوف ، والرجاء ، والتوكل ، الإنابة ، العظمة ، التذلل ، والخضوع .

٦ ـ قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [٥]

قالت عائشة رضي الله عنهاعند ذكر سبب نزول هذه الآية : (**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،**

---

(١) تفسير السعدي ص ٦٢٦

(٢) سورة غافر الآية (٢٠)

(٣) سورة غافر الآية (١٨)

(٤) تفسير السعدي ص ٧٣٥

(٥) سورة المجادلة الآية (١)

وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا**﴾[(١)].

قال الشيخ السعدي رحمه الله : « وهذا إخبار عن كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالأمور الدقيقة والجليلة، وفي ضمن ذلك الإشارة بأن الله تعالى سيزيل شكواها، ويرفع بلواها »[(٢)]

في الآية والحديث من أعمال القلوب: التعظيم، والكمال المطلق، والتوكل، والرجاء.

٧ ــ قوله تعالى : ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ**﴾[(٣)]

تضمنت الآية : الخوف ، والعظمة .

٨ ــ قوله تعالى ؛ ﴿ **قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾[(٤)]

قال ابن كثير رحمه الله : « أي لا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى عليّ من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي»[(٥)].

ففي هذه الآية : طمأنينة القلب، وسكينته ، وتعلقه بالله، وتوكله عليه .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٢

(٢) تفسير السعدي ص ٨٤٣

(٣) سورة آل عمران الآية (١٨١)

(٤) سورة طه الآية (٤٦)

(٥) تفسير ابن كثير ٣ / ١٨٩

١٠ ــ قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[١]

قال الطبري ــ رحمه الله ــ : « وذكر أن هذه الآية نزلت في نفر ثلاثة تدارءوا في سماع الله تبارك وتعالى كلام عباده. ــ ثم أورد بسنده ــ عن محمد بن كعب القرظي، قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشيّ، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع، قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فإنه يسمع إذا أسررتم، قال: فنزلت﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾».[٢]

دلت الآية على أن العبد يراقب ربه في سره وعلانيته لعلمه أن الله من فوق عرشه يسمعه وهو عليم بسره ونجواه، ومن ثم يتقيه ويخشاه ولا يخاف من أحد سواه، ويستحي من الله لأنه يسمعه في سره ونجواه .

١١ ــ قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾[٣]

قال الشيخ السعدي رحمه الله : « وقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ تعجب من كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالمسموعات والمبصرات، بعد ما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات» [٤].

ففي الآية : المراقبة ، والخوف والرجاء ، والمحبة ، والكمال المطلق .

---

(١) سورة الزخرف الآية (٨٠)

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن / ٢١/ ٦٤٧ ، كما ذكر ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن / ١٦/ ١١٩

(٣) سورة الكهف الآية (٢٦)

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ص ٤٧٤

١٢ ــ قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(١)] .

قال الشنقيطي رحمه الله : « فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله :"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فصرح في هذه الآيةالكريمة بنفي المماثلة مع الإتصاف بصفات الكمال والجلال»[(٢)].

ففي الآية : التعظيم ، والكمال ، والتذلل ، والخضوع .

١٣ــ قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[(٣)]

قال ابن القيم رحمه الله : « وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ فإن ذلك حاصل لهم وبه قامت الحجة عليهم لكن ذاك إسماع الآذان وهذا إسماع القلوب فإن الكلام له لفظ ومعنى وله نسبة إلى الآذان والقلب وتعلق بهما فسماع لفظه حظ الأذن وسماع حقيقة معناه ومقصوده حظ القلب فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود والمراد الذي هو حظ القلب وأثبت لهم سماع الألفاظ الذي هو حظ الأذن» [(٤)]

قال الشيخ السعدي رحمه الله : « ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾سماع فهم وقبول، لأنه تعالى هو الهادي الموفق »[(٥)]

١٤ــ وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[(٦)]

---

(١) سورة الشورى الآية (١١)

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / ٢ / ١٨

(٣) سورة فاطر الآية (٢٢)

(٤) مدارج السالكين / ابن قيم الجوزية / ١ / ٤٣

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / السعدي / ٦٨٨

(٦) سورة الأنفال الآية (٢٣)

قال الطبري رحمه الله : « فتأويل الآية إذًا: ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيرًا، لأسمعهم مواعظ القرآن وعِبَره، حتى يعقلوا عن الله عز وجل حججه منه، ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم، وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون. ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا، لتولوا عن الله وعن رسوله، وهم معرضون عن الإيمان بما دلّهم على صحته مواعظُ الله وعبره وحججه، معاندون للحق بعد العلم به »[1].

ففي الآيتين من أعمال القلوب : القبول ، والإنقياد ، والتفهم، والتدبر.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن / ١٣ / ٤٦٣

المبحث الثاني :

الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال اللسان .

أعمال اللسان : هي ما يتلفظ به العبد وينطق به لسانه، وقد ورد في الكتاب والسنة ما يدل على أن الألفاظ والأقوال مؤاخذ بها مجزيٌّ عليها، سواء كان خيرا أو شرا. قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[(١)].

قال ابن كثير رحمه الله : «﴿ مَّا يَلْفِظُ ﴾أي: ابن آدم،﴿ مِن قَوْلٍ ﴾أي: ما يتكلم بكلمة،﴿ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ أي: إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة»[(٢)].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم –كما في حديث معاذ –رضي الله عنه– قال: **«ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فقلت له: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه فقال: كف عليك هذا، فقلت: يا رسول الله! وإنا المؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم في النار، أو: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»**[(٣)].

قال ابن رجب –رحمه الله– عند شرحه لهذا الحديث: « وله: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله – إلى آخر الحديث» هذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل

---

(١) سورة ق (١٨).

(٢) تفسير ابن كثير ص ١٣٨٦.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣٤٥/٣٦ / قال محققوه :صحيح بطرقه وشواهده، والترمذي في جامعه/ كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة،١٣/٥-١٤ح (٢٦١٦) ، وقال: حديث حسن صحيح" ،وابن ماجه في كتاب الفتن/ باب كف اللسان في الفتن، ١٣١٤/٢ح (٣٩٧٣) ، والحاكم في المستدرك ١٨٥/٣-١٨٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه". وصححه الألباني في صحيح الجامع ٩١٣/٢.

الخير كله، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره، وأحكمه وضبطه»[١].

وقد قسم العلماء القول إلى قول القلب، وقول اللسان.

قال ابن أبي العز الحنفي ـرحمه الله ـ : «والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام»[٢].

وقال حافظ حكمي –رحمه الله-: « قول القلب: وهو تصديقه، وإيقانه، وقول اللسان: وهو النطق بالشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإقرار بلوازمها. قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾[٣]... وقوله صلى الله عليه وسلم: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله**)[٤] وما في معناه... ثم ذكر عمل اللسان فقال: فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به، كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، والدعاء والاستغاثة وغير ذلك»[٥].

وبعد هذه المقدمة ندخل في موضوعنا، وهو الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال اللسان من خلال صفة السمع لله تعالى .

فسمع الله تعالى عام لكل مسموع، لا تخفى عليه خافية، وقد جاءت أدلة على عموم ذلك، كقوله تعالى : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٦] وقوله تعالى :

---

(١) جامع العلوم والحكم / ابن رجب / ص ٢٧٤/ دار المعرفة – بيروت .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٤١.

(٣) سورة البقرة (١٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ح (٢٥) ٢٨/١، ومسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ح (٢٠) ص ٢٠.

(٥) انظر : معارج القبول، ٥٨٨/٢-٥٩١ – باختصار-.

(٦) سورة البقرة الآية (١٣٧)

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١]

وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢].وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٣] وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٤]

فهذه الآيات تدل على عموم سمع الله تعالى لكل قول لذا يجب على المرء مراقبة الله سبحانه وتعالى في جميع أقواله؛ لأن الله سبحانه وتعالى سامع لها لا يخفى عليه الصوت مهما كان ، وهذا يوجب حفظ اللسان ، والاعتناء بالألفاظ ، وهو من الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال اللسان .

كما أن هناك آيات والأحاديث ذكرت بعض الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال اللسان الخاصة :كالدعاء ، والنداء ، والتضرع ، والتسبيح ، والتحميد، والتهليل، والتكبير، ، والشكر، الاستعاذة ،والاستغاثة ، والتوسل ، والقسم ، وتلاوة القرآن ،وكل هذه الصفات مستفادة من أثر صفة السمع لله تعالى ، على ما يليق بجلاله .

ومن الأدلة على ذلك من القرآن الكريم :

١ــ قوله تعالى عن خليله إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[٥]

قال ابن جرير رحمه الله : « يقول: إن ربي لسميع دعائي الذي أدعوه به» [٦]

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٤)

(٢) سورة الأنعام الآية (١٣)

(٣) سورة المائدة الآية (٧٦)

(٤) سورة يونس الآية (٦٥)

(٥) سورة إبراهيم الآية (٣٩)

(٦) تفسير الطبري / ١٧ / ٢٧

دلت الآية على دعاء الله والدعاء من أعمال اللسان .

٢ ـــ وقوله تعالى في دعاء زوجة عمران : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(1)

دلت الآية على التضرع والدعاء والنداء والتوسل وكلها من أعمال اللسان .

٣ ـــ وقوله تعالى في دعاء زكريا عليه الصلاة والسلام : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾(2)

دلت الآية على الدعاء، والاستغاثة ، والتوسل، وكلها من أعمال اللسان .

٤ ـــ قوله تعالى :﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(3) وقوله : ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(4)

وقوله : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(5)

قال ابن جرير رحمه الله : «يعني جل ثناؤه بقوله:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾، وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدُّك عن الإعراض عن الجاهلين، ويحملك على مجازاتهم ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾، يقول: فاستجر بالله من نزغه ،﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾،يقول: إن الله الذي تستعيذ به من نزغ الشيطان ﴿سَمِيعٌ ﴾لجهل الجاهل عليك، ولاستعاذتك به من نزغه، ولغير ذلك من كلام خلقه، لا يخفى عليه منه شيء ﴿عَلِيمٌ ﴾بما يذهب عنك نزغ

(١) سورة آل عمران الآية (٣٥)

(٢) سورة آل عمران الآية (٣٨)

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٠٠)

(٤) سورة غافر الآية (٥٦)

(٥) سورة فصلت الآية (٣٦)

الشيطان، وغير ذلك من أمور خلقه»[(١)].

في الآيات الثلاث الأمر بالالتجاء إلى الله، والاستعاذة به؛ عند حصول وساوس شياطين الإنس والجن والاستعاذة من أعمال اللسان .

٥ ــ قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[(٢)]

قالت عائشة رضي الله عنها ــ عند ذكر سبب نزول الآية ــ : «الحمد لله الذي وسع سمعُه الأصوات».[(٣)]

قال الشيخ السعدي رحمه الله في معنى الآية : «وهذا إخبار عن كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالأمور الدقيقة والجليلة، وفي ضمن ذلك الإشارة بأن الله تعالى سيزيل شكواها، ويرفع بلواها »[(٤)].

في الآية والحديث دلالة على أن الله سمع شكوى وتضرع المجادلة ، وهي أعمال لسان .

وأما الأدلة من السنة النبوية :

١ ــ عن أبي موسى رضي الله عنه قال : « **كنّا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في سَفَر ، فكنا إذا عَلونا كبَّرنا ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : أيها الناس أربَعوا على أنفُسِكم ، فإنكم لا تَدْعونَ أصمَّ ولا غائباً ، ولكنْ تدعون سميعاً بصيراً ، ثمَّ أتى عليَّ وأنا أقولُ في نفسي : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال : يا عبدَ الله بن قَيْس ، قل**

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن /١٣/ ٣٣٢

(٢) سورة المجادلة الآية (١)

(٣) تقد م تخريجه ص ٤٢

(٤) تفسير السعدي / ص ٨٤٣

لا حول ولا قوةَ إلا بالله ، فإنها كنزٌ مِنْ كنوز الجنة ، أو قال : ألا أدلك على كلمةٍ هي كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلاّ بالله » [(١)].

في الحديث دلالة على التكبير والتهليل والتسبيح وكلها من أعمال اللسان .

٢ ــ عن أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِي رضي الله عنه قال : « **كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول : الله أكبر كبيراثم يقول: أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ** » [(٢)].

في الحديث دلالة على الاستعاذة وهي من أعمال اللسان .

٣ ــ عن عُثْمَان بنَ عَفَّانَ أنه قال : سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « **مَنْ قَال بِسْمِ اللهِ الذي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِه شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلاَثَ مَرَّات لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُمْسِيَ**» [(٣)].

في الحديث دعاء وتوسل وتضرع وهي من أعمال اللسان .

٤ ــ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدَرضي الله عنه قَالَ: « **اسْتَبَّ رَجُلَان قُرْبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاشْتَدَّ غَضَبُ أَحَدِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** »، **فَقَالَ الرَّجُلُ: أَمَجْنُونٌ تَرَانِي ؟ فَتَلَا** رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَٰنِ**

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٨

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٨

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٩

نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1]. [2] وفي رواية عن معاذ قال : « **استب رجلان عند النبي فغضب أحدهما غضبا شديدا حتى إنه ليخيل إلي أني أرى أنفه يتمزع فقال يا رسول الله إني لأعرف كلمة إن يقولها هذا الغضبان لذهب عنه غضبه أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم** » [3]

في الحديث دلالة على الاستعاذة بالله عند الغضب وهو من أعمال اللسان .

٥ ــ قوله صلى الله عليه و سلم : (**إذا أفطر اللهم لك صمنا ، وعلى رزقك أفطرنا ، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم**) [4]

في الحديث توسل ودعاء وتضرع وشكر لله وكل ذلك من أعمال اللسان .

٦ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه و سلم قال : (**إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**)[5]

في الحديث دلالة على أن الله يسمع من حمده، والحمد يكون باللسان، وذلك من أعماله .

٧ ــ وعن أبي موسى الأشعري قال : قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم : (**إِذا قَالَ الإِمَام سمع الله لمن حَمده؛ فَقولُوا رَبنَا وَلَك الْحَمد يسمع الله لكم**)[6].

---

(١) سورة فصلت الآية (٣٦)

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٩

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٠

(٤) تقدم تخريجه ص ٥٣

(٥) تقدم تخريجه ص ١٠٧

(٦) تقدم تخريجه ص ١٠٧

قال النووي : « ومعنى سمع الله لمن حمده أي أجاب دعاء من حمده ومعنى يسمع الله لكم يستجب دعاءكم »[١]

في الحديث حث على دعاء الله وحمده والثناء علية فأن الله يستجيب من دعاه وكل ذلك من أعمال اللسان .

٨ ـــ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم : (**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَىْءٍ كَأَذَنِه لِنَبِىٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ**)[٢].

قال البغوي رحمه الله : «قولـــه : «ما أذِنَ الله لشيءٍ كأَذَنِه» يعني : ما استمع الله لشيء كاستماعه ، والله لا يشغله سمع عن سمع ، يقال : أذِنْتُ للشيء آذَنُ أذَناً بفتح الذال : إذا سمعت له. . . »[٣].

وفي الحديث دلالة على فضل قراءة القران وهي من أعمال اللسان .

٩ ـــ عن أبي عياض رحمه الله ، قال : « سألت ابن عمر أو سئل ابن عمر رضي الله عنهما وأنا أسمع ، عن الخمر ، فقال : لا ، وسمع الله عز وجل ، لا يحل بيعها ، ولا ابتياعها ، فحلف بسمع الله عز وجل »[٤]

في هذا الأثر دلالة على القسم بصفة السمع وهو من أعمال اللسان .

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / النووي /٤ / ١٢١

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠٨ .

(٣) شرح السنة / البغوي / ٣٣/٣

(٤) تقدم تخريجه ص ١٣٤

المبحث الثالث :

الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال الجوارح .

لا شك أن أعمال الجوارح من الإيمان، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وقد فصّل القول في هذه المسألة الإمام الآجري[1]–رحمه الله– في كتابه القيم "الشريعة" وأنقل قوله لما فيه من تفصيل المسألة.

قال رحمه الله: «باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمنا إلا بأن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث. ثم قال: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين، أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقا، ولا يجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمنا. دلّ على ذلك القرآن والسنة وقول علماء المسلمين – ثم ذكر الأدلة على القلب واللسان – ثم قال: وأما الإيمان بما فرض على الجوارح تصديقا لما آمن به القلب، ونطق به اللسان، فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[3]، في غير موضع من القرآن، ومثله فرض الصيام على جميع البدن، ومثله فرض الجهاد على البدن وبجميع

---

(١) أبو بكر: محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، صاحب التصانيف الكثيرة ،حدث ببغداد قبل سنة ٣٣٠. ثم انتقل إلى مكة فسكنها حتى توفي بها قال محمد بن علي الصوري: توفي أبو بكر الآجري في المحرم سنة ستين وثلاثمائة، قرأت ذلك على بلاطة قبره بمكة . انظر : تاريخ بغداد ٢٤٣/٢ / دار الكتب العلمية – بيروت،صفة الصفوة ١/ ٥٤٨

(٢) سورة الحج، آية (٧٧).

(٣) سورة البقرة، آية (٤٣).

الجوارح .

فالأعمال –رحمكم الله- بالجوارح تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمله بجوارحه مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وأشباه لهذه، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمنا، ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيبا لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقا منه لإيمانه، وبالله التوفيق –... إلى أن قال: اعلموا –رحمنا الله وإياكم – يا أهل القرآن ويا أهل العلم بالسنن والآثار، ويا معشر من فقههم الله تعالى في الدين بعلم الحلال والحرام أنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله تعالى علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده حتى ضمّ إليه العمل الصالح الذي وفقهم له، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقا بقلبه، وناطقا بلسانه، وعاملا بجوارحه لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفحه وجده كما ذكرت، -ثم ذكر أدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف بما يطول ذكره» .(١)

فهذه هي عقيدة السلف الصالح ؛أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

فبعد هذه المقدمة نذكر الآثار الإيمانية المتعلقة؛ بأعمال الجوارح من خلال صفة السمع لله تعالى على ما يليق بجلاله .

إن للتعبد بأسماء الله وصفاته آثاراً عظيمة على قلب العبد،وجوارحه وحركاته وسكناته.

قال العز بن عبد السلام: «اعلم أن معرفة الذات والصفات مثمرة لجميع الخيرات

---

(١) انظر : الشريعة، للآجري ٢/٦١١-٦٤٣

العاجلة والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات تثمر حالا علية، وأقوالا سنية، وأفعالا رضية، ومراتب دنيوية، ودرجات أخروية، فمثل معرفة الذات والصفات كشجرة طيبة أصلها – وهو معرفة الذات – ثابت بالحجة والبرهان، وفرعها – وهو معرفة الصفات – في السماء مجدا وشرفا تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ من الأحوال والأقوال والأعمال بِإِذْنِ رَبِّهَا وهو خالقها إذ لا يحصل شيء من ثمارها إلا بإذنه وتوفيقه، منبت هذه الشجرة القلب الذي إن صلح بالمعرفة والأحوال صلح الجسد كله » [1] .

من صفات الله العلى صفة السمع ولهذه الصفة آثار على الجوارح نذكر شيئاً من من ذلك فنقول وبالله التوفيق :

١ ــ استحضار سمع الله في جميع الأحوال؛يوجب حفظ الجوارح .

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : «فعلى السمع وجوب الإنصات، والاستماع لما أوجبه الله ورسوله عليه؛ من استماع الإسلام والإيمان وفروضهما، وكذلك استماع القراءة في الصلاة إذا جهر بها الإمام ونحوها» .

ويحرم عليه استماع الكفر والبدع؛ إلا حيث يكون في استماعه مصلحة راجحة من رده أو الشهادة على قائله أو زيادة قوة الإيمان ، وكذلك استماع أصوات النساء الأجانب التي تخشى الفتنة بأصواتهن ، وكذلك استماع المعازف وآلات الطرب واللهو.

وأما السمع المستحب؛ فكاستماع المستحب من العلم، وقراءة القرآن، وذكر الله واستماع كل ما يحبه الله وليس بفرض .

والمكروه عكسه؛ وهو استماع كل ما يكره، ولا يعاقب عليه، والمباح ظاهر» [2].

---

(١) شجرة المعارف والأحوال / ص ١٤ ــ ١٥

(٢) انظر : مدارج السالكين / ابن القيم / ١ / ١١٦ــ ١١٧ باختصار .

كما بين منزلة السماع أيضاً فقال: « وقد أمر الله به في كتابه، وأثنى على أهله وأخبر؛ أن البشرى لهم، فقال تعالى:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾[١]، وقال تعالى : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٢]».

وجعل الإسماع منه والسماع منهم دليلاً على علم الخير فيهم، وعدم ذلك دليلاً على عدم الخير فيهم، فقال : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[٣] ، وأخبر عن أعدائه : أنهم هجروا السماع ونهوا عنه، فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾[٤]، فالسماع رسول الإيمان إلى القلب، وداعيه ومعلمه وكم في القرآن من قوله :﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾[٥]،وقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[٦]،ثم ذكر أصحاب السماع فقال منهم : من يسمع بطبعه ونفسه وهواه؛ فهذا حظه من مسموعه : ما وافق طبعه، ومنهم : من يسمع بحاله وإيمانه ومعرفته وعقله؛ فهذا يفتح له من المسموع بحسب استعداده وقوته ومادته، ومنهم : من يسمع بالله لا يسمع بغيره. ثم فصل في أنواع المسموعات فقال :فأما المسموع فعلى ثلاثة أضرب :

أحدها : مسموع يحبه الله ويرضاه وأمر به عباده؛ وأثنى على أهله ورضي عنهم به.

الثاني : مسموع يبغضه ويكرهه ونهى عنه، ومدح المعرضين عنه.

---

(١) سورة المائدة الآية (١٠٨)

(٢) سورة الزمر الآية (١٧،١٨)

(٣) سورة الأنفال الآية (٢٣)

(٤) سورة فصلت الآية (٢٦)

(٥) سورة السجدة الآية (٢٦)

(٦) سورة الحج الآية (٤٦)

الثالث : مسموع مباح مأذون فيه لا يحبه ولا يبغضه، ولا مدح صاحبه ولا ذمه؛ فحكمه حكم سائر المباحات .[١]

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا مكانة السمع والسماع وهما من أعمال الجوارح فيجب حفظهما وشكر الله بهما .

٢ ــ إن الصادق في توحيد الله، المؤمن بصفة السمع لله تعالى، هو الذي يسمع بسمع الله؛ فلا يسمع إلا ما يحبه ويرضاه، كما جاء في الحديث : عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال فيما يروي عن رب العزة – جل جلاله –: (**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَال عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلي بِالنَّوَافِل حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذِي يُبْصِرُ بِهِ**)[٢] .

وقال الخطابي ــ رحمه الله ــ : « هذه أمثال؛ والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها؛ بأن يحفظ جوارحه عليه، ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله، من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله »[٣].

وقال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «يظهر لي أنه على حذف مضاف والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به، فلا يسمع الا ما يحل استماعه »[٤].

وكذلك لا يؤذي الناس بسمعه كأن يتحسس عوراتهم، أو يخوض في أعراضهم، أو يشهر بزلاتهم، أو ما شابه وكل هذا من آثار صفة السمع على الجوارح .

---

(١) انظر : مدارج السالكين : ١ / ٤٨١ــ ٤٨٢ باختصار .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الرقاق / باب التواضع /٣١١/٤ برقم (٦٥٠٢) .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري / ابن حجر / ١١ / ٣٤٤

(٤) نفس المصدر / ١١ / ٣٤٤

٣ ــ إن استشعار سمع الله تعالى؛ يثير في النفس الإحساس بعظمة الله، واستحقاقه للطاعة، ويثير فيها معاني العلم ومراقبة الله تعالى، وأنه تعالى عليم بكل شيء، فلا بد من محاسبة النفس، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾[(١)]،فيثمر ذلك: ألا يقدم الإنسان على أي عمل؛ إلا إذا كان يرضي الله تعالى .

قال محمد بن نصر المروزي[(٢)] ــ رحمه الله ــ : « إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد أورثه الحياء من الله، والهيبة له، فغلب على قلبه ذكر اطلاع الله العظيم، ونظره بعظمته إلى ما في قلبه وجوارحه، وذكر المقام غدا بين يديه وسؤاله إياه؛ عن جميع أعمال قلبه وجوارحه، وذكر دوام إحسانه إليه، وقلة الشكر منه لربه، فإذا غلب ذكر هذه الأمور على قلبه، هاج منه الحياء من الله فاستحى من الله أن يطلع على قلبه، وهو معتقد لشيء مما يكره، أو على جارحة من جوارحه، تتحرك بما يكره، فطهّر قلبه من كل معصية، ومنع جوارحه من جميع معاصيه».[(٣)]

٤ ــ يُلحظ من صفة السمع لله تعالى؛ قرب الله تعالى من عبده ، جاء في الحديث ما يدل على ذلك عن أبي موسى رضي الله عنه قال : (**كنّا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في سَفَر ، فكنا إذا عَلونا كبَّرنا ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : أيها الناس أربَعوا على أنفُسِكم ، فإنكم لا تَدْعونَ أصمَّ ولا غائباً ، إنه معكم إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده**) [(٤)].

---

(١) سورة آل عمران الآية (٢٩)

(٢) هو محمد بن نصر المروزي، أبو عبد الله الحافظ، شيخ الإسلام، إمام عصره بلا مدافعة في الحديث، ولد سنة ٢٠٢هــ، وتوفي سنة ٢٩٤هــ، من مؤلفاته: تعظيم قدر الصلاة، ورفع اليدين. انظر : السير، ٣٣/١٤.

(٣) تعظيم قدر الصلاة ٨٢٦/٢ /تحقيق : د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي/مكتبة الدار – المدينة المنورة /الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هــ .

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٧

وقد قال ابن القيم في النونية معبراً عن هذا المعنى :

وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان

ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان

والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والداني.(١)

فالمُؤمن المُوحِد يُراقب ربّه في سره وعلانيته ؛ لعلمه أن ربّه يسمعه من فوق عرشه وأنه عليمٌ بسره ونجواه قال تعالى :﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾(٢).

قال الشيخ السعدي رحمه الله : «﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ ﴾بجهلهم وظلمهم ﴿أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ﴾ الذي لم يتكلموا به، بل هو سر في قلوبهم ﴿وَنَجْوَاهُم ۚ ﴾أي: كلامهم الخفي الذي يتناجون به، أي: فلذلك أقدموا على المعاصي، وظنوا أنها لا تبعة لها ولا مجازاة على ما خفي منها ، فرد اللّه عليهم بقوله: :﴿بَلَىٰ ﴾أي: إنا نعلم سرهم ونجواهم، ﴿وَرُسُلُنَا ﴾ الملائكة الكرام، ﴿ لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾كل ما عملوه، وسيحفظ ذلك عليهم، حتى يردوا القيامة، فيجدوا ما عملوا حاضرا، ولا يظلم ربك أحدا » (٣).

فملاحظة قرب الله له علاقة وثيقة بحفظ الجوارح ، وهذا من آثار اسم السميع .

٥ ـــ إن التعبد لله بصفة السمع؛ له أثره الطيب في حسن الخلق، وسلامةالسلوك،كما أن الغفلة عن المعرفة بهذا الباب العظيم؛ سبب رئيس في ضعف محبة الله، وخوفه، ورجائه في قلوب العباد، ومن ثم بعدهم، عن سمت العبودية، وما يتبع هذا من مظاهر السلوك غير السوي .

---

(١) نونية ابن القيم/ شرح الهراس / ٢ / ٧٩

(٢) سورة الزخرف الآية (٨٠)

(٣) تفسير السعدي / ص ٧٧٠

٦ ــ جاء في القرآن آيات؛ فيها ذكر سمع الله عند بعض الأعمال؛ وما له من الأثر في ذلك العمل ، فمن هذه الآيات :

أ ــ قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(١)]

قال الطبري رحمه الله : « قوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ : دعاءَ يوسف ـ عليه السلام ـ حين دعاه بصرف كيد النسوة عنه، ودعاءَ كل داع من خلقه ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾: بمطلبه وحاجته ، وما يصلحه ، وبحاجة جميع خلقه وما يُصْلحهم »[(٢)].

فاستحضار سمع الله، يمنع من ارتكاب الفواحش ، وهي من عمل الجوارح .

ب ــ وفي قوله تعالى : ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[(٣)].

في ختم الآية بقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ له أثر في عدم التلاعب بالوصية .

ج ــ قوله تعالى : ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾[(٤)]

قال القرطبي رحمه الله : « ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ تحذير للظالم حتى لا يظلم ، وللمظلوم حتى لا يتعدى الحد في الانتصار ».[(٥)]

فاستحضار سمع الله يمنع من الظلم والتعدي على الآخرين ، وهذا من آثاره على الجوارح .

د ــ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن

---

(١) سورة يوسف الآية (٣٤)

(٢) تفسير الطبري / ١٦ / ٩٠

(٣) سورة البقرة الآية (١٨١)

(٤) سورة النساء الآية (١٤٨)

(٥) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي / ٦ / ٤

تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[١]

قال السعدي رحمه الله : « وهذا مدح من الله لأوامره ونواهيه، لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما، لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون ».[٢]

فالذي يستحضر سمع الله تعالى لا يخون ولا يظلم والخيانة والظلم من أعمال الجوارح

هـــ ـــ قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[٣]

قال ابن كثير رحمه الله: «أي لا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى عليّ من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي » [٤].

فمن أثر هذه الآية النصرة ،والتأييد ، والحفظ ، والإقدام على فعل الخير ، لا تأخذه في الله لوم تلائم، وهذا كله من آثار صفة السمع على العبد المؤمن .

هذا ما تيسر ذكره من الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال الجوارح .

وكل ما ذكر من آثار، وتأملات في هذه الصفة العظيمة،إنما هو قطرة من بحر، وزهرة من بستان، فلو سودت الدفاتر والأوراق كلها، ما أدركت جميع ما في هذه الصفة من الأسرار والمعاني، وهكذا كل اسم من أسماء الله تعالى، أو صفة من صفاته، وإنما هي فتوحات يفتح الله بها لكل عبد بحسبه، أسأل الله بمنه وكرمه أن يفتح علينا ، وأن يلهمنا فهم أسمائه وصفاته ، ويوفقنا للعمل بمقتضاهما ، إنه سميع قريب مجيب .

---

(١) سورة النساء الآية (٥٨)

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ص ١٨٣

(٣) سورة طه الآية (٤٦)

(٤) تفسير ابن كثير / ٣ / ١٨٩

الفصل الرابع:

العقائد المنحرفة في صفة السمع لله عزوجل والرد على المخالفين

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : العقائد المنحرفة في اسم السميع لله عزوجل والرد عليهم .

المبحث الثاني :العقائد المنحرفة في صفة السمع لله عزوجل والرد على المخالفين.

المبحث الأول :

العقائد المنحرفة في اسم الله السميع والرد على المخالفين.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الانحرافات لدى من أنكره بالكلية والرد على المخالفين:

أول من عُرفَ عنه إنكار الأسماء الحسنى : بعضُ مشركي العرب، الذين أنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ**﴾[1].

وسببُ نزول هذه الآية: أنَّ قريشًا لما سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن؛ أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿**وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ**﴾.

ذكر ابن جرير ــ رحمه الله ــ « **أن ذلك كان في صلح الحديبية؛ حين كتب الكاتبُ في قضية الصلح الذي جرى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم" فقالت قريش: أما الرحمن فلا نَعرفهُ** ».[2]

جاء عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قوله : « **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ساجدًا يقول: "يا رحمن يا رحيم" فقال المشركون: هذا يَزعمُ أنه يدعو واحدًا، وهو يدعو مثنى.** فأنزل الله: ﴿**قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ**﴾[3][4]».

---

(١) سورة الرعد الآية (٣٠).

(٢) تفسير الطبري / ١٦ / ٤٤٦

(٣) سورة الإسراء الآية (١١٠)

(٤) تفسير الطبري / ١٧ / ٥٨٠

وقال تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾(١) .

فهؤلاء المشركون هُم سلف ، لكل من نفى عن الله ما أثبتَهُ لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من أسماء الله وصفاته. وبئسَ السلف لبئس الخلف.

أما في الإسلام فأول ظهور له من الجهمية(٢)، ثم الفلاسفة(٣)، سواء كانوا أصحاب فلسفة محضة، كالفارابي(٤)، أو فلسفة باطنية

---

(١) سورة الفرقان الآية (٦٠)

(٢) الجهمية : هم أتباع جهم بن صفوان الذي امتنع من وصف الله بأنه شيء، أو حي، أو عالم، فقال أيضا بالإجبار إلى الأعمال، وأنه لا فعل ولا عمل لأحد غير الله.، أخذ مذهبه من الجعد بن درهم وأخذه الجعد عن أبان بن سمعان وأخذه أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم عن لبيد اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم . انظر : الفرق بين الفرق / ص ١٩٩ / دار الآفاق الجديدة – بيروت / ط٥ ، والملل والنحل / الشهرستاني / ١ /٦١ـــ٦٢ /تحقيق : أبوعبدالله السعيد المندوه/مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ،ط١عام ١٤١٥هــ .

(٣) الفلسفة : أصلها كلمة يونانية مركبة من كلمتين:(فيلو- سوفيا) (فيلو) بمعنى: محب و(سوفيا) بمعنى الحكمة ،والفلاسفة مذهبهم : أن العالم قديم وعلته مؤثرة بالإيجاب ، وليست فاعلة بالاختيار ، وأكثرهم ينكرون علم الله ، وينكرون الأجساد ، وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه . انظر: الملل والنحل:/٢/٤٩ ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / ص ١٤٥ ـــ ١٤٦ / مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة. ، وإغاثة اللهفان ٢/٢٧٥ ـــ ٢٧٦ ، المعجم الفلسفي/ د. جميل صليبا ٢/١٦٠ / دار الكتاب اللبناني، بيروت، مكتبة المدرسة، بيروت.

(٤) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ابن أوزلع التركي، الفارابي، الفيلسوف المنطقي، ولـد سنة ٢٥٧هـ، وتوفي سنة ٣٣٩هـ، يسمى المعلم الثاني، كما أن أرسطو هو المعلم الأول، له تصانيف مشهورة من ابتغى الهدى منها ضل وحار، منها تخرج ابن سينا، نسأل الله العافيـة. انظر : السير، ١٥/٤١٦-٤١٨.

إسماعيلية قرمطية [١]، كابن سينا[٢]، أو فلسفة صوفية اتحادية، كابن عربي[٣] وابن سبعين[٤] وغيرهم.

ومما يدل على هذه العقيدة من أقوالهم :

أما الجهمية فلم يكن لهم كتب موجودة فننقل عن أصحاب المقالات :

---

(١) الإسماعيلية: هي إحدى فرق الشيعة الباطنية تنسب إلى محمد إسماعيل بن جعفر، زعموا أن السر المكتوم آل إليه، وزعموا أن الظاهر من نصوص الوحي قشور، والتأويل هو اللب، ولا يصل إلى الله إلا الخواص دون العوام ، ومن مظاهرها القرامطة وهي تنسب إلى حمدان قرمط، جحدت الشرائع، واستباحت المحرمات، وأنكرت الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.
انظر : الملل والنحل، ١/١٤٠-١٤٦، الفرق بين الفرق، ص ٢٦٦، وفضائح الباطنية، للعزالي ص ١٢-١٣/ تحقيق/ محمد علي القطب، المكتبة العصرية، بيروت، والموسوعة الميسرة، ١/٣٨١-٣٨٥، موسوعة الأديان الميسرة، لمجموعة من العلماء/١/٣٨٦-٣٩٢. دار النفائس، ط/ الأولى .

(٢) هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي الفيلسوف، كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم الذي ادعى الألوهية، من القرامطة الباطنية، ولد سنة ٣٧٠هـ، وتوفي سنة ٤٢٨هـ.
انظر : إغاثة اللهفان، ٢/٢٨٦، ومعجم المؤلفين، ١/٦١٨.

(٣) هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد، الحاتمي، الطائي المرسي، الملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، ومحي الدين، أحد كبار أئمة الإلحاد والاتحاد والزندقة، توفي سنة ٦٣٨هـ. من مؤلفاته: الفصوص، قال الذهبي: "ومن أردأ تواليفه كتاب "الفصوص"، فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة". السير، ٢٣/٤٨. وانظر : مصرع التصوف، أو "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي"، للبقاعي/تحقيق/ عبد الرحمن الوكيل، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، عام ١٤١٥هـ، والكشف عن حقيقة الصوفية، لمحمد القاسم، ص ١٤٣-١٥٢/المكتبة الإسلامية، ط/ الثانية..

(٤) عبد الحق بن إبراهيم بن سبعين الإشبيلي المرسي الفيلسوف الصوفي من الغلاة ، له مؤلفات عدة على طريقة أهل وحدة الوجود ، مات سنة : ٦٦٩هـ انظر : شذرات الذهب ٥ / ٣٢٩ ، الأعلام / ٣ / ٢٨٠

حكى الأشعري ــ رحمه الله ــ عن الجهمية مذهبهم في الصفات ــ بقوله : «ونفى الجهمية أن يكون لله تعالى وجه كما قال وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين ووافقوا النصارى لأن النصارى لم تثبت الله سميعا بصيرا إلا على معنى أنه عالم وكذلك قالت الجهمية ففي حقيقة قولهم أنهم قالوا : نقول إن الله عالم ولا نقول سميع بصير على غير معنى عالم وذلك قول النصارى... قالت الجهمية : إن الله لا علم له ولا قدرة ولا سمع له ولا بصر وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد والتكذيب بأسماء الله تعالى فأعطوا ذلك له لفظا ولم يحصلوا قولهم في المعنى ولولا أنهم خافوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم»[(١)].

وقال أيضاً : « وزعمت الجهمية أن الله تعالى لا علم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر له وأرادوا أن ينفوا أن الله تعالى عالم قادر حي سميع بصير فمنعهم خوف السيف من إظهارهم نفي ذلك فأتوا بمعناه لأنهم إذا قالوا لا علم لله ولا قدرة له فقد قالوا إنه ليس بعالم ولا قادر ووجب ذلك عليهم وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل لأن الزنادقة قد قال كثير منهم : إن الله تعالى ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير فلم تقدر المعتزلة[(٢)] أن تفصح بذلك فأتت بمعناه وقالت إن الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر »[(٣)]

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة / أبو الحسن الأشعري / ص ١٠٤ ــ ١٠٥ / تحقيق : بشير محمد عون / مكتبة المؤيد / ط ٣

(٢) أتباع واصل بن عطاء، نسب إليهم القول بإنكار القدر، ونفي الصفات والقول بخلق القرآن وهم فرق كثيرة اتفقوا على أصول خمسة وهي : التوحيد و العدل والوعد والوعيد والمترلة بين المترلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . انظر: مقالات الإسلاميين / ١ / ٢٣٥ ، و الملل والنحل (١/ ٣٥)، والفرق بين الفرق (ص: ٩٦ ــ ٩٧) ، والتنبيه والرد / الملطي / ص ٣٦

(٣) الإبانة / الأشعري / ص ١١٣ـــ ١١٤

وقال أبو الحسين الملطي[١] رحمه الله : «الجهمية وهم ثماني فرق :

منهم صنف من المعطلة يقولون إن الله لا شيء وما من شيء ولا في شيء ولا يقع عليه صفة شيء ولا معرفة شيء ولا توهم شيء ولا يعرفون الله فيما زعموا إلا بالتخمين فوقعوا عليه اسم الألوهية ولا يصفونه بصفة يقع عليه الألوهية ...

ومنهم صنف زعموا أن الله شيء وليس كالأشياء لا يقع عليه صفة ولا معرفة ولا توهم ولا نور ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا تكلم وإن القرآن مخلوق وإنه لم يكلم موسى ولا يكلم قط وإن الله خلق قولا وكلاما فوقع ذاك القول والكلام في مسامع من شاء الله من خلقه فبلغه السامع عن الله بعد ما سمعه فسمى ذلك قولا وكلاما تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا » [٢]

وقال الشهرستاني : «الجهمية أصحاب جهم بن صفوان ـــ من عقيدته ـــ قوله : لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقضي تشبيهاً فنفى كونه : حياً عالماً وأثبت كونه : قادراً فاعلاً خالقاً لأنه لا يوصف شيء من خلقه : بالقدرة والفعل والخلق » [٣] .

وقال البغدادي رحمه الله: «الجهمية أتباع جهم بن صفوان ... امتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد وقال لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء موجود وحى وعالم ومريد ونحو ذلك ووصفه بأنه قادر وموجود وفاعل وخالق

---

(١) أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي العسقلاني، الشافعي ،الفقيه ، المقرئ ، مات ٣٧٧ هـــمن آثاره: التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع. انظر :طبقات الشافعية الكبرى / السبكي / ٣ /٧٧ ، ومعجم المؤلفين / ٨ / ٢٧٥

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع / لأبي الحسين محمد الملطي / ص ٩٦ / تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري / المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة / ط ٢

(٣) الملل والنحل / ١ /٦١ .

ومحيى ومميت لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية[١] ولم يسم الله تعالى متكلما به وأكفره أصحابنا في جميع ضلالاته »[٢].

وقد حكى هذه الأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموعة من كتبه[٣]فمن أقواله:

قال رحمه الله: « ولهذا نقلوا عن جهم أنه لا يسمي الله بشيء، ونقلوا عنه أنه لا يسميه باسم من الأسماء التي يسمى بها الخلق: كالحي، والعالم، والسميع، والبصير، بل يسميه قادراً خالقاً، لأن العبد عنده ليس بقادر، إذ كان هو رأس الجهمية الجبرية[٤]».[٥]

وقال أيضاً : «وزاد الجهم في ذلك هو والغلاة – من القرامطة والفلاسفة – نحو ذلك فقالوا : وليس له اسم كالشيء والحي والعليم ونحو ذلك؛ لأنه إذا كان له اسم من هذه الأسماء لزم أن يكون متصفا بمعنى الاسم كالحياة والعلم؛ فإن صدق المشتق مستلزم

---

(١) القدرية : فرقة نشأت في أواخر القرن الأول الهجري على يد معبد الجهني بالبصرة، فهو أول من تكلم بالقدر، وأخذ عنه غيلان الدمشقي، ومن آراء هذه الفرقة أن العبد يخلق فعله وأفعال العباد مقدرة لهم على وجه الاستقلال، وقدماء هذه الفرقة ينكرون علم الله، والمتأخرون أثبتوا العلم ونازعوا في مرتبة الخلق، ومن أشهر فرق القدرية المعتزلة.
انظر: الفرق بين الفرق، ص ٩٨-٩٩، ومقالات الإسلاميين، ٢٩٨/١، والملل والنحل، ٣٧/١، ومجموع الفتاوى، ٤٢٨/٨-٤٣٠، والموسوعة الميسرة، ١١٢٤/٢-١١٢٥، والقدرية والمرجئة، د. ناصر العقل، ص ٢٢ وما بعدها.

(٢) الفرق بين الفرق / البغدادي / ص / ١٩٩

(٣) انظر : مجموع الفتاوى، ٣٥٥/٥، ١٣،١٣١، ودرء التعارض، ٣٦٧/٣، ومنهاج السنة، ٥٢٣/٢-٥٢٤، وشرح العقيدة الأصفهانية، ص ٧٧، والنبوات، ٥٧٨/١.

(٤) الجبرية: أحدى الفرق الكلامية التي تقول بالجبر وهو أن العباد مجبورون على أعمالهم، وأول من قال بهذه المقالة هو الجعد بن درهم وأظهرها تلميذه الجهم بن صفوان، ولذلك فإن الجهمية أول من حمل لواء هذه الدعوة. انظر : الملل والنحل، ٦١/١، ومجموع الفتاوى، ٤٦٠/٨، الموسوعة الميسرة، ١٠٤٥/٢-١٠٤٦.

(٥) درء تعارض العقل والنقل (١٨٧/٥)، مجموع الفتاوى (٤٦٠/٨).

لصدق المشتق منه؛ وذلك يقتضي قيام الصفات به وذلك محال؛ ولأنه إذا سمي بهذه الأسماء فهي مما يسمى به غيره . والله متره عن مشابهة الغير . وزاد آخرون بالغلو فقالوا : لا يسمى بإثبات ولا نفي ولا يقال : موجود ولا لا موجود ولا حي ولا لا حي؛ لأن في الإثبات تشبيها له بالموجودات وفي النفي تشبها له بالمعدومات وكل ذلك تشبيه» .[1]

وقال أيضاً : « وكذلكَ الجهميَّة عَلَى ثَلَاث دَرَجات فَشرُّها الْغَالية الَّذين ينفونَ أَسماء اللَّه وَصِفَاته وَإِنْ سَمُّوه بِشَيْء مِنْ أَسْمَائه الْحُسْنَى قَالُوا: هُوَ مَجَاز فَهُو فِي الْحَقِيقَة عِنْدهم لَيْس بِحَيٍّ وَلَا عَالِم وَلَا قَادِر وَلَا سَمِيع وَلَا بَصِير وَلَا مُتَكَلِّم وَلَا يَتَكَلَّم » [2].

كما نص على ذلك ابن القيم ــ رحمه الله ــ حيث قال: «اختلف النظار في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد، كالحي والسميع والبصير والعليم والقدير والملك ونحوها، فقالت طائفة من المتكلمين: هي حقيقة في العبد، مجاز في الرب، وهذا قول غلاة الجهمية، وهو أخبث الأقوال وأشدها فسادا » [3].

أما أقوال الفلاسفة في إنكار أسماء الله الحسنى ومنها اسم السميع :

قال ابن سينا : « أن واجب الوجود واحد ، بحسب تعين ذاته وأن واجب الوجود لا يقال على كثرة أصلا. ..لو التأم ذات واجب الوجوب من شيئين ، أو أشياء تجتمع ، لوجب بها ، ولكان الواحد منها ، أو كل واحد منها ، قبل واجب الوجود ، ومقوماً لواجب الوجود فواجب الوجود لا ينقسم في المعنى ولا في الكم »[4].

---

(١) مجموع الفتاوى / ٦ / ٣٥

(٢) الفتاوى الكبرى / ابن تيمية/ ٣٧٠/٦/المحقق : محمد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا/ دار الكتب العلمية/الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ

(٣) بدائع الفوائد / ابن القيم الجوزية / ١ / ١٧٢

(٤) الإشارات والتنبيهات / ابن سينا / مع شرح نصير الدين الطوسي / ٣ / ٤٤ / تحقيق د : سليمان دنيا / دار المعارف / ط : ٣

وقال ابن سبعين : « وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به ، ولا تبال ، وأي شيء يخطر ببالك سمه به، ومن اسمه الموجود كيف يخصص بأسماء منحصرة ، هيهات ، الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض ، فإن قلت : نسميه بما يسمي به نفسه أو نبيه يقال لك : من سمى نفسه الله قال لك : أنا كل شيء ، وجميع من تنادي أنا هو »[(١)]

ويقول الجيلي [(٢)] : « " الذات الإلهية " عبارة عن الوجود المطلق ، بسقوط جميع الاعتبارات ، والإضافات ، والوجوهات ، ...هذا الوجود المطلق هو الذات الساذجة الذي لا ظهور فيه لاسم ، ولا نعت ، ولا نسبة ولا إضافة .. »[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «فالقرامطة الذين قالوا لا يوصف بأنه حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، بل قالوا لا يوصف بالإيجاب ولا بالسلب، فلا يقال حي عالم ولا يقال ليس بحي عالم، ولا يقال هو عليم قدير، ولا يقال ليس بقدير عليم، ولا يقال هو متكلم مريد، ولا يقال ليس بمتكلم مريد قالوا: لأن في الإثبات تشبيها بما تثبت له هذه الصفات، وفي النفي تشبيه له بما ينفى عنه هذه الصفات »[(٤)] .

---

(١) رسائل ابن سبعين / عبدالحق بن سبعين / ص ١٨ ٤ / تحقيق عبدالرحن بدوي / الدار المصرية نقلاً عن عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية / د : أحمد القصير / ص ٤٢٦ ــ ٤٢٧ / مكتبة الرشد / ط١ .

(٢) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني ، من علماء المتصوفين ،له كتب كثيرة، منها " الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل " مات سنة ٨٣٢ هــ انظر : الأعلام / للزركلي / ٤/ ٥٠ ، معجم المؤلفين / ٥ / ٣١٣ .

(٣) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل / عبدالكريم الجيلي/ ٧٦ / تحقيق : فاتن محمد خليل / موسسة التأريخ العربي / بيروت / ط ١ .

(٤) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٧٦.، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى/ د . محمد بن خليفة التميمي ص ١٦/أضواء السلف.

وقال أيضاً : « ومنهم من يقول : نحن لا نقول ليس بموجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت، فلا ننفي النقيضين، بل نسكت عن هذا وهذا، فنمتنع عن كل من المتناقضين، لا نحكم لا بهذا ولا بهذا، فلا نقول: ليس بموجود ولا معدوم، ولكن لا نقول: هو موجود، ولا نقول هو معدوم.

ومن الناس من يحكي نحو هذا عن الحلاج[١]، وحقيقة هذا القول هو الجهل البسيط والكفر البسيط، الذي مضمونه الإعراض عن الإقرار بالله ومعرفته وحبه وذكره وعبادته ودعائه».[٢]

وقال أيضاً : « ومنهم من يقول بتصويب كل واحد من القائلين للأقوال المتناقضة، كما يقوله من يقوله من أصحاب الوحدة، كابن عربي ونحوه الذي يقول بأن كل من اعتقد في الله عقيدة فهو مصيب فيها، حتى قال:

عقدالخلائق في الإله عقائدا وأنا أعتقدت جميع ما عقدوه[٣]

فأصحاب وحدة الوجود يعطون أسماءه سبحانه لكل شيء في الوجود، إذ كان وجود الأشياء عندهم هو عين وجوده ما ثمت فرق إلا بالإطلاق والتقييد ». [٤]

---

(١) هو الحسين بن منصور بن محمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو مغيث،تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لسوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال، وانتحلوه وروجوا به على الجهال. قتل ببغداد بباب الطاق سنة ٣٠٩ هـ انظر : طبقات الصوفية / الأزدي / ص ٢٣٦/تحقيق مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية ، السير / ١٤ / ٣١٣ وما بعدها ، الأعلام / ٢ / ٢٦٠

(٢) الصفدية / شيخ الإسلام ابن تيمية / ١/ ٩٦- ٩٨ / تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ

(٣) الفتوحات المكية / ابن عربي / ٣ / ١٣٢ / دار الكتب العربية / مصر

(٤) مجموع الفتاوى / ٢ / ٩٨ ، و الصفدية ١/ ٩٨- ٩٩

وقال أيضاً : « وغاية ما عندهم في الإثبات قولهم هو (وجود مطلق) أي وجود خيالي في الذهن، أو وجود مقيد بالأمور السلبية، وقالوا: لا نقول موجود ولا معدوم، أو قالوا: هو لا موجود ولا معدوم» .(١)

وقال أيضاً : « أما منكرو أسماء الله تعالى بألفاظها ومعانيها فهم الملاحدة وهؤلاء لم يعرفوا وجود الله، فكيف يعرفون أسماءه. ووافقهم على ذلك غلاة الفلاسفة والقرامطة. وهذا كما هو واضح تكذيب صريح لكتاب الله تعالى فهو كفر واضح ».(٢)

من خلال أقوالهم يتبين لنا إنكارهم وتعطيلهم لأسماء الله الحسنى، ومن ضمنها اسم السميع .

ولهؤلاء المعطلة في تعطيلهم لأسماء الله عدة شبهات من ذلك :

١ ـــ دعوى تنزية الله تعالى، والفرار من التشبية، وذلك أنه إذا سمي بهذه الأسماء فهي مما يسمى به غيره، والله منزه عن مشابهة الغير.(٣)

٢ ـــ وادعوا أن أسماء الله غير الله ، وأنها مستعارة مخلوقة ، كما أنه قد يكون شخص بلا اسم ، فتسميته لا تزيد في الشخص ، ولاتنقص . (٤)

٣ ـــ دعوى المجاز في النصوص التي ورد فيها إثبات أسماء الله الحسنى .

٤ ـــ إن الإثبات يستلزم تشبيهه بالموجودات ، ووصفه بالنفي يستلزم تشبيهه

---

(١) الصفدية ١/١١٦- ١١٧

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية٦/٢٠٩، والرسالة التدمرية له ص: ٦٣.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٦/ ٣٥، ٣/١٠٠، ودرء تعارض العقل والنقل ٣/ ٣٦٧، وكتاب الصفدية ١/٨٨- ٨٩، ٩٦- ٩٧.

(٤)نقض الإمام عثمان بن سعيد / الدارمي /١ / ١٥٨ /تحقيق : د.رشيد بن حسن الألمعي /مكتبة الرشد - الرياض ط١

بالمعدومات .[١]

هذه أقوى الشبه التي تمسكوا بها .

الرد عليهم بنقض هذه الشبهات :

الشبهة الأولى : " دعوى تتزية الله تعالى والفرار من التشبية "

جوابه: أن المعاني التي تلزم من إثبات الأسماء صفات لائقة بالله تعالى غير مستحيلة عليه، والمشاركة في الاسم أو الصفة لا تستلزم تماثل المسميات والموصوفات.

وقد رد هذه الشبهة وبين فسادها جمع من العلماء منهم :

أبو بكر ابن خزيمة رحمه الله حيث قال : « وذلك أنهم وجدوا في القرآن أن الله قد أوقع أسماء من أسماء صفاته على بعض خلقه فتوهموا ـــ لجهلهم بالعلم ـــ أن من وصف الله بتلك الصفة التي وصف الله بها نفسه قد شبهه بخلقه فاسمعوا ـــ يا ذوي الحجا ـــ ما أبين من جهل هؤلاء المعطلة».

أقول وجدت الله وصف نفسه في غير موضع من كتابه فأعلم عباده المؤمنين أنه سميع بصير فقال : « ﴿**وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾[٢] وعلمنا جل وعلا أنه يرى فقال : ﴿**وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ**﴾[٣] وقال لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿**إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ**﴾[٤] فأعلم عز وجل أنه يرى أعمال بني آدم...نحن نقول أن الله سميع بصير كما أعلمنا خالقنا وبارؤنا ونقول من له سمع وبصر من بني آدم فهو سميع بصير ولا نقول أن هذا تشبيه المخلوق بالخالق... فأما احتجاج الجهمية على أهل السنة

---

(١) انظر التدمرية / ابن تيمية / ص ٦٣ .

(٢) سورة الشورى الآية (١١) .

(٣) سورة التوبة الآية (١٠٥) .

(٤) سورة طه الآية (٤٦) .

والآثار في هذا النحو بقوله :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فمن القائل إن لخالقنا مثلاً أوإن له شبيهًا وهذا من التمويه على الرعاع والسفل ويموهون بمثل هذا على الجهال يوهمونهم أن من وصف الله بما وصف به نفسه في محكم تنزيله أو على لسان نبيه فقد شبه الخالق بالمخلوق وكيف يكون ياذوي الحجا خلقه مثله »[1].

قال أيضاً : «وتدبروا ـــ أيها العلماء ومقتبسو العلم مخاطبة خليل الرحمن أباه وتوبيخه إياه لعبادته من كان يعبد تعقلوا توفيق خالقنا جل وعلا صحة مذهبنا وبطلان مذهب مخالفينا من الجهمية المعطلة».

قال خليل الرحمن ـــ صلوات الله وسلامه عليه لأبيه « ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾[2]أفليس من المحال ـــ يا ذوي الحجا أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر لم تعبد ما لا تسمع ولا يبصر ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان أيضًا فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة عز ربنا وجل عن أن يكون غير سميع ولا بصير فهو كعابد الأوثان والأصنام لا يسمع ولا يبصر أو كعابد الأنعام ألم يسمعوا قول خالقنا وبارئنا ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[3]فأعلمنا عز وجل أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ».[4]

قال الأصفهاني رحمه الله: « فتوهم الجهمية لجهلهم بالعلم أن من وصف الله بالصفة التي وصف بها نفسه ، وقد أوقع اسم تلك الصفة على بعض خلقه فقد شبهه

(١) كتاب التوحيد / ابن خزيمة / ١ /٥٨ ـــ ٦٥

(٢) سورة مريم الآية (٢٤)

(٣) سورة الفرقان الآية (٤٣،٤٤)

(٤) التوحيد لابن خزيمة / ١ / ١٠٩ ـــ ١١٠

بخلقه ، وقال عز وجل : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أخبر أنه سميع بصير ، وذكر أنه جعل الإنسان بصيراً ، قال عز وجل ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[١] وسمى نفسه حليماً وسمى خليله حليماً فقال : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[٢] وسمى نفسه رؤوفاً رحيماً وقال في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣] . فإن كان علماء الآثار الذين يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه على زعم الجهمية ، فكل أهل القبلة إذا قرأوا كتاب الله فآمنوا به بإقرار اللسان وتصديق القلب ، وسموا الله عز وجل بهذه الأسامي ، وسموا المخلوقين بها ، فجميع أهل التوحيد مشبهة » .[٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والتحقيق أن التجهم المحض– وهو نفي الأسماء والصفات، كما يحكى عن جهم والغالية من الملاحدة ونحوهم، من نفي الأسماء الحسنى– كفر بين مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم».[٥]

وقال القرطبي : قال إسحاق بن إبراهيم : إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو مثل يد أو سمع كسمع أو مثل سمع فإذا قال سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه وأما إذا قال لله تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول كيد ولا مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيها وهو كما قال سبحانه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٦] .[٧]

من خلال هذا النقل يتبين بطلان هذه الشبهة .

---

(١) سورة الإنسان الآية (٢) .
(٢) سورة التوبة الآية (١١٤).
(٣) سورة التوبة الآية (١٢٨).
(٤) الحجة في بيان المحجة / ١ /٢٠٣.
(٥) النبوات ص ١٩٨.
(٦) سورة الشورى الآية (١١) .
(٧) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشبهات / مرعي بن يوسف المقدسي /ص ١٣٩ /تحقيق : شعيب الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة / ط١.

أما الشبهة الثانية :وهي دعوى أن أسماء الله غير الله ، وأنها مستعارة مخلوقة ،

هذه دعوى باطلة مخالفة للكتاب والسنة ولإجماع سلف الأمة وقد بين بطلانها جمع من الأئمة

قال الدارمي رحمه الله : «باب الإيمان بأسماء الله وأنها غير مخلوقة»

ثم اعترض المعارض أسماء الله المقدسة فذهب في تأويلها مذهب إمامه المريسي(١) فادعى أن أسماء الله غير الله وأنها مستعارة مخلوقة كما أنه قد يكون شخص بلا اسم فتسميته لا تزيد في الشخص ولا تنقص يعني أن الله كان مجهولا كشخص مجهول لا يهتدى لاسمه ولا يدرى ما هو حتى خلق الخلق فابتدعوا له أسماء من مخلوق كلامهم فأعاروها إياه من غير أن يعرف له اسم قبل الخلق .

ومن ادعى هذا التأويل فقد نسب الله تعالى إلى العجز والوهن والضرورة والحاجة إلى الخلق لأن المستعير محتاج مضطر والمعير أبدا أعلى منه وأغنى ففي هذه الدعوى استجهال الخالق إذ كان بزعمه هملا لا يدرى ما اسمه وما هو وما صفته والله المتعالي عن هذا الوصف ».(٢)

وممن نص على أن الأسماء الحسنى من كلام الله شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه قال :

---

(١) بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي، العدوي بالولاء ، البغدادي ، المريسي ، المتكلم ، المناظر ، جرد القول بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم، وكفره عدة، و لم يدرك جهم بن صفوان، بل تلقف مقالاته من أتباعه ، وكان مرجئا وإليه تنسب الطائفة المريسية ، وصنف كتابا في التوحيد، وكتاب " الإرجاء " وغير ذلك ، مات سنة ٢١٨ هـ . انظر : السير : ١٠ / ٢٠١ ، والوافي بالوفيات / الصفدي / ١٠ / ٩٤ / تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى / دار إحياء التراث / بيروت .

(٢) النقض على بشر / ١ / ١٥٨

«والذي كان معروفاً عند أئمة السنة أحمد وغيره : الإنكار على الجهمية الذين يقولون : أسماء الله مخلوقة فيقولون : الاسم غير المسمى ، وأسماء الله غيره ، وما كان غيره فهو مخلوق ، وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول ، لأن أسماء الله من كلامه ، وكلام الله غير مخلوق ، بل هو المتكلم به ، وهو المسمي لنفسه بما فيه من الأسماء ».[١]

وعلى أن الأسماء الحسنى غير مخلوقة مضى جماعة العلماء وأئمة السنة كالشافعي وأحمد وغيرهم :

قال الإمام الشافعي : « من حلف باسم من أسماء الله فحنث فعليه الكفارة لأن اسم الله غير مخلوق »[٢].

وقال ابن هانئ[٣] : « سمعت أحمد بن حنبل – وهو مختف عندي – فسألته عن القرآن فقال : من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر ».[٤]

وقد صرح الأئمة بتكفير من قال بخلق الأسماء الحسنى وذلك لما ظهرت بدع الجهمية في القول بخلق القرآن فكان قولهم بخلق الأسماء امتداداً لقولهم بخلق القرآن ، لأنهما من كلام الله تعالى .

وفي هذا المعنى يقول الإمام الدارمي رحمه الله : « فهذا الذي ادعوا في أسماء الله أصل كبير من أصول الجهمية التي بنوا عليها محنهم وأسسوا بها ضلالتهم» وقال قبلها :

---

(١) مجموع الفتاوى / ٦ / ١٧٥ ـــ ١٧٦ .

(٢) ذكره البيهقي في السنن الكبرى / ١٠ /٢٨ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة /٢/ ٢٣٦ .

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري ، ولد سنة ٢١٨هـــ ومات سنة ٢٧٥هـــ، وهو من أصحاب الإمام أحمد له عنه سؤالات وقد طبعت . انظر : طبقات الحنابلة / للقاضي أبي يعلى / ١ / ١٠٨ /دار المعرفة بيروت ، وسير أعلام النبلاء / ١٣ /١٩ .

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة / ٢ / ٢٣٩ ـــ ٢٤٠ .

«وقد كان لإمامه المريسي في أسماء الله مذهب كمذهبه في القرآن كان القرآن عنده مخلوقاً من قول البشر لم يتكلم الله بحرف منه» (١)

وقال الإمام إسحاق بن راهوية(٢) : « أفضوا (– أي الجهمية–) إلى أن قالوا : أسماء الله مخلوقة لأنه كان ولا اسم وهذا الكفر المحض » . (٣)

ومن خلال هذه النقول من الأئمة يتبين بطلان هذه الشبهة.

الشبهة الثالثة : دعوى المجاز في النصوص التي ورد فيها إثبات أسماء الله الحسنى

وقال الحافظ ابن عبدالبر : « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا المجاز » (٤)

وقد عقد الإمام ابن القيم رحمه الله : «فصل في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز» (٥) ثم شرع في إبطاله بما يزيد على خمسين وجهاً وفيها الغنية والكفاية لكل طالب للحق .

ومن الشبه أيضاً : قولهم: «إن الإثبات يستلزم تشبيهه بالموجودات»:

وجوابه: أن النفي الذي قالوا به يستلزم تشبيهه بالمعدومات على قياس قولهم،

---

(١) النقض على بشر /١ / ١٦٤ــ ١٦٦

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ،المروزي، نزيل نيسابور. الإمام ، المحدث الكبير ، شيخ المشرق ،سيد الحفاظ، ولد سنة ١٦١هــ ومات سنة ٢٣٨هـــوهو إمام في السنة . انظر : سير أعلام النبلاء / ١١ / ٣٥٨ ، وتقريب التهذيب / ابن حجر / ص ٩٩/ تحقيق : محمد عوَّامة طبعة دار الرشيد بحلب الطبعة الأولى ١٤٠٦هــ

(٣) أخرجه عنه اللالكائي في شرح السنة / ٢ /٢٤٠

(٤) التمهيد / ابن عبد البر / ٣ /٣٥١ / تحقيق : محمد عبدالقادر عطا / دار الكتب العلمية / بيروت /ط ١

(٥) مختصر الصواعق / ٢ / ٧٠٠ وما بعدها .

وذلك أقبح من تشبيهه بالموجودات، وحينئذ فإما أن يقروا بالإثبات فيوافقوا الجماعة، وإما أن ينكروا النفي كما أنكروا الإثبات فيوافقوا غلاة الغلاة من القرامطة والباطنية وغيرهم.وأما التفريق بين هذا وهذا فتناقض ظاهر.[١]

وأما الموجود المطلق بشرط الإطلاق لا وجود له في الخارج المحسوس، وإنما هو أمر يفرضه الذهن ولا وجود له في الحقيقة، فتكون حقيقة القول به نفي وجود الله تعالى إلا في الذهن، وهذا غاية التعطيل والكفر.[٢]

ومما يدل على بطلان قول المعطلة : أن إنكارهم لأسماء الله يدخل في شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك .

قال الشيخ سليمان آل الشيخ[٣] : «الشرك في الربوبية وهو نوعان أحدهما : شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤]ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدومًا أصلاً، بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها، يسمونها: العقول، والنفوس».

ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود، كابن عربي، وابن سبعين، والعفيف

---

(١) تقريب التدمرية / الشيخ ابن عثيمين / ص٣٤ / دار الوطن / الرياض / ١٤٢٤هـ.

(٢) نفس المصدر ص ٣٣ .

(٣) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، من آل الشيخ: فقيه من أهل نجد، كان بارعا في التفسير والحديث والفقه ، قتله إبراهيم (باشا) ابن محمد علي، بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها ، سنة ١٢٣٣ه له (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد) و(أوثق عرى الايمان). انظر : مشاهير علماء نجد وغيرهم/عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ / ١ / ٢٤ / دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر/ ط ١ ، الأعلام / ٣ / ١٢٩،

(٤) سورة الشعراء الآية (٢٣)

التلمساني[١]، وابن الفارض[٢]، ونحوهم من الملاحدة الذين كسوا الإلحاد حلية الإسلام، ومزجوه بشيء من الحق، حتى راج أمرهم على خفافيش البصائر.

ومن هذا شرك من عطّل أسماء الرب وأوصافه، من غلاة الجهمية، والقرامطة.[٣]

وقال أيضاً : عند باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات و قوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾[٤]،«ومطابقة الآية للترجمة ظاهرة لأن الله تعالى سمى جحود اسم من أسمائه كفرا فدل على أن جحود شيء من أسماء الله وصفاته كفر فمن جحد شيئا من أسماء الله وصفاته من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة ونحوهم فله نصيب من الكفر بقدر ما جحد من الاسم أو الصفة »[٥].

---

(١) عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني ، أحد زنادقة الصوفية القائلين بالوحدة المطلقة ، كان يتبع طريقة ابن عربي في أقواله وأفعاله ، ويميل إلى مذهب النصيرية ، له مصنفات كثيرة منها : شرح الفصوص لابن عربي ، ولد سنة ٦١٠هـ ومات بدمشق سنة ٦٩٠هـ انظر : شذرات الذهب / ٥ / ٤١١ ، الأعلام / ٣ / ١٣٠

(٢) عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الاصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص ابن الفارض: فيلسوف وشاعر من غلاة المتصوفين،في شعرة فلسفة تتصل بوحدة الوجود ، له التائية المشهورة ولد سنة ٥٧٦هـ ومات سنة ٦٣٢هـ انظر : شذرات الذهب / ٥ /١٤٩ ، الأعلام / ٥ / ٥٥

(٣) تيسير العزيز الحميد / سليمان بن عبد الله آل الشيخ / ص ٢٧ / مكتبة الرياض الحديثة – الرياض

(٤) سورة الرعد آية: ٣٠.

(٥) تيسير العزيز الحميد ص ٥١١ ــ ٥١٢

المطلب الثاني : الانحرافات لدى من أثبته مجرداً عن الصفة والرد على المخالفين:

إثبات الأسماء لله تعالى مجردة عن الصفات:هذا قول المعتزلة، ووافقهم عليه ابن حزم الظاهري. والزيدية(١)، ومتأخّرو الرافضة الإمامية(٢)، والإباضية(٣).

وإليك شيئاً من أقوالهم :

فالمعتزلة مجمعون على تسمية الله بالاسم، ونفي الصفة عنه، وقد نص على الإجماع ابن المرتضى المعتزلي(٤) حيث قال : « فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثا قديما قادرا

---

(١) الزيدية من فرق الشيعة : يجمعها القول بإمامة زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب وتفضيل على بن ابى طالب على سائر اصحاب رسول الله ،ويرون خلود أصحاب الكبائر في النار، وهم ثلاث فرق رئيسة : الجارودية ، والسليمانية ، والبترية . انظر : مقالات الإسلاميين / الأشعري / ١ / ٦٥ ، الفر ق بين الفرق / ص ٣٠ ، الملل والنحل / الشهرستاني / ١ / ١١٢

(٢) الرافضة الإمامية من فرق الشيعة : سموا بذلك لقولهم بإمامة اثنتي عشر إماماً من علي رضي الله عنه وولده . وهم فرق عدة يجمعهم : القول بعصمة الأئمة ، وإنكار خلافة الثلاثة ، وإمامة علي بالنص ، والطعن في الصحابة وغيرها . انظر : مقالات الإسلاميين / ١ / ٨٨ ، والفرق بين الفرق / ص ٣١ ، والملل والنحل / ١ / ١٢٣.

(٣) الإباضية نسبة إلى عبدالله بن أباض ، من فرق الخوارج التي لا يزال لها وجود إلى الآن ، يرون أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة ، وهو في الآخرة مخلد في النار ، وأن مخالفيهم كفار ليسوا مؤمنين ولا مشركين ، وهم فرق عدة . انظر : مقالات الإسلاميين / ١ / ١٨٣ ، والفرق بين الفرق / ص ١٠٣ ، والملل والنحل / ١ / ٩٨

(٤) أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسني ، الملقب بالامام المهدى ، من أئمة الزيدية باليمن ، معتزلي صاحب تصانيف ففى أصول الدين نكت الفرائد فى معرفة الملك الواحد والقلائد وشرحها الدرر الفرائد والملل وشرحها الأمنية والأمل ، وغيرها ، مات سنة ٨٤٠ هـ . انظر : البدر الطالع / ١ / ١١٥ ـ ١١٦ ، الأعلام / ١ / ٢٦٩

عالما حيا لا لمعان.. »[١] .

يقول القاضي عبد الجبار[٢] في معنى قوله تعالى : « ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٣] ...فعند شيوخنا البصريين أن الله تعالى ـــ سميع بصير مدرك للمدركات وأن كونه مدركاً صفة زائدة على كونه حياً وأما عند مشايخنا البغداديين ، هو أنه تعالى مدرك للمدركات على معنى أنه عالم بها ، وليس له بكونه مدركاً صفة» [٤]

قال الأشعري : «فقال أكثر المعتزلة والخوارج وكثير من المرجئة وبعض الزيدية:إن الله عالم قادر حي بنفسه لا بعلم وقدرة وحياة وأطلقوا أن لله علماً بمعنى:أنه عالم وله قدرة بمعنى أنه قادر، و لم يطلقوا ذلك على الحياة، و لم يقولوا: له حياة، ولا قالوا: سمع ولا بصر، وإنما قالوا: قوة وعلم؛ لأن الله سبحانه أطلق ذلك ، ومنهم من قال: له علم بمعنى معلوم، وله قدرة بمعنى مقدور، و لم يطلقوا غير ذلك ، وقال أبو الهذيل[٥]: هو عالم بعلم هو هو، وهو قادر بقدرة هي هو، وهو حي بحياة هي هو، وكذلك قال : في سمعه

---

(١) باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل، في شرح كتاب الملل والنحل / لأحمد بن يحيى بن المرتضى ص ٦، ط: دار المعارف حيدر آباد ، شرح الأصول الخمسة ص ١٥١ للقاضي عبد الجبار، مقالات الإسلاميين ص ١٦٤- ١٦٥.

(٢) القاضي عبد الجبار ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، العلامة المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني ، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية ، مات سنة ٤١٥هـــ انظر: السير /١٧/ ٢٤٥ ،الوافي بالوفيات / الصفدي /١٨/ ٢٠ /

(٣) سورة الحج الآية (٦١) .

(٤) شرح الأصول الخمسة / القاضي عبدالجبار / ص ١٦٨ / تحقيق : د . عبدالكريم عثمان

(٥) محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف،رأس المعتزلة، اشتهر بعلم الكلام وكان خبيث القول فارق إجماع المسلمين، له كتب كثيرة ، منها كتاب سماه (ميلاس) على اسم مجوسي أسلم على يده ، ولد سنة ١٣٥هـــ وتوفى بسامرا سنة ٢٣٥هـــ انظر : السير / ١١ / ١٧٣ ، الأعلام / ٧ / ١٣١.

وبصره وقدمه وعزته وعظمته » [(١)].

قال الباقلاني[(٢)] : « وزعم البغداديون منهم: أن الله تعالى ليس بسميع ولا بصير، وإنما يوصف بأنه يسمع الأصوات، ويبصر الأشخاص، على معنى أنه يعلم ذلك، لا مزية له في هذين الوصفين؛ على الضرير والأصم الذي لا يسمع ولا يبصر » [(٣)].

أما ابن حزم فقد وافق المعتزلة في ذلك فهو يرى: أن الأسماء الحسنى كالحي، والعليم، والقدير،والسميع؛ بمنزلة أسماء الأعلام لا تدل على حياة ولا علم، ولا قدرة،ولا سمع ، ولكن سميع بذاته بصير بذاته قال : « وبذلك نقول ولا يجوز إطلاق سمع ولا بصر حيث لم يأت به نص».[(٤)]

أما الزيدية من الشيعة فقد وافقوا المعتزلة في مذهبهم ، ومن أئمتهم ابن المرتضى نقل إجماع قول المعتزلة وهو زيدي معتزلي [(٥)]

أما الرافضة الإمامية؛ فقد نص جمع من أئمتهم على موافقة عقيدة المعتزلة في الأسماء والصفات، فقد روى ابن بابوية[(٦)] أكثر من سبعين رواية تقول أنه تعالى : «لا يوصف

---

(١) مقالات الإسلاميين / ١ / ١٦٤ــ ١٦٥

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، البصري، البغدادي، ابن الباقلاني، الإمام العلامة أوحد المتكلمين، مقدم الأصوليين، مات سنة ٤٠٣هــ، من مصنفاته: تمهيد الأوائل. انظر: السير، ١٩٠/١٧.

(٣)كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل – الباقلاني / / ص ٢٨٧ / تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر / مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت / الطبعة

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم / ٢ / ٣١٠ ، ٣٢٦ ، دار الجيل بيروت .

(٥) من كتبه : كتاب القلائد في تصحيح العقائد / نص على هذه العقيدة ص ٥٣ . انظر : كتاب تأثير المعتزلة بالخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره / عبد اللطيف الحفظي / ص٤٢٥ / رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض / دار الأندلس / جدة / ط ١ ، ١٣٢١هــ

(٦) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابوية، ، القمي ، ويعرف بالشيخ الصدوق:

بزمان ولا مكان ، ولا كيفية ، ولا حركة ، ولا انتقال ، ولا بشيء من صفات الأجسام وليس حساً ولا جسمانياً ولا صورة ... » [١]

وقال أيضاً : « إذا وصفنا الله تبارك وتعالى بصفات الذات، فإنما ننفي عنه بكل صفة منها ضدها فمتى قلنا إنه حي ، نفينا عنه ضد الحياة وهو الموت ،...ومتى قلنا إنه سميع نفينا عنه ضد السمع وهو الصمم... » [٢]

وأما الإباضية: فقد نص علماؤها على نفي الصفات، وقالوا هي عين الذات فهو عالم بذاته وسميع بذاته ، وبصير بذاته ، وقد يراد بالصفات نفي أضدادها من النقائص سميع بصير نفي الصم والعمى والخرس . [٣]

وللمعتزلة ومن وافقها عدة شبهات تتلخص بما يأتي :

١ ـــ أنهم اعتقدوا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه؛ لأنه لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم، والأجسام متماثلة، فإثبات الصفات يستلزم التشبيه.

٢ ـــ لو أثبتنا هذه الصفات لمعان قديمة ، لشاركته في القدم ، ولو شاركته في

محدث إمامي كبير، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ السَّائِرَةِ بَيْنَ الرَّافِضَةِ ، يُقَال:لَهُ ثَلاَثُ مائَة مُصَنَّفٍ، مِنْهَا:كِتَابُ دعَائِمِ الإِسلاَمِ، كِتَابُ الخواتيمِ، كِتَابُ التَّوحِيدِ وغيرها ،مات سنة ٣٨١ هـــ انظر : السير / ١٦ / ٣٥٤ ، و الأعلام / ٤ /٢٧٧ .

(١) انظر : كتاب التوحيد / ابن بابوية / ص ٥٧ نقلاً من كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد / د : ناصر القفاري / ٢ / ٥٣٧ .

(٢) انظر : كتاب التوحيد / ابن بابويه / ص ٢٦٩ نقلاً من كتاب تأثير المعتزلة بالخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره / ص ٣٨٣ .

(٣) انظر : تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والإيمان / نور الدين السالمي / ١ / ١٩٥ ـــ ١٩٧ نقلاً من كتاب تأثير المعتزلة بالخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره / ص ٣٥٠ .

القدم الذي هو أخص أوصافه لشاركته في الإلهية .[١]

٣ ــ أن الاتصاف بصفة زائدة على الذات ، يؤدي إلى تعدد القدماء. [٢]

٤ ــ لو قامت به صفات وجودية لكان مفتقراً إليها، وهي مفتقرة إليه فيكون الرب مفتقراً إلى غيره [٣].

٥ ــ قولهم : «ولم يجئ خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره أنه يسمع بسمع»

٦ ــ قولهم : « إن قلنا إن الله يسمع بسمع ويبصر ببصر فقد ادعينا أن بعضه عاجز وبعضه قوي وبعضه تام وبعضه ناقص وبعضه مضطر»[٤] .

هذه بعض شبهاتهم وقد تقدم شيء منها عند الجهمية، ومن وافقهم في إنكار الأسماء والصفات ، لأن هناك توافق في شبهاتهم وقد تم الرد عليها .

أما الرد على هذه الشبهات فهو من وجوه متعددة :

١ ــ أن المعتزلة إنما نفوا الصفات فراراً من التشبيه والتجسيم، إذ إنهم يرون أن التجسيم والتشبيه لازمٌ لمن أثبت الصفات ، فيقال لهم: فيلزمكم على هذا أن تنفوا الأسماء أيضاً، فإنكم إذا قلتم: هو حي عليم قدير، كان في هذا تشبيه له بغيره ممن هو حي عليم قدير، وكان في هذا من التجسيم كما في إثبات الحياة والعلم والقدرة له، لأنه لا يُعرف مسمَّى بهذه الأسماء إلا جسم، كما لا يعرف موصوف بهذه الصفات إلا جسم، وبهذا

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة / القاضي / ص ١٩٥ ــ ١٩٦ ، الملل والنحل / ١ / ٤٤ ــ ٤٥

(٢) انظر : المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها / د : عواد المعتق / ص ٨٥

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة / القاضي / ص ٢١٣

(٤) نقض الدارمي / ١ /٣٠٠

استطالت الفلاسفة الغلاة والجهمية نفاة الأسماء والصفات على المعتزلة، وقلبوا عليهم دليلهم، فإن دليلهم في نفي الصفات دال على نقيض ما قالوا به في الأسماء، وهذا هو قلب الدليل بعينه، فعادت شبهتهم وحجتهم عليهم.[١]

٢ ـــ ومما يقال أيضاً: أن قول هؤلاء في غاية التناقض، فإنَّ إثبات حيٍّ، عليم، قدير، سميع، بصير، بلا حياة، ولا علم، ولا قدرة، ولا حكمة، ولا سمعٍ، ولا بصر مكابرةٌ للعقل، كإثبات مصلٍّ بلا صلاة، وصائم بلا صيام، وقائم بلا قيام، ونحو ذلك من الأسماء المشتقة، كأسماء الفاعلين، والصفات المعدولة عنها، ولهذا ذكروا في أصول الفقه: أن صدق الاسم المشتق كالحي والعليم لا ينفك عن صدق المشتق منه كالحياة والعلم.[٢]

٣ ـــ قال الإمام أحمد رحمه الله : « نحن نقول قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف إلها واحدا بجميع صفاته ؟ وضربنا لهم في ذلك مثلا. فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع ، وكرب[٣]، وليف، وسعف، وخوص، وجُمّار[٤]، واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها؟ فكذلك الله سبحانه وتعالى ـــ وله المثل الأعلى ـــ بجميع صفاته إله واحد» .

لا نقول إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا يقدر حتى خلق له قدرة ، والذي ليس له قدرة هو عاجز .

ولا نقول قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علما فعلم ، والذي لا يعلم هو جاهل .

ولكن نقول : لم يزل الله عالما ، قادرا ،مالكاً، لا متى، ولا كيف .

---

(١) انظر: الصفدية / ابن تيمية / ١/٨٨-٨٩، ومنهاج السنة النبوية / ابن تيمية / ٢/٥٢٣.

(٢)النبوات / ١ / ٢٦٥

(٣) الكرب : أصول السعف الغلاظ . انظر : اللسان / ١٢ / ٥٨

(٤) قلب النخلة وشحمها . انظر : اللسان / ٢ / ٣٥٢

وقد سمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال« ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴾[١] وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدا له: عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه الله وحيدا بجميع صفاته ، فكذلك الله وله المثل الأعلى هو بجميع صفاته إله واحد » .[٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وهذا الذي ذكره الإمام أحمد يتضمن أسرار هذه المسائل ، وبيان الفرق بين ما جاءت به الرسل من الإثبات الموافق لصريح العقل وبين ما تقوله الجهمية، وبين أن صفاته داخلة في مسمى أسمائه »[٣].

٤ ـــ قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معان وصفات، لم يسغ أن يخبر عنه بأفعالها؛ فلا يقال: يسمع ويرى ويعلم ويقدر ويريد؛ فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها، فإذا انتقى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها ، وأيضا: فلو لم تسكن أسماؤه ذوات معان وأوصاف لكانت جامدة؛ كالأعلام المحضة التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به فكانت كلها سواء، ولم يكن فرق بين مدلولاتها، وهذا مكابرة صريحة وبهت بين، فإن من جعل معنى اسم القدير: هو معنى اسم السميع البصير، ومعنى اسم التواب: هو معنى اسم المنتقم، ومعنى اسم المعطي: هو معنى اسم المانع، فقد كابر العقل واللغة والفطرة ، فنفي معاني أسمائه من أعظم الإلحاد فيها »[٤]

٥ـــ كما رد الإمام الدارمي ـ رحمه الله ـ على بعض هذه الشبهات بقوله : «فقد جمعت أيها المريسي في دعواك هذه جهلاً وكفراً، أما الكفر فتشبيهك الله تعالى بالأعمى الذي لا يبصر ولا يرى، وأما الجهل فمعرفة الناس بأنه لا يستقيم في كلام

---

(١) سورة المدثر الآية (١١)

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية / ص ٢٨٢ ـــ ٢٨٥

(٣) منهاج السنة / ٢ / ٤٨٥ ـــ ٤٨٦

(٤) مدارج السالكين / ١ / ٢٩

العرب أن يقال: لشيء هو سميع بصير إلا وذلك الشيء موصوف بالسمع والبصر من ذوي الأعين والأسماع والأبصار والأعمى من ذوي الأعين وإن كان قد حجب ..وأما ما ادعيت في تفسير قوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، أنه إنما عنى عالماً بالأصوات عالماً بالألوان، لا يسمع بسمع ولا يبصر ببصر ثم قلت و لم يجئ خبر عن النبي وغيره، أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر، ولكنكم قضيتم على الله بالمعنى الذي وجدتموه في أنفسكم ، فيقال لك أيها المريسي: أما دعواك علينا أنا قضينا عليه بالمعنى الذي وجدناه في أنفسنا، فهذا لا يقضي به إلا من هو ضال مثلك، غير أن الله تبارك اسمه أخبر عن نفسه أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر واتصلت عن رسول الله بذلك أخبار متصلة فإن حرمك الله معرفتها فما ذنبنا ... وادعيت أيضا أنا إن قلنا إن الله يسمع بسمع ويبصر ببصر، فقد ادعينا أن بعضه عاجز وبعضه قوي وبعضه تام وبعضه ناقص وبعضه مضطر فإن قلتم هو أيها المريسي لا يجوز هذا القياس في صفة كلب من الكلاب فكيف في صفة رب العالمين بل حرام على السائل أن يسأل عن مثل هذا وحرام على المجيب أن يجيب فيه ... أو لم تسمع أيها المريسي؛ قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾وكما ليس كمثله شيء ليس كسمعه سمع ولا كبصره بصر ولا لهما عند الخلق قياس ولا مثال ولا شبيه فكيف تقيسهما أنت بشبه ما تعرف من نفسك وقد عبت على غيرك ».[1]

٦ ــ أن الله سبحانه وتعالى أثبتَ لنفسه الأسماءَ والصفاتِ، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، فنفيُها عن الله أو نفي بعضِها: نفيٌ لما أثبته الله ورسوله، وهذا محادة لله ورسوله.قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

وفي قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ تهديدٌ من الله سبحانه وتعالى لِمَنْ خالف في

(١) نقض الدارمي ١ /٣٠٤ــ ٣٠٨

(٢) سورة الأعراف الآية (١٨٠)

أسماء الله وصفاته بأنّه سيعذّبه.[١]

٧ ــ أن الله تعالى وصف أسماءه بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[٢]. وهذا يقتضي أن تكون دالة على معاني عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، ولا يصح خلوها عنها ولو كانت أعلاماً محضة لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلاً عن أن تكون حسنى ووسيلة في الدعاء. وأن من لا يتصف بصفات الكمال لا يصلح أن يكون رباً ولا إلهاً، ولهذا عاب إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه باتخاذه ما لا يسمع ولا يبصر إلهاً فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾[٣].[٤]

٨ ــ أن القول بأن الله تعالى عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة وسميع بلا سمع... ونحو ذلك؛ قول باطل مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي، فإن من المعلوم في لغات جميع العالم أن المشتق دال على المعنى المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال عليم لمن لا علم له، ولا قدير لمن لا قدرة له، ولا سميع لمن لا سمع له... ونحو ذلك.

وإذا كان كذلك تعين أن تكون أسماء الله تعالى دالة على ما تقتضيه من الصفات اللائقة به؛ فيتعين إثبات الأسماء والصفات لخالق الأرض والسماوات.[٥]

---

(١) انظر :إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد / الشيخ صالح الفوزان / ٢ / ٣١٥/مؤسسة الرسالة /الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ
(٢) سورة لأعراف الآية (١٨٠)
(٣) سورة مريم الآية (٤٢)
(٤) تقريب التدمرية ص ٢٩ ــ ٣٠
(٥) تقريب التدمرية ص ٣٠ ــ ٣١

المبحث الثاني :

العقائد المنحرفة في صفة السمع لله تعالى والرد على المخالفين.

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الانحرافات لدى من أنكرها بالكلية والرد عليهم.

أول من عرف عنه إنكار الصفات الجهمية، ثم أخذها عنهم المعتزلة والفلاسفة سواء كانوا أصحاب فلسفة محضة، كالفارابي، أو فلسفة باطنية إسماعيلية قرمطية، كابن سينا ، أو فلسفة صوفية اتحادية، كابن عربي وابن سبعين وغيرهم . وممن وافقهم أيضاً ابن حزم الظاهري. والزيدية، ومتأخري الرافضة الإمامية، والإباضية.

كما أنكرت الكلابية[١]،ومن وافقهم من الأشاعرة[٢]، والماتريدية[٣]كون السمع صفة ذاتية فعلية فهو عندهم صفة ذاتية فقط.

---

(١) الكلابية: فرقة تنسب إلى أصحاب أبي محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب، أحد المتكلمين في أيام المأمون، له مناظرات وردود على المعتزلة. وهم أسلاف الأشعرية.
انظر : مقالات الإسلاميين / ١ / ١٦٩ ، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة، ٢٧٩/١، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، ٤٣٨/١-٤٥٢. والفرق الكلامية، د. ناصر العقل، ص ٥٩.

(٢) الأشاعرة : فرقة تنسب إلى أبي الحسن الأشعري في طوره الثاني، وهي من الفرق الكلامية الكبرى، ظهرت في القرن الرابع وما بعده.
انظر : الملل والنحل، ٦٦/١-٧٤، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، ٤٣٧/١، ٤٧٧/٢-٥٠٧، والفرق الكلامية، د. ناصر العقل، ص ٤٩-١٧٢.

(٣) الماتريدية: هم الذين ينسبون أنفسهم إلى أبي منصور الماتريدي المولود سنة ٢٥٨هـ، والمتوفى سنة ٣٣٣هـ، وهي من الفرق الكلامية. انظر : الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات/ الشمس السلفي/ ٢٥٧/١-٤٥٧ / مكتبة الصديق الطائف ، وفرق معاصرة// د. غالب العواجي /١٢٢٧/٣-١٢٣٩/ المكتبة العصرية الذهبية/ جدة ط٤، والفرق الكلامية/د. ناصر العقل ص ١٧٥-١٨٧.

ومما يدل على هذه العقيدة من أقوالهم :

وقال الشهرستاني : «الجهمية أصحاب جهم بن صفوان ـــ من عقيدته ـــ قوله : لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقضي تشبيهاً فنفى كونه : حياً عالماً وأثبت كونه : قادراً فاعلاً خالقاً لأنه لا يوصف شيء من خلقه : بالقدرة والفعل والخلق »[١] .

والمعتزلة متفقون على نفي صفتي السمع والبصر عن الله تعالى؛ فلا الصفتان قديمتان – عندهم – ، ولا حادثتان .[٢]. ويقولون – معللين زعمهم استحالة كون الله سميعا بصيرا – : «وجه استحالته أنه إن كان سمعه وبصره حادثين كان محلا للحوادث، وهو محال. وإن كانا قديمين فكيف يسمع صوتا معدوما، وكيف يرى العالم في الأزل، والعالم معدوم، والمعدوم لا يرى»[٣].

وقال القاضي عبد الجبار في معنى قوله تعالى : «﴿ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[٤] ...فعند شيوخنا البصريين أن الله تعالى ـــ سميع بصير مدرك للمدركات وأن كونه مدركاً صفة زائدة على كونه حياً وأما عند مشايخنا البغداديين ، هو أنه تعالى مدرك للمدركات على معنى أنه عالم بها ، وليس له بكونه مدركاً صفة »[٥]

وقال ابن سينا : « أن واجب الوجود واحد ، بحسب تعين ذاته وأن واجب الوجود

---

(١) الملل والنحل / ١ /٣٤

(٢) أصول الدين / البغدادي / ص ١١٣/تحقيق : أحمد شمس الدين / دار الكتب العلمية لبنان بيروت ط١ ، والفرق بين الفرق / ص ١٨ ،الاقتصاد في الاعتقاد / الغزالي / ٧١ /تحقيق عبدالله الخليلي / دار الكتب العلمية بيروت ط ١، الملل والنحل / الشهرستاني / ٤٥

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد / الغزالي / ٧١

(٤) سورة الحج الآية (٦١) .

(٥) شرح الأصول الخمسة / القاضي عبدالجبار / ص ١٦٨ / تحقيق : د . عبدالكريم عثمان

لا يقال على كثرة أصلا. ..لو التأم ذات واجب الوجوب من شيئين ، أو أشياء تجتمع ، لوجب بها ، ولكان الواحد منها ، أو كل واحد منها ، قبل واجب الوجود ، ومقوماً لواجب الوجود فواجب الوجود لا ينقسم في المعنى ولا في الكم »[1].

ويقول الجيلي : « " الذات الإلهية " عبارة عن الوجود المطلق ، بسقوط جميع الاعتبارات ، والاضافات ، والوجوهات ، ...هذا الوجود المطلق هو الذات الساذجة الذي لا ظهور فيه لاسم ، ولا نعت ، ولا نسبة ولا إضافة .. »[2].

قال الأشعري : «فقال أكثر المعتزلة والخوارج وكثير من المرجئة وبعض الزيدية:إن الله عالم قادر حي بنفسه لا بعلم وقدرة وحياة، وأطلقوا أن لله علما بمعنى أنه عالم، وله قدرة بمعنى أنه قادر، ولم يطلقوا ذلك على الحياة ولم يقولوا له حياة، ولا قالوا سمع ولا بصر، وإنما قالوا: قوة وعلم لأن الله سبحانه أطلق ذلك ، ومنهم من قال: له علم بمعنى معلوم، وله قدرة بمعنى مقدور ولم يطلقوا غير ذلك ، وقال أبو الهذيل: هو عالم بعلم هو هو، وهو قادر بقدرة هي هو، وهو حي بحياة هي هو، وكذلك قال: في سمعه وبصره، وقدمه وعزته وعظمته »[3].

أما الرافضة الإمامية: فقد نص جمع من أئمتهم المتأخرين على موافقة عقيدة المعتزلة في الأسماء والصفات، فقد روى ابن بابوية أكثر من سبعين رواية تقول أنه تعالى : «لا يوصف بزمان ولا مكان ، ولا كيفية ، ولا حركة ، ولا انتقال ، ولا بشيء من صفات

---

(١) الإشارات والتنبيهات / ابن سينا / مع شرح نصر الدين الطوسي / ٣ / ٤٤ / تحقيق د : سليمان دنيا / دار المعارف / ط : ٣

(٢) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل / عبدالكريم الجيلي/ ٧٦ / تحقيق : فاتن محمد خليل / موسسة التأريخ العربي / بيروت / ط ١

(٣) مقالات الإسلاميين / ١ / ١٦٤ــ ١٦٥

الأجسام وليس حساً ولا جسمانياً ولا صورة ... » [١].

أما قول الكلابية ومن وافقهم من الأشاعرة والماتريدية: بأن السمع صفة أزلية لا علاقة لها بالمشيئة والإرادة ومن أقوالهم :

يقول المحاسبي[٢] في تفسيره لقوله تعالى : « ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾: قوله إنا معكم مستمعون ليس معناه إحداث سمع ولا تكلف بسمع ما يكون من المتكلم في وقت كلامه وإنما معنى ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ أي المسموع والمبصر لن يخفى على سمعي ولا على بصري أن أدركه سمعاً وبصراً لا بالحوادث في الله » [٣].

وقال أيضاً : « ومن ذهب إلى أنه يحدث له استماع مع حدوث المسموع ،وإبصار مع حدوث المبصر : فقد ادعى على الله عز وجل ما لم يقل » [٤].

ويقول البغدادي : « قال أصحابنا إن سمعه صفة واحدة أزلية، وهو يسمع بها جميع المسموعات من الأصوات والكلام» [٥].

أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ذلك بقوله : « والقول بسمع وبصر قديم، يتعلق بها عند وجودها قول ابن كلاب وأتباعه والأشعري، والقول بتجدد الإدراك مع قدم

---

(١) انظر : كتاب التوحيد / ابن بابوية / ص ٥٧ نقلاً من كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية عرض ونقد / د : ناصر الغفاري / ٢ / ٥٣٧

(٢) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، من أكابر الصوفية ، كان عالما بالاصول والمعاملات، واعظا مبكيا، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. مات سنة ٢٤٣ هـ انظر: طبقات الصوفية /الأزدي / ص٥٨ ، والأعلام ٢ / ١٥٣

(٣) العقل وفهم القرآن / المحاسبي / ص ٣٤٥ / تحقيق : حسين القوتلي / ط ٢ / ١٣٩٨هـ

(٤) نفس المصدر ص ٣٤٤

(٥) أصول الدين / البغدادي / ص ٩٦

الصفة قول طوائف كثيرة كالكرامية[1] وطوائف سواهم، والقول بثبوت الإدراك قبل حدوثها وبعد وجودها قول السالمية[2]، كأبي الحسن بن سالم[3] وأبي طالب المكي[4]، والطوائف الثلاثة تنتسب إلى أئمة السنة كالإمام أحمد، وفي أصحابه من قال بالأول، ومنهم من قال بالثاني، والسالمية تنتسب إليه» [5]

وقال أيضاً : « وَ " الْكُلَّابِيَة " يَقُولُونَ : هُوَ مُتَّصِفٌ بِالصِّفَاتِ الَّتِي لَيْسَ لَهُ عَلَيْهَا

---

(١) الكرامية: هم اتباع محمد بن كرام من المرجئة يزعمون أن الإيمان هو الإقرار باللسان دون القلب ، كان ممن يثبت الصفات غلا حتى انتهى فيها إلى التجسيم والتشبيه ،وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة،ومنهم من أثبت لله تعالى السمع والبصر أزلاً والتسمعات والتبصرات هي إضافة المدركات إليهما . انظر :الملل والنحل /الشهرستاني / ١ / ٥٣ ــ ٥٥، مقالات الإسلاميين / الأشعري / ص ١٤١ ، الفرق بين الفرق / ص ١٤٢ ــ ١٥٠

(٢) السالمية : هم أتباع أبي عبد الله محمد بن سالم المتوفى سنة (٢٩٧هــ) وابنه أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم وقد تتلمذ أحمد بن محمد بن سالم على سهل بن عبد الله التستري، ويجمع السالمية بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع ميل إلى التشبيه ونزعة صوفية اتحادية، انظر : شذرات الذهب (٣/٣٦)، وطبقات الصوفية /الأزدي/ (ص٤١٤-٤١٦)، والفرق بين الفرق (ص١٥٧-٢٠٢).

(٣) أحمد بن محمد بن سالم البصري شيخ السالمية وكان له أحوال ومجاهدات وعنه أخذ الأستاذ أبو طالب صاحب القوت وهو آخر أصحاب سهل التستري وفاة وقد خالف أصول السنة في مواضع وبالغ في الإثبات في مواضع . المتوفى بعد سنة (٣٥٠هــ) . انظر : العبر في خبر من غبر / الذهبي /٢/ ٣٢٦ / تحقيق د. صلاح الدين المنجد/ الناشر مطبعة حكومة الكويت ، الوافي بالوفيات / الصفدي / ٨ / ١٢

(٤) أبو طالب، محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، صوفي نشأ واشتهر بمكة، وهو صاحب كتاب "قوت القلوب" في التصوف وهو من أكبر رجال السالمية، قال عنه الخطيب البغدادي: (ذكر فيه أشياء مستشنعة في الصفات)، توفي سنة (٣٨٦هــ).انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٣/٨٩)، وميزان الاعتدال (٣/٦٥٥)، ولسان الميزان (٥/٣٠٠).

(٥) رسالة في تحقيق مسألة العلم ــ جامع الرسائل ٢ / ١٨١ ــ ١٨٢

قُدْرَةٌ وَلَا تَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ ؛ فَأَمَّا مَا يَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ فَإِنَّهُ حَادِثٌ وَالرَّبُّ – تَعَالَى – لَا تَقُومُ بِهِ الْحَوَادِثُ . وَيُسَمُّونَ " الصِّفَاتِ الِاخْتِيَارِيَّةَ " بِمَسْأَلَةِ " حُلُولِ الْحَوَادِثِ » [١].

هذه أقوال منكري صفة السمع لله تعالى ولهم عدة شبهات منها ما سبق ذكره والرد عليه عند مبحث إنكار اسم السميع لله تعالى وهناك شبهات أخرى منها :

١ ــ شبهة تعدد القدماء :

وهذه الشبه من شبهات المعتزلة في نفي الصفات ، حيث يرى المعتزلة أن القِدَم هو أخص وصف للإله ، وهو الكاشف عن الحقيقة ، وهو تعالى إنما يخالف مخالفه؛ بكونه قديماً فبه يعرف تميزه عن غيره [٢]

وفد نسب الشهرستاني هذه الشبهة لواصل بن عطاء رأس المعتزلة فقد حكى عنه:أنه قال : «ومن أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهين » [٣]

٢ ــ شبهة دليل الأعراض وحدوث الأجسام :

وقد أخذ بهذه الشبهة المعتزلة في نفي الصفات عموماً، والكلابية ومن وافقهم في الصفات الاختيارية التي فيها مشيئة وإرادة . وهذه أشهر الشبه عندهم وقد فصل الرد عليهم جمع من العلماء قديماً وحديثاً ومن أشهر هؤلاء العلماء ابن تيمية وتلميذة ابن القيم وقد جمعت أقوالهم في رسائل علمية وإليك بعض أقوالهم :

رد على الشبهة الأولى ابن القيم ــ رحمه الله ــ بقوله : «ومن ذلك قول هؤلاء المعطلة أخص صفات الإله القديم فإذا أثبتم معه صفات قديمة لزم أن تكون آلهة فلا يكون

---

(١) مجموع الفتاوى / ٦ / ٢٢٠ ، والصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل / ٢/ ٧ / المحقق : د. محمد رشاد سالم / دار العطاء — الرياض.

(٢) شرح الأصول الخمسة / القاضي عبدالجبار / ض ١٩٦ .

(٣) الملل والنحل / ١ / ٤٥.

الإله واحدا بل يكون لكم آلهة متعددة فيقال لهؤلاء المدلسين الملبسين على أمثالهم من أشباه الأنعام المحذور الذي نفاه العقل والشرع والفطرة وأجمعت الأنبياء من أولهم إلى آخرهم على بطلانه أن يكون مع الله آلهة أخرى لا أن يكون إله العالمين الواحد القهار حيا قيوما سميعا بصيرا متكلما آمرا ناهيا فوق عرشه له الأسماء الحسنى والصفات العلى فلم ينف العقل والشرع والفطرة أن يكون للإله الواحد صفات كمال ونعوت جلال يختص بها لذاته فلبستم على المخدوعين المغرورين وأوهمتموهم أنه لو كان فوق عرشه موصوفا بصفات الكمال يرى بالأبصار عيانا يوم القيامة لم يكن إلها واحدا وكان هناك آلهة متعددة وقدماء متغايرة وأعراض وأبعاض وحدود وجهات وتكثر وتغير وتحدد وتجرد وتجسم وتشبيه وتركيب وأكثر الناس إذا سمعوا هذه الألفاظ نفرت عقولهم من مسماها ونبت أسماعهم عنها وقد علم المؤمنون المصدقون للرسول العارفون بالله وصفاته وأسمائه أنكم توسلتم بها إلى نفي صفاته وأفعاله وحقائق أسمائه فلم ترفعوا بها رأسا ولم تروا لها حرمة ولم ترقبوا فيها ذمة وغرت ضعاف العقول الجاهلين بحقائق الإيمان فضلوا بها وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل »[(١)].

أما الشبهة الثانية فقد فصل القول فيها شيخ الإسلام ابن تيمية :

حيث قال في معرض رده على هذه الشبهة : « وقد دل الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة ودلائل العقل على أنه سميع بصير والسمع والبصر لا يتعلق بالمعدوم فاذا خلق الاشياء راها سبحانه واذا دعاه عباده سمع دعاءهم وسمع نجواهم كما قال تعالى ﴿ **قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ** ﴾المجادلة أي تشتكي اليه وهو يسمع التحاور والتحاور تراجع الكلام بينها وبين الرسول قالت عائشة سبحان الذي وسع سمعه الاصوات لقد كانت المجادلة تشتكي الى النبي- صلى الله عليه وسلم – في جانب البيت وإنه ليخفى عليّ بعض كلامها فأنزل الله ﴿ **قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي**

(١) الصواعق المرسلة / ابن قيم الجوزية / ٣ / ٩٣٨ ــ ٩٣٩

زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ ﴾ وكما قال تعالى لموسى وهارون﴿ **قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾طه وقال ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾»الزخرف[1]

قال أيضاً: (وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**إذَا قَالَ الْإِمَامُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا رَبَّنَا وَلَك الْحَمْدُ يَسْمَعْ اللَّهُ لَكُمْ**)[2] فَجَعَلَ سَمْعَهُ لَنَا جَزَاءً وَجَوَابًا لِلْحَمْدِ فَيَكُونُ ذَلِكَ بَعْدَ الْحَمْدِ وَالسَّمْعُ يَتَضَمَّنُ مَعَ سَمْعِ الْقَوْلِ قَبُولَهُ وَإِجَابَتَهُ وَمِنْهُ قَوْلُ الْخَلِيلِ ﴿**إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ** ﴾ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ** ﴾ وَقَوْلُهُ لِمُوسَى : ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾، و " الْعقل الصَّرِيح " يدل على ذَلِك فَإِن الْمَعْدُوم لَا يرى وَلَا يسمع بِصَرِيح الْعقل واتفاق الْعُقَلَاء ؛... والمخلوق يَتَّصِف بِأَنَّهُ يسمع ويبصر فَيمْتَنع اتصاف الْمَخْلُوق بِصِفَات الْكَمَال دون الْخَالِق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقد عَابَ الله تَعَالَى من يعبد من لَا يسمع وَلَا يبصر فِي غير مَوضِع ؛ وَلِأَنَّهُ حَيّ والحي إِذا لم يَتَّصِف بِالسَّمْعِ وَالْبَصَر اتّصف بضد ذَلِك وَهُوَ الْعَمى والصمم وَذَلِكَ مُمْتَنع، وَإِنَّمَا " الْمَقْصُود هُنَا " أَنه إِذا كَانَ يسمع ويبصر الْأَقْوَال والأعمال بعد أَن وجدت ؛ فإمَّا أَن يُقَال : إِنَّه تجدّد شَيْء ، وَإِمَّا أَن يُقَال : لم يَتَجَدَّد شَيْء ، فَإِن كَانَ لم يَتَجَدَّد ، وَكَانَ لَا يسْمعهَا وَلَا يبصرها ، فَهُوَ بعد أَن خلقهَا لَا يسْمعهَا وَلَا يبصرها . وَإِن تجدّد شَيْء : فإمَّا أَن يكون وجودا أَو عدما ؛ فَإِن كَانَ عدما فَلم يَتَجَدَّد شَيْء وَإِن كَانَ وجودا : فإمَّا أَن يكون قَائِما بِذَات الله أَو قَائِما بِذَات غَيره و " الثَّانِي " يسْتَلْزم أَن يكون ذَلِك الْغَيْر هُوَ الَّذِي يسمع وَيرى فَيتَعَيَّن أَن ذَلِك السّمع والرؤية الْمَوْجُودين قَائِم بِذَات الله وَهَذَا لَا حِيلَة فِيهِ .

وَ " الْكُلَّابِيَة " يَقُولُونَ فِي جَمِيعِ هَذَا الْبَابِ : الْمُتَجَدِّدُ هُوَ تَعَلُّقٌ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالْمَأْمُورِ

---

(١) الرد على المنطقيين / ابن تيمية / ص ٤٦٥ / دار المعرفة – بيروت

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠٧

وَبَيْنَ الْإِرَادَةِ وَالْمُرَادِ وَبَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْمَسْمُوعِ وَالْمَرْئِيِّ فَيُقَالُ لَهُمْ : هَذَا التَّعَلُّقُ إمَّا أَنْ يَكُونَ وُجُودًا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَدَمًا فَإِنْ كَانَ عَدَمًا فَلَمْ يَتَجَدَّدْ شَيْءٌ فَإِنَّ الْعَدَمَ لَا شَيْءَ وَإِنْ كَانَ وُجُودًا بَطَلَ قَوْلُهُمْ .(١)

فالله تعالى إذا خلق العباد فعملوا وقالوا، فلابد من القول أنه تعالى يرى أعمالهم ويسمع أقوالهم، ونفى ذلك تعطيل لهاتين الصفتين، وتكذيب لنصوص القرآن(٢).

وقد فصل شيخ الإسلام في رد هذه الشبه مع بيان معناها حيث قال : «وَإِنَّمَا " الْمَقْصُودُ هُنَا " : أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ نَفْيَهُمْ " لِلصِّفَاتِ الِاخْتِيَارِيَّةِ " الَّتِي يُسَمُّونَهَا حُلُولَ الْحَوَادِثِ لَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ عَلَيْهِ وَحُذَّاقُهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ وَأَمَّا السَّمْعُ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مَمْلُوءٌ بِمَا يُنَاقِضُهُ وَالْعَقْلُ أَيْضًا يَدُلُّ نَقِيضُهُ مِنْ وُجُوهٍ نَبَّهْنَا عَلَى بَعْضِهَا».

وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْ مَعَ أَصْحَابِهَا حُجَّةٌ " لَا عَقْلِيَّةٌ وَلَا سَمْعِيَّةٌ " : مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّة احْتَالَ مُتَأَخِّرُوهُمْ فَسَلَكُوا " طَرِيقًا سَمْعِيَّةً " ظَنُّوا أَنَّهَا تَنْفَعُهُمْ فَقَالُوا : هَذِهِ الصِّفَاتُ إنْ كَانَتْ صِفَاتُ نَقْصٍ وَجَبَ تَنْزِيهُ الرَّبِّ عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ صِفَاتِ كَمَالٍ فَقَدْ كَانَ فَاقِدًا لَهَا قَبْلَ حُدُوثِهَا وَعَدَمُ الْكَمَالِ نَقْصٌ ؛ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ كَانَ نَاقِصًا وَتَنْزِيهُهُ عَنْ النَّقْصِ وَاجِبٌ بِالْإِجْمَاعِ وَهَذِهِ الْحُجَّةُ مِنْ أَفْسَدِ الْحُجَجِ وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ : أَحَدُهَا : أَنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: نَفْيُ النَّقْصِ عَنْهُ لَمْ يُعْلَمْ بِالْعَقْلِ وَإِنَّمَا عُلِمَ " بِالْإِجْمَاعِ " - وَعَلَيْهِ اعْتَمَدُوا فِي نَفْيِ النَّقْصِ - فَنَعُودُ إلَى احْتِجَاجِهِمْ بِالْإِجْمَاعِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِجْمَاعَ لَا يُحْتَجُّ بِهِ فِي مَوَارِدِ النِّزَاعِ ؛ فَإِنَّ الْمُنَازِعَ لَهُمْ يَقُولُ أَنَا لَمْ أُوَافِقْكُمْ عَلَى نَفْيِ هَذَا الْمَعْنَى وَإِنْ وَافَقْتُكُمْ عَلَى

---

(١) مجموع الفتاوى / ٦ / ٢٢٧ـــ ٢٢٩ ، والصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل / ١٦/٢ ـــ ١٨

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٦ / ٢٢٨.

إطْلَاقِ الْقَوْلِ بِأَنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنْ النَّقْصِ ؛ فَهَذَا الْمَعْنَى عِنْدِي لَيْسَ بِنَقْصِ وَلَمْ يَدْخُلْ فِيمَا سَلَّمْته لَكُمْ فَإِنْ بَيَّنْتُمْ بِالْعَقْلِ أَوْ بِالسَّمْعِ انْتِفَاءَهُ وَإِلَّا فَاحْتِجَاجُكُمْ بِقَوْلِي مَعَ أَنِّي لَمْ أُرِدْ ذَلِكَ كَذِبٌ عَلَيَّ ؛ فَإِنَّكُمْ تَحْتَجُّونَ بِالْإِجْمَاعِ ؛ وَالطَّائِفَةِ الْمُثْبِتَةِ مِنْ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ وَهُمْ لَمْ يُسَلِّمُوا هَذَا . الثَّانِي : أَنَّ عَدَمَ هَذِهِ الْأُمُورِ قَبْلَ وُجُودِهَا نَقْصٌ ؛ بَلْ لَوْ وُجِدَتْ قَبْلَ وُجُودِهَا لَكَانَ نَقْصًا ؛ مِثَالُ ذَلِكَ تَكْلِيمُ اللَّهِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنِدَاؤُهُ لَهُ فَنِدَاؤُهُ حِينَ نَادَاهُ صِفَةُ كَمَالٍ ؛ وَلَوْ نَادَاهُ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ لَكَانَ ذَلِكَ نَقْصًا ؛ فَكُلٌّ مِنْهَا كَمَالٌ حِينَ وُجُودِهِ ؛ لَيْسَ بِكَمَالٍ قَبْلَ وُجُودِهِ ؛ بَلْ وُجُودُهُ قَبْلَ الْوَقْتِ الَّذِي تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ وُجُودَهُ فِيهِ نَقْصٌ . الثَّالِثُ : أَنْ يُقَالَ : لَا نُسَلِّمُ أَنَّ عَدَمَ ذَلِكَ نَقْصٌ فَإِنَّ مَا كَانَ حَادِثًا امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ قَدِيمًا وَمَا كَانَ مُمْتَنِعًا لَمْ يَكُنْ عَدَمُهُ نَقْصًا ؛ لِأَنَّ النَّقْصَ فَوَاتُ مَا يُمْكِنُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ . (الرَّابِعُ : أَنَّ هَذَا يَرِدُ فِي كُلِّ مَا فَعَلَهُ الرَّبُّ وَخَلَقَهُ . فَيُقَالُ : خَلَقَ هَذَا إنْ كَانَ نَقْصًا فَقَدْ اتَّصَفَ بِالنَّقْصِ وَإِنْ كَانَ كَمَالًا فَقَدْ كَانَ فَاقِدًا لَهُ ؛ فَإِنْ قُلْتُمْ : " صِفَاتُ الْأَفْعَالِ " عِنْدَنَا لَيْسَتْ بِنَقْصٍ وَلَا كَمَالٍ . قِيلَ : إذَا قُلْتُمْ ذَلِكَ أَمْكَنَ الْمُنَازِعَ أَنْ يَقُولَ : هَذِهِ الْحَوَادِثُ لَيْسَتْ بِنَقْصٍ وَلَا كَمَالٍ . (الْخَامِسُ : أَنْ يُقَالَ : إذَا عَرَضَ عَلَى الْعَقْلِ الصَّرِيحِ ذَاتٌ يُمْكِنُهَا أَنْ تَتَكَلَّمَ بِقُدْرَتِهَا وَتَفْعَلَ مَا تَشَاءُ بِنَفْسِهَا وَذَاتٌ لَا يُمْكِنُهَا أَنْ تَتَكَلَّمَ بِمَشِيئَتِهَا وَلَا تَتَصَرَّفَ بِنَفْسِهَا أَلْبَتَّةَ بَلْ هِيَ بِمَنْزِلَةِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُمْكِنُهُ فِعْلٌ يَقُومُ بِهِ بِاخْتِيَارِهِ قَضَى الْعَقْلُ الصَّرِيحُ بِأَنَّ هَذِهِ الذَّاتَ أَكْمَلُ وَحِينَئِذٍ فَأَنْتُمْ الَّذِينَ وَصَفْتُمْ الرَّبَّ بِصِفَةِ النَّقْصِ ؛ وَالْكَمَالُ فِي اتِّصَافِهِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ؛ لَا فِي نَفْيِ اتِّصَافِهِ بِهَا . (السَّادِسُ : أَنْ يُقَالَ : الْحَوَادِثُ الَّتِي يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْهَا أَزَلِيًّا وَلَا يُمْكِنُ وُجُودُهَا إلَّا شَيْئًا فَشَيْئًا إذَا قِيلَ : أَيُّمَا أَكْمَلُ أَنْ يَقْدِرَ عَلَى فِعْلِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا أَوْ لَا يَقْدِرَ عَلَى ذَلِكَ ؟ كَانَ مَعْلُومًا - بِصَرِيحِ الْعَقْلِ - أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى فِعْلِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا أَكْمَلُ مِمَّنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى

ذَلِكَ . وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ : إنَّ الرَّبَّ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ ؛ وَتَقُولُونَ إنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى أُمُورٍ مُبَايِنَةٍ لَهُ وَمَعْلُومٌ أَنَّ قُدْرَةَ الْقَادِرِ عَلَى فِعْلِهِ الْمُتَّصِلِ بِهِ قَبْلَ قُدْرَتِهِ عَلَى أُمُورٍ مُبَايِنَةٍ لَهُ ؛ فَإِذَا قُلْتُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى فِعْلٍ مُتَّصِلٍ بِهِ لَزِمَ أَنْ لَا يَقْدِرَ عَلَى الْمُنْفَصِلِ ؛ فَلَزِمَ عَلَى قَوْلِكُمْ أَنْ لَا يَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ وَلَا أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا فَلَزِمَ أَنْ لَا يَكُونَ خَالِقًا لِشَيْءِ ؛ وَهَذَا لَازِمٌ للنفاة لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهُ . وَلِهَذَا قِيلَ : الطَّرِيقُ الَّتِي سَلَكُوهَا فِي حُدُوثِ الْعَالَمِ وَإِثْبَاتِ الصَّانِعِ : تُنَاقِضُ حُدُوثَ الْعَالَمِ وَإِثْبَاتِ الصَّانِعِ وَلَا يَصِحُّ الْقَوْلُ بِحُدُوثِ الْعَالَمِ وَإِثْبَاتِ الصَّانِعِ إلَّا بِإِبْطَالِهَا ؛ لَا بِإِثْبَاتِهَا . فَكَانَ مَا اعْتَمَدُوا عَلَيْهِ وَجَعَلُوهُ أُصُولًا لِلدِّينِ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ هُوَ فِي نَفْسِهِ بَاطِلٌ شَرْعًا وَعَقْلًا وَهُوَ مُنَاقِضٌ لِلدِّينِ وَمُنَافٍ لَهُ »[1].

---

(١) مجموع الفتاوى / ٢٤٠ ـــ ٢٤٣

المطلب الثاني : الانحرافات لدى من تأولها[1] على غير معناهـــا والـــرد علـــى المخالفين.

لقد أول صفة السمع على غير معناها الصحيح اللائق بالله جل وعلا الجهمية، والمعتزلة، ومن تأثر بهم من بعض الفرق الأخرى؛ فمن أقوالهم :

نقل أبو الحسن الأشعري ــــ رحمه الله ـــ عن الجهمية بقوله : «ونفى الجهمية أن يكون لله تعالى وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين، ووافقوا النصارى لأن النصارى لم تثبت الله سميعا بصيرا إلا على معنى؛ أنه عالم وكذلك قالت الجهمية، ففي حقيقة قولهم أنهم قالوا : نقول إن الله عالم ولا نقول سميع بصير على غير معنى عالم

---

(١) التأويل في اصطلاح العلماء، له ثلاثة معان:

الأول: (أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، كقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾ سورة الأعراف الآية (٥٣) ، ومنه قول عائشة – رضي الله عنها -: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا ولك الحمد: اللهم اغفر لي، يتأول القرآن)) ، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٨٤) ، ومسلم في صحيحه برقم (٤٨٤) .

الثاني: يراد بلفظ التأويل: (التفسير) وهو اصطلاح كثير من المفسرين، ولهذا قال مجاهد – إمام أهل التفسير -: إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه، وهذا مما يعلمه الراسخون.

وهذان المعنيان يرادان في الكتاب والسنة .

الثالث: أن يراد بلفظ (التأويل): صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك، لدليل منفصل يوجب ذلك، وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفاً لما يدل عليه اللفظ ويبينه، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف، وإنما سمي هذا وحده تأويلاً طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام، وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه،وهو اجتهاد محدث،أحدثه أكثر من تكلم من المتأخرين في مسألة الصفات والقدر ونحوها.

انظر : مجموع الفتاوى / ٣ / ٥٤ ـــ ٦٨ ، ٤ / ٦٨ ـــ ٧٠ ، الصواعق المرسلة / ابن القيم / ١ / ١٧٥ ـــ ٢٣٣ ، وجناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية / د : محمد أحمد لوح

وذلك قول النصارى »[١].

قال الدارمي رحمه الله : « وادعى المريسي في قول الله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[٢]،﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[٣]،أنه يسمع الأصوات ويعرف الألوان بلا سمع ولا بصر، وأن قوله:﴿بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾يعني: عالم بهم لا أنه يبصرهم ببصر، ولا ينظر إليهم بعين، فقد يقال: لأعمى ما أبصره أي: ما أعلمه، وان كان لا يبصر بعين»[٤] .

وقال ابن بطة ــ رحمه الله ــ : « فالجهمية تجحد أن لله سمعاً وبصراً، وقالوا: معنى قوله: ﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾أن لا يخفى عليه شيء، كقولك: للمكفوف ما أبصره بكيت وكيت، فدل ذلك من قولهم على إبطال صفات الموصوف، وردوا كتاب الله وجحدوا صفات الله التي وصف الله بها نفسه، وقد أكذبهم الله عز و جل ورسوله » [٥].

تبين من نقل هؤلاء العلماء أن الجهمية يتأولون النصوص الواردة؛ في صفة السمع لله تعالى بالعلم .

أما المعتزلة : فلهم في تأويل صفة السمع قولان :

القول الأول: قول الجبائي[٦]وابنه[٧] ، ومن تابعهما من البصريين:

---

(١) الإبانة / ص ١٢٣
(٢) سورة الحج الآية (٧٥)
(٣) سورة آل عمران الآية (١٥)
(٤) نقض الدارمي ١ / ٣٠١
(٥) الإبانة – ابن بطة ٣ /٣١٩ ــ ٣٢٢
(٦) أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي: من أئمة المعتزلة ،ومن علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة (الجبائية) ، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب ، فخلفه ابنه أبو هاشم الجبائي، وأخذ عنه فن الكلام أيضا أبو الحسن الاشعري، ثم خالفه ونابذه ، مات بالبصرة سنة ثلاث وثلاث مئة هجري . انظر : الفرق بين الفرق /ص ١٧٠ ــ ١٧٢ ، و الملل والنحل / ١ / ٧٧ ــ٧٨ ، السير / ١٤ / ١٨٣ ،و الأعلام / للزركلي / ٦ / ٢٥٦
(٧) أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهاب البصري المتكلم المشهور، قال الذهبي

ويتلخص رأيهما في أن الله سميع بصير، بمعنى أنه حي لا آفة به تمنعه من إدراك المسموع والمرئي إذا وجدا؛ ذلك أنهم يرون أن الحي إذا سلمت نفسه عن الآفة، سمي سميعاً بصيراً.

يقول البغدادي – وهو يحكي مذاهب المخالفين له في صفتي السمع والبصر –: «والفرقة الرابعة: قدرية البصرة، قالوا: إن الله تعالى لم يزل سميعاً بصيراً على معنى أنه كان حياً لا آفة به تمنعه من إدراك المسموع إذا وجد»(١).

القول الثاني: رأي النظام(٢) والكعبي(٣)، ومن تابعهما من البغداديين في معنى السميع والبصير: ويتلخص رأيهم في أن الله تعالى لا يسمع، ولا يبصر شيئاً على الحقيقة، وتأولوا وصفه بالسميع والبصير، على معنى العلم بالمسموعات والمرئيات.

يقول الشهرستاني: «وذهب الكعبي، ومن تابعه من البغداديين إلى أن معنى كونه

عنه هو شيخ المعتزلة وابن شيخهم، توفي ببغداد في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة.
وانظر : العبر / ٢ / ١٨٧ ، الفرق بين الفرق /١٧٢، و الملل والنحل / ١ / ٧٧ ـــ٧٨ ، الفهرست / ابن النديم / ص ٢٤٧ / دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩٨ هـــ

(١) أصول الدين / ص٩٦، وانظر / مقالات الإسلاميين – الأشعري / ١ / ١٧٥ ، نهاية الإقدام/ الشهرستاني / ص ٣٤١ ، ٣٤٤ /تحقيق : الفرد جيوم ، غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدى ص ١٢١/تحقيق : حسن محمود عبد اللطيف / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ، ١٣٩١هـــ .

(٢) إبراهيم بن يسار بن هانئ النظام وقد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة ، شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف،، وله في ذلك عدة تصانيف منها: البكت ، مات سنة ٢٣١ هـــ انظر : الملل والنحل / الشهرستاني / ١ / ٥٢ ، السير / ١٠ / ٥٤١ ، معجم المؤلفين / ١ / ٣٧

(٣) أبو القاسم، عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، المعروف بالكعبي، شيخ المعتزلة ، من نظراء أبي علي الجبائي، وله من التصانيف كتاب: " المقالات "، وكتاب " الغرر "، وكتاب: " الاستدلال بالشاهد على الغائب "، توفي في أول شعبان سنة تسع وثلاث مئة. انظر : الفرق بين الفرق: ١٦٩ـــ ١٧٠، الملل والنحل: ١ / ٧٨ ٧٦ ، السير / ١٤ / ٣١٣

تعالى سميعاً بصيراً؛ أنه عالم بالمسموعات والمبصرات... »[١]

قال الباقلاني : «وزعم البغداديون منهم أن الله تعالى ليس بسميع ولا بصير، وإنما يوصف بأنه يسمع الأصوات ويبصر الأشخاص على معنى؛ أنه يعلم ذلك لا مزية له في هذين الوصفين على الضرير والأصم الذي لا يسمع ولا يبصر »[٢].

ويقول القاضي عبدالجبار المعتزلي ــ في معنى قوله تعالى ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ــ : « ... فعند شيوخنا البصريين ـــ أن الله تعالى ـــ سميع بصير مدرك للمدركات أن كونه مدركاً صفة زائدة على كونه حياً ، أما عند مشايخنا البغداديين ، هو أنه تعالى مدرك للمدركات على أنه عالم بها ، وليس له بكونه مدركاً صفة »[٣].

قال الزمخشري ــ في تفسيره قوله تعالى :﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾[٤]ــ«ومعنى سماع الله له: أنه لم يخف عليه، وأنه أعدله كفاءة من العقاب»[٥].

وقال أيضاً : « فإن قلت : الله تعالى يسمع كل دعاء ، أجابه أو لم يجبه . قلت : هو من قولك : سمع الملك كلام فلان إذا اعتد به وقبله ومنه : سمع الله لمن حمده »[٦].

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام / ص٣٤١ ،وانظر : مقالات الإسلاميين – الأشعري / ١ / ١٧٥ ، الفرق بين الفرق / ص١٨١ ، غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدى ص ١٢١

(٢) كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل – الباقلاني /ص ٢٨٧

(٣) شرح الأصول الخمسة / ص ١٦٨

(٤) سورة آل عمران الآية (١٨١)

(٥) الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / الزمخشري /١ / ٤٧٥ / تحقيق : عبد الرزاق المهدي / دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٦) الكشاف / الزمخشري ٢ / ٥٢٦

وقال أيضاً عند قوله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[١].

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾يصح أن يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر . فإن قلت : مامعنى"قد" فيقوله:﴿قَدْ سَمِعَ﴾؟قلت: معناه التوقع؛لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرّج عنها)[٢].

وقال أيضاً : « فإن قلت: ما السميع البصير؟ قلت : الذي يصح أن يسمع ويبصر ، وأما السامع والمبصر ؛ فهو المدرك للمسموع والمُبْصَرِ ؛ ولذلك وصف النائم بأنه سميع بصير ، و لم يوصف بأنه سامع مبصر،ومصحح الإدراك كون الشيء حيا لا آفة به ، والله تعالى حي والآفات مستحيلة عليه ، فكان أبعد من الآفات من غيره،لاستحالته عليه أصلاً؛ فوجب أن يكون مدركا للمدركات، وإدراك الله تعالى للمدركات أمر زائد على كونه عالما بها ؛ لأن حال النفس عند إدراك الأشياء يخالف حالها إذا لم تدركها مع استواء العلم في الحالين . وقيل: هوكونه عالما بها لا غير ؛ لأن المدْرِك منا هو الذي يشعر بالأشياء من طريق الحواس، والله متعالٍ عن ذلك ». [٣]

وممن تأثر بالمعتزلة ابن حزم–كما في الفصل – حيث قال : «أن يسمع ويرى وأسمع وأرى ويدرك كل ذلك بمعنى واحد وهو معنى يعلم ولا فرق » [٤]

وكذلك ابن الهمام [٥] من الماتريدية، وقد نص على ذلك بقوله: «اعلم أنهما "أي

---

(١) سورة المجادلة الآية (١)

(٢)الكشاف / الزمخشري / ٤ / ٤٨٤ /

(٣) المنهاج في أصول الدين / الزمخشري / ص ٩ / تحقيق : عباس حسين / مكتبة مركز بدر العلمي / صنعاء

(٤) انظر : الفصل في الملل والنحل / ٢ / ٢١٥

(٥) محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود الكمال ابن الهمام السيواسي الأصل ثم

السمع والبصر" يرجعان إلى صفة العلم » .[١]

وجاء تأويل صفة السمع عند الماتريدبة لقول عائشة رضي الله عنها : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ »[٢] .

قال ابن بطال : « ومعنى قول عائشة : " الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات ". أدرك سمعه الأصوات ، لا أنه اتسع سمعه لها ؛ لأن الموصوف بالسعة يصح وصفه بالضيق بدلا منه والوصفان جميعًا من صفات الأجسام ، وإذا استحال وصفه بما يؤدى إلى القول بكونه جسمًا ، وجب صرف قولها عن ظاهره إلى ما اقتضى صحته الدليل» [٣]

وهذا تأويل واضح لصفة سمع الله المتعلق بالمشيئة والإرادة .

كما جاء تأويل صفة الأَذَن أي " الاستماع " الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم : **(ما أَذَن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به)**[٤]، عن المعتزلة ومن وافقهم كابن حزم والأشاعرة وغيرهم .

القاهرى الحنفى ، ولد سنة ٧٩٠ هـ صنف التصانيف الكثيرة كشرح الهداية في الفقه والتحرير في أصول الفقه والمسايرة في أصول الدين ، مات سنة ٨٦١ هـ انظر : البدر الطالع / ٢ / ٢٠٢ ، الأعلام / ٦ / ٢٥٥

(١) المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة / للكمال بن الهمام / ص ٦٧ / دار بولاق مصر /ط١/ مع شرحه المسامرة لابن أبي الشريف وحاشية ، الماتريدية دراسة وتقويماً / أحمد بن عوض الحربي / ص ٦٣ / دار العاصمة ط١، والماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء و الصفات / شمس الأفغاني / ٢ / ٤٨١ / رسالة ماجستير / مكتبة الصديق الطائف / ط ٢

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٢

(٣) شرح صحيح البخارى / لابن بطال / ١٠ / ٤١٧ / تحقيق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم / مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٣هـ ، وانظر : فتح الباري / ابن حجر / ١٣ / ٣٧٤

(٤) تقدم تخريجه ص ١٠٨

قال الزمخشري ــ عند تعليقه على هذا الحديث ــ : « والمعنىّ بهذا الاستماع: الاعتدادُ بقراءة النبي ــصلى الله عليه وسلم ــ وإبانة مزِّيتها وشرفها عنده . ومنه قولهم الأمير يسمع كلام فلان ؛ يعنون أن له عنده وزنا ومَوقعا حسنا» (١).

وفي هذا القول تأويل لهذه الصفة .

وقال ابن حزم : « وأما الأَذَن لنبي حسن الصوت ، فهو من الأذن بمعنى القبول ، كما يأذن الحاجب للمأذون له في الدخول» (٢) وهذا تأويل بين لهذه الصفة.

وقال القرطبي: « أصل الأَذَن بفتحتين أن المستمع يميل بأذنه إلى جهة من يسمعه، وهذا المعنى في حق الله لا يراد به ظاهره، وإنما هو على سبيل التوسع على ما جرى به عرف المخاطب، والمراد به في حق الله تعالى إكرام القارئ وإجزال ثوابه؛ لأن ذلك ثمرة الإصغاء ... ».(٣)

وهذا تأويل من القرطبي، والحامل له على ذلك نفيه للصفات الفعلية ؛ فإن الاستماع وفي معناه الأذن من الصفات الفعلية ، وقول القرطبي وهو قول الأشاعرة ومذهبهم .

الرد على من تأول هذه الصفة من وجوه :

١ــ إن تأويل صفة السمع مخالف للنقل والعقل و ذلك أن النقل والعقل قد دلا على ثبوت صفة السمع لله تعالى، فالقول بنفيها مخالفة للنقل الصريح من الكتاب والسنة ومخالفة للعقل الصحيح، وما خالفهما باطل بالاتفاق.

---

(١) الفائق في غريب الحديث/ الزمخشري / ١ / ٣٢ / تحقيق : علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر– بيروت

(٢) الفصل في الملل والنحل / ٢/ ٣١٥

(٣) المفهم شرح صحيح مسلم / القرطبي / ٢ /٤٢١ ،

فمن النقل: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١).

ففي هذه الآية دلالة صريحة على وصف الله تعالى بالسمع.

وقال تعالى حاكياً ما قاله إبراهيم عليه السلام لأبيه-: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾(٢).

وجه الدلالة:يقول ابن خزيمة: « أفليس من المحال أن يقول خليل الرحمن لأبيه:﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾. فيعيبه بعبادة ما لا يسمع، ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة ما لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من الموتى لا من الحيوان... » (٣)

ومن العقل : أنه قد ثبت أنه تعالى حي، والحي إذا لم يتصف بالسمع والبصر اتصف بضد ذلك وهو العمى والصمم وذلك ممتنع .(٤)

٢ـــ: أن في هذا التأويل نفياً لصفة السمع القائمة بذات الله حقيقة، وتأويل لها بالعلم، مع أنه ثبت أن النبي – صلى الله عليه وسلم –(**قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾(٥) فوضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينيه**)(٦).

فدل هذا الحديث على ثبوت صفة السمع لله تعالى حقيقة، وبطلان تأويلها بالعلم.

٣-يلزم من تأويل صفة السمع بالعلم، تسوية الله تعالى بالأصم الذي يعلم أن في السماء أصواتاً، ولا يسمعها، ولا شك أن في تسوية الله تعالى بالأصم تنقص له تعالى،

---

(١) سورة الشوري الآية (١١)

(٢) سورة مريم الآية (٤٢)

(٣) كتاب التوحيد / ابن خزيمة / ١/٧٧.

(٤) جامع الرسائل / ابن تيمية / ٢ / ١٧ / المحقق : د. محمد رشاد سالم /دار العطاء ـــ الرياض ـــ ط ١

(٥) سورة النساء الآية (٥٨)

(٦) تقدم تخريجه ١٠٥ .

وهو باطل .

قال الأشعري رحمه الله : «وزعمت المعتزلة أن قوله تعالى: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [(١)] أن معناه عليم... قيل لهم: فإذا قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[(٢)]. فمعنى ذلك — عندكم — علم. فإن قالوا: نعم. قيل لهم: فقد وجب عليكم أن تقولوا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾. أعلم وأعلم إذا كان معنى ذلك العلم » [(٣)].

وقال أيضاً : «.... فيقال للمعتزلة: إذا زعمتم أن معنى ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾عالم، فهلا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم؟... فإن قالوا: هذا يوجب أن يكون كل معلوم مقدوراً. قيل لهم: ولو كان معنى سَمِيعًا بَصِيرًا معنى عالم؛ لكان كل معلوم مسموعاً، وإذا لم يجز ذلك، بطل قولكم» [(٤)]

ولما ناقش الدارمي بشراً المريسي قال: «.. ميز الله في كتابه السمع من البصر فقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [(٥)]،﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾[(٦)] ، وقال:﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[(٧)] ففرق بين الكلام والنظر دون السمع، فقال عند السماع والصوت: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[(٨)] ،﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[(٩)] ولم يقل قد رأى الله

---

(١) سورة النساء الآية (١٣٤) .

(٢) سورة طه الآية (٤٦) .

(٣) الإبانة عن أصول الديانة / ص ١٢٠ — ١٢١.

(٤) نفس المصدر / ص ١٢١.

(٥) سورة طه الآية (٤٦) .

(٦) سورة الشعراء الآية (١٥) .

(٧) سورة آل عمران الآية (٧٧).

(٨) سورة المجادلة الآية (١) .

(٩) سورة آل عمران الآية (١٨١).

قول التي تجادلك في زوجها، وقال في موضع الرؤية: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[١] ، وقال: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾[٢] ، ولم يقل: يسمع تقلبك ويسمع الله عملكم، لم يذكر الرؤية فيما يسمع، ولا السماع فيما يرى، لما أنهما عنده خلاف ما عندك »[٣] .

أما تأويل صفة الأَذَن أي : الاستماع الواردة في السنة الصحيحة فقد رد عليها جمع من العلماء منهم :

الشيخ عبدالله الدويش[٤] رحمه الله في تعليقه على فتح الباري عند هذا الحديث حيث قال : «هذا تأويل مردود والصواب إثبات هذه الصفة لله حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته من غير أن يشبه ذلك باستماع المخلوق وهذا قول أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونحوهم »[٥] .

وقال الشيخ عبدالرحمن البراك حفظه الله في تعليقه على المخالفات العقدية في فتح الباري : « الأَذَن في معناه ثلاثة وجوه : منها ما هو حق، ومنها ما هو باطل ؛ لأنه صرف للكلام عن ظاهره بغير دليل، ومنها ما لا يصح الجزم بإثباته و لا نفيه».

فالأول: هو الاستماع؛ وهو ثابت بالقرآن لقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾[٦]

---

(١) سورة الشعراء الآية (٢١٨-٢١٩)

(٢) سورة التوبة الآية (١٠٥)

(٣) نقض الدارمي / ١ / ٢٢١ ــ ٢٢٢

(٤) الشيخ عبدالله بن محمد بن أحمد بن الدويش ، ولد عام ١٣٧٣ه في مدينة الزلفي ، كان آية في سرعة الفهم ، له عدة مؤلفات منها: التوضيح المفيد لشرح مسائل كتاب الحديث وغيرها ، مات سنة ١٤٠٩ه . انظر : علماء نجد خلال ثمانتة قرون / عبدالله البسام / ٤/ ٣٨٦ .

(٥) التعليق على فتح الباري / عبدالله بن محمد بن أحمد الدويش / ص ٢٨ .

(٦) سورة الشعراء الآية (١٥) .

وهذا هو الصواب في تفسير الأذن؛ فمعنى: "ما أذن الله " أي: ما استمع .

والثاني: تفسير الأذَن بإكرام القارئ؛ فإنه يتضمن نفي حقيقة الاستماع إلى الله عز وجل، مع مخالفته لمعنى الأذن في اللغة.

والثالث: تفسير الأذَن بالإصغاء بالأذُن؛ فإن الأذُن لم يقم دليل على إثباها ولا نفيها، فيجب الإمساك عن إضافتها إلى الله تعالى نفيًا وإثباتًا.

واقتصار القرطبي - والحافظ تبعًا له -« على ذكر الثاني والثالث مع الجزم بإثبات الثاني ونفي الثالث غلط ظاهر، ولعل الحامل لهما على ذلك نفيهما للصفات الفعلية كما هو مذهب الأشاعرة؛ فإن الاستماع وفي معناه الأذن من الصفات الفعلية »[1].

---

(١) تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري / ص ٤٣ ــ ٤٤

المطلب الثالث : الانحرافات لدى من فوضها[1] والرد على المخالفين.

أغلب من يسلك مسلك التفويض الباطل هم من الأشاعرة والماتريدية؛وكلهم إنما يدرجون مسلك التفويض تحت نصوص الصفات السمعية الخبرية التي توهم التشبيه على زعمهم، بعد أن يثبتوا الصفات السبع صفات المعاني ومنها صفة السمع .

ولكن في إثباتهم لهذه الصفات،لا يخلو من تأويل أو تفويض؛ إما من جهة حقيقة الصفة، أو من جهة المتعلقات، أو من جهة تجدد آحاد هذه الصفة.

يقول الجويني ـغفر الله له ـ: « اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى

---

(١) التفويض في الاصطلاح : هو رد العلم بالصفات إلى علم الله بها إما معنىً وأما كيفية ، وهو على هذا نوعان :

أولاً : تفويض العلم بحقيقة الصفات وماهيتها إلى رب العالمين ، وهذا المعنى حق وهو أصل من أصول السلف الصالح ، فهم يفوضون الكيفية دون المعنى ، وإن لم يجر على اصطلاحهم تسميته تفويضاً ، ونصوص السلف في ذلك متواترة، منها مقالة الإمام مالك التي سارت كالمثل السائر: "الاستواء معلوم والكيف مجهول"

ثانياً : تفويض العلم بمعاني الصفات لله تعالى وهو التفويض الباطل المبتدع في الشرع أي تفويض المعنى والكيفية ، فيقال : الله أعلم بمراده وهو الذي عليه أهل الكلام وهو المقصود في هذا المطلب . انظر : النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد / محمد محيي الدين عبدالحميد / ص ١٢٨ / حاشية على إتحاف المريد بجوهرة التوحيد ، دار القلم العربي ، حلب ، سوريا ، ط١ ، ١٤١١هـ ، و كتاب مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات / الدكتور أحمد القاضي / ص ١٥٢

والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقيدة، اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة، فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً لا شك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع »[١].

وقول الجويني يدل على أن التفويض للمعنى عام لجميع الصفات ونسب ذلك للسلف والسلف إنما يفوضون الكيفية دون المعنى [٢].

وبين الشيخ عبدالرحمن المحمود ـحفظه الله ـأن الأشاعرة يخالفون السلف حتى في إثبات صفتي السمع والبصر . حيث قال : « ثم إن الأشاعرة مع قولهم بهذا – أي منع حلول الحوادث – وتقريرهم له ؛ أثبتوا لله الصفات السبع ، فوجدوا أن هذه الصفات – ما عدا صفة الحياة – يلزم من إثباتها حلول الحوادث بالله ، لأنه مع وجود المخلوقات توجد معلومات ومرادات ومسموعات ومبصرات ومقدرات ... فحلوا هذه المعضلة بزعمهم بأن قالوا: بأزلية هذه الصفات ، وأنها لازمة لذات الله أزلا وأبدًا ، وقالوا إنه لا يتجدد لله عند وجود هذه الموجودات نعت ولا صفة ، وإنما يتجدد مجرد التعلق بين العلم والمعلوم فقط ! وهؤلاء قد خالفوا المعقول والمنقول .... الخ كلامه» [٣]

كما أني وجدت كلاماً للشيخ محمد بن إبراهيم[٤] ـ رحمه الله ـ يذكر فيه أن

---

(١) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية / الجويني/ ص ٣٢ / تحقيق : محمد زاهد الكوثري / الناشر المكتبة الأزهرية للتراث / ١٤١٢هـ

(٢) انظر :كتاب علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين . د. رضا نعسان معطي / دار الهجرة الرياض / ط ٦ / ١٤٢٦هـ وكتاب تبرئة السلف من تفويض الخلف / محمد إبراهيم اللحيدان / دار الكتاب والسنة ودار الحميضي / ط١ / ١٤١٣هـ

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة / ص١٠٥٤

(٤) الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب آل الشيخ مفتي البلاد السعودية ورئيس قضاتها ولد سنة ١٣١١هـ ومات سنة ١٣٨٦هـ .

المفوضة يفوضون في الصفات السبع إذ يقول: « السميع البصير ما يدرون أيش معنى البصير، هذا غلط المعنى معلوم كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، نعرف أن السمع ضد الصمم، البصر ضد العمى، الاستواء معناه في اللغة معروف الاستقرار والصعود والعلو والارتفاع ».[1]

وجاء في كتاب الترويض في تبيان حقيقة التفويض [2] أن صفة السمع من الصفات التي نص العلماء على تفويض معناها إلى الله قال في« الفصل الثاني: المبحث الأول : تفويض الآيات المشتملة على الألفاظ المضافة إلى الله ».

المطلب التاسع : السمع والبصر ثم ذكر الآيات والأحاديث الدالة على إثباتهما مع بيان معنى ذلك من أقوال العلماء كالبيهقي ، والرازي ، والغزالي ، والحافظ ابن حجر ، والملا علي قاريء ، ثم ختمها بقول الإمام القرطبي في الأسنى شرح الأسماء الحسنى ثم قال: « فالإمام القرطبي يصرح هنا بالتفويض في صفتي السمع والبصر ، وكذا في غيرها من الصفات ، لأن المعاني التي تفهم من ظاهر الخطاب يكون فيها تشبيه للخالق بالمخلوق، ولذا فإن الواجب هو أن يبقى مثل هذا النص من غير تفسير ويؤمن به كما جاء ، ويوكل علمه إلى الله تعالى».

«وعليه فإن صفتي السمع والبصر صفتان ثابتتان لله تعالى ، وأن السلف والخلف من بعدهم قد فوضوا أمرهما إلى الله تعالى ، معتقدين اتصافه سبحانه وتعالى بما يليق بجلالته وعظمته ، معتبرين الخوض فيهما من التكلف الذي نهينا عنه »[3] .

انظر : علماء نجد خلال ثمانية قرون / للشيخ عبدالله البسام / ١ / ٢٤٢ / دار العاصمة الرياض / ط ٢ - ١٤١٩هـ

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن إبراهيم / ١ / ٢٠١ ،

(٢) للدكتور : علي عايد مقدادي / من الأردن ـــ عمان .

(٣) الترويض في حقيقة التفويض / د . علي مقدادي / ص ١٦٩ / دار الحامد / الأردن ـــ عمان

ومن خلال هذا النقل يتبين أن التفويض الباطل داخل في صفة السمع لله تعالى .

الرد عليهم وبيان لوازمهم الفاسدة [(١)]:

أولاً : أن نتيجة مذهب التفويض الباطل هي الجهل المطبق بمعاني النصوص، ولذا سماهم أهل السنة (أهل التجهيل)، فقال ابن القيم في أقسام الناس في نصوص الوحي: «والصنف الثالث: أصحاب التجهيل: الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها. ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله. وهي عندنا بمنزلة﴿**كٓهيعٓصٓ**﴾[(٢)] ﴿**حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ**﴾[(٣)]﴿**الٓمٓصٓ**﴾[(٤)]. فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهاً، ولم نعرف معناه. وننكر على من تأوله، ونكل علمه إلى الله»[(٥)] ، وسماهم مرة: (اللاأدرية) «الذين يقولون: لا ندري معاني هذه الألفاظ، ولا ما أريد منها، ولا ما دلت عليه، وهؤلاء ينسبون طريقتهم إلى السلف »[(٦)]

ثانياً : أن القول بالتفويض الباطل قدح في حكمة الرب تبارك وتعالى ، وفي القرآن الكريم ، وفي الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك بأن يكون الله تعالى أنزل كلاماً لا يفهم ، وأمر بتدبر ما لا يتدبر ، وأن يكون القرآن الذي هو النور المبين والذكر الحكيم

ط الأولى ٢٠٠٥م .

(١) انظر : الحموية، التدمرية، درء التعارض ١ /٢٠٤ / لشيخ الإسلام ابن تيمية، الصواعق المرسلة / ٢ / ٤٢٣ ــ ٤٢٤، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات / د . أحمد القاضي ص ١٥٦

(٢) سورة مريم الآية (١)

(٣) سورة الشورى الآية (١ — ٢)

(٤) سورة الأعراف الآية (١)

(٥) الصواعق المرسلة / ٢ / ٤٢٢

(٦) الصواعق المرسلة / ٣ / ٩٢٠

سبباً لأنواع الاختلافات والضلالات ، وأن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ البلاغ المبين ، وبهذا تكون قد فسدت الرسالة وبطلت الحجة ، وهو الذي لم يتجرأ عليه صناديد الكفر .

ثالثاً : أن القول بالتفويض الباطل وقوع في التعطيل المحض ، لأن إثبات أسماء الله وصفاته يلزم منه الإيمان بما تدل عليه من معان ، وأهل التفويض على النقيض من ذلك ، آمنوا بألفاظ مجردة عن المعاني ، فاسمه الرحمن – مثلاً – دال على صفة الرحمة كما يقوله أهل السنة ، والمفوضة بم يؤمنوا بهذا لعدم علمهم بمعنى كل اسم من أسمائه على التعيين .

رابعاً : أن أصحاب التفويض الباطل وافقوا أهل التأويل في أن الله أنزل كلاماً يراد به خلاف الظاهر منه ، فنصوص الصفات التوحيد والقدر ، ألفاظ لا نعقل معانيها ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها .

خامساً : مصادمة دلائل النصوص الشرعية في باب الإثبات ، فإذا كان أحد لا يعلم معنى النصوص وما تدل عليه ، أصبح الحق متعلقاً بالأدلة العقلية ، والمقدمات المنطقية التي يقيمونها فيظهر من ذلك أن قول أهل التفويض الباطل من شر أقوال أهل البدع والإلحاد .

سادساً : وفيه تجهيل للأئمة والسابقين من العلماء ، فأهل التفويض على حد زعمهم في نصوص الصفات « أنها ألفاظ لا تعقل معانيها ، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها ، ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها ، قد جنوا على السلف الصالح الذين تواترت أقوالهم في إثبات دلالات هذه النصوص على صفات الله على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى .

فمن هذا العرض يظهر صحة منهج السلف الصالح وسلامة طريقتهم في أسماء الله وصفاته ، فأهل السنة يثبتون أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق به سبحانه تعالى من غير تعطيل ولا تمثيل على حد قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾»[١]

---

(١) سورة الشورى آية (١١) .

المطلب الرابع : الانحرافات لدى من شبهها[(١)] بصفة المخلوقين والرد على المخالفين

للمشبهة أقوال شنيعة في صفة السمع لله تعالى حيث شبهوه بسمع المخلوق تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً فمن أقوالهم:

أولاً : أقوال الشيعة والرافضة :

١ــ قول الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقي[(٢)]«يزعمون أن ربهم على صورة الإنسان وينكرون أن يكون لحما ودما ويقولون هو نور ساطع يتلألأ بياضا وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان له يد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وأنه يسمع بغير ما يبصر به وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم» [(٣)] .

---

(١) المشبهة هم الذين شبّهوا الله تعالى بالخلق في صفاته،فانتقصوا الخالق وجعلوه مثل المخلوق، يقول أحدهم: لله يد كيدي وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواء كاستوائي.وهم عدة فرق، على رأسهم: الهشامية، أتباع هشام بن الحكم الرافضي ، والجواليقية: أتباع هشام بن سالم الجواليقي الرافضي،. والجواربية: أتباع داود الجواربي . ومن المشبهة: بعض غلاة الصوفية، أهل الحلول والاتحاد.

ومنهم: الكرامية الذين يزعمون أن الله جسم، والمغيرية وغير هؤلاء كثير.

انظر : مقالات الإسلاميين / لأبي الحسن الأشعري / ١ /١٠٦ ــ ١١٢ ، الفرق بين الفرق/ ص ٧١-٧٦، ٢١٨، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين/ ص ٩٧-١٠٠، والملل والنحل/ ١/٧٦-٨٣، و١٢٧-١٤٦. ومنهاج السنة/ ٢/٥٩٨-٦٠٠، ومجموع الفتاوى/ ٣/١٨٦، و٦/٣٥-٣٦، ومقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها، د.جابر إدريس/ ١/١٧٣ وما بعدها.

(٢) هشام بن سالم الجواليقي من الإمامية ، مفرط في التشبيه والتجسيم ، وتسمى طائفته بالهشامية الجواليقية . انظر : مقالات الإسلاميين ١/١٠٩ ، الفرق بين الفرق صـ ٧١ – ٧٢ .

(٣) مقالات الإسلاميين / ١ / ١٠٩ ، الملل والنحل / الشهرستاني / ١ / ٧٦

٢ ــ قول الزرارية أصحاب زرارة بن أعين[١] الرافضي «يزعمون أن الله لم يزل غير سميع ولا عليم ولا بصير حتى خلق ذلك لنفسه» .[٢]

٣ ــ وحكي عن داود الجواربي[٣] أنه قال : « معبوده : جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء من : يد ورجل ورأس ولسان وعينين وأذنين ومع ذلك : جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء وكذلك سائر الصفات وهو : لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء ».[٤]

٤ ــ قول البيانية[٥] : « أتباع بيان بن سمعان التميمي .وزعم : أن معبوده على صورة إنسان : عضواً فعضواً وجزءاً فجزءاً» .[٦]

٥ ــ قول المغيرية[٧] أصحاب : المغيرة بن سعيد العجلي زعم : « أن الله تعالى

---

(١) زرارة بن أعين الشيباني بالولاء، أبو الحسن: رأس الفرقة (الزرارية) من غلاة الشيعة، كان على مذهب الأفطحية ثم انتقل إلى مذهب الموسوية وبدعته لأنه قال لم يكن الله حيا ولا قادرا ولا عالما ولا سميعا ولا بصيرا ولا مريدا حتى خلق لنفسه هذه الصفات ،فقد جعله محلا للحوادث تعالى الله عن ذلك ،من كتبه (الاستطاعة والجبر) ، مات سنة ١٥٠هـــ انظر : الوافي بالوفيات / الصفدي / ١٤ /١٣٠ / تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى / دار إحياء التراث ــ بيروت ــ ١٤٢٠هـــ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ١٨١ ، والأعلام ٣ / ٤٣

(٢) مقالات الإسلاميين ١ / ١١٠ - ١١١

(٣) داود الجواربي رأس في الرافضة والتجسيم من مرامي جهنم قال عنه يزيد بن هارون :الجواربي والمريسي كافران . انظر : لسان الميزان / ابن حجر /٢/ ٤٢٧ / تحقيق : دائرة المعرف النظامية - الهند / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت / الطبعة الثالثة

(٤) الملل والنحل / الشهرستاني ١ / ٧٦

(٥) البيانية : هم أتباع بيان بن سمعان التميمي ، وهم من الفرق الغالية في علي – رضي الله عنه – وادعت ألوهيته . انظر : الفرق بين الفرق صـــ ٢١٦ ، الملل والنحل ١/١١٠-١١١ .

(٦) الملل والنحل / الشهرستاني ١ / ١١٠ ــ١١١

(٧) الفرقة المغيرية من الفرق الغاليه تنسب إلى المغيرة بن سعيد العجلي ، ومن أشهر اعتقاداته : ←

صورة وجسم ذو أعضاء على مثال حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور وله قلب تنبع منه الحكمة ».[١]

ثانياً : أقوال الصوفية وأهل وحدة الوجود [٢]

١ــ يقول ابن عربي الصوفي : «ومن عرف ما قررناه علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه ، كل ذلك من عين واحدة ، لا بل هو عين الواحدة ». [٣]

٢ ــ قول التجانية[٤] من الصوفية : « أن لله صفة السمع والبصر والقدرة والإرادة، كل صفة من هذه الصفات تحيط بجميع الوجود في آن واحد ... وهكذا إذا رفعه إلى محل القرب يصير يسمع كسماع الحق ، باتساع دائرته ... فلا تختلط عليه أصوات الوجود في الآن الواحد ... » [٥]

فهذه نماذج من أقوالهم في صفة سمع الله تعالى وقد تصدى لهم العلماء قديماً وحديثاً

دعواه النبوة ، وإفراطه في التشبيه . انظر : الفرق بين الفرق صــ ٢١٨ ، الملل والنحل ١٢٩/١ .

(١) الملل والنحل / الشهرستاني ١ / ١٢٩

(٢) وللمزيد من أقوالهم انظر :الرسالة العلمية . عقيد الصوفية وحدة الوجود الخفية / د . أحمد القصير / ص ٤٢٦ ــ ٤٣١ / مكتبة الرشد / الرياض الطبعة الأولى

(٣) فصوص الحكم / لابن العربي بشرح القاشاني / ص ٨١

(٤) من طوائف الصوفية المعاصرين لها انتشار واسع في أفريقيا تنسب إلى أحمد التجاني المتوفى سنة ١٢٣٠هــ من عقائدهم : وحدة الوجود ، وأن دعاء صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من القرآن ولهم بدع كثيرة . انظر :الهداية الهادية إلى الطريقة التجانية / د. تقي الدين الهلالي ، التجانية، د/ على الدخيل الله، وفرق معاصرة / د. غالب العواجي ٣ / ٢١وما بعدها ، والموسوعة الميسرة، ٢٨٥/١.

(٥) جواهر المعاني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني / لعلي حرازم برادة /٢ /٩٤ / دار الحلبي ١٣٨٠هــ

وأنكروا عليهم هذه الأقوال الشنيعة، بل كفروا كثيرا منهم واعتبروهم غلاة خارجين عن الإسلام فمن أقوال العلماء في الرد عليهم :

١ـــ قول نعيم بن حماد[١] شيخ البخاري : « من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها » [٢].

٢ـــ قول عثمان الدارمي ـــرحمه الله ـــفي رده على بِشر المريسي المعتزلي ـــ : « فيقال لهذا المعارض: أما دعواك عليهم أنهم ثبتوا له سمعاً وبصراً، فقد صدقت. وأما دعواك عليهم أنه كعينٍ وكسمعٍ فإنه كذب ادعيت عليهم؛ لأنه ليس كمثله شيء، ولا كصفاته صفة.

وأما دعواك أنهم يقولون: «جارح مركب» فهذا كفر لا يقوله أحد من المسلمين، ولكنا نثبت له السمع والبصر والعين بلا تكييف، كما أثبته لنفسه فيما أنزل من كتابه، وأثبته له الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وهذا الذي تكرره مرة بعد مرة: جارح وعضو وما أشبهه، حشو وخرافات، وتشنيع لا يقوله أحد من العالمين: وقد روينا روايات السمع والبصر والعين في صدر هذا الكتاب بأسانيدها وألفاظها عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فنقول كما قال، ونعني بها كما عنى والتكييف عنا مرفوع، وذكر

---

(١) أبو عبدالله نُعَيْم بن حَمَّاد بن معاوية الخُزاعي، المَرْوَزِيّ ، الإِمام، العلاَّمة، الحافظ،صاحب التَّصانيف.حُمِل إِلى العراق في امتحان: القرآن مخلوْق، مع البُويطِي مُقيَّدين، فمات نُعيم بالعسكر، سنة(٢٢٩). انظر : السير / ٢٠ / ١٦٠ ، وتهذيب التهذيب / ابن حجر / ١٠ / ٤١٠ / دار الفكر – بيروت /الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـــ

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٥٧٨) وانظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ١١٠ – ١٩٦ – ٢٦٣) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٠ / ٦١٠) (١٣ / ٢٩٩) وشرح العقيدة الطحاوية ص ١١٧ .

الجوارح والأعضاء تكلف منك وتشنيع». [١]

وقال أيضاً « إنما نصفه بالأسماء لا بالتكييف ولا بالتشبيه، كما يقال: إنه ملك كريم، عليم، حكيم، حليم، رحيم، لطيف، مؤمن، عزيز، جبار، متكبر. وقد يجوز أن يدعى البشر ببعض هذه الأسماء، وإن كانت مخالفة لصفاقم. فالأسماء فيها متفقة، والتشبيه والكيفية مفترقة، كما يقال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، يعني في الشبه والطعم والذوق والمنظر واللون. فإذا كان كذلك فالله أبعد من الشبه وأبعد. فإن كنا مشبهة عندك أن وحدنا الله إلهًا واحدًا بصفات أخذناها عنه وعن كتابه، فوصفناه بما وصف به نفسه في كتابه، فالله في دعواكم أول المشبهين بنفسه، ثم رسوله الذي أنبأنا ذلك عنه. فلا تظلموا أنفسكم ولا تكابروا العلم؛ إذ جهلتموه فإن التسمية في التشبيه بعيدة ».[٢]

٣ ــ وقول ابن خزيمة الشافعي ــ رحمه الله ــ: «نحن نقول: إن الله سميع بصير كما أعلمنا خالقنا وبارؤنا، ونقول: من له سمع وبصر من بني آدم فهو سميع بصير، ولا نقول أن هذا تشبيه المخلوق بالخالق».[٣]

وقـــال: «ولو لزم – يا ذوي الحجا– أهل السنة والآثار إذا أثبتوا لمعبودهم يدين كما ثبتهما الله لنفسه، وثبتوا له نفسا –عز ربنا وجل–، وأنه سميع بصير، يسمع ويرى، ما ادعى هؤلاء الجهلة عليهم أنهم مشبهة، للزم كل من سمى الله ملكًا، أو عظيمًا ورؤوفًا، ورحيمًا، وجبارًا، ومتكبرًا، أنه قد شبه خالقه –عز وجل– بخلقه، حاش لله أن يكون من وصف الله جل وعلا، بما وصف الله به نفسه، في كتابه، أو على لسان نبيه المصطفى –صلى الله عليه وسلم– مشبها خالقه بخلقه» [٤].

---

(١) نقض الدارمي (ج٢ ص٦٨٨-٦٨٩)

(٢) نقض الدارمي ١ /٣٠٢-٣٠٣

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/ ٦١

(٤) كتاب التوحيد ١ /٦٤

قال ابن البنا الحنبلي[١] رحمه الله : «وأما المشبهة والمجسمة فهم الذين يجعلون صفات الله -عز وجل- مثل صفات المخلوقين، وهم كفار »[٢].

وقال أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني الشافعي رحمه الله -بعد ذكر مجموعة من الآيات والأحاديث في صفات الله عز وجل- : «فهذا وأمثاله مما صح نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن مذهبنا فيه ومذهب السلف إثباته وإجراؤه على ظاهره، ونفي الكيفية والتشبيه عنه .... والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، وإثبات الله تعالى إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فإذا قلنا يد، وسمع، وبصر، ونحوها، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه ولم يقل: معنى اليد: القوة، ولا معنى السمع والبصر: العلم والإدراك. ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار، ونقول إنما وجب إثباتها لأن الشرع ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٣]، كذلك قال علماء السلف في أخبار الصفات: أمروها كما جــاءت »[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وإن وجود ذات الله

---

(١) أبو علي : الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا ، البغدادي: فقيه حنبلي، من رجال الحديث. كان يقول: صنفت مئة وخمسين كتابا. وقيل: بلغت كتبه ٥٠٠ كتاب، منها (شرح الخرقي) في فقه ابن حنبل، و (طبقات الفقهاء) و (العباد بمكة) و (تجريد المذاهب) و (أدب العالم والمتعلم) مات سنة ٤٧١ هـــ انظر : السير ١٨ / ٣٨٠ ، والأعلام / ٢ / ١٨٠

(٢) المختار في أصول السنة/ لابن البنا / ص ٨١ / تحقيق د . عبدالرزاق العباد البدر / مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة / ط الأولى ١٤١٣هـــ .

(٣) سورة الشورى الآية (١١)

(٤) الحجة في بيان المحجّة لإسماعيل الأصبهاني (ج١ ص٢٨٨-٢٨٩)

خالق السموات والأرض هي نفس وجود المخلوقات فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره ولا أنه رب العالمين ولا أنه غني وما سواه فقير »[١]

وفي أقوال هؤلاء العلماء كفاية في الرد على انحراف المشبهة في سمع الله تعالى .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية / تعليق : السيد محمد رشيد رضا / ١ / ١٧٢ / الناشر: لجنة التراث العربي

الباب الثاني :

المباحث العقدية المتعلقة بالبصر لله تعالى في الكتاب والسنة

الفصل الأول :

إثبات اسم البصير لله تعالى .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : بيان معناه المضاف إلى الله ودلالته .

المبحث الثاني : الأدلة على ثبوته على سبيل الانفراد والاقتران

المبحث الثالث : مقتضى هذا الاسم وأثره .

المبحث الرابع : المسائل المتعلقة بهذا لاسم .

المبحث الخامس : الأسماء المقاربة له في المعنى .

المبحث الأول : بيان معناه المضاف إلى الله ودلالته .

اسم الله البصير من الأسماء الحسنى ، الثابتة بالكتاب، والسنة ، والإجماع ،وسيأتي تفصيل الأدلة في المبحث التالي لهذا المبحث ، أما معناه المضاف إلى الله ودلالته فقد قرر العلماء ذلك فمن أقوالهم :

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – في نونيته:

«وهو البصير يرى دبيب النملة السوداء تحت الصخر والصوان

ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عروق بياضها بعيان

ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان» (١)

ويقول أيضًا:

«وكذا بصير وهو ذو بصر ويبـــصر كل مرئي وذي الأكوان» (٢)

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: « البصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة، والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار، وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها، وصغرها، ودقتها ، ويرى نياط عروق النملة، والنحلة، والبعوضة، وأصغر من ذلك، فسبحان من تحار العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبره بالغيب، والشهادة والحاضر، والغائب، ويرى خيانات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى

---

(١) الكافية الشافيةفي الانتصار للفرقة الناجية ٢ / ١٥

(٢) نفس المصدر١/ ١٠٤

ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[1]، ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[2] ، ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[3] ، أي: مطلع، ومحيط علمه، وبصره، وسمعه بجميع الكائنات» [4].

وقال أيضاً : «البصير» الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء. ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السموات السبع » [5].

وقال ابن جرير رحمه الله: « يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾[6]، والله ذو إبصار بما يعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر، حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها. وأصل بصير: مبصر، من قول القائل: أبصرت فأنا مبصر، ولكن صرف إلى فعيل، كما صرف مسمع إلى سميع، وعذاب مؤلم إلى أليم، ومبدع السماوات إلى بديع وما أشبه ذلك » [7].

وقال الخطابي ـــ رحمه الله ـــ : «البصير هو المبصر،..ويقال البصير: العالم بخفيات الأمور» [8]

وقال ابن كثير رحمه الله : «﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾[9] أي خبير بصير بما يعمل

---

(١) سورة الشعراء الآية من (٢١٨ – ٢٢٠)

(٢) سورة غافر الآية (١٩)

(٣) سورة البروج الآية (٩)

(٤) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية ص ٣٥، ٣٦ / دار ابن القيم ط٢

(٥) تفسير السعدي ص ٩٤٦

(٦) سورة البقرة الآية (٩٦)

(٧) تفسير الطبري ٣٤١/١.

(٨) شأن الدعاء ص ٦٠، ٦١

(٩) سورة البقرة الآية (٩٦)

عباده من خير وشر، وسيجازي كل عامل بعمله» [١].

وقال أيضاً : «﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾[٢] أي مطلع عليهم وعليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية منهم » [٣].

وفي ضوء هذه الأقوال يظهر أن لاسمه سبحانه (البصير) معنيين:

الأول: أن له سبحانه بصرًا يليق بعظمته وجلالة يحيط بأقطار السماوات والأرض، ويرى به سبحانه جميع مخلوقاته دقيقها وجليلها، باطنها وظاهرها، ولا يخفى عليه منهم شيء.

الثاني: أنه ذو البصيرة بالأشياء الخبير بها المطلع على بواطنها.[٤]

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ١٦٣

(٢) سورة المائدة الآية (٧١)

(٣) نفس المصدر ٢ / ١٠٠

(٤) النهج الأسنى في شرح الأسماء الحسنى / محمد الحمود النجدي ١/ ٢٣٧/ مكتبة الإمام الذهبي.

المبحث الثاني :

الأدلة على ثبوته على سبيل الانفراد والاقتران . .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة الشرعية الخبرية عند الانفراد وعند الاقتران

اسم الله البصير من الأسماء الحسنى الواردة في الكتاب والسنة؛ بأدلة متنوعة وكثيرة: فقد سمى الله نفسه به على سبيل الإطلاق مراداً به العلمية ودالاً على الوصفية في كثير من النصوص القرآنية ، وسماه به رسوله صلى الله عليه وسلم في كثير من النصوص النبوية، وقد ذكره كل من جمع أسماء الله الحسنى قديماً وحديثاً ولم يختلف أحد فيه.وإليك التفصيل في الأدلة :

الأدلة من القرآن الكريم : ورد اسم البصير في القرآن على صيغة الاسم في مواضع مفرداً ومقترناً .

أما الإفراد فمرة واحدة وهي قوله تعالى : ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[1] .

والاقتران عشر مرات كلها مع اسم السميع وهي على النحو التالي :

١ــ قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]

٢ ــ وقوله تعالى :﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) سورة القرقان الآية (٢٠) .

(٢) سورة الاسراء الآية (١)

هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[(١)]

٣ ـــ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[(٢)]

٤ ـــ وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[(٣)]

٥ ـــ وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[(٤)].

٦ـــ وقوله تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[(٥)].

٧ـــ وقوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[(٦)].

٨ ـــ وقوله تعالى :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[(٧)] .

٩ ـــ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[(٨)].

---

(١) سورة غافر الآية (٢٠)

(٢) سورة غافر الآية (٥٦)

(٣) سورة الشورى الآية (١١)

(٤) سورة الحج الآية (٧٥) ، ، المجادلة (١)

(٥) سورة لقمان الآية (٢٨)

(٦) سورة المجادلة الآية (١)

(٧) سورة الحج الآية (٦١) .

(٨) سورة النساء الآية (٥٨)

١٠ ــ وقوله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[١].

هذه الآيات واضحة الدلالة على إثبات اسم البصير لله عز وجل ، وهناك آيات أخرى تأتي عند ذكر أدلة أثبات صفة البصر .

أما الأدلة من السنة النبوية : فقد وردت أحاديث فيها التصريح باسم البصير؛ وإليك تفصيل الأدلة :

١ــ عن أبي موسى رضي الله عنه قال : (**كنّا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في سَفَر ، فكنا إذا عَلونا كبَّرنا ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : أيها الناس أربَعوا على أنفُسِكم ، فإنكم لا تَدْعونَ أصمَّ ولا غائباً ، ولكنْ تدعون سميعاً بصيراً ، ثمَّ أتى عليَّ وأنا أقولُ في نفسي : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال : يا عبدَ الله بن قيْس ، قل لا حول ولا قوةَ إلا بالله ، فإنها كنزٌ مِنْ كنوز الجنة ، أو قال : ألا أدلك على كلمةٍ هي كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلاّ بالله**)[٢].

٢ ــ عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم يقول : (**رَبُّنَا سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَأَشَارَ بيده إلى عَيْنَيْهِ**)[٣].

٣ ــ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: (**رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،**

---

(١) سورة النساء الآية (١٣٤)

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٨

(٣) المعجم الكبير / الطبراني / ١٧ / ٢٨٢ ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٧٣/١٣): سنده حسن ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ٢٦٠

وَهُوَ يَقْتَرِئُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يَقُولُ: بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)[١].

هذه الأحاديث فيها التصريح بإثبات اسم البصير لله تعالى، وهناك أحاديث أخرى؛ لها تعلق بصفة البصر سيأتي الحديث عنها ، عند ذكر أدلة إثبات صفة البصر لله عز وجل.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٢ / ٦١٤ ، ٣ / ٩٨٧ ، ٤ / ١٠٨٦، وابن كثير في تفسيره ١ / ١٩٣

المطلب الثاني : الأدلة الشرعية العقلية .

فمن الأدلة الشرعية العقلية على إثبات اسم البصير لله تعالى ما يأتي :

أولاً : أن البصر صفة كمال ، وعدمها نقص ؟ والإله لا يكون الإ كاملاً ، كيف يستحق الناقص العادم للبصر أن يعبده من يصر ؟ وهذا التقرير العقلي ورد في القرآن الكريم ،كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه : ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا** ﴾ [(١)]

فدل هذا على أن الذي لا يسمع ولا يبصر أنه لا يغني شيئاً، وأنه لا يستحق العبادة، والله عز وجل مستحق للعبادة، وهو الخالق سبحانه وتعالى، فلزم من ذلك: أنه سميع بصير، وهذا استدلال عقلي قرآني .

قال أبو بكر ابن خزيمة ــرحمه الله ــ : « وتدبروا أيها العلماء ومقتبسو العلم مخاطبة خليل الرحمن أباه وتوبيخه إياه لعبادته من كان يعبد ... قال خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه لأبيه ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا** ﴾. أفليس من المحال يا ذوي الحجا أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر ﴿ **لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ** ﴾ ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان أيضا فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة عز ربنا وجل عن أن يكون غير سميع ولا بصير فهو كعابد الأوثان والأصنام لا يسمع ولا يبصر أو كعابد الأنعام ألم يسمعوا قول خالقنا وبارئنا ﴿ **أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ** ﴾[(٢)]فأعلمنا عز و جل أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام بل هم أضل سبيلا» [(٣)] .

---

(١) سورة مريم الآية (٤٢)

(٢) سورة الفرقان الآية (٤٣ ، ٤٤)

(٣) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل / ابن خزيمة /١/ ١٠٩ ، تحقيق : د.عبد العزيز

ثانياً : أن الله حي ، والحي لا يكون إلا بصيراً ، ولا يفقده إلا لآفة من مرض أو موت .

ثالثاً : يقرر الدليل العقلي أن البصير لا يكون بصيراً إلا ببصر ، ومن لم يكن يبصر فليس ببصير ، وهذا يقرر اتصاف الله بأنه بصير ببصر يبصر به سبحانه .

قال أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله : « فصل في الدليل على أن السميع لا يكون إلا بسمع، والبصير لا يكون إلا ببصر كما لا يكون القدير والحكيم إلا بقدرة وحكمة. فالسميع صفة مشتقة من السمع . كما أن الضارب صفة مشتقة من الضرب ، والضرب مصدر لأن الفعل صدر عنه ، وإذا كان صادراً عن المصدر كانت الصفة المبنية من الفعل صادرة عنه أيضاً وهي الضارب .وإذا صح هذا ، صح أن السميع صفة مبنية من أصل مشتقة منه صادرة عنه . وذلك الأصل هو السمع ، فصح أن السميع لا يكون إلا بسمع،والدليل على ذلك أيضاً : أنه إذا بطل السمع حصل الصمم ، وإذا بطل البصر حصل العمى ، فيكون الله تعالى في قول من يثبت السميع ولا يثبت السمع ، سميعاً أصم وبصيراً أعمى ، كما تقول في القدير والعليم ، فيبطل الصفات كلها وتكون ألفاظاً لا معاني لها ، ويكون الله تعالى خالياً عن الصفات والأسماء التي هي صفات تعالى الله عما يقول المعطلة » [(١)].

ويقول الإمام الشنقيطي – رحمه الله – : «ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق، فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم مع تتريهه جل وعلا عن مشابهة الخلق، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتتريه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل، والآية التي

بن إبراهيم الشهوان / مكتبة الرشيد – الرياض / الطبعة الخامسة

(١) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة/ الأصبهاني /٢ / ١٤٣، تحقيق د : محمد بن ربيع المدخلي / دار الراية الرياض / سنة النشر ١٤١٩هـ

أوضح الله بها هذا؛ هي قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١) ، فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، فصرح في هذه الآية الكريمة، بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال.

والظاهر أن السر في تعبيره بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، دون أن يقول مثلاً: وهو العلي العظيم أو نحو ذلك من الصفات الجامعة؛ أن السمع والبصر يتصف بهما جميع الحيوانات، فبين أن الله متصف بهما، ولكن وصفه بهما على أساس نفي المماثلة بين وصفه تعالى، وبين صفات خلقه، ولذا جاء بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، ففي هذه الآية الكريمة إيضاح للحق في آيات الصفات لا لبس معه ولا شبهة البتة »(٢) .

وهذا التقرير العقلي ورد في السنة النبوية ومن الأدلة على ذلك :

١ ـــ حديث عُقْبَةَ بن عَامِرٍ قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم يقول : **(رَبُّنَا سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَأَشَارَ بيده إلى عَيْنَيْهِ)** (٣) وفي رواية قال: **(رأيت رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم قَرَأَ هذه الآيَةَ في خَاتِمَةِ النُّورِ(٤) وهو جَاعِلٌ أُصْبُعَيْهِ تَحْتَ عَيْنَيْهِ يقول بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)**(٥).

---

(١) سورة الشوى الآية (١١)

(٢) أضواء البيان / ٢/ ١٨ـــ ١٩

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٣٢

(٤) قوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾ سورة النور الآية (٦٣).

(٥) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن ٢ / ٩٣ ،وابن بطة في الإبانة ٣ / ١٢٥ ، والطبراني في المعجم الكبير / ١٧ / ٢٨٢ ،والهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ١٩٤وقال : رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات .

٢ ــ حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : (**كنّا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في سَفَر ، فكنا إذا عَلونا كبَّرنا ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : أيها الناس أربَعوا على أنفُسِكم ، فإنكم لا تَدْعونَ أصمَّ ولا غائباً ، ولكنْ تدعون سميعاً بصيراً ، ثمَّ أتى عليَّ وأنا أقولُ في نفسي : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال : يا عبدَ الله بن قيْس ، قل لا حول ولا قوةَ إلا بالله ، فإنها كنزٌ مِنْ كنوز الجنة ، أو قال : ألا أدلك على كلمةٍ هي كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلاّ بالله**) [1].

٣ ــ حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : (**سمعتُ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[2]، ورأيتُ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يضع إبْهامَه على أذُنَيه والتي تليها على عينيه**) [3].

ولا معنى لهذه الإشارة منه ــ عليه الصلاة والسلام ــ إلا تقرير أن بصره ببصر .

وبهذا يتبين أن اسم البصير لله عز وجل قد دل عليه العقل كما دل عليه السمع .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٨

(٢) سورة النساء الآية (٥٨)

(٣) تقدم تخريجه ص ١٠٥

المبحث الثالث :

مقتضى هذا الاسم وأثره .

أرشدنا الله جل وعلا، في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لتدبر أسمائه الحسنى ، ومعرفتها ، وإحصائها ، وفهم معانيها، والعمل بمقتضاها ،

وقد قرر العلماء هذا الأصل العظيم في كتبهم وقد تقدم جملة من أقوالهم عند مبحث مقتضى اسم الله السميع في الباب الأول من هذه الرسالة [١] .

ومن أسمائه الحسنى البصير سبحانه وتعالى وهو: المطلع على خلقه، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر، فالسر عنده علانية والغيب عنده شهادة .

فمن تأمل الآيات الواردة في القرآن الكريم المختومة بهذا الاسم، يتبين له أثر هذا الاسم ومقتضاه، ومن تلك الأمثلة:

١ ـــ ختم-جل وعلا- بهذا الاسم قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾[٢]، وهذا يقتضي، سمعه لجميع أصوات ما سكن في الليل والنهار، وبَصَره بحركاتهم، على اختلاف الأوقات، وتباين الحالات ، فمن تعبد لله تعالى بهذا الاسم الكريم جنب لسانه الفحش من القول كالسب، والسخرية، والغيبة، والنميمة، والبهتان، واللهو الباطل ونحوه .

٢ ـــ وختم به قوله: ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾[٣]، منبِّهًا بذلك أنه سبحانه بصير بأحوال عباده، خبير بها، بصير

---

(١) انظر ص ٦٥

(٢) سورة الحج الآية (٦١)

(٣) سورة الشورى الآية (٢٧)

بمن يستحق الهداية، ممن لا يستحقها، بصير بمن يصلح حاله بالغنى والمال، وبمن يفسد حاله بذلك.

٣ ــ وختم سبحانه به قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١)، مهدِّدًا، ومتوعدًا، من يلحدون في آياته، بأنه بصير بهم، مطَّلع عليهم، وسيجازيهم يوم القيامة على ما اقترفوه من إلحادٍ في آيات الله.

٤ ــ وختم به تبارك وتعالى قوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾(٢)، وهذا فيه وعدٌ منه سبحانه، أنه لا يَضِيع عنده شيء، من أعمال الخير التي قدموها لأنفسهم، وأنه بصير بهم، وسيثيبهم على ذلك عظيم الثواب.

٥ ــ وختم به قوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾(٣)

فمن عَلِم أن ربَّه بصيرٌ مُطلعٌ عليه،أحسن عمله وعبادته وأخلص فيها لربِّه .

وبهذه الأمثلة يُعلم أن استحضار العبد بِكون الله سبحانه بصيراً به،مطَّلعًا عليه، يفيده فوائد عظيمة ، في جانبي الترغيب والترهيب ، ويوصله إلى مقام الإحسان الذي هو أعلى مقامات الدين؛ وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فأن لم تكن تراه فإنه يراك .

---

(١) سورة فصلت الآية (٤٠)

(٢) سورة البقرة الآية (١١٠)

(٣) سورة الإسراء الآية (١٧)

المبحث الرابع :

المسائل المتعلقة بهذا لاسم .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : دعاء الله به ، والأدلة على ذلك .

أما دعاء الله باسمه البصير فيشمل نوعي الدعاء : دعاء العبادة، ودعاء المسألة :

وقد ورد ذلك في مواضع في الكتاب والسنة منها:

١ ـــ دعاء موسى عليه الصلاة و السلام كما قال تبارك وتعالى على لسانه : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾

قال الشيخ السعدي رحمه الله : «﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ تعلم حالنا وضعفنا وعجزنا وافتقارنا إليك في كل الأمور وأنت أبصر بنا من أنفسنا وأرحم فمن علينا بما سألناك وأجب لنا فيما دعوناك »[1] وهذا يشمل نوعي الدعاء ففيه ثناء على الله وهذا دعاء عبادة وفيه استحضار رؤية الله حال الدعاء وهذا دعاء مسألة .

٢ ـــ قول العبد الصالح، مؤمن آل فرعون؛ كما أخبر الله عنه بقوله : ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ

---

(١) تفسير السعدي ص ٥٠٤

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[(١)]

قال ابن كثير ــ رحمه الله ــ : « ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾، أي: وأتوكل على الله وأستعينه، وأقاطعكم وأباعدكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ أي: هو بصير بهم، فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال، وله الحجة البالغة، والحكمة التامة، والقدر النافذ »[(٢)].

قال الشيخ السعدي رحمه الله : «﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾أي: ألجأ إليه وأعتصم، وألقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحي ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم. ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيئته، فإن سلطكم عليَّ فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيئته صدر ذلك »[(٣)].

وهذا الدعاء يشمل نوعي الدعاء ففيه ثناء واستحضار لرؤية الله له .

٣ ـــ الدعاء بمعنى الاسم ومقتضاه . كسؤال العبد ربَّه أن ينير له بصره وبصيرته ، كما في قول إبراهيم عليه الصلاة و السلام وهو يطلب من ربِّه في دعائه أن يبصره بمناسك الحج إلى البيت الحرام: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[(٤)]

وكذلك أمر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يتوكل عليه لأنه يراه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[(٥)].

---

(١) سورة غافر الآيات (٤١ ـــ ٤٤).

(٢) تفسير ابن كثير ص ١٢٨٩

(٣) تفسير السعدي ص ٧٣٨

(٤) سورة البقرة الآية (١٢٨).

(٥) سورة الشعراء الآيات (٢١٧ ـــ ٢١٨)

وهذا كله من دعاء المسألة .

٤ ــ الأمر بالالتجاء إليه عند حصول وساوس شياطين الإنس والجن:

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[1] .

قال ابن عاشور : « وَجُمْلَةُ ﴿**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ بِالدَّوَامِ عَلَى الِاسْتِعَاذَةِ، أَيْ لِأَنَّهُ الْمُطَّلِعُ عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَنْتَ لَا تُحِيطُ عِلْمًا بِتَصَارِيفِ مَكْرِهِمْ وَكَيْدِهِمْ »[2]. وهذا دعاء مسألة

ومن السنة النبوية : حديث أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضى الله عنه ،: (**قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلى وَادٍ هَللنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا ، فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم :(أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ولكن تدعون سميعا بصيرا)** [3].

وهذا فيه دعاء المسألة لأن فيه استحضار رؤية الله حال الدعاء .

فالدعاء باسم الله البصير؛ أمر متفق عليه ثابت بالكتاب والسنة والحمد لله.

---

(١) سورة غافر الآية (٥٦)

(٢) التنوير والتحرير ٢٤ / ١٧٥

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٨

المطلب الثاني : إضافة التعبيد له ، والأدلة على ذلك.

من توحيد العبودية لله تعالى التعبيد له بأسمائه الحسنى ، الواردة في الكتاب والسنة،،وقد أجمع العلماء على ذلك ، وقد تقدم تقرير أقوالهم في مطلب إضافة التعبد له عند اسمه السميع في الباب الأول .

واسم الله البصير من أسماء الله الحسنى فقد سمى الله نفسه به على سبيل الإطلاق مرادا به العلمية ودالا على الوصفية في كثير من النصوص القرآنية كقوله تعالى : ﴿**وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾[١] ، وسماه به رسوله صلى الله عليه وسلم في كثير من النصوص النبوية، كقوله صلى الله عليه وسلم :(**فإنكم لا تَدْعونَ أصمَّ ولا غائباً ، ولكنْ تدعون سميعاً بصيراً**)[٢]، وقد ورد المعنى محمولا عليه مسندا إليه مع اجتماع علامات الاسم فيه، كقوله تعالى :﴿**وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾[٣].

قال ابن كثير رحمه الله : «وقوله: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ**﴾أي: من الأصنام والأوثان والأنداد، ﴿**لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ**﴾ أي: لا يملكون شيئا ولا يحكمون بشيء ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾أي: سميع لأقوال خلقه، بصير بهم، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهو الحاكم العادل في جميع ذلك»[٤].

وقوله تعالى في الاستعاذة به؛ ﴿**فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾[٥]

---

(١) سورة الشورى الآية (١١)

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٨

(٣) سورة غافر الآية (٢٠)

(٤) تفسير ابن كثير ص ١٢٨٦

(٥) سورة غافر الآية (٥٦)

وعلى هذا فالتعبيد به أمر مشروع ، وهو معهود عند المسلمين من القدم ،وفيه أدب من آداب دعاء العبادة وتوحيد العبودية لله.

وممن تسمى به من العلماء أبو محمود عبد البصير ابن أبي نصر الضراب من أهل هراة ، توفي بهراة إحدى وأربعين وخمسمائة [١]، وعبد البصير الحموي الحنفي، الفقيه، ولي الافتاء بطرابلس الشام ، مات ١٠٩٠ هـ [٢] .

---

(١) انظر : التجبير في المعجم الكبير / الامام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي / ١ / ٥٠٦ / تحقيق منيرة ناجي سالم / الناشر رئاسة ديوان الأوقاف بغداد

(٢) انظر : معجم المؤلفين ٥ / ٧٨

المطلب الثالث : التوسل إلى الله به، والأدلة على ذلك .

التّوسّل يطلق على ما يتقرّب به إلى اللّه تعالى من فعل الطّاعات وترك المنهيّات

قال الراغب الأصبهاني : « وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة ، والواسل الراغب إلى الله تعالى» [١]

فالوسيلة الشرعية هي التوسل بأسماء الله وصفاته، أو بتوحيده والإخلاص له، أو بالأعمال الصالحات، هذه الوسيلة الشرعية التي جاءت بها النصوص.

واسم الله البصير من أسمائه الحسنى فالتوسل به مشروع ومن الأدلة عليه :

قوله تعالى عن موسى عليه الصلاة و السلام : ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[٢].

قال ابن عاشور رحمه الله : « وجملة ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾تعليل لسؤاله شرح صدره وما بعده ، أي لأنك تعلم حالي وحال أخي ، وأنّي ما دعوتك بما دعوت إلا لأننا محتاجان لذلك ، وفيه تفويض إلى الله تعالى بأنه أعلم بما فيه صلاحهم ، وأنه ما سأل سؤاله إلاّ بحسب ما بلغ إليه علمه »[٣].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري : « وقوله ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ أي أنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك شيء من أمرنا وهذا من موسى توسل إلى الله تعالى في قبول دعائه وما طلبه من ربه توسل إليه بعلمه تعالى به وبأخيه وبحالهما »[٤].

ففي هذه الآية التوسل إلى الله باسمه البصير عز وجل وهو من التوسل المشروع .

---

(١) المفردات في غريب القرآن / ص ٥٢٤

(٢) سورة طه الآية (٣٥ ــ ٣٦)

(٣) التحرير والتنوير ١٦ / ٢١٤

(٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٣ / ٣٤٦

قوله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[(١)].

قال الشيخ السعدي رحمه الله : «ثم أخبر أن مَن كانت همته وإرادته دنية غير متجاوزة ثواب الدنيا، وليس له إرادة في الآخرة فإنه قد قصر سعيه ونظره، ومع ذلك فلا يحصل له من ثواب الدنيا سوى ما كتب الله له منها، فإنه تعالى هو المالك لكل شيء الذي عنده ثواب الدنيا والآخرة، فليطلبا منه ويستعان به عليهما، فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا تدرك الأمور الدينية والدنيوية إلا بالاستعانة به، والافتقار إليه على الدوام.وله الحكمة تعالى في توفيق من يوفقه، وخذلان من يخذله وفي عطائه ومنعه، ولهذا قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾»[(٢)] .

وختمه الآية بقوله ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾يدل على التوسل باسمه البصير .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[(٣)].

قال ابن كثير رحمه الله : « يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد ونهى عن الطغيان وهو البغي فإنه مصرعة حتى ولو كان على مشرك وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء »[(٤)].

ختم الآية باسم الله البصير فيه تعليل للأمر بالاستقامة والتوبة وعدم الطغيان فمعنى البصير معنى يتوسل به إلى الله في امتثال أوامره والتوبة إليه والكف عن مناهيه.

---

(١) سورة النساء الآية (١٣٤)

(٢) تفسير السعدي ص ٢٠٨

(٣) سورة هود الآية (١١٢)

(٤) تفسير ابن كثير ص ٧٣٨

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[1]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : «يقول تعالى ذكره: فاستجر بالله يا محمد من شرّ هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، ومن الكبر أن يعرض فى قلبك منه شيء ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾يقول: إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول البصير بما تمله جوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك »[2].

فالاستعاذة باسم الله البصير من التوسل المشروع .

(١) سورة غافر الآية (٥٦)

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٢١/ ٤٠٤ ـــ ٤٠٥

المبحث الخامس :

الأسماء المقاربة له في المعنى .

البصير هو الذي يبصر خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويرى الأشياء كلها ، دقت أو عظمت ، ويبصر جميع الموجودات في عالم الغيب والشهادة .

وقد جاء في الأسماء الحسنى ما يقارب اسم البصير من جهة تعلقه بالعلم أو من جهة تعلقه بالرؤية والمعاينة .

فمن المعنى الأول : تعلقه بالعلم

١ ــ السميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرّها وعلنها ، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد والسر والعلانية عنده سواء وكثيراً ما يقرن الله بين (السميع والبصير) مثل قوله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(١)]،﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[(٢)] فكل من السمع، والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة[(٣)] والسميع والبصير من وسائل العلم .

٢ ــ الخبير ،وهو المطلع على السرائر والضمائر وخفايا الأمورالّذي وسع علمه كلّ شيء ، وأحاط بما في العالم العلويّ والسّفليّ ،فلا يغيب عن علمه شيء[(٤)] وقد اقترن

---

(١) سورة الاسراء الآية (١)

(٢) سورة النساء الآية (١٣٤)

(٣) انظر : الحقّ الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية /الشيخ عبدالرحمن السعدي /ص٣٤ــ ٣٦/ دار ابن القيم الدمام / الطبعة الثانية ١٤٠٧هــ

(٤) انظر : تفسير أسماء اللّه الحسنى للزجّاج ص٤٥ ، تفسير ابن كثير ٥٦٠/١ ، تيسير الكريم الرّحمن لابن سعدي ص ٢٥١،٩٤٥، شرح النّونيّة للهرّاس ٨٢/٢

باسم البصير في آيات مثل قوله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾[١] وقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾[٢] والخبير من مقتضى البصير .

٣ -العليم : الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان ويعلم الغيب والشهادة ، والظواهر والبواطن ، والجلي والخفي، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٣] وعلمه محيط بكل شيء كما أن بصره محيط بكل شيء ، والعليم من مقتضياته أن يكون بصيرا .

٤ -اللّطيف ؛ فإنّه يفسّر بمعنى : الخبير بالخفايا ،وما دقّ ولطف من الأمور، وهو يتضمن جميع الصفات كالعليم والقدير والسميع والبصير وغيرها [٤].

واللطيف من مقتضياته أن يكون بصيرا .

ومن المعنى الثاني : تعلقه بالرؤية والمعاينة

٥ – القريب : هو القريب من كل أحد، وقربه نوعان:

قرب عام من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، واحاطته وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.وقرب خاص من عابديه، وسائليه، ومجيبيه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول، والإثابة.[٥]

---

(١) سورة الإسراء الآية (١٧)

(٢) سورة الإسراء الآية (٣٠)

(٣) سورة الانفال الآية (٧٥)

(٤) انظر : الأسنى شرح الأسماء الحسنى / القرطبي / ١ / ٢٣٠ ــ ٢٣٧، الحقّ الواضح المبين لابن سعدي ص٦١، شرح النّونيّة للهرّاس ٢/١٠٠ ــ ١٠١ .

(٥) انظر : الحقّ الواضح المبين لابن سعدي ص ٦٤

٦ - الرقيب ، والشهيد.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى : «" الرقيب"و "الشهيد" مترادفان، وكلاهما يدلُّ على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾[(١)] ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[(٢)] ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب الشهيد ، فمتى علم العبد أنَّ حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر وهاجس يبغضه الله ، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله ، وتعبَّد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه ، فإن الله يراه »[(٣)].

٧ - المهيمن ؛ وهو بمعنى الشّهيد ؛ أي الحاضر مع عباده ، يسمع أقوالهم ، ويبصر أفعالهم ، فلا يغيب عنه من أمرهم شيء يقولونه ، أو يفعلونه [(٤)]، قال تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾[(٥)]

---

(١) سورة النساء الآية (١)

(٢) سورة المجادلة الآبة (٦)

(٣) الحق الواضح المبين ص ٥٨-٥٩

(٤) انظر : شأن الدعاء / الخطابي / ص ٤٦ ، تفسير أسماء اللّه الحسنى للزجّاج ص٣٢ ، جامع الأصول في أحاديث الرسول / لابن الأثير ١٧٦/٤ تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط/ مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان ــ الطبعة : الأولى ، تفسير القرطبي ٦/ ٢١٠

(٥) سورة يونس الآية (٦١)

٨ – الحفيظ ، يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد كلها ظاهرها وباطنها ، فلا يفوته منها شيء ، ثُمَّ يحاسبهم عليها ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشرّ ، وهو يتضمن العلم والحياة وسائر مشروطاتها .[١]

ومما يدل على كمال بصره كمال عدله ؛ ومن الأسماء الحسنى الدالة على ذلك : المؤمن: الذي يؤمن خلقه من ظلمه[٢] ، والحكم ، و الفتّاح ؛ أي القاضي بالحقّ ؛ فلا يجور أبدًا ، ولا يضيع مثقال ذرّة من خير أو شرّ [٣]، قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤] ؛ أَيْ سَمِيع لِأَقْوَالِ خَلْقه بَصِير بِهِمْ فَيَهْدِي مَنْ يَشَاء وَيُضِلّ مَنْ يَشَاء وَهُوَ الْحَاكِم الْعَادِل فِي جَمِيع ذَلِكَ [٥].

وكل ما يلزم لقيام صفة الإبصار ودوامها وما يترتب عليها ،يتقارب مع اسم البصير ومن هذه الأسماء : الحي والقيوم والمحيط والقوي والعظيم والعزيز لأنها تقتضي البصر .

---

(١) انظر : الأسماء والصفات/ للبيهقي / ١/ ١٢٧ ، الأسنى شرح الأسماء الحسنى / القرطبي/ ٣٠٧/١ – ٣١٣ ، الحقّ الواضح المبين لابن سعدي ص٥٩ ، شرح النّونيّة للهرّاس ٩٩/٢ .

(٢) تفسير الطبري / ٢٣/ ٣٠٢

(٣) انظر : الأسنى شرح الأسماء الحسنى / القرطبي / ١/ ٢٢٢، تفسير ابن كثير ٥٢٧/٤ .

(٤) سورة غافر الآية (٢٠)

(٥) تفسير ابن كثير / ٤ / ٩٣

الفصل الثاني :

إثبات صفة البصر لله تعالى وما يتعلق بها

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : بيان معناها المضاف إلى الله ودلالته .

المبحث الثاني : الأدلة على ثبوتها وتنوع دلالتها .

المبحث الثالث : بيان تعلقها بذات الله وفعله .

المبحث الرابع : المسائل المتعلقة بصفة البصر.

المبحث الأول :

بيان معناها المضاف إلى الله ودلالته .

البصر صفة ذاتيةٌ بالنظر إلى أصلها فعلية بالنظر إلى آحادها، ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بالكتاب ، والسنة ، والإجماع ، وسيأتي تفصيل الأدلة في المبحث التالي لهذا المبحث .

أما معناها المضاف إلى الله ودلالته:

فلله بصر يليق بجلاله يدرك به جميع المبصرات، لا يحجبه شيء عن شيء، مهما كبر أو صغر ، وبصره تعالى نوعان : بصر رؤية ،وبصر علم .

وكلاهما يشمله قوله تعالى : ﴿**وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ**﴾[(١)]، وقوله ﴿**وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ**﴾[(٢)]، وقوله : ﴿**أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ**﴾[(٣)]،وما أشبه ذلك ، فإن هذا البصر شامل لبصر العلم وبصر الرؤية .

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (**حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات**[(٤)] **وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**)[(٥)] ، ومعلوم أنَّ بصر الله تعالى ينتهي إلى رؤية كلِّ المبصرات وجميع المرئيات ، فهو تبارك وتعالى يرى كلَّ شيء ، ولا يغيب عن بصره شيء ، دقيق الأمور وجليلها ، صغيرها وكبيرها ، يرى تبارك وتعالى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في ظلمة الليل ، ويرى جريان الدم في عروقها ،

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٥)

(٢) سورة الحجرات (١٨)

(٣) سورة الكهف الآية (٦٢)

(٤) السُبُحات : بضم الأول والثاني هي جمع سُبحْه وهي جلاله وعظمته، وقيل أضواء وجهه، وقيل محاسنه وقيل نور وجهه. انظر : النهاية في غريب الحديث / ٢ / ٣٣٢ – لسان العرب / ٦ / ١٤٥.

(٥) صحيح مسلم / كتاب الإيمان / باب قوله ((إن الله لا ينام)) برقم (١٧٩).

ويرى كلَّ جزء من أجزائها .

وقد قرر ذلك جمع من العلماء :

قال ابن جرير رحمه الله: « يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾[(١)]، والله ذو إبصار بما يعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر، حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها. وأصل بصير: مبصر، من قول القائل: أبصرت فأنا مبصر، ولكن صرف إلى فعيل، كما صرف مسمع إلى سميع، وعذاب مؤلم إلى أليم، ومبدع السماوات إلى بديع وما أشبه ذلك» [(٢)].

قال أيضاً عند قوله تعالى : ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ ﴾[(٣)]«يقول: أبصر بالله وأسمع، وذلك بمعنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه».

وتأويل الكلام: ما أبصر الله لكلّ موجود، وأسمعه لكلّ مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وروى عن قتادة قوله : « ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ ﴾ فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع، تبارك وتعالى!. »[(٤)] .

وقال البغوي رحمه الله تعالى : « أي ما أبصر الله بكل موجود و أسمعه لكل مسموع أي لا يغيب عن سمعه و بصره شيء» [(٥)].

وقال ابن القيم رحمه الله : « البصير الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة وأعضائها ولحمها ودمها ومخها وعروقها ويرى دبيبها على الصخرة الصماء في

---

(١) سورة البقرة الآية (٩٦)

(٢) تفسير الطبري ٣٤١/١.

(٣) سورة الكهف الآية (٦٢)

(٤) تفسير الطبري ١٧ / ٦٥٠

(٥) تفسير البغوي ٣ / ١٨٨

الليلة الظلماء ويرى ما تحت الأرضين السبع كما يرى ما فوق السموات السبع» (١)

وقال حافظ حكمي رحمه الله :

«وهو الذي يرى دبيب الذر   في الظلمات فوق صم الصخر

وسامع للجهر والإخفات   بسمعه الواسع للأصوات

في هذين البيتين إثبات البصر لله تعالى المحيط بجميع المبصرات و إثبات السمع له المحيط بجميع المسموعات و هاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى و هما متضمن اسميه السميع البصير» (٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : «﴿أَبْصِرْ بِهِۦ﴾ بمعنى ما أبصره.

﴿وَأَسْمِعْ﴾ بمعنى ما أسمعه، وهو أعلى ما يكون من الوصف، والله تبارك وتعالى يبصر كل شيء، يبصر دبيب النملة السوداء على الصخرة السوداء في ظلمة الليل، ويبصر ما لا تدركه أعين الناس مما هو أخفى وأدق » (٣)

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن صفة البصر صفة ثابتة لله عز وجل وهي من الصفات الذاتية الفعلية التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها ، يبصر بها كل شيء ولا يخفى عليه شيء من أمور خلقه ، تبارك وتعالى .

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين / ابن القيم / ص ٢١٢

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول / حافظ حكمي / ١ / ١٣٣ــ ٢٣٤ / تحقيق : عمر بن محمود / دار ابن القيم – الدمام

(٣) كتب و رسائل للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين / ١١/ ٤٠

المبحث الثاني :

الأدلة على ثبوتها وتنوع دلالتها .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة الشرعية الخبرية .

صفة البصر من الصفات الثابتةبالأدلة من الكتاب، والسنة النبوية، والإجماع وإليك التفصيل في ذلك :

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم على إثبات صفة البصر لله تعالى :

سبق في الفصل الأول من هذا الباب ذكر الآيات الدالة على اسم البصير وهو مشتق من صفة البصر أما الآيات الدالة على صفة البصر فهي كالآتي :

وردت صفة البصر لله جل وعلا في القرآن بصيغة بصير على وزن فعيل وبصيغة أَبْصِرْ على وزن أفْعِل وكلها دالة على المبالغة وإليك التفصيل :

١ - لفظ بصير ورد مفرداً ومقترناً دالاً على صفة البصر :

أما الإفراد فقد جاء ست وعشرين مرة وهي :

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[(١)]،وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[(٢)]، وقوله :﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[(٣)]، وقوله :﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[(٤)]،وقوله : ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[(٥)]،وقوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا

---

(١) سورة البقرة الآية (٩٦) ، آل عمران (١٦٣) ، المائدة (٧١) .

(٢) سورة البقرة الآية (١١٠) ، (٢٣٧).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٣٣)

(٤) سورة البقرة الآية (٢٦٥) ، آل عمران (١٥٦) ، الأنفال (٧٢) ، الحديد (٤) ، الممتحنة(٣)، التغابن (٢) .

(٥) سورة آل عمران الآية (١٥) ، (٢٠) .

﴿يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(١)]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(٢)]، وقوله : ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(٣)]،وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[(٤)]، وقوله : ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[(٥)]،وقوله : ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾[(٦)] ،: وقوله : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[(٧)]، وقوله :﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾[(٨)] ، وقوله :﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾[(٩)] وقوله :﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[(١٠)] .

وأما الاقتران فورد أربع مرات مع اسم الله الخبير وهي :

قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾[(١١)]،وقوله :﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾[(١٢)]، وقوله :﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[(١٣)]، وقوله:﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[(١٤)] .

كل هذه الآيات واضحة الدلالة على وصف الله تعالى بصفة البصر على ما يليق بجلاله وعظمته ويشمل بصر العلم وبصر الرؤية .

---

(١) سورة الأنفال الآية (٣٩) .

(٢) سورة هود الآية (١١٢) ، فصلت (٤٠) .

(٣) سورة سبأ الآية (١١) .

(٤) سورة غافر الآية (٤٤) .

(٥) سورة الحجرات الآية (١٨) .

(٦) سورة الملك الآية (١٩) .

(٧) سورة الأحزاب الآية (٩) ، الفتح (٢٤) .

(٨) سورة فاطر الآية (٤٥)

(٩) سورة الانشقاق الآية (١٥) .

(١٠) سورة طه الآية (٣٥)

(١١) سورة فاطر الآية (٣١) .

(١٢) سورة الشورى الآية (٢٧) .

(١٣) سورة الإسراء الآية (١٧)

(١٤) سورة الإسراء الآية (٣٠) ، (٩٦)

٢ ــ لفظ (أَبْصِرْ) ورد مرة واحدة وهي :

قوله تعالى :﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[(١)]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : « ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ أبصر بالله وأسمع، وذلك بمعنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه.

وتأويل الكلام: ما أبصر الله لكلّ موجود، وأسمعه لكلّ مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء »[(٢)]

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله : «﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ أي : ما أبصره وما أسمعه جل وعلا . وما ذكره في هذه الآية الكريمة من اتصافه جل وعلا بالسمع والبصر ، ذكره ايضاً في مواضع أخر ، كقوله :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[(٣)]... والآيات بذلك كثيرة جداً »[(٤)].

فهذه الآية دالة على وصف الله بصفة البصر على ما يليق بجلاله .

أما الأدلة من السنة النبوية :

تقدم في الفصل الأول من هذا الباب ذكر الأدلة النبوية الدالة على إثبات اسم البصير لله عز وجل، وصفة البصر مشتقة منه ، كما أن هناك أدلة أخرى جاءت في السنة النبوية فيها إثبات صفة البصر لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته وهي كالآتي:

١ -عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : (**قام فينا رسول الله صلى الله**

---

(١) سورة الكهف الآية (٢٦)

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ٦٥٠

(٣) سورة الشورى الآية (١١)

(٤) أضواء البيان ٣ / ٣٢٦

عليه وسلم بخمس كلمات ، فقال: إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل. حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)(١).

الشاهد من الحديث قوله : « ما انتهى إليه بصره من خلقه» فهذا الحديث صريح الدلالة على إثبات صفة البصر لله تعالى وأنه بصر رؤية ينتهي إلى كل ما يُبصَر ، وهو من أوضح الأدلة على ذلك .

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جراي)**.(٢)

الشاهد من الحديث قوله «وهو أبصر به» هذا يدل على اتصاف الله بصفة البصر ويشمل نوعي البصر بصر العلم وبصر الرؤية ،وأنه جل وعلا أبصر من خلقه ، فله المثل الأعلى في السموات والأرض.

٣ ـــ عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه قال : **(رأيت رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم قَرَأَ هذه الآيَةَ في خَاتِمَةِ النُّور** (٣) **وهو جَاعِلٌ أُصْبُعَيْهِ تَحْتَ عَيْنَيْهِ يقول بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)**(٤).

هذا الحديث يدل على إثبات صفة البصر لله تعالى ،وجه دلالته : في قوله ﴿**بِكُلِّ**

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٥٣

(٢) صحيح مسلم / كتاب الإيمان / باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب برقم (٢٢٩).

(٣) قوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾ سورة النور الآية (٦٣).

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٣٦

شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ وفي وضع النبي صلى الله عليه وسلم أصبعيه تحت عينيه ليحقق معنى الصفة وأنه بصر رؤية حقيقي .

٤ ـــ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : (**سمعتُ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقرأ هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾**[١]، **ورأيتُ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يضع إبْهامَه على أذُنَيه والتي تليها على عينيه**)[٢].

وقد أورد هذا الحديث جمع ممن كتب في الأسماء والصفات مستدلين به على إثبات صفة البصر لله تعالى منهم :

الإمام ابن منده ــ رحمه الله ــ في كتاب التوحيد قال : « ومن صفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه السمع والبصر ... ثم ذكر الحديث » [٣]

والبيهقي رحمه الله في الأسماء والصفات تحت باب ما جاء في إثبات صفة البصر والرؤية وكلتاهما عبارتان عن معنى واحد ثم علق على ذلك بقوله: «والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبرتحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر ، فأشار إلى محلي السمع والبصر منا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى ، كما يقال قبض فلان على مال فلان ، ويشار باليد على معنى أنه حاز ماله ، وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر لا على معنى أنه عليم ، إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب ؛ لأنه محل العلوم منا»[٤].

يتبين لنا مما تقدم من الأدلة أن صفة البصر ثابتة لله جل وعلا على ما يليق بجلاله وعظمته وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة .

---

(١) سورة النساء الآية (٥٨)

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠٥

(٣) كتاب التوحيد ومعرفة أسماء عز وجل وصفاته ٣ / ٤٣ ـــ ٤٤

(٤) الأسماء والصفات ١ / ٤٦١ - ٤٦٣

المطلب الثاني : الأدلة الشرعية العقلية .

يقول ابن القيم رحمه الله : «ليس في القرآن صفة إلا وقد دل العقل الصريح على إثباتها لله، فقدتواطأ عليها دليل العقل ودليل السمع . فلا يمكن أن يعارض بثبوتها دليل صحيح ألبته لا عقلي ولا سمعي ».(١)

ومن الأدلة العقلية الشرعية على إثبات صفة البصر لله تعالى، ما يلي:

١ ـــ قياس الأولى : وهو أن يقال : كل كمال ثبت للمخلوق ليس فيه نقص ، فالله أولى به، فإنما استفاده المخلوق من خالقه وربه ومدبره. وكل نقص يتزه عنه المخلوق فالله أولى أن يتزه عنه وصفة البصر حقيقة في حق المخلوق، وهي صفة كمال، فالعقل يقتضي أن كل ما ثبت للمخلوق ولا نقص فيه بوجه من الوجوه، يكون الخالق متصفا به من باب أولى .

قال ابن القيم رحمه الله : «قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾(٢)، نبهك بهذا الدليل العقلي القاطع أن الذي جعلك تبصر وتتكلم وتعلم أولى أن يكون بصيرا متكلما عالما فأي دليل عقلي قطعي أقوى من هذا وأبين وأقرب إلى المعقول » (٣)

٢ــ أن الله حي قيوم ، والحي متصف بالبصر، ولا يفقده الحي إلا لآفة من مرض أو فقد أو موت ، والله حي بصير تعالى عن النقص والآفات

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « ...أن السمع والبصر من صفات الكمال فإن الحي

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة:ابن قيم الجوزية، محمد بن أيوب، تحقيق: د.علي الدخيل .

(٢) سورة البلد الآية (٨ ـــ ١٠) .

(٣)الصواعق المرسلة ٣ / ٩١٥ .

السميع البصير أكمل من حي ليس بسميع ولا بصير كما أن الموجود الحي أكمل من موجود ليس بحي والموجود العالم أكمل من موجود ليس بعالم وهذا معلوم بضرورة العقل وإذا كانت صفة كمال فلو لم يتصف الرب بها لكان ناقصا والله متره عن كل نقص»(١).

٣- ومن الأدلة العقلية أن الله أظهر بطلان ألوهية الأصنام بأنها متصفة بالنقص والعجز قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾(٢)

وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾(٣)

قال أبو بكر ابن خزيمه رحمه الله : « وتدبروا أيها العلماء ومقتبسو العلم مخاطبة خليل الرحمن أباه وتوبيخه إياه لعبادته من كان يعبد ... قال خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه لأبيه ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾ . أفليس من المحال يا ذوي الحجا أن يقول خليل الرحمن: لأبيه آزر ﴿ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ ﴾ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان أيضا فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة عز ربنا وجل عن أن يكون غير سميع ولا بصير فهو كعابد الأوثان والأصنام لا يسمع ولا يبصر أو كعابد الأنعام ألم يسمعوا قول خالقنا وبارئنا:

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية / ابن تيمية / ١١٦.

(٢) سورة الأعراف الآيات (١٩٤ ــ ١٩٥) .

(٣) سورة مريم الآية (٤٢) .

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[١]،فأعلمنا عز و جل أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام بل هم أضل سبيلا»[٢]

فدل هذا على أن الذي لا يسمع ولا يبصر أنه لا يغني شيئاً، وأنه لا يستحق العبادة، والله عز وجل مستحق للعبادة، وهو الخالق سبحانه وتعالى، فلزم من ذلك: أنه متصف بالبصر .

وقال شيخ الإسلام : «ولذلك من المستقر في العقول أن مالا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ناقص عن صفات الكمال لأنه لا يسمع كلام أحد ولا يبصر أحداً ولا يأمر بأمر ولا ينهى عن شيء ولا يخبر بشيء فإن لم يكن كالحي الأعمى الأصم كان بمترلة ما هو شر منه وهو الجماد الذي ليس فيه قبول أن يسمع ويبصر ويتكلم ونفي قبول هذه الصفات أبلغ في النقص والعجز وأقرب إلى إنصاف المعدوم ممن يقبلها واتصف بأضدادها إذ الإنسان الأعمى أكمل من الحجر والإنسان الأبكم أكمل من التراب ونحو ذلك »[٣]

قال ابن القيم رحمه الله : «وقال تعالى في آلهة المشركين المعطلين :﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[٤]

فجعل سبحانه عدم البطش والمشي والسمع والبصر دليلا على عدم إلهية من عدمت فيه هذه الصفات فالبطش والمشي من أنواع الأفعال والسمع والبصر من أنواع الصفات ،وقد وصف نفسه سبحانه بضد صفة أربابهم وبضد ما وصفه به المعطلة والجهمية، فوصف نفسه بالسمع والبصر والفعل باليدين والمجيء والإتيان ،وذلك ضد

---

(١) سورة الفرقان الآية (٤٤)

(٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل / ابن خزيمة /١/ ١٠٩ ، تحقيق : د.عبد العزيز ابن إبراهيم الشهوان / مكتبة الرشيد – الرياض / الطبعة الخامسة

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية / ابن تيمية / ١١٩

(٤) سورة الأعراف الآية (١٩٥) .

صفات الأصنام التي جعل امتناع هذه الصفات عليها منافيا لإلهيتها، فتأمل آيات التوحيد، والصفات في القرآن ،على كثرتها وتفننها واتساعها وتنوعها ،كيف تجدها كلها قد أثبتت الكمال للموصوف بها، وأنه المتفرد بذلك الكمال فليس له فيه شبه ولا مثال وأي دليل في العقل أوضح من إثبات الكمال المطلق لخالق هذا العالم ومدبره وملك السموات والأرض وقيومها » [١].

قال يحي العمراني رحمه الله : « والدليل على إثبات السمع والبصر ما أخبر الله عن إبراهيم أنه قال : ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي﴾ [٢] ولو كان إله إبراهيم لا يسمع ولا يبصر لكان دليله منقلبا عليه »[٣].

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : « ما أخبر به تعالى عن المعبودات التي عبدت من دونه، بأنها لا تملك نفعا ولا ضرا، ولا تنصر غيرها ولا تنصر نفسها، وسلبها الأسماع والأبصار، وأنها على فرض سماعها لا تغني شيئا، وغير ذلك من الصفات الدالة على نقصها غاية النقص، وما أخبر به عن نفسه العظيمة من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة، والقدرة والقهر، وغير ذلك من الصفات التي تعرف بالأدلة السمعية والعقلية، فمن عرف ذلك حق المعرفة عرف أن العبادة لا تليق ولا تحسن إلا بالرب العظيم الذي له الكمال كله، والمجد كله، والحمد كله، والقدرة كلها، والكبرياء كلها، لا بالمخلوقات المدبرات الناقصات الصم البكم الذين لا يعقلون» [٤].

قال الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله : « وقد تقرر في الفطر والعقول، أن عدم السمع والبصر، والأرجل والأيدي، نقص وعيب يمتنع معه دعوة الفاقد لذلك؛ لامتناع

---

(١)الصواعق المرسلة ٣ / ٩١٥ـــ ٩١٦

(٢)سورة مريم الآية (٤٢)

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / يحيى بن أبي الخير العمراني / ١ / ١٣٥

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ١٢٤

كونه إلهاً، إذ الإله يجب أن يكون سميعاً بصيراً حياً قادراً، كاملاً، لا نقص فيه، ولا عيب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾»[1].[2]

وبهذا يتبين توافق الأدلة الشرعية والأدلة العقلية على إثبات صفة البصر لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته .

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٩٤)

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري / الشيخ : عبد الله بن محمد الغنيمان / ١ / ١٥٨

المبحث الثالث :

بيان تعلقها بذات الله وفعله .

تنقسم الصفات الثبوتية من جهة تعلقها بالله إلى قسمين:الصفات الذاتية ،و الصفات الفعلية، وكلا النوعين يجتمعان في أنهما صفات له تعالى أزلاً وأبداً، لم يزل متصفاً بهما ماضياً ومستقبلاً لائقان بجلال رب العالمين .[١]

والصفات الذاتية : هي التي لا تنفك عن الذات ، أو التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها، أو ما يوصف الله بها ولا يوصف بضدهاومنها: الوجه – اليدين .

والصفات الفعلية : هي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة، مثل : الاستواء – المجيء .[٢]

والصفات الفعلية من حيث قيامها بالذات تسمَّى صفات ذات، ومن حيث تعلقها بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال تسمَّى صفات أفعال .

فكون البصر يتعلق بالمخلوقات هذا صفة فعل، وكونه متصفاً بالله أزلاً وأبداً فهذا صفة ذات فهي صفة ذاتية باعتبار أصلها وصفة فعلية باعتبار آحادها.

وهذا ما قرره جمع من العلماء ومن أقوالهم :

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « الصِّفَات الاختيارية : وَهِي الْأُمُور الَّتِي يَتَّصِف بهَا

---

(١) انظر : الكواشف الجلية عن معاني الواسطية / عبدالعزيز السلمان / ص ٤٢٩

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٣/٣٢١-٣٢٤، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٤.تحقيق الألباني ، التعريفات /الجرجاني ص١٧٥ ، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية / عبدالعزيز السلمان / ص ٤٢٩ / مكتبة الرياض الحديثة / الطبعة السادسة ، و الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها / د : محمد بن خليفة ص ٦٥

الرب عز وَجل فتقوم بِذَاتِه بمشيئته وَقدرته ؛ مثل كَلَامه وسَمعه وبصره وإرادته ومحبته وَرضَاهُ وَرَحمته وغضبه وَسخطه ؛ وَمثل خلقه وإحسانه وعدله ؛ وَمثل استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله وَنَحْو ذَلِك من الصِّفَات الَّتِي نطق بهَا الْكتاب الْعَزِيز وَالسّنة ... إلى أن قال : وَكَذَلِكَ " السَّمْعُ " وَ " الْبَصَرُ " " وَالنَّظَرُ " ... وَإِنَّمَا " الْمَقْصُودُ هُنَا " أَنَّهُ إذَا كَانَ يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ الْأَقْوَالَ وَالْأَعْمَالَ بَعْدَ أَنْ وُجِدَتْ ؛ فَإِمَّا أَنْ يُقَالَ : إنَّهُ تَجَدَّدَ وَكَانَ لَا يَسْمَعُهَا وَلَا يُبْصِرُهَا فَهُوَ بَعْدَ أَنْ خَلَقَهَا لَا يَسْمَعُهَا وَلَا يُبْصِرُهَا . وَإِنْ تَجَدَّدَ شَيْءٌ : فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ وُجُودًا أَوْ عَدَمًا ؛ فَإِنْ كَانَ عَدَمًا فَلَمْ يَتَجَدَّدْ شَيْءٌ وَإِنْ كَانَ وُجُودًا : فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِذَاتِ اللَّهِ أَوْ قَائِمًا بِذَاتِ غَيْرِهِ وَ " الثَّانِي " يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْغَيْرُ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ وَيَرَى فَيَتَعَيَّنُ أَنَّ ذَلِكَ السَّمْعَ وَالرُّؤْيَةَ الْمَوْجُودَيْنِ قَائِمٌ بِذَاتِ اللَّهِ وَهَذَا لَا حِيلَةَ فِيهِ »[(١)] .

وقال في موضع آخر : « وكذلك السمع والبصر، فانه يسمع سمعا بعد سمع، ويبصر بصرا بعد بصر، فالسمع والبصر يتعلقان بالموجود، وهو قول أئمة الحديث والسلف، وهو صريح القران، كما قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[(٢)]،والسين إذا دخلت على المضارع خلصته للاستقبال، فالفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال، فإذا دخلت عليه السين لم يكن دالا على الحال والاستقبال، بل كان دالا على خصوص الاستقبال ، فيرى يدل على الحال والاستقبال، فإذا دخلت عليه السين أو سوف ارتفعت دلالته على الحال، و لم يكن دالا إلا على الرؤية المستقبلية ، فالله أخبر بأنه سيرى، وهو يدل على أن الرؤية لم تقع في الحال، بل ستقع في المستقبل ، وقد دل الكتاب والسنة واتفاق سلف الامة ودلائل العقل على انه سميع بصير والسمع والبصر لا يتعلق بالمعدوم

---

(١) مجموع الفتاوى/ ٦ / ٢١٧جامع الرسائل / ابن تيمية / ٢ / ٣

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٥

فاذا خلق الاشياء رآها سبحانه واذا دعاه عباده سمع دعاءهم وسمع نجواهم ... »[١]

ومن خلال هذا النقل يتبين أن صفة البصر صفة ذاتية باعتبار أصلها وصفة فعلية باعتبار آحادها.

---

(١) درء التعارض ٣٨٢/٩ وما بعدها ، ومجموع الفتاوى (٤٩٦/٨)

المبحث الرابع :

المسائل المتعلقة بصفة البصر.

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التوسل إلى الله بها والأدلة على ذلك

التَّوسُّل إلى الله بِصفاته، أمر مشروع؛ وهو من أفضل الأعمال،دلت على مشروعيته أدلة كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع .وقد تقدم ذكرها في الباب الأول عند ذكر التوسل إلى الله تعالى بصفة السمع .

أما التوسل بصفة البصر لله تعالى ومنه الرؤية فقد جاء التعليل بالتوسل بهما في الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح فمن الأدلة على ذلك :

١ ـــ ذكره تعالى لقول موسى عليه الصلاة و السلام :﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[1].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري : « وقوله ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾أي أنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك شيء من أمرنا وهذا من موسى توسل إلى الله تعالى في قبول دعائه وما طلبه من ربه توسل إليه بعلمه تعالى به وبأخيه وبحالهما» [2].

ففي هذه الآية التوسل إلى الله بوصفه بصفة البصر وهو من التوسل المشروع .

٢ ـــ وقوله تعالى :﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾[3]

---

(١) سورة طه الآية (٣٥ ـــ ٣٦)

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٣ / ٣٤٦

(٣) سورة غافر الآية (٤٤ ، ٤٥).

قال الشيخ السعدي رحمه الله : «﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾أي: ألجأ إليه وأعتصم، وألقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحي ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيئته، فإن سلطكم عليّ فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيئته صدر ذلك. ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾أي: وقى الله القويّ الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون وآله له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على أنفسهم»[١].

من خلال تفسير الآيات يتضح أن العبد الصالح من آل فرعون توسل إلى الله وفوض أمره أليه لأنه بصير بالعباد فاستجاب الله دعاءه ووقاه من شر قومه .

٣ ـــ عن ابن عباس رضي الله عنه قال : **(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَ مِمَّا دَعَا بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَرَى مَكَانِي ، وَتَسْمَعُ كَلامِي ، وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعَلانِيَتِي ، لا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي ، أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ ، الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ ، الْوَجِلُ الْمُشْفِقُ ، الْمُقِرُّ الْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُذْنِبِ الذَّلِيلِ ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ ، مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ ، وَذَلَّ جَسَدُهُ ، وَرَغِمَ أَنْفُهُ ، اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ شَقِيًّا ، وَكُنْ بِي رَءُوفًا رَحِيمًا ، يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ ، وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ)**[٢]

---

(١) تفسير السعدي ص ٧٣٨ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٢ / ١٥/ برقم (٦٩٦) / تحقيق:محمد شكور محمود الحاج أمرير / المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ط ١، وقال العراقي : ((وإسناده ضعيف

الشاهد من الحديث قوله : «ترى مكاني»فهذا فيه توسل بصفة البصر ، فإن معنى «ترى» : تبصر.

٦ ـــــ عن عمر ابن عبد العزيز أنه كان يدعو؛ « اللهم هذا مكان المستغيث المستجير مكان البائس الفقير مكان الهالك الغريق مكان الخائف الوجل مكان من يبوء بالخطيئة ويعترف بذنبه ويتوب إلى ربه اللهم إنك ترى مكاني وتسمع كلامي وتسمع سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من أمري فأسألك فإنك تلي التدبير وتمضي المقادير سواك من ظلم واعترف وأساء واقترف أن تغفر لي جميع ما مضى في علمك من ذنوبي » [(١)]

هذا الأثر فيه التوسل بصفة البصر .

وفي ختام هذا المطلب يتبين لنا أن التوسل بصفة البصر ومنه الرؤية من التوسل المشروع .

وباقي الدعاء من دعاء بعض السلف في بعضه ما هو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفة))
انظر : تخريج أحاديث الإحياء ٢ /٣٠٤ .

(١) الدعاء لابن فضيل الضبي/ ص ٢٤١ / تحقيق د . عبد العزيز البعيمي / سنده ضعيف / مكتبة الرشد الرياض / ط١.

المطلب الثاني : الاستعاذة بها والأدلة على ذلك

الاستعاذة بصفات الله من الاستعاذة المشروعة، وهي من كمال التوحيد ،وقد تقدم في الباب الأول عند مطلب الاستعاذة بصفة السمع ذكر الأدلة وتقرير العلماء في ذلك [(١)].

أما ما يتعلق بصفة البصر لله عز وجل فقد جاء في الكتاب الاستعاذة باسم الله البصير: قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[(٢)].

قال الطبري رحمه الله : «وقوله:﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ يقول تعالى ذكره: فاستجر بالله يا محمد من شرّ هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، ومن الكبر أن يعرض فى قلبك منه شيء ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾يقول: إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول، البصير بما تمله جوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك» [(٣)].

ففي الآية تعليل الاستعاذة بالله بسماعه جدالهم ورؤيته إياهم وهم يجادلون ، وفي هذا التعليل تنبيه إلى التوسل ببصره وسمعه سبحانه إلى طلب العوذ منه .

وقال ابن القيم رحمه الله : « وتأمل حكمة القرآن الكريم كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ "السميع العليم" في الأعراف والسجدة وجاءت الاستعاذة من شرالإنس الذين يؤنسون ويرون بالإبصار بلفظ ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ في سورة حم المؤمن فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ

---

(١) انظر ص

(٢) سورة غافر الآية (٥٦)

(٣) تفسير الطبري ٢١ / ٤٠٤ ــ ٤٠٥

إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة ترى بالبصر ، وأما نزع الشيطان فوساوس وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يرى بالبصر ويدرك بالرؤية والله أعلم» [1]

وقال الشوكاني رحمه الله : « ثم أمره الله سبحانه بأن يستعيذ بالله من شرورهم فقال ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾أى : فالتجيء إليه من شرهم وكيدهم وبغيهم عليك إنه السميع لأقوالهم البصير بأفعالهم لا تخفى عليه من ذلك خافية » [2].

قال ابن عاشور : « وجملة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾تعليل للأمر بالدوام على الاستعاذة ، أي لأنه المطلع على أقوالهم وأعمالهم وأنت لا تحيط علماً بتصاريف مكرهم وكيدهم .والتوكيد بحرف (إنّ) ، والحصرُ بضمير الفصل مراعى فيه التعريض بالمتحدث عنهم وهم الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان . والمعنى : أنه هو القادر على إبطال ما يصنعونه لا أنت فكيف يتم لهم ما أضمروه لك» [3].

فالاستعاذة بصفات الله أمر مشروع والبصر من صفات الله الثابتة .

---

(١) بدائع الفوائد ٢ / ٧٦٥

(٢) فتح القدير ٤ / ٤٩٧

(٣) التحرير والتنوير / ابن عاشور / ٢٤ /١٧٥ / الطبعة التونسية

المطلب الثالث : القسم بها والأدلة على ذلك

القسم بالصفات أمر مشروع وقد تقدم ذكر الأدلة على ذلك وتقرير العلماء في الباب الأول عند ذكر مطلب القسم بصفة السمع .

ومن الصفات الثابتة صفة البصر لله تعالى فيشرع القسم بها .وبعد البحث والتحري لم أجد نصاً من الكتاب ولا السنة، ولكن هناك نصوص لبعض العلماء منهم :

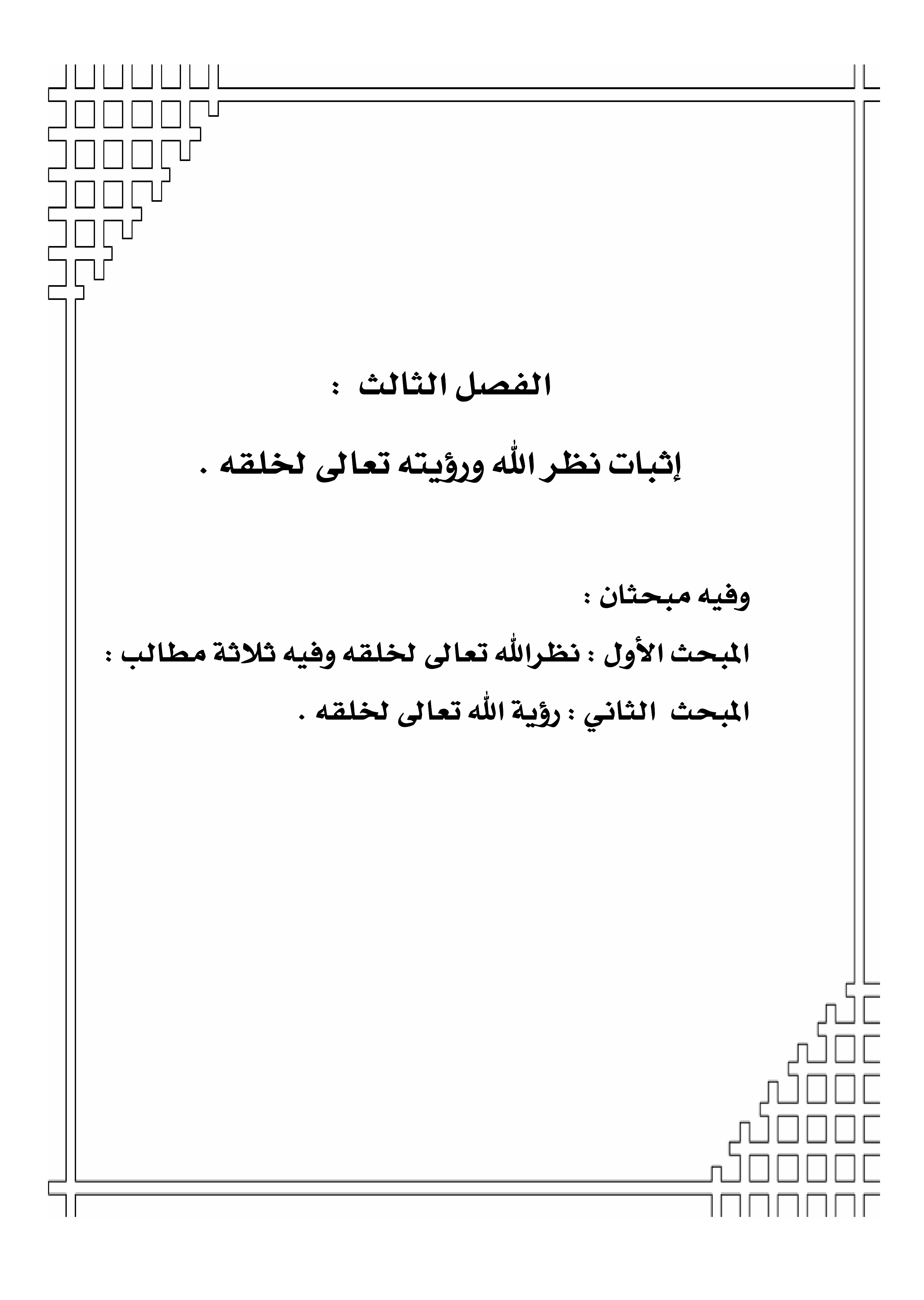
شيخ الإسلام زكريا الأنصاري إمام الشافعية في زمانه رحمه الله بقوله : « وَيَنْعَقِدُ الْيَمِينُ بِقَوْلِهِ : وعلمُ اللَّه وَقُدْرته وحقِّه وعظمته وسمعه وبصرِه ونحوها »[1].

وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله : « الحلف بالصفات جائز بالإجماع، فتحلف تقول: وكلام الله، وقدرة الله، ومجيء الله، وسمع الله، وبصر الله، هذا وتقول: بسمع الله كان كذا،وببصر الله كان كذا، وبكلام الله كان كذا، هذا جائز بالإجماع؛ لأن صفات الله جل وعلا غير مخلوقة».[2]

---

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب / شيخ الإسلام زكريا الأنصاري / ٤/٢٤٤ / تحقيق: د . محمد محمد تامر / دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٢ هـ

(٢) شرح العقيدة الواسطية / الشيخ صالح آل الشيخ / ١ / ٢٤١



الفصل الثالث :

إثبات نظر الله ورؤيته تعالى لخلقه .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نظرالله تعالى لخلقه وفيه ثلاثة مطالب :

المبحث الثاني : رؤية الله تعالى لخلقه .

المبحث الأول :

نظر الله تعالى .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معناه المضاف إلى الله تعالى .

النَّظَرُ صفةٌ فعليةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بالكتاب والسنة[١] على ما يليق بجلاله وعظمته ، فهو تعالى ينظر إلى ما شاء ومن شاء كيف شاء .

والنظر إلى الشيء يدل في اللغة على معنىً واحد وهو تأمُّلُ الشّيءِ ومعاينتُه، ثم يُستعار ويُتَّسَع فيه. فيقال: نظرت إلى الشّيءِ أنظُر إليه، إذا عاينْتَه. ويقولون: نَظَرتُه، أي انتظرته. وهو ذلك القياس، كأنَّه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه، والنَّظْرَةُ الرحمةُ، والنَّظْرَةُ اللَّمْحَةُ بالعَجَلة .[٢]

وصفة النظر لله تعالى قد جاءت في الكتاب والسنة مضافةً إلى الله تعالى في سياق الإثبات وفي سياق النفي أما سياق الإثبات فهي :

كما في قوله سبحانه: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾[٣]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : « يقول تعالى ذكره: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ** ﴾، أيها الناس، خلائف من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا ، تخلفونهم في الأرض، وتكونون فيها بعدهم ﴿**لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾، يقول: لينظر ربكم أين عملكم من عمل

(١) ستأتي الأدلة في المطلب التالي لهذا المطلب .

(٢) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس / ٥ / ٤٤٤ ، وتهذيب اللغة / الأزهري / ١٤ / ٢٦٤ ، ولسان العرب / ١٤ / ١٩١ ــ ١٩٥

(٣) سورة يونس الآية (١٤)

من هلك من قبلكم من الأمم بذنوبهم وكفرهم بربهم، تحتذون مثالهم فيه، فتستحقون من العقاب ما استحقوا، أم تخالفون سبيلَهم فتؤمنون بالله ورسوله وتقرّون بالبعث بعد الممات، فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل »[(١)].

وروي عن عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: « ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ، فَقَالَ: صَدَقَ رَبُّنَا مَا جَعَلَنَا خَلائِفَ الأَرْضِ إِلا لِيَنْظُرَ إِلَى أَعْمَالِنَا، فَأَدُّوا اللَّهَ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالسِّرِ وَالْعَلانِيَةِ »[(٢)].

ويشبه هذا النوع قوله صلى الله عليه وسلم : **(وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)**[(٣)].

وأما في سياق النفي :

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(٤)]، وفي السنة من هذا النوع كثير وسيأتي بيانه عند ذكر الأدلة في المطلب الثاني .

فأهل السنة والجماعة يثبتون صفة النظر لله تعالى على ما يليق بجلاله سبحانه ويثبتون لوازمها الصحيحة، وهذا ما قرره العلماء فمن أقوالهم :

قال سليمان بن حرب[(٥)] رحمه الله : « القرآن غير مخلوق وأخذته من كتاب الله

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ٣٨

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ٣٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم / ٨ /٧

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب الصِّفَاتِ الَّتِى يُعْرَفُ بِهَا فِى الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ / ص ٧٢٤ برقم (٢٨٦٥)

(٤) سورة آل عمران الآية (٧٧)

(٥) أبو أيوب سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي، الواشحي ، الإمام، الثقة، الحافظ، شيخ الإسلام، قاضي مكة ، من أهل البصرة ، روى له الجماعة ، مات سنة ٢٢٤ هـ انظر : السير

تعالى قال الله تعالى : ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾[١]وكلام الله ونظره واحد يعني غير مخلوق »[٢].

فأثبت سليمان بن حرب أن «ينظر»في الآية هو النظر، وأثبت أنها صفة لله عز وجل مثل الكلام.

قال الإمام الدارمي رحمه الله : « ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ففرق بين الكلام والنظر دون السمع ... فكما نحن لا نكيف هذه الصفات لا نكذب بها كتكذيبكم ، ولا نفسرها كباطل تفسيركم »[٣].

وقال ابن مندة رحمه الله ـــ في بعض فصول "كتاب التوحيد" ـــ : «ذكر ما امتدح الله عز وجل من الرؤية ، والنظر إلى خلقه ، ودعاء عباده الصالحين إلى مدحه بذلك » ذكر تحته بعض الآيات والأحاديث ثم أتبعه بقوله : «ذكر ما يدل على أن الله عز وجل يعرض عما يكره ولا ينظر إليه » ثم ذكر تحته عدة أحاديث . ثم قال : « باب آخر يدل على النظر من الله عز وجل إلى عبده وإعراضه عنه ووعده ووعيده في الإعراض عن من سخط عليه والنظر إلى ما يرضاه » ذكر تحته عدة أحاديث ثم قال : «بيان آخر يدل على أن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض كلهم فمقتهم إلا من شاء منهم » ثم ذكر تحته بعض الأحاديث[٤].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : « وَالْقَوْلُ الثَّانِي : أَنَّ جِنْسَ السَّمْعِ وَالرُّؤْيَةِ يَتَعَلَّقُ

/١٠ / ٣٣٠ ـــ ٣٣٤ ، التقريب ص ٢٥٠

(١) سورة آل عمران الآية (٧٧)

(٢) كتاب السنة / للإمام عبدالله بن أحمد/ ١ / ١٦١ قال محققه إسناده صحيح / تحقيق : د. محمد سعيد سالم القحطاني / دار ابن القيم – الدمام

(٣) انظر : نقض المريسي ١/٢٢١ ـــ ٢٢٢

(٤) انظر : كتاب التوحيد / ابن مندة / ٣ / ٦٠ ـــ ٧٢

بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَيُمْكِنُ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ وَهَذَا هُوَ الْمَأْثُورُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ السَّلَفِ كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[١] عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الجوني[٢] قَالَ : « مَا نَظَرَ اللَّهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا رَحِمَهُ وَلَكِنَّهُ قَضَى أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَيْهِمْ » . وَقَدْ يُقَالُ : هَذَا مِثْلُ الذِّكْرِ وَالنِّسْيَانِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[٣]...فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ أَهْلَ طَاعَتِهِ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ أَيْضًا وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ هَذَا الْعَبْدَ وَعَلِمَ مَا سَيَعْمَلُهُ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلَهُ وَلَمَّا عَمِلَ عَلِمَ مَا عَمِلَ وَرَأَى عَمَلَهُ فَهَذَا النِّسْيَانُ لَا يُنَاقِضُ مَا عَلِمَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حَالِ هَذَا »[٤].

وقال أيضاً : « قَوْلُهُ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ وَلَامُ كَيْ تَقْتَضِي أَنَّ مَا بَعْدَهَا مُتَأَخِّرٌ عَنْ الْمَعْلُولِ فَنَظَرُهُ كَيْفَ يَعْمَلُونَ هُوَ بَعْدَ جَعْلِهِمْ خَلَائِفَ »[٥].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله : « وَقَدْ عَلَّلَ هَذَا الاسْتِخْلَافَ عِنْدَ الْإِخْبَارِ الْأَوَّلِ بِهِ هُنَا بِقَوْلِهِ : ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ أَيْ لِنَرَى وَنُشَاهِدَ أَيَّ عَمَلٍ تَعْمَلُونَ فِي خِلَافَتِكُمْ ، فَنُجَازِيَكُمْ بِهِ بِمُقْتَضَى سُنَّتِنَا فِيمَنْ قَبْلَكُمْ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْخِلَافَةَ إِنَّمَا جَعَلَهَا لَكُمْ لِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ وَتَطْهِيرِهَا مِنْ رِجْسِ الشِّرْكِ وَالْفِسْقِ ، لَا لِمُجَرَّدِ التَّمَتُّعِ بِلَذَّةِ الْمُلْكِ »[٦]

---

(١) أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، الإمام ، الحافظ ، مات سنة ٣٢٧ هـ

(٢) أبو عمران عبدالملك بن حبيب الجوني الكندي ويقال الأزدي ، البصري ، ثقة من كبار التابعين ، روى له الجماعة ، مات سنة ١٢٨هـ انظر : السير ٥ / ٢٥٦ ، التقريب ص ٣٦٢

(٣) سورة البقرة الآية (١٥٢)

(٤) مجموع الفتاوى ١٣ /١٣٤- ١٣٥

(٥) مجموع الفتاوى ٦ / ٢٢٧

(٦) تفسير المنار / ١١/ ٢٥٩ / الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

كما جاء تفسيرها بلوازمها الصحيحة من غير نفي لحقيقتها عن جمع من أهل التفسير فمن أقوالهم :

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : « وأما قوله : ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ فإنه يعني : ولا يكلمهم الله بما يسرهم ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ يقول : ولا يعطف عليهم بخير ، مقتا من الله لهم ، كقول القائل لآخر : « انظر إلي نظر الله إليك » بمعنى : تعطف علي تعطف الله عليك بخير ورحمة وكما يقال للرجل : « لا سمع الله لك دعاءك» يراد : لا استجاب الله لك ، والله لا يخفى عليه خافية »[١]

وقال ابن كثير رحمه الله : « ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: برحمة منه لهم، يعني: لا يكلمهم الله كلام لطف بهم، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة»[٢].

ومن خلال عرض أقوال العلماء نخلص بأن النظر المضاف إلى الله ينقسم إلى قسمين: نظر بمعنى العلم والاطلاع والرؤية ، فهذا عام ، ونظر بمعنى التكريم والإحسان والرحمة والرأفة ، وهذا خاص لأولياء الله ، وقد حُرِم منه الكفار وبعض أهل المعاصي من المسلمين وعلى هذا تكون صفة النظر صفة ذاتية باعتبار أصلها لأنها من معنى البصروصفة فعلية باعتبار آحادها لأن الله ينظر متى شاء لمن شاء .

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٥٢٨

(٢) تفسير ابن كثير / ص ٢٧٦

المطلب الثاني : الأدلة على ثبوته .

تنوعت الأدلة على إثبات صفة النظر لله تعالى في الكتاب والسنة وجاءت، بعدة صيغ : نظر وينظر وناظر؛ وهذا يدل على أنها صفة حقيقية. وإليك التفصيل في ذلك .

الأدلة من الكتاب العزيز :

١ ــ قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾[(١)]

قال ابن كثير رحمه الله : « أخبر تعالى عما أحلّ بالقرون الماضية، في تكذيبهم الرسل فيما جاءوهم به من البينات والحجج الواضحات، ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم، وأرسل إليهم رسولا لينظر طاعتهم له، واتباعهم رسوله،...ثم استشهد بحديث : «إن الدنيا حلوة خَضِرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[(٢)]»[(٣)].

٢ ــ قوله تعالى : ﴿ **قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾[(٤)]

قال الطبري رحمه الله : «﴿ **وَيَسْتَخْلِفَكُمْ** ﴾يقول: يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم، لا تخافونهم ولا أحدًا من الناس غيرهم ﴿ **فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾يقول:

---

(١) سورة يونس الآية (١٤)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب الرقائق / باب أكثر أهل الجنة الفقراء / رقم (٢٧٤٢) ص ٦٩٢.

(٣) تفسير ابن كثير ص ٧٠٣

(٤) سورة الأعراف الآية (١٢٩)

فيرى ربكم ما تعملون بعدهم، من مسارعتكم في طاعته، وتثاقلكم عنها »[(١)].

٣ ـــ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[(٢)]

الشاهد قوله ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾وقد تقدم أقوال العلماء في ذلك .

الأدلة من السنة النبوية :

جاءت أحاديث كثيرة تصل إلى حد التواتر تدل على إثبات صفة النظر لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته منها :

١ ـــ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ ، وملك كذّاب ، وعائل مستكبر**)[(٣)].

٢ ـــ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(**ثلاثة لاينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة :العاق لوالديه،والمرأة المترجلة المشتبهة بالرجال والديوث**)[(٤)] .

٣ ـــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل**

---

(١) تفسير الطبري ١٣ / ٤٥ .

(٢) سورة آل عمران الآية (٧٧) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار / رقم (١٠٦) ص ٣٦ .

(٤) أخرجه النسائي في سننه الصغرى ٥/ ٨٠ ـــ ٨١ مع شرح السيوطي وحاشية السندي ، صححه الألباني في الجامع الصغير برقم (٣٠٧١) ١ / ٥٨٩ .

ماء بطريق يمنع منه ابن السبيل ورجل بايع رجلا لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه ما يريد وفى له وإلا لم يف له ورجل ساوم رجلا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فأخذها)[١].

٤ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا**)[٢]

٥ ــ قوله صلى الله عليه وسلم : (**وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**)[٣].

٦ ــ قوله صلى الله عليه وسلم : (**إن الدنيا حلوة خَضِرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**)[٤].

٧ ــ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**)[٥].

٨ ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الشهادات / باب اليمين بعد العصر / برقم (٢٦٧٢) / ٢/ ٣٥٩ مع كشف المشكل للإمام ابن الجوزي ، دار الحديث القاهرة .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب اللباس / باب من جر ثوبه من الخيلاء / برقم (٥٤٥١) ، ومسلم في كتاب اللباس والزينة / باب تحريم جر الثوب خيلاء / رقم ٢٠٨٧ ص ٥٤٦

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب الصِّفَاتِ الَّتِى يُعْرَفُ بِهَا فِى الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ / برقم (٢٨٦٥) ص ٧٢٤

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٨١

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب البر والصلة / باب تحريم ظلم المسلم / رقم (٢٥٤٦) ص ٦٥٦

صَلَاةِ رَجُلٍ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ)[١].

قال الشيخ عبدالله الغنيمان حفظه الله : « وقوله: ﴿ **وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ** ﴾ نظر الله – تعالى– إلى العبد يقتضي الرحمة، وهؤلاء فعلوا أفعالاً مقتهم الله عليها، فأعرض عنهم، ومن أعرض الله عنه فهو هالك، الهلاك الأكبر.

والمقصود بالنظر المنفي هنا، نظر خاص يتضمن الإحسان والرحمة، ويفهم منه نظر العبد إلى الله – تعالى — لأن الله تعالى – لا يحجب بصره شيء أبداً، في أي وقت كان.وهذا القدر من الحديث: أعني قوله: ﴿ **وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ** ﴾هو محل الشاهد لما مر، ولأن الكلام والنظر المقيد بيوم القيامة يدل على اللقاء،واللقاء يتضمن المعاينة.ثم ذكر أفعالهم التي استحقوا عليها هذا الوعيد الشديد » [٢].

ومن خلال هذه الأدلة يتبين لنا أن النظر صفة حقيقية ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[٣] ومن لوازمها الرحمة والإحسان والرأفة والتكريم .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند / برقم (١٠٧٩٩) ١٦ / ٤٦٥ ــ ٤٦٦ ، مؤسسة الرسالة قال محققوه حديث حسن

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٢ / ١٦٨.

(٣) سورة الشورى الآية (١١) .

المطلب الثالث : تنوع دلالته .

النَّظَرُ: تأَمُّل الشيءِ بالعَيْن، وقد نَظَرْتُ إِلى الشيءِ. والنظر أَيضاً: تقليب البَصِيرة لإِدراك الشيءِ ورؤيته، وقد يُراد به التأَمّل والفَحْص، وقد يُراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْص، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[1] أى تأمّلوا. فيقال: نظرت إلى الشّيءِ أنظُر إليه، إذا عاينْتَه. ويقولون: نَظَرْتُه، أي انتظرته. ، كأنَّه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه .

تقول العرب : نَظَرَ يَنظُرُ نَظَراً ، ويجوز تخفيف المصدر ، تَحْمِلُه على لفظِ العَامَّةِ من المصادر ، وتقول : نَظَرتُ إلى كذا وكذا من نَظَرِ العين ، ونَظَرِ القلب .

ويقول القائل للمُؤَمَّل يرجوه : إنما أَنْظُر إلى الله ثم إليك ، أي إنما أتوقع فَضْلَ الله ثم فضلك .

واستعمالُ النَّظَر في البَصرِ أَكثر استعمالاً عند العامّة، وفي البَصِيرة أَكثر عند الخاصّة، ويقال: نَظَرْتُ إِلى كذا: إِذا مَدَدْت طَرْفَك إِلَيْه رَأَيْته أَو لم تَرَه، ونظرتُ إِليه: إِذا رأَيتَه وتَدَبَّرته، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[2]. ونَظَرْت فى كذا: تأَمَّلْته قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3] يراد به الحثّ على تأَمُّل حكمته فى خَلْقها.[4]

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : «النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته

---

(١) سورة يونس الآية (١٠١)

(٢) سورة الغاشية الآية (١٧)

(٣) سورة الأعراف الآية (١٨٥)

(٤) انظر : معجم مقاييس اللغة / ابن فارس / ٥ / ٤٤٤ ، وتهذيب اللغة / الأزهري / ١٤ / ٢٦٤ ، ولسان العرب / ١٤ / ١٩١ ــ ١٩٥ ، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز /الفيروزابادى / ص ١٤٩٠

وتعديه بنفسه : فإن عدي بنفسه ؛ فمعناه : التوقف والانتظار : ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾[1] وإن عدي بــ (في) ؛ فمعناه : التفكر والاعتبار ؛ كقوله :﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[2]. وإنْ عُدي بــ (إلى) ؛ فمعناه : المعاينة بالأبصار ؛ كقوله تعالى : ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾[3]».

وقَالَ الإمام البيهقي رحمه الله : « وقال : أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ الطَّبَرِيُّ[4] فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو النَّضْرِ بْنُ قَتَادَةَ مِنْ كِتَابِهِ : النَّظَرُ فِي كَلامِ الْعَرَبِ مُنْصَرِفٌ عَلَى وُجُوهٍ :

مِنْهَا نَظَرُ عِيَانٍ ، وَمِنْهَا نَظَرُ انْتِظَارٍ ، وَمِنْهَا نَظَرُ الدَّلائِلِ وَالاعْتِبَارِ ، وَمِنْهَا نَظَرُ التَّعَطُّفِ وَالرَّحْمَةِ ،فَمَعْنَى قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ " [5]: أَيْ : لا يَرْحَمُهُمْ ، وَالنَّظَرُ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، رَحْمَتُهُ لَهُمْ ، وَرَأْفَتُهُ بِهِمْ ، وَعَائِدَتُهُ عَلَيْهِمْ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ : انْظُرْ إِلَيَّ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْكَ : أَيِ : ارْحَمْنِي رَحِمَكَ اللَّهُ ».[6]

إذاً النظر له عدة استعمالات متنوعة وكلها واردة في الكتاب والسنة والمعنى يتبين بحسب السياق ، ولا يمنع من حمل اللفظ على المعنى الذي يرد به سياقه ، ولا يصح حمله على معنى واحد في كل سياق مع اختلاف السياقات في دلالاتها .

---

(١) سورة الحديد الآية (١٣)

(٢) سورة الأعراف الآية (١٨٥)

(٣) سورة الأنعام الآية (٩٩)

(٤) أبو الحسن على بن محمد بن مهدى الطبرى ، تلميذ الشيخ أبى الحسن الأشعرى ، المتكلم ، الأشعري ، صنف التصانيف ، وتبحر في علم الكلام ، وهو مصنف "كتاب مشكل الأحاديث الواردة في الصفات " مات سنة ٣٨٠ هــ تقريباً . انظر : طبقات الشافعية الكبرى / السبكي / ٣ / ٤٦٧ ، والوافي بالوفيات / الصفدي / ٢٢ / ٩٠.

(٥) تقدم تخريجه ص ٢٨١ .

(٦) الأسماء والصفات / البيهقي / ٢ /٤٢٨

المبحث الثاني :

رؤية الله تعالى .

وفيه ثلاث مطالب :

المطلب الأول : معناها المضاف إلى الله تعالى .

الرؤية صفة ذاتية بالنظر إلى أصلها ، فعلية بالنظر إلى آحادها ، ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة[١] على ما يليق بجلاله وعظمته فاللهُ تعالى يرى ما تحت الثّرى وما تحت الأرضِ السّابعةِ السّفلى وما في السّماواتِ العلى، لا يغيب عن بصرِه شيءٌ من ذلك ولا يخفى، يرى ما في جوفِ البحارِ ولُجَجِها كما يرى ما في السّماواتِ.

والرؤية في لغة العرب تدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة ، والرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين[٢]،وقد جاءت الرؤية مضافة إلى الله بالمعنيين:

فالمعنى الأول : العلم.

والمعنى الثاني : رؤية المبصرات، يعني: إدراكها بالبصر.

فمن الأول : قوله تعالى عن القيامة: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[٣] ،فالرؤية هنا رؤية العلم؛ لأن اليوم ليس جسمًا يرى، وأيضًا هو لم يكن بعد، فمعنى﴿ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾، أي: نعلمه قريبًا. [٤]

---

(١) وسيأتي بيان الأدلة في المطلب التالي .

(٢) (١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ج٢ ص٤٧٢) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ج٦ ص٢٣٤٧).

(٣) سورة المعارج الآية (٦ ، ٧)

(٤) شرح العقيدة الواسطية / ابن عثيمين / ١ / ٣٢٧

ومن المعنى الثاني : قوله تعالى :﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[١].

وقوله : ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[٢]

فالرؤية هنا رؤية البصر ؛ لأن قوله: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾لا تصح أن تكون بمعنى العلم؛ لأن الله يعلم به حين يقوم وقبل أن يقوم، وأيضًا لقوله: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾وهو يؤيد أن المراد بالرؤية هنا رؤية البصر.

وقد قرر هذا الأمر جمع من علماء أهل السنة والجماعة منهم :

١ ــ الإمام ابن خزيمة رحمه الله في كتابه التوحيد حيث قال : « بَاب إثبات السمع والرؤيه لله جل وعلا ... وقال عز وجل لكليمه موسى وأخيه ابن أمه هارون يؤمنهما فرعون حين خافا أن يفرط عليهما أو أن يطغى﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[٣] فأعلم الرحمن جل وعلا أنه سمع مخاطبة كليمه موسى وأخيه هارون عليهما السلام وما يجيبهما به فرعون وأعلم أنه يرى ما يكون من كل منهم ... وقال الله عز وجل : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[٤] وليس رؤية الله ــ أعمال من ذكر عملهم في هذه الآية كرؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإن كان اسم الرؤية يقع على رؤية الله أعمالهم وعلى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية المؤمنين »[٥].

٢ ــ الإمام ابن مندة رحمه الله في كتابه التوحيد[٦] عد فصولاً وجمع تحتها آيات وأحاديث تدل على إثبات رؤية الله على ما يليق بجلاله وأنها لا تشبه رؤية المخلوق ومن

---

(١) سورة طه الآية (٤٦)

(٢) سورة الشعراء الآية (٢١٨،٢١٩ ، ٢٢٠) .

(٣) سورة طه الآية (٤٦)

(٤) سورة التوبة الآية (١٠٥)

(٥) كتاب التوحيد / ابن خزيمة / ١ / ١٠٦ ــ ١٠٩

(٦) انظر كتاب التوحيد / ٣ /٥٦ ، ٧٣

هذه الفصول: «ذكر ما امتدح الله عز وجل من الرؤية والنظر إلى خلقه ودعا عباده إلى مدحه بذلك » ، و « ذكر الفرق بين رؤية الخالق الباقي والمخلوق العاجز الفاني» .

٣ ــ الإمام قوام السّنّة الأصفهانيُ –رحمه الله– في كتابه الحجة في بيان المحجة حيث قال : « فواجبٌ على كلِّ مؤمنٍ أن يُثْبِتَ من صفاتِ اللهِ عزّ وجلّ ما أثبته اللهُ لنفسِه، وليس بمؤمنٍ من ينفي عنِ اللهِ ما أثبتَه اللهُ لنفسِه في كتابِه، فرؤيةُ الخالقِ لا يكونُ كرؤيةِ المخلوقِ، وسمعُ الخالقِ لا يكونُ كسمعِ المخلوقِ، قال اللهُ تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1] ، وليس رؤيةُ اللهِ تعالى بني آدمَ كرؤيةِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآلِه وسلّم والمؤمنين، وإن كان اسمُ الرّؤيةِ يقع على الجميعِ، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾[2] ، جلّ وتعالى عن أن يُشْبِهَ صفةَ شيءٍ من خلقِه صفتُه أو فعْلَ أحدٍ من خلقِه فعلُه، فاللهُ تعالى يرى ما تحت الثّرى وما تحت الأرضِ السّابعةِ السّفلى وما في السّماواتِ العلى، لا يغيب عن بصرِه شيءٌ من ذلك ولا يخفى، يرى ما في جوفِ البحارِ ولُجَجِها كما يرى ما في السّماواتِ، وبنو آدمَ يَرَوْنَ ما قَرُبَ من أبصارِهم ولا تُدْرِكُ أبصارُهم ما يَبْعُدُ منهم، ولا يُدْرِكُ بصرُ أحدٍ من الآدميّين ما يكون بينه وبينه حجابٌ، وقد تتّفقُ الأسامي وتختلف المعاني»[3].

٤ ــ الإمام البيهقي رحمه الله في كتابه الأسماء والصفات[4] حيث بوب بقوله : «باب ما جاء في إثبات صفة البصر والرؤية وكلتاهما عبارتان عن معنى واحد »ثم ذكر تحته آيات وأحاديث في إثبات ذلك .

٥ ــ الإمام ابن القيم رحمه الله في النونية حيث قال:

---

(١) سورة التوبة الآية (١٠٥)

(٢) سورة مريم الآية (٤٢)

(٣) الحجّة في بيان المحجة /١/١٨١

(٤) انظر كتاب الأسماء والصفات ١ / ٤٦١ ــ ٤٦٦

«وهو البصير يرى دبيب النملة السوداء تحت الصخر والصوان

ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عروق بياضها بعيان

ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان» [١].

٦ ـــ الشيخ حافظ حكمي رحمه الله حيث قال :

«وهو الذي يرى دبيب الذر في الظلمات فوق صم الصخر

وسامع للجهر والإخفات بسمعه الواسع للأصوات

ثم شرح ذلك بقوله : في هذين البيتين إثبات البصر لله تعالى المحيط بجميع المبصرات و إثبات السمع له المحيط بجميع المسموعات و هاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى و هما متضمن اسميه السميع البصير » [٢].

٧ ـــ الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث قال : « الرؤية تنقسم إلى قسمين:

١- رؤية بمعنى العلم.

٢- ورؤية بمعنى إدراك المبصرات.

وكل ذلك ثابت لله عز وجل » [٣].

فبعد هذا العرض لأقوال أهل العلم يتبين لنا أن الرؤية صفة ذاتية بالنظر إلى أصلها، فعلية بالنظر إلى آحادها ، وهي ثابتة بالكتاب والسنة .

---

(١) شرح القصيدة النونية / الهراس / ٢ / ٧٩

(٢) معارج القبول ١ / ٢٣٣ــ ٢٣٤

(٣) شرح العقيدة الواسطية / ابن عثيمين / ١ / ٣٢٧

المطلب الثاني : الأدلة على ثبوتها .

تنوعت الأدلة على إثبات صفة الرؤية لله تعالى، فجاءت بعدة صيغ مثل : (يرى ، أرى ، يراك ، سيرى ، نراه ، ليرين) وهذا يدل على أنها رؤية حقيقية على ما يليق بجلال الله وعظمته وإليك تفصيل الأدلة :

أولاً : الأدلة من الكتاب العزيز :

١ ـ قوله تعالى :﴿ **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ** ﴾[1]

قال ابن كثير رحمه الله : «﴿ **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ** ﴾أي: أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء »[2].

٢ ـ ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾[3]

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾أي :أنتما بحفظي ورعايتي أسمع أقوالكما وأرى جميع أحوالكما فلا تخافا منه فزال الخوف عنهما واطمأنت قلوبهما بوعد ربهما »[4].

٣ـ قوله تعالى:﴿ **ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾[5].

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ **قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ** ﴾[6].

---

(١) سورة العلق الآية (١٤)

(٢) تفسير ابن كثير ٨ / ٤٣٨

(٣) سورة طه الآية (٤٦)

(٤) تفسير السعدي ص ٥٠٦

(٥) سورة الشعراء الآية (٢١٨-٢٢٠)

(٦) سورة التوبة الآية (٩٤) .

٥ ـــ قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١] .

٦ ـــ ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾[٢]

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : « فالرؤية هنا رؤية العلم؛ لأن اليوم ليس جسمًا يرى، وأيضًا هو لم يكن بعد، فمعنى﴿ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾، أي: نعلمه قريبًا »[٣].

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية :

١ـــ جاء في حديث جبريل عليه السلام قَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الإِحْسَانُ ؟ قَالَ** : (**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**)[٤].

٢ ـــ عن أنس رضي الله عنه قال : (**غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين (لَيَرَينَّ) الله ما أصنع**)[٥]، وفي رواية «لَيَرَانِي الله ما أصنع» [٦]

---

(١) سورة التوبة الآية (١٠٥)

(٢) سورة المعارج الآية (٦ ، ٧)

(٣) شرح العقيدة الواسطية / ابن عثيمين / ١/ ٣٢٧

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب التفسير / باب قَوْلِهِ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) / رقم (٤٧٧٧) ٣ / ٤٥٦ ، ومسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان/ رقم (٨) ص١٥

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الجهاد والسير / باب قول الله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)/٢/٤٣١ رقم (٢٨٠٦).

(٦) أخرجها مسلم في صحيحه / كتاب الإمارة / باب ثبوت الجنة للشهيد / برقم(١٩٠٣) ص٤٩٩

قال النووي رحمه الله : « قوله «ليرانى الله ما أصنع» هكذا هو فى أكثر النسخ« ليرانى» بالألف وهو صحيح ويكون ما أصنع بدلاً من الضمير فى أراني أي : ليرى الله ما أصنع ووقع فى بعض النسخ ليرين الله بياء بعد الراء ثم نون مشددة وهكذا وقع فى صحيح البخاري وعلى هذا ضبطوه بوجهين :

أحدهما ليرين بفتح الياء والراء أي : يراه الله واقعا بارزا .

والثاني : لَيُرِينَّ بضم الياء وكسر الراء ومعناه ليرين الله الناس ما أصنعه ويبرزه الله تعالى لهم »[(١)].

فرواية : «لَيَرَينَّ»،و«ليراني الله» تدل على الرؤية البصرية لله تعالى على ما يليق بجلاله.

٣ ـــ عن أَبُي هُرَيْرَةَ ـــ رضي الله عنه ـــ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- :(**لَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَطَيَّبَهَا لَنَا**).[(٢)]

قوله : « بِأَنَّ اللَّهَ رَأَى» تحتمل الرؤيتين العلمية والبصرية .

٤ ـــ عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **كَانَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا عَمِلَ الْعَامِلُ مِنْهُمْ بِالْخَطِيئَةِ نَهَاهُمُ النَّاهِي تَعْزِيرًا ، فَإِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَالَسَهُ وَآكَلَهُ وَشَارَبَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُ عَلَى خَطِيئَةٍ بِالْأَمْسِ، فَلَمَّا رَأَى الله عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرَبَ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ لَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى الله عَلَيْهِمَا، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، وَالَّذِي**

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ٤٨

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند / ١٣ / ٥٢٠ قال محققوه : إسناده صحيح على شرط الشيخين. السنن الكبرى

نَفسُ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بِيَده لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوف وَلْتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ السَّفِيه وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ "[(١)]

قوله : « فَلَمَّا رَأَى الله عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ»تدل على نوعي الرؤية العلمية والبصرية .

٥ – عن أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: (**اعْبُد اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ في الْمَوْتَى، وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا مُسْتَجَابَةٌ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَشْهَدَ الصَّلَاتَيْنِ الْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ وَلَوْ حَبْوًا فَلْيَفْعَلْ**)[(٢)].

٦ – وقد وصَّى النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم – جماعةً من أصحابِه بهذه الوصيَّةِ [(٣)]،عن أبي ذرٍّ ، قال : **أوصاني خليلي – صلى الله عليه وسلم – أنْ أخشى الله كأنِّي أراهُ ، فإنْ لم أكن أراه ، فإنَّهُ يراني**)[(٤)].

ويُروى من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً وموقوفاً :«كُنْ كأنَّكَ ترى الله ، فإنْ لم تكن تراه ، فإنَّهُ يراكَ » [(٥)]

---

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار / ٣ / ٢٠٥، تحقيق : شعيب الأرنؤوط/ مؤسسة الرسالة ، والبيهقي في شعب الإيمان / ١٠ / ٤٤ من حديث عبدالله بن مسعود .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان / ١٣ / ١٢٧

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧ / ٢٤٢ ، انظر كتاب " جامع العلوم والحكم لأبن رجب ص ٧١ – ٧٣ فقد ذكر هذه الروايات .

(٤) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في " الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية " / ص ٢٣ ، وذكره ابن رجب في "جامع العلوم والحكم " ص ٧٢

(٥) أخرجه : أبو نعيم في " الحلية " ٨/٢٠٢، وفي " الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية/ ص ٢٤ ، موقوفاً ومرفوعاً ، والمرفوع ضعيف ،وذكره ابن رجب في "جامع العلوم والحكم " ص ٧٢

قال ابن رجب رحمه الله : « قوله : « فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك» قيل: إنّه تعليلٌ للأوَّل ، فإنَّ العبدَ إذا أُمر بمراقبة الله في العبادة ، واستحضارِ قُربِه مِنْ عبده ، حتى كأنَّ العبدَ يراه ، فإنَّه قد يشقُّ ذلك عليه ، فيستعين على ذلك بإيمانه بأنّ الله يراه ، ويطَّلعُ على سرِّه وعلانيته وباطنه وظاهره ، ولا يخفى عليه شيءٌ من أمره ، فإذا حقَّق هذا المقامَ ، سهُل عليه الانتقالُ إلى المقام الثاني ، وهو دوامُ التَّحديق بالبصيرة إلى قُربِ الله من عبدِه ومعيَّته ، حَتّى كأنَّه يراه .

وقيل : بل هو إشارةٌ إلى أنّ مَنْ شقَّ عليه أنْ يعبُد الله كأنَّه يراه ، فليعْبُدِ الله على أنَّ الله يراه ويطّلع عليه ، فليستحي مِنْ نظره إليه ، كما قال بعضُ العارفين: اتَّقِ الله أنْ يكونَ أهونَ النَّاظرين إليك وقال بعضُهم : خَفِ الله على قدر قُدرته عليك ، واستحي من الله على قدر قُربه منك »[1] .

ومن خلال هذه الأدلة يتبين لنا أن الرؤية صفة حقيقية ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

---

(١) جامع العلوم والحكم / ابن رجب/ ص ٧٣

المطلب الثالث : تنوع دلالتها .

الرؤية في اللغة العربية أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أوبصيرة، ولها استعمالات ودلالات كثيرة من أشهرها(١):-

الأوَّل : الرُّؤيَةُ بالعَيْنِ وتتعدَّى إلى مَفْعولٍ واحدٍ

والثَّاني : بمعْنَى العِلْم وتتعدَّى إلى مَفْعولَيْن ، يقالُ : رأَى زيْداً عالِماً .

والثَّالث : التّفَكّر والتدبيرتقول: سأرى الامرَ، لمن طلب منك حاجة أي سأفكرفي المسألة.

والرابع : الوَهْمِ والتَّخَيّل نَحْو : أَرَى أَنَّ زيْداً مُنْطَلقٌ .

الخامس : المشاورة : تقول: أرني برأيك : أي أشر علي ، وإسترأيت الرجل في الرأي

السادس : الاعتقاد : تقول فلان يرى رأي الخوارج .أي يعتقد اعتقادهم.

السابع : التركيز على الشيء، رأيا الراية أي : ركزها.

أما الرؤية التي هي صفة لله تعالى فقد وردت في الكتاب والسنة بمعنيين :

١ - رؤية بمعنى العلم.

٢ - ورؤية بمعنى إدراك المبصرات.

والرؤية التي بمعنى إدراك المبصرات ثلاثة أقسام:

١- قسم يقصد به النصر والتأييد، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ٢ / ٤٧٣ ، تاج العروس من جواهر القاموس / ٣٨ / ١٠٢ـــ ١٠٣ ، لسان العرب / ٥ / ٩١ـــ ٩٢ ، ١٤ /٢٩١ ،و المنجد ، ص ٢٤٣.

أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[١].

٢- وقسم يقصد به الإحاطة والعلم، مثل قوله تعالى عن القيامة: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾[٢] ،فالرؤية هنا رؤية العلم؛ لأن اليوم ليس جسمًا يرى، وأيضًا هو لم يكن بعد، فمعنى﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾، أي: نعلمه قريبًا[٣].

٣- وقسم يقصد به التهديد، مثل قوله: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾[٤] وقوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[٥].

وقد تقسم إلى رؤية عامة ورؤية خاصة :

فالعامة تقتضي العلم والإحاطة والبصر والنظر كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[٦]، وقوله : مَا الإِحْسَانُ ؟ قَالَ : « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »[٧] .

والرؤية الخاصة تقتضي الحفظ والرعاية . كقوله تعالى : ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[٨] فهذه الرؤية المخصوصة المقصود بها مع إثبات النظر والإبصار: الحفظ والرعاية ، فهو حافظ لهما، عاصم لهما من فرعون وجنوده.

وعلى هذا فالرؤية صفة حقيقية ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ،رؤية بصرية وعلمية ، ومن لوازمها الحفظ والرعاية والنصر والتأييد والترغيب والترهيب .

---

(١) سورة طه الآية (٤٦)

(٢) سورة المعارج الآية (٦ ، ٧)

(٣) شرح العقيدة الواسطية / ابن عثيمين / ١ / ٣٢٧

(٤) سورة التوبة الآية (٩٤)

(٥) سورة العلق الآية (١٤)

(٦) سورة العلق الآية (١٤)

(٧) تقدم تخريجه ص٢٩٢

(٨) سورة طه الآية (٤٦) .



الفصل الرابع :

إثبات صفة العين لله تعالى .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: معناها المضاف إلى الله تعالى .

المبحث الثاني : الأدلة على ثبوتها .

المبحث الثالث : تنوع إطلاقات العين .

المبحث الأول :

معناها المضاف إلى الله تعالى .

العين صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عَزَّ وجَلَّ بالكتاب ، والسنة[١]، على ما يليق بجلاله وعظمته .

ومعناها المضاف إلى الله :

لله تعالى عين حقيقية تليق بجلاله ، وعظمته،وسلطانه ، يبصر وينظر ويرى بها كل شيء من غير تكييف ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[٢].

وقد ورد لفظ "العين" في القرآن الكريم مضافة لله تعالى في خمس آيات وهي :

١ ــ قوله تعالى : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾[٣]

٢ ــ وقوله : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[٤]

٣ ــ وقوله :﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[٥]

٤ ــ وقوله : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾[٦]

٥ ــ وقوله : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[٧]

---

(١) سيأتي تفصيل الأدلة في المبحث التالي لهذا المبحث

(٢) سورة الشورى الآية (١١)

(٣) سورة هود الآية (٣٧)

(٤) سورة المؤمنون الآية (٢٧)

(٥) سورة الطور الآية (٤٨)

(٦) سورة القمر الآية (١٤)

(٧) سورة طه الآية (٣٩)

وقد صرح جمع من المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم بأن المراد بها صفة الله سبحانه والتي يرى بها كل مرئي، فمن أقوالهم :

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : «﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، يقول: بمرأى منا، ومنظر» [(١)]

وقال أيضاً : «﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾يقول جلّ ثناؤه: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين » [(٢)].

قال البغوي رحمه الله : «﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾أَيْ بِمَرْأًى مِنَّا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَرَى مَا يُعْمَلُ بِكَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: إِنَّكَ بِحَيْثُ نَرَاكَ وَنَحْفَظُكَ فَلَا يَصِلُونَ إِلَى مَكْرُوهِكَ» [(٣)]

قال ابن كثير رحمه الله : « ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى منا» [(٤)]

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : «﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾أي: بحفظنا، ومرأى منا، وعلى مرضاتنا،[(٥)] أي: بأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا بحيث نراك ونسمعك ».[(٦)]

كما قرر هذه الصفة جمع من علماء أهل السنة والجماعة منهم :

١ ــ الإمام البخاري رحمه الله تعالى حيث قال في صحيحه : «باب قول الله تعالى : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ تُغَذَّى ، وقوله جل ذكره : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾»

ثم ساق بسنده حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – ذكر الدجال عند

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٢٦ ، ٢٧/ ١١١

(٢)تفسير الطبري ٢٧ / ٤٧

(٣)تفسير البغوي ٧ / ٣٩٤

(٤)تفسير ابن كثير ص ١٤٠٠

(٥)تفسير السعدي ص ٣٨١

(٦)تفسير السعدي ص ٥٥٠

النبي صلى الله عليه و سلم فقال (**إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور – وأشار بيده إلى عينه – وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**[١])[٢] .

وحديث أنس رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (**ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر**)[٣].

٢ ـــ الدارمي رحمه الله حيث قال : « قال الله تعالى لموسى ﴿**وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ**﴾ وقال ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾وقال: ﴿ **وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال: (**إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**)[٤]، والعور عند الناس ضد البصر والأعور عندهم ضد البصير بالعينين »[٥] .

وقال أيضاً : « ففي تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن الله ليس بأعور » بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور»[٦].

---

(١) (عنبة طافية) هي: الحَبَّة التي قد خَرجَت عن حَدّ نَبتَةِ أخوَاتها فَظَهَرت من بَيْنها وارْتَفعَت . وقيل : أَرَادَ به الحَبَة الطَّافيةَ على وجْه الماءِ شَبَّه عينَه بها .وقيل: بارزة ولبعضهم بالهمز أي ذهب ضوؤها. انظر النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير / ٣ / ٢٩٢ ، فتح الباري / ابن حجر / ١٣ / ٩٧

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى :" وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي " رقم (٧٤٠٧) ٤ / ٦١٣

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى :" وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي رقم (٧٤٠٨) ٤ / ٦١٣

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى :" وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي رقم (٧٤٠٨) ٤ / ٦١٣

(٥) الرد على المريسي ١/ ٣٠٤ ـــ ٣٠٥

(٦) الرد على المريسي ١ / ٣٢٧

٣ ــ كما صرح أبو الحسن الأشعري رحمه الله بأن مذهب أهل الحديث الذي ارتضاه وسار عليه يثبت أن لله عينين بلا كيف . كما قال تعالى :﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾وقال : ﴿ **وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا** ﴾فأخبر تعالى أن له وجها وعينا ولا تكيف ولا تحد[1].

٤ ــ ابن خزيمة رحمه الله قال في كتاب التوحيد : « باب ذكر إثبات العين لله جل وعلا » : على ما ثبته الخالق البارئ لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل لنبيه نوح صلوات الله عليه: ﴿ **وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا** ﴾ وقال جل وعلا: ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾، وقال عز وجل في ذكر موسى ــ عليه السلام ــ: ﴿ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ** ﴾ ، وقال: ﴿ **وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾.

فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق البارئ لنفسه، من العين، وغير مؤمن: من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبته الله في محكم تنزيله، ببيان النبي صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله مبيناً عنه، عز وجل، في قوله: ﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾[2]، فبين النبي ' أن لله عينين، فكان بيان موافقا لبيان محكم التنزيل، الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب »[3].

وقال أيضاً : «نحن نقول لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى وما في السموات العلى وما بينهما من صغير وكبير لا يخفى على خالقنا خافية في السموات السبع والأرضين السبع ولا مما بينهم ولا فوقهم ولا أسفل منهن لا يغيب عن بصره من ذلك شيء يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى عرشه الذي

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة / الأشعري / ص ١٢٩ ، مقالات الإسلاميين / ١ / ٣٤٥ ونقل ذلك شيخ الإسلام في الفتوى الحموية ٥ / ٩٠ ضمن " مجموع الفتاوى " .

(٢) سورة النحل الآية (٤٤)

(٣) كتاب التوحيد ١ / ٩٦ ــ ٩٧

هو مستو عليه ... ونزيد شرحًا وبيانًا نقول عين الله عز وجل قديمة لم تزل باقية ولا تزال محكوم لها بالبقاء منفي عنها الهلاك والفناء » [١].

٥ ــ اللَّالَكَائي في "أصول الاعتقاد" بوب بقوله : «سياق ما دل من كتاب الله عَزَّ وجلَّ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على أن صفات الله عَزَّ وجلَّ الوجه والعينين واليدين » [٢].

٦ ــ القاضي أبو يعلى في كتابه "إبطال التأويلات لأخبار الصفات" قال : « إثبات صفة العينين لربنا جل شأنه» ثم ذكر أحاديث وآثار . وقال : « اعلم أَنَّهُ غير ممتنع حمل الخبر عَلَى ظاهره فِي إثبات عينين هما صفتان زائدتان عَلَى البصر والرؤية، ليستا بجارحتين[٣]، والوجه فِي ذلك أن اللَّه تَعَالَى وصف نفسه بذلك بقوله تَعَالَى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ .. » [٤]

٧ ــ ابن القيم رحمه الله حيث قال : «وقد احتج السلف على إثبات العينين له سبحانه بقوله: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾القمر وممن صرح بذلك إثباتا واستدلالا أبو الحسن الأشعري في كتبه كلها » [٥]

٨ ــ الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله حيث قال عند شرحه للعقيدة الواسطية: « وقَوله: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ ، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾: فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ يُثْبِتُ

---

(١) نفس المصدر ١ / ١١٤ــ١١٥

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣ / ٤٧٥

(٣) قوله: "وليستا بجارحتين" من النفي المبتدع، ولفظ الجارحة لفظ مجمل ، وهذا التعبير غير مستخدم عند السلف .

(٤) إبطال التأويلات لأخبار الصفات / أبو يعلى / ١ / ٣٤٧ تحقيق : محمد بن حمود النجدي

(٥) الصواعق المرسلة ١ / ٢٦٠

اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ عَيْنًا يَرَى بِهَا جَمِيعَ الْمَرْئِيَّاتِ، وَهِيَ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ، فَلَا يَقْتَضِي إِثْبَاتُهَا كَوْنَهَا جَارِحَةً مركَّبة مِنْ شَحْمٍ وَعَصَبٍ وَغَيْرِهِمَا» [١].

٩ – الشيخ ابن عثيمين ـــ رحمه الله ــ حيث قال : « مذهب أهل السنة والجماعة أن لله عينين اثنتين، ينظر بهما حقيقة على الوجه اللائق به. وهما من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب، والسنة» [٢].

١٠ – قال الشيخ عبدالله الغنيمان ــ حفظه الله ــ عند شرحه لكتاب التوحيد من صحيح البخاري: « قد دل كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم صراحة، وإجماع أهل العلم بالله والإيمان به ، على أن الله تعالى موصوف بأن له عينين ، حقيقة على ما يليق بجلاله ، وعظمته ...ومن لازم الرؤية والنظر وجود العين ففي هاتين الآيتين، وغيرهما من نصوص كتاب الله وحديث رسوله كثير. إثبات العينين لله تعالى اللتين ينظر بهما إلى ما يريد ، ولا يحجب نظره حاجب» [٣].

فبعد هذا العرض لأقوال أهل العلم يتبين لنا أن صفة العين من الصفات الذاتية الخبرية الثابتة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته وسلطانه بها يبصر وينظر ويرى كل شيء لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، تبارك اسمه وتعالى جده .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية / هراس / ص١١٨

(٢) مجموع فتاوىابن عثيمين٤/٥٨.

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١ / ٢٨١ ـــ ٢٨٣

المبحث الثاني :

الأدلة على ثبوتها .

دل الكتاب والسنة على ثبوت صفة العين لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته وإليك التفصيل في ذلك :

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم :

وردت صفة العين في القرآن الكريم مضافة لله تعالى في خمس آيات بصيغة الإفراد والجمع وهي :

١ ــ قوله تعالى : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[1]

٢ ــ وقوله : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[2]

٣ ــ وقوله : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[3]

٤ ــ وقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[4]

٥ ــ وقوله : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾[5]

الشاهد من الآيات قوله ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ وقوله ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : «﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾، يقول: بمرأى منا، ومنظر» [6]

---

(١) سورة هود الآية (٣٧)

(٢) سورة المؤمنون الآية (٢٧)

(٣) سورة الطور الآية (٤٨)

(٤) سورة القمر الآية (١٤)

(٥) سورة طه الآية (٣٩)

(٦) تفسير الطبري ١٩ / ٢٦ ، ٢٧/ ١١١

وقال البغوي رحمه الله : «﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾أيْ بِمَرْأًى مِنَّا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَرَى مَا يُعْمَلُ بِكَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: إِنَّكَ بِحَيْثُ نَرَاكَ وَنَحْفَظُكَ فَلَا يَصِلُونَ إِلَى مَكْرُوهِكَ» [١]

وقال ابن كثير رحمه الله : : «﴿بِأَعْيُنِنَا﴾أي: بمرأى منا» [٢]

وهذا يدل دلالة واضحة على إثبات صفة العين لله على ما يليق بجلاله وعظمته وأنها عين حقيقة يبصر بها ويرى .

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية :

جاءت أدلة من السنة النبوية على إثبات صفة العين لله تعالى على ما يليق بجلاله منها :

أولاً : الأحاديث الواردة في صفة الدجال وهي كثيرة تصل حد التواتر مذكورة في الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات[٣] نذكر بعضها :

١ ــ حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه و سلم فقال (**إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور – وأشار بيده إلى عينه – وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**)[٤] .

٢ ــ وحديث أنس رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (**ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**

---

(١) تفسير البغوي ٧ / ٣٩٤

(٢) تفسير ابن كثير ص ١٤٠٠

(٣) انظر : كتاب أخبار الدجال / عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي / دار الصحابة للتراث بطنطا، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة / حمود بن عبد الله التويجري / باب ما جاء في صفة الدجال وما بعده من الأبواب .

(٤) تقدم تخريجه ص ٣٠١

مكتوب بين عينيه كافر)[١]

٣ ــ وحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه جاء فيه : (... **ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا كَانَتْ فِتْنَةٌ، وَلَا تَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَكْبَرَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَلَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ حَذَّرَهُ أُمَّتَهُ، وَلَأُخْبِرَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مَا أَخْبَرَهُ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ قَبْلِي"، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى عَيْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**)[٢].

وقد أستدل بحديث الدجال كل من أثبت هذه الصفة لله تعالى منهم :

١ ــ الإمام البخاري رحمه الله تعالى قال في صحيحه : باب قول الله تعالى : «وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي » ثم ذكر بسنده حديث ابن عمر وحديث أنس رضي الله عنهم .

٢ ــ الإمام عثمان بن سعيد الدارمي بعد أن ساق آيتي صفة العين قال : « ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال: (**إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**)، والعور عند الناس ضد البصر والأعور عندهم ضد البصير بالعينين »[٣] .

وقال أيضاً : « ففي تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن الله ليس بأعور) بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور» [٤].

٣ ــ والحافظ ابن خزيمة في كتاب التوحيد. تحت باب ذكر إثبات العين لله جل وعلا [٥] .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٠١

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند / برقم (١٤١١٢)/ ٢٢/ ٩ قال محققوه : حديث صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين .

(٣) الرد لى المريسي ١/ ٣٠٤ ــ ٣٠٥.

(٤) الرد على المريسي ١ / ٣٢٧.

(٥) انظر كتاب التوحيد ١ / ٩٦ وما بعدها .

٤ ـــ والإمام البيهقي في كتابه الأسماء والصفات تحت باب ما جاء في إثبات العين [١].

٥ ـــ والقاضي أبو يعلى في كتابه "إبطال التأويلات لأخبار الصفات" تحت عنوان: (إثبات صفة العينين لربنا جل شأنه)[٢].

وغيرهم .

أما وجه الدلالة من الحديث على إثبات العين لله تعالى :

قوله : « إن الله ليس بأعور» وقوله: « إن ربكم ليس بأعور»

والعَوَر في اللغة : مرض أو فقد إحدى عيني الإنسان وكلِّ ذي عينينِ وقيل ذهاب ضوء أحدى العينين [٣].

فدل قوله : «إن ربكم ليس بأعور» على إثبات صفة (العين) لله جل وعلا .

قال ابن المنير[٤] رحمه الله : « وجه دلالة الحديث على إثبات العين لله، من حديث الدجال من قوله: « إن الله ليس بأعور» من جهة أن العور عرفاً: عدم العين، وضد العور ثبوت العين، فلما نزعت هذه النقيصة لزم ثبوت الكمال بضدها، وهو وجود العين » [٥]

---

(١) الأسماء والصفات ٢ / ١١٤ وما بعدها

(٢) إبطال التأويلات ١ / ٣٤٧

(٣) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس / ٤ / ١٨٤ ، ولسان العرب / ٤ / ٦١٢ ، و تاج العروس من جواهر القاموس / الزبيدي / ١٣ / ١٥٤

(٤) زين الدين علي بن محمد بن منصور بن أبي القاسم ، الجذامي ، الاسكندري ، المالكى ، المعروف بابن المنير ، المحدث ، الفقيه ، مات سنة ٦٩٥هـــ انظر : الوافي بالوفيات / الصفدي / ٢٢ / ٩٠

(٥) فتح الباري / ابن حجر / (١٣/٣٩٠)

وفي قوله : «وأشار بيده إلى عينه» دليل على إثبات العين حقيقة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته .

قال الشيخ محمد أمان الجامي – رحمه الله تعالى – : «وأما إشارته عليه الصلاة والسلام بيده إلى عينيه – وهو يخبر عن عور المسيح الدجال– فإنما تفيد تأكيد المعنى الحقيقي للعين على ما يليق بالله تعالى ولا يفهم منها أن عين الله جارحة كأعيننا بل له سبحانه وتعالى عين حقيقية تليق بعظمته وجلاله وقِدَمِه. وللمخلوق عين حقيقية تناسب حاله وحدوثه وضعفه وليست الحقيقة كالحقيقة، وهذا شأن جميع الصفات التي فيها المشاركة اللفظية مع صفات المخلوق»[(١)].

ثانياً : حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : (**سمعتُ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقرأ هذه الآية : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾**[(٢)]**، ورأيتُ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يضع إبْهامَه على أذُنَيه والتي تليها على عينيه**)[(٣)].

وممن استدل بهذا الحديث على إثبات صفة العين لله تعالى ابن خزيمة رحمه الله .[(٤)]

قال الشيخ محمد خليل هراس : «وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَسْمَعُ بِسَمْعٍ، وَيَرَى بِعَيْنٍ »[(٥)].

ثالثاً : حديث عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه قال : (**رأيت رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم قَرَأَ هذه الآيَةَ في خَاتِمَةِ النُّورِ وهو جَاعِلٌ أُصْبُعَيْهِ تَحْتَ عَيْنَيْهِ يقول بِكُلِّ**

(١) الصفات الإلهية / د : محمد أمان الجامي / ص ٣١٩

(٢) سورة النساء الآية (٥٨)

(٣) تقدم تخريجه ص ١٠٧

(٤) انظر : كتاب التوحيد / ابن خزيمة ١ / ٩٧

(٥) شرح العقيدة الواسطية / هراس / ص٩٧

شَيْءٍ بَصِيرٌ)[١].

وفي رواية قال: ــ سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول على المنبر: (**إن ربنا سميع بصير، وأشار إلى عينيه**)[٢]

هذا الحديث شاهد لما قبله وفيه الإشارة إلى العينين لبيان حقيقة الصفة .

رابعاً : حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عيني الرحمن**)[٣].

هذا الحديث واضح الدلالة على إثبات صفة العينين ، ولكن الحديث ضعيف لا يؤخذ به حكم ويغني عنه الأدلة السابقة .

خامساً : جاءت عدة آثار عن الصحابة والتابعين تدل على إثبات صفة العين لله تعالى منها :

١ ــ عن ابن عباس رضي الله عنهما ــ عند قوله تعالى : ﴿ **وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا** ﴾ قال : «بعين الله تبارك وتعالى» [٤] وفي رواية «أشار بيده إلى عينة » [٥]

استدل بهذا الأثر على إثبات صفة العين لله تعالى البيهقي في الأسماء والصفات تحت باب "ما جاء في إثبات العين " [٦].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٣٦

(٢) أورده الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣ / ٣٧٣ وقال : سنده حسن

(٣) رواه العقيلي في الضعفاء ص ٢٤ ، وأورده ابن القيم في الصواعق ٢ / ٣٩ ، قال الشيخ الألباني: ضعيف جداً . انظر : "السلسلة الضعيفة" رقم (١٠٢٤) ، (٤٣٩٩).

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير ١٢/ ٣٤ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢ / ١١٦

(٥) أخرجه اللالكائي شرح أصول السنة ٤٥٦/٣ .

(٦) الأسماء والصفات / البيهقي / ١ / ١١٦

٢ــ عن أبي عمران الجوني رحمه الله في قوله تعالى : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾: « يربى بعين الله »[1].

٣ ــ عن قتاده رحمه الله في قوله تعالى : ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾قال : « بعين الله تعالى ووحيه »[2].

يتبين لنا من خلال هذه الآثار أن صفة العين لله تعالى من الصفات الثابتة عند السلف الصالح وأنها صفة حقيقية تليق بجلال الله وعظمته .

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة برقم (١٠٦٠) ، وأبو نعيم في الحلية ٢ / ٣١١ ، صحح إسناده الدكتور : عبدالعزيز المبدل في كتابه " أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان : ٣ / ٨٩٥

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ١٢ / ٤٢ ، صحح إسناده الدكتور : عبدالعزيز المبدل في كتابه " أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان : ٣ / ٨٩٧

المبحث الثالث :

تنوع إطلاقات العين .

أصل العين في اللغة يدل على عضو به يبصر وينظر ، ثم يشتق منه ، وقيل هي : حاسَّة الرؤيا، قيل غير ذلك .[(١)]

قال الراغب الأصفهاني : « العين : العين الجارحة، ويقال لذي العين عين، وللمراعي للشيء عين، وفلان بعيني أي: أحفظه وأراعيه كقولك : هو بمرأى مني ومسمع، قال : ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾وقال : «تجري بأعيننا – واصنع الفلك بأعيننا» أي بحيث نرى ونحفظ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ أي : بكلاءتي وحفظي ومنه عين الله عليك: أي كنت في حفظ الله ورعايته، وقيل : جعل ذلك حفظته وجنوده الذين يحفظونه وجمعه أعين وعيون» [(٢)].

يتبين لنا من كلام أهل اللغة أن العين تطلق في الأصل على العين الباصرة ومن لوازمها الحفظ والرعاية والكلاءة ونحو ذلك . أما ما يتعلق بصفة العين لله تعالى وتنوع إطلاقاتها فيتبين بالمطالب التالية :

المطلب الأول : ما ورد في النصوص من إضافة العين لله .

وردت العين في القرآن الكريم مضافة إلى الله تعالى بصيغة الإفراد،، والجمع.

في خمسة مواضع وهي :

١ ــ قوله تعالى : ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[(٣)]

---

(١) معجم مقاييس اللغة / ابن فارس / ٤ / ١٩٩، الصحاح في اللغة / الجوهري / ٢ /٩

(٢) غريب القرآن / الراغب الأصفهاني / ص ٣٥٥

(٣) سورة هود الآية (٣٧)

٢ ــ وقوله : ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾[(١)]

٣ ــ وقوله : ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[(٢)]

٤ ــ وقوله : ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[(٣)]

٥ ــ وقوله : ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾[(٤)]

وكلُّ هذه الآيات تدلُّ صراحة على إثبات صفة العين لله تعالى، وأنها من الصفات الذاتية الخبرية،قال ابن عباس –رضي الله عنهما في قوله:﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾: «قال: بعين الله ووحيه» [(٥)]، ونحوه عن قتادة[(٦)]. وقال الطبري –رحمه الله-: «يقول: بعين الله ووحيه كما يأمرك» [(٧)].

وعن أبي عمران الجوني في قوله:﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾قال: «يربى بعين الله» [(٨)].

وقد قرر ذلك جمع من العلماء فمن أقوالهم :

قال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله في بيان اعتقاد أئمة الحديث: « فهو تعالى ذو العلم والقوة والقدرة والسمع والبصر والكلام، كما قال تعالى:﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾، ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾: »: ثم قال في آخر الكتاب: « هذا أصل الدين

---

(١) سورة المؤمنون الآية (٢٧)

(٢) سورة الطور الآية (٤٨)

(٣) سورة القمر الآية (١٤)

(٤) سورة طه الآية (٣٩)

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٣٤/١٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١١٦/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ،انظر: الدر المنثور (٤١٨/٤).

(٦) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٣٠٤/٢)، والطبري في تفسيره (٣٤/١٢).

(٧) تفسير الطبري (٣٣/١٢).

(٨) تقدم تخريجه ص ٣١٢

والمذهب اعتقاد أئمة أهل الحديث الذين لم تشنهم بدعة ولم تلبسهم فتنة ولم يخفوا إلى مكروه في دين فتمسكوا معتصمين بحبل الله جميعا ولا تفرقوا عنه »[١].

ونقل الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني –رحمه الله– إجماع أهل الحديث على إثبات صفة العين لله تعالى فقال: «وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتشبيه والتكييف، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٢]...، وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت به الأخبار الصحاح، من السمع والبصر والعين، والوجه والعلم والقوة، والعزة والعظمة، والإرادة والمشيئة، والقول والكلام، والرضى والسخط، والحب والبغض، والفرح والضحك، وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله ﷺ، من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه، بتأويل منكر يستنكر، ويجرون على الظاهر ويكلون علمه إلى الله تعالى» [٣].

وقال الإمام الحسين بن مسعود البغوي–رحمه الله– في شرح السنة: «والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل، وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل في صفات الله تعالى، كالنفس والوجه والعين واليد والرجل والإتيان والمجيء والنزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش والضحك والفرح. قال الله سبحانه وتعالى لموسى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[٤]، وقال الله عز وجل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ

---

(١) اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي (ص:٣٩).

(٢) سورة الشورى: الآية (١١)

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ص:١٦٢-١٦٤).

(٤) سورة طه الآية(٤١)

عَيۡنِيٓ ﴾[١]... ثم ذكر عدداً من نصوص الصفات فقال: « فهذه ونظائرها صفات لله تعالى ورد بها السمع، يجب الإيمان بها، وإمرارُها على ظاهرها، معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أنَّ الباري سبحانه وتعالى لا يُشبه شيءٌ من صفاته صفات الخلق، كما لا تُشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه وتعالى: « ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[٢]، وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السنَّة، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووَكلوا العلم[٣] فيها إلى الله عز وجل، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الرَّاسخين في العلم، فقال عز وجل﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾»[٤] [٥].

والسلف قد يفسرون بالتضمن واللزوم ، فالتضمن واللزوم من دلالات اللفظ ، أما التأويل فهو صرف اللفظ عن معناه الحقيقي فقولهم : بمرأى وكلاءة ورعاية وحفظ مع إثبات حقيقة الصفة هذا لا يعتبر تأويلاً .

وقد أورد الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– هذا الإشكال وأجاب عنه فيقول: « فإذا قال قائل: قد ورد في تفسير بعض السلف لقوله تعالى:﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾قال: «تجري بمرأى منا»، فهل يعتبر هذا تحريفاً أم ماذا؟.

فالجواب:ليس هذا تحريفاً،لأنهم يقولون: «تجري بمرأى منا» مع إقرارهم بالعين، ولو أن هذا القول جاء من شخص ينكر العين، لقلنا: هذا تحريف، والذين قالوا: إن المعنى بمرأى منا؛ فإن معنى كلامهم أنها تجري ونحن نراها بأعيننا،وكأنهم يريدون بذلك الرد

---

(١) سورة طه الآية (٣٩)

(٢) سورة الشورى الآية (١١)

(٣) أي: علم الكيفية.

(٤) سورة آل عمران الآية (٧)

(٥) شرح السنة للبغوي (١/١٦٨-١٧١)، انظر كذلك (١٥/٢٥٧).

على من زعم أن ظاهر الآية أن السفينة تجري في نفس العين، حاشا لله.

أما من يتخذ من ذلك مأخذاً على مذهب أهل السنة والجماعة، ويرى أنَّ ذلك خلاف مذهبهم في إجراء نصوص الصفات على ظاهرها، وأن ظاهر الآية أنَّ السفينة في نفس عين الله، فهذا لا شك أنه إلزام باطل، وأنَّ السلف لا يلتزمون بهذا،بل يقولون: إنَّ هذا ليس مدلول اللفظ، وفي اللغة العربية إذا قال الإنسان: اذهب فأنت في عيني، يعني أراك ألاحظك ولا تغيب عن عيني، ولا أحد يقول: إنَّ الرجل إذا قال لصاحبه: أنت بعيني، يعني أنك في نفس العين أبداً،وليس هذا مقتضى لفظ اللغة العربية. ثم إنَّ في الآية ما يدل على منع ذلك،﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾أي السفينة فهي تجري في الأرض على الماء الذي خلقه الله عز وجل من الأرض والسماء، فكيف يقال: إنَّ ظاهر الآية أنها تجري في عين الله؟!، لكنهم يتشبثون بكل شيء من أجل التشنيع على أهل السنة»[1].

وبهذا يتبين أن لله تعالى عيناً حقيقية على ما يليق بجلاله وعظمته وسلطانه لا تُكيّف، ولا تشبه أعين المخلوقين، لقوله ــ تعالى ــ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]

(١) شرح السفارينية (ص:٢٧١-٢٧٢).

(٢) سورة الشورى لآية (١١)

المطلب الثاني : ما ورد أن لله عينين اثنتين :

لم يرد في الكتاب العزيز ، ولا في السنة الصحيحة الصريحة ، ما يدل على لفظ العينين بالتثنية وإنما ورد في السنة حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن العبد إذا قام في الصلاة قام بين عيني الرحمن فإذا التفت قال له ربه إلى من تلتفت إلى خير لك مني**)[١]، ولكن هذا الحديث ضعيف جداً ، لا يعتمد عليه في باب الاعتقاد .

وقد استدل جمع من أهل العلم قديماً وحديثاً على إثبات عينين اثنتين بحديث الدجال : « إن ربكم ليس بأعور »، وفي لفظ : « وأشار بيده إلى عينه » [٢]

وممن قرر هذا من العلماء :

١- الإمام الدارمي رحمه الله حيث قال : «قال الله تعالى لموسى ﴿**وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ**﴾ وقال ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾وقال: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال: (**إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**)[٣]، والعور عند الناس ضد البصر والأعور عندهم ضد البصير بالعينين »[٤] .

وقال أيضاً : « ففي تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أن الله ليس بأعور**) بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور »[٥].

---

(١) رواه العقيلي في الضعفاء ص ٢٤ ، وأورده ابن القيم في الصواعق ٢ / ٣٩ ، قال الشيخ الألباني : ضعيف جداً . انظر : "السلسلة الضعيفة" رقم (١٠٢٤) ، (٤٣٩٩).

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٠١

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٠١

(٤) الرد لى المريسي ١/ ٣٠٤ ــ ٣٠٥

(٥) الرد على المريسي ١ / ٣٢٧

٢ - والإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله «صرح بأن مذهب أهل الحديث الذي ارتضاه وسار عليه يثبت أن لله عينين بلا كيف . كما قال تعالى : ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾وقال: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾فأخبر تعالى أن له وجها وعينا ولا تكيف ولا تحد» [١].

٣ - والإمام ابن خزيمة رحمه الله حيث قال : «نحن نقول لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى وما في السموات العلى وما بينهما من صغير وكبير لا يخفى على خالقنا خافية في السموات السبع والأرضين السبع ولا مما بينهم ولا فوقهم ولا أسفل منهن لا يغيب عن بصره من ذلك شيء يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه ... ونزيد شرحًا وبيانًا نقول عين الله عز وجل قديمة لم تزل باقية ولا تزال محكوم لها بالبقاء منفي عنها الهلاك والفناء» [٢].

٤ ــ الإمام أبو إسماعيل الهروي رحمه الله بوب في "كتابه الأربعين في دلائل التوحيد"باباً بعنوان: "باب إثبات العينين له تعالى وتقدس"، وذكر فيه حديث: «إنّ ربكم ليس بأعور» [٣].

٥ ــ والإمام الّلالَكَائي في "أصول الاعتقاد" بوب بقوله : «سياق ما دل من كتاب الله عَزَّ وجلَّ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على أن صفات الله عَزَّ وجلَّ الوجه والعينين واليدين» [٤].

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة / الأشعري / ص ٢٠/ تحقيق : د. فوقية حسين محمود/ دار الأنصار – القاهرة/ الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هــ ، مقالات الإسلاميين / ١ / ٣٤٥ ونقل ذلك شيخ الإسلام في الفتوى الحموية ٥ / ٩٠ من مجموع الفتاوى .

(٢) الرد على المريسي ١ / ١١٤ــ١١٥

(٣) كتابه الأربعين في دلائل التوحيد / الهروي / ص ٦٤ ــ ٦٥

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣ / ٤٧٥

٦ ــ والقاضي أبو يعلى في كتابه "إبطال التأويلات لأخبار الصفات" قال : «إثبات صفة العينين لربنا جل شأنه»ثم ذكر أحاديث وآثار . وقال : «اعلم أَنَّهُ غير ممتنع حمل الخبر عَلَى ظاهره فِي إثبات عينين هما صفتان زائدتان عَلَى البصر والرؤية » [(١)]

٧ ــ والإمام ابن القيم رحمه الله حيث قال : «وقد احتج السلف على إثبات العينين له سبحانه بقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ القمر" وممن صرح بذلك إثباتا واستدلالا أبو الحسن الأشعري في كتبه كلها » [(٢)] كما أنه حاول الجمع بين الصيغ الواردة في صفة العين لله تعالى .

حيث قال : «ذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة ليس إلا، كقولك: افعل هذا على عيني، لا يريد أن له عينا واحدة، وإنما إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهرا أو مضمرا فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ كقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[(٤)]. وهذا نظير المشاكلة في لفظ اليد المضافة إلى المفرد كقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[(٥)]و ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٦)]، وإن أضيفت إلى ضمير الجمع جمعت كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾[(٧)]، وكذلك إضافة اليد والعين إلى اسم الجمع الظاهر كقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا

---

(١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات / أبو يعلى / ١ / ٣٤٧ تحقيق : محمد بن حمود النجدي

(٢) الصواعق المرسلة ١ / ٢٦٠

(٣) سورة القمر آية: ١٤ .

(٤) سورة هود آية: ٣٧ .

(٥) سورة الملك آية: ١ .

(٦) سورة آل عمران آية: ٢٦ .

(٧) سورة يس آية: ٧١ .

كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[١]، وقوله: ﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾[٢] ، وقد نطق الكتاب والسنة بذكر اليد مضافة إليه مفردة ومجموعة ومثناة، وبلفظ العين مضافة إليه مفردة ومجموعة، ونطقت السنة بإضافتها إليه مثناة كما قال عطاء عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن العبد إذا قام في الصلاة قام بين عيني الرحمن فإذا التفت قال له ربه إلى من تلتفت إلى خير لك مني**)[٣] وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (**إن ربكم ليس بأعور**)صريح في أنه ليس المراد إثبات عين واحدة ليس إلا فإن ذلك عور ظاهر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهل يفهم من قول الداعي اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام أنها عين واحدة ليس إلا ذهن أقلف وقلب أغلف »[٤]

٨ -والشيخ ابن عثيمين ــ رحمه الله حيث قال : « مذهب أهل السنة والجماعة أن لله عينين اثنتين، ينظر بهما حقيقة على الوجه اللائق به. وهما من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب، والسنة »[٥]. ثم حاول الجمع بين الصيغ الواردة في صفة العين لله تعالى

فقال : « والجمع بين هذه الوجوه أن يقال:إن الإفراد لا ينافي التثنية، ولا الجمع؛ لأن المفرد المضاف يعم فيتناول كل ما ثبت لله من يد، أو عين واحدة كانت أو أكثر.وأما الجمع بين ما جاء بلفظ التثنية وبلفظ الجمع: فإن قلنا : أقل الجمع اثنان فلا منافاة أصلا بين صيغتي التثنية والجمع لاتحاد مدلوليهما، وإن قلنا : أقل الجمع ثلاثة وهو المشهور فالجمع بينهما أن يقال : إنه لا يراد من صيغة الجمع مدلولها الذي هو ثلاثة

---

(١) سورة الروم آية: ٤١ .

(٢) سورة الأنبياء آية: ٦١ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٣١٧

(٤) الصواعق المرسلة ١ / ٢٥٥ ــ ٢٥٩

(٥) مجموع فتاوى ابن عثيمين٤/٥٨.

فأكثر، وإنما أريد بها - والله أعلم - التعظيم والمناسبة، أعني مناسبة المضاف للمضاف إليه، فإن المضاف إليه، وهو " نا " يراد به هنا التعظيم قطعا فناسب أن يؤتى بالمضاف بصيغة الجمع ليناسب المضاف إليه فإن الجمع أدل على التعظيم من الإفراد والتثنية، وإذا كان كل من المضاف والمضاف إليه دالا على التعظيم حصل من بينهما تعظيم أبلغ »[١].

وقال أيضاً : « وتقرير ذلك أن يقال: ما زاد على العينين فإما أن يكون كمالاً في حق الله تعالى أو نقصاً، فإن كان نقصاً فهو ممتنع على الله تعالى لامتناع صفات النقص في حقه، وإن كان كمالاً فكيف يهمله النبي صلى الله عليه وسلم مع كونه أبلغ في الثناء على الله تعالى!! فلما لم يذكره النبي صلى الله عليه وسلم عُلم أنه ليس بثابت لله عز وجل، وهذا هو المطلوب »[٢].

٩ ــ والشيخ عبدالله الغنيمان حفظه الله قال : «ولهذا صار هذا الحديث من الأدلة الواضحة على إثبات تثنية العين لله -تعالى-، ويزيد ذلك وضوحاً إشارته -صلى الله عليه وسلم- إلى عينه لتحقيق الوصف، يعني أن لله عينين سالمتين من كل عيب كاملتين، بخلاف الدجال الفاقد لإحدى عينيه، وذلك من أعظم الأدلة على كذبه»[٣].

وفي الختام نقول: المسألة محل تأمل ،والنصوص نطقت بإثبات العين ، ولم تنطق بالعدد ، وما جاء من كلام أهل العلم في لفظ التثنية للعين لله تعالى هو مجرد اجتهاد ، والله أعلم بالحق في ذاته ماهو ، ولكن المعلوم يقينا بلا ريب أن عين الله تليق بجلاله ، وعظمته ، وسلطانه ، ليس كمثلها شيء تعالى الله وتقدس .

قال شيخ الإسلام : « وأما لفظ العينين فليس هو في القرآن ولكن جاء في حديث وذكر الأشعري عن أهل السنة والحديث أنهم يقولون إن لله عينين ولكن الذي جاء في

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٤ /٥٩

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٤ /٦٠

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١ / ٢٨٥

القرآن ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[(١)]، ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[(٢)]، ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[(٣)]»[(٤)].

وقال الإمام ابن أبي زمنين –رحمه الله-: « واعلم أنَّ أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله، يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علماً، والعجز عما لم يدع إيماناً، وأنَّهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيه، وقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[(٥)]، وقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[(٦)].، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[(٧)]،وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[(٨)]، وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[(٩)]».

---

(١)سورة طه الآية (٣٩)

(٢) سورة هود الآية (٣٧)

(٣) سورة القمر الآية (١٤)

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / ابن تيمية / ٤ / ٤١٣ ، بحقيق د. علي بن حسن و د . عبدالعزيز العسكر و د . حمدان الحمدان ، دار العاصمة الرياض ط ٢

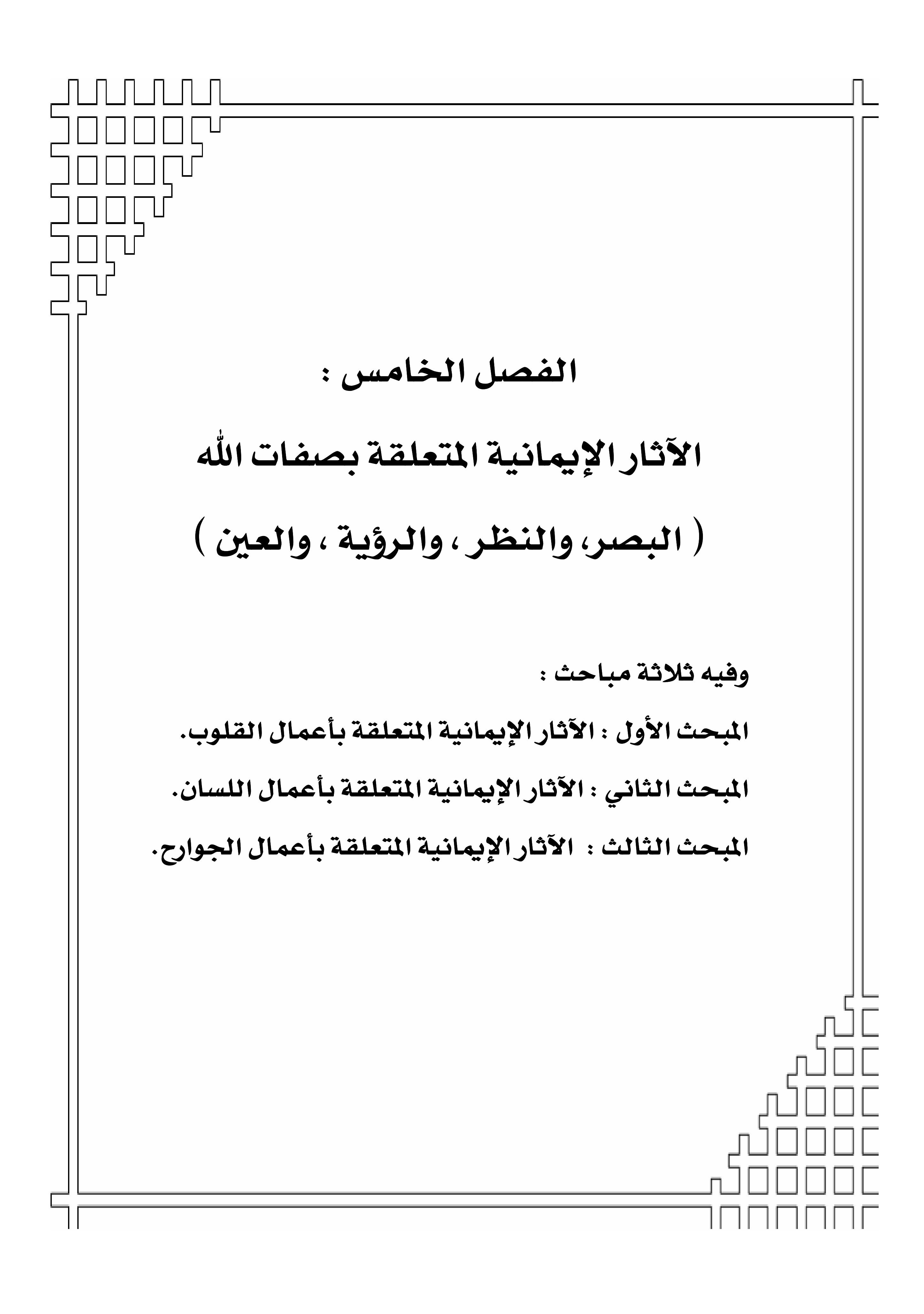
(٥) سورة القصص الآية (٨٨)

(٦) سورة الأنعام الآية (١٩)

(٧) سورة آل عمران الآية (٢٨، ٣٠)

(٨) سورة الحجر الآية (٢٩)

(٩) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص:٦٠).



الفصل الخامس :

الآثار الإيمانية المتعلقة بصفات الله

(البصر، والنظر ، والرؤية ، والعين)

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال القلوب.

المبحث الثاني : الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال اللسان.

المبحث الثالث : الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال الجوارح.

المبحث الأول :

الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال القلوب

للتعبد بأسماء الله وصفاته ، آثار عظيمة ، وثمار يانعة ، على قول القلب وعمله ،وقال العز بن عبد السلام رحمه الله: « فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمحبة والتوكل وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات »[1].

فبعد تتبع الآيات والأحاديث التي وردت فيها صفات الله البصر والنظر والرؤية والعين وجدنا آثاراً إيمانية قلبية كثيرة منها :

١ - أن العلم بهذه الصفات ، والإيمان بها، علـــى ما يليق به سبحانه، تجعل صاحبها يذوق حلاوة الإيمان، وقد حُرِمها قوم كثيرون من المعطِّلة، والمؤوِّلة،والمفوضة، والمشبهة .

قال ابن القيم رحمه الله : « من عرف الله صفا له العيش وطابت له الحياة وهابه كل شيء وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله وحده»[2]

٢ـــ إثبات هذه الصفات له جل شأنه، لأنه وصف نفسه بذلك وهو أعلم بنفسه، وهي صفات كمال له تعالى ، فالمتصف بها أكمل ممن لا يتصف بذلك، قال تعالى:﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾[3].

وقال سبحانه : ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ**

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال / العز بن عبدالسلام / ص ٦٧/ تحقيق أحمد فريد المزيدروتي / دار الكتب العلمية بيروت / ط : الأولى

(٢) روضة المحبين ص ٤٠٦

(٣) سورة الأنعام الآية (٥٠)

مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[١] .

وقد أنكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام على أبيه عندما عبد ما لا يبصر ولا يسمع ﴿**لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا**﴾[٢]

وقال تعالى موبخاً الكفار ومسفها عقولهم لعبادتهم الأصنام التي هي من الحجارة الجامدة التي لا تتحرك ولا تملك سمعاً ولا بصراً ﴿ **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا** ﴾[٣]<

فإثبات هذه الصفات فيه تعظيم وإجلال لله تعالى مع نفي المماثلة ،كما قال تعالى : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[٤] .

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله : «فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله : ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾فصرح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال» [٥].

٢-أن الله تبارك وتعالى بصير بأحوال عباده خبير بها بصير بمن يستحق الهداية منهم ممن لا يستحقها، بصير بمن يصلح حاله بالغنى والمال، وبمن يفسد حاله بذلك قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ** ﴾[٦].

وهو بصير بالعباد شهيد عليهم، الصالح منهم والطالح، المؤمن والكافر ، قال تعالى :

---

(١) سورة هود الآية (٢٤)

(٢) سورة مريم الآية (٤٢).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٩٥) .

(٤) سورة الشورى الآية (١١)

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / ٢ / ١٨

(٦) سورة الشورى الآية (٢٧)

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[١]

وقال تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٢]

قال ابن كثير رحمه الله : «يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد ونهى عن الطغيان وهو البغي فإنه مصرعة حتى ولو كان على مشرك وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء» [٣].

فمن آثار إثبات صفة البصر لله تعالى على ما يليق به سبحانه هداية القلب وتوفيقه واستقامته على طريق الحق .

٣- في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال صلى الله عليه وسلم: **(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**[٤] .آثار إيمانية على قلب المؤمن .

قال ابن قدامة رحمه الله: « أراد بذلك ــ أي الإحسان ــ استحضار عظمة الله، ومراقبته في حال العبادة» [٥].

وقال ابن الأثير[٦] رحمه الله : « أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة، وحسن

---

(١) سورة التغابن الآية (٢)

(٢) سورة هود الآية (١١٢)

(٣) تفسير ابن كثير ص ٧٣٨

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٩١

(٥) مختصر منهاج القاصدين (٣٧٧).

(٦) هو أبو السعادات : المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، عالم أديب، كاتب، مشارك في أنواع من العلوم ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ من كتبه: النهاية في غريب الحديث، وجامع الأصول من أحاديث الرسول، وغيرها.

الطاعة» [١].

وقال النووي رحمه الله: « هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه وعلى الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به ... فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمامه الخشوع والخضوع وغير ذلك» [٢].

قال ابن القيم رحمه الله : « الإحسان جامع لجميع أبواب الحقائق، وهو أن تعبد الله كأنك تراه... وفي الحديث إشارة إلى كمال الحضور مع الله عز وجل، ومراقبته، ومحبته ومعرفته، والإنابة إليه، والإخلاص له، ولجميع مقامات الإيمان» [٣].

وقال ابن حجر رحمه الله: « وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع، وفراغ البال حال التلبّس بها، ومراقبة المعبود... » [٤].

ويقول الشيخ حافظ حكمي –رحمه الله-: « أن الإحسان على مرتبتين متفاوتتين ، أعلاهما عبادة الله كأنك تراه ، وهذا مقام المشاهدة ، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان ، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان . الثاني : مقام المراقبة وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى ؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات

السير/٢١/٤٨٨

(١) النهاية (٣٨٧/١).

(٢) شرح النووي على مسلم ١ / ٧٠

(٣) مدارج السالكين (٤٧٩/٢).

(٤) فتح الباري (١٢٠/١).

إلى غير الله تعالى وإرادته بالعمل ، ويتفاوت أهل هذين المقامين بحسب نفوذ البصائر» (١).

ففي هذا الحديث من الآثار الإيمانية : الإخلاص ،والمحبة ، والمراقبة ،والإنابة ،و الخشوع ، والخضوع ، والذلة ، والعظمة ، وكل هذه أعمال قلبية .

٤ ــ وفي قوله جل وعلا : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (٢)، آثار إيمانية على قلب المؤمن .

قال ابن القيم رحمه الله : « إن سرور القلب بالله وفرحه به وقرة العين به لذة لا يشبهها شيء من نعيم الدنيا البتة، وليس له نظير يقاس به، وهو حال من أحوال الجنة ».

وقال ابن كثير رحمه الله : « أي لا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى عليّ من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي»(٣).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله : «﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾أي :أنتم بحفظي ورعايتي أسمع أقوالكما وأرى جميع أحوالكما فلاتخافا منه فزال الخوف عنهما واطمأنت قلوبهما بوعد ربهما» (٤).

ففي هذه الآية : طمأنينة القلب، وسكينته ، وتعلقه بالله، وتوكله عليه ، وذهاب الخوف عنه .

---

(١) أعلام السنة المنشورة (ص:٢٤٢).

(٢) سورة طه الآية (٤٦)

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ١٨٩

(٤) تفسير السعدي ص ٥٠٦

٥ ــ في قوله تعالى :﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1]

الحث على التوكل والاستعانة على الله تعالى وهي من آثار رؤية الله تعالى لعبده المؤمن

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : « أعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به، الاعتماد على ربه، والاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور، فلذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه فقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى، في جلب المنافع، ودفع المضار، مع ثقته به، وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم، بعزته يقدر على إيصال الخير، ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به، يفعل ذلك.ثم نبهه على الاستعانة باستحضار قرب الله، والترول في مترل الإحسان فقال: ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ أي: يراك في هذه العبادة العظيمة، التي هي الصلاة، وقت قيامك، وتقلبك راكعا وساجدا خصها بالذكر، لفضلها وشرفها، ولأن من استحضر فيها قرب ربه، خشع وذل، وأكملها، وبتكميلها، يكمل سائر عمله، ويستعين بها على جميع أموره. ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾لسائر الأصوات على اختلافها وتشتتها وتنوعها، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الذي أحاط بالظواهر والبواطن، والغيب والشهادة. فاستحضار العبد رؤية الله له في جميع أحواله، وسمعه لكل ما ينطق به، وعلمه بما ينطوي عليه قلبه، من الهم، والعزم، والنيات، مما يعينه على مترلة الإحسان »[2].

فمن استحضر رؤية الله له عظم توكله واستعانته بالله جل وعلا وبلغ أعلى منازل الإيمان .

---

(١) سورة الشعراء الآية (٢١٦ ــ ٢٢٠)

(٢) تفسير السعدي ص ٥٩٩

٦ ـــ في قوله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**)[١]

فإذا علم العبد أن الله يراه ويبصره ، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات والأرض، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يثمر له حفظ خطرات قلبه وضبط هواجسه؛ حتى لا يفكر إلا في مرضاته، فيحب في الله ، ويحسن الظن بالله ، فبه يسمع وبه يبصر، فيرجو رحمته ويخاف عقابه، كل ذلك يورث العبودية القلبية لله وحده .

٧ـــ الإيمان بهذه الصفات يورث الحياء من الله تعالى ، وهو من الأعمال القلبية

قال محمد بن نصر المروزي: « إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد أورثه الحياء من الله، والهيبة له، فغلب على قلبه ذكر اطلاع الله العظيم، ونظره بعظمته إلى ما في قلبه وجوارحه... فاستحى من الله أن يطلع على قلبه وهو معتقد لشيء مما يكره، أو على جارحة من جوارحه، تتحرك بما يكره، فطهّر قلبه من كل معصية، ومنع جوارحه من جميع معاصيه »[٢].

قال العز بن عبدالسلام : « فصل فيما يتخلق به من البصر ...

أما ثمرة معرفته : فخوفك منه ، أو حياؤك ، أو مهابتك أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث اقتضاك »[٣].

٨ – ومما يورثه الإيمان بهذه الصفات الرضـــــا بقضـــــاء الله تعالى وقدره .

لأنالله سبحانه وتعالى بصيرٌ بنـــــا شهيدٌ علينـــــا، فهو سبحـــــانه يعلم ما فيه صلاحنا كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٨٣

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/٨٢٦).

(٣) شجرة المعارف ص ٧٦

﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾[(١)] ، فلابد أن نرضى بقضائه لنـــــا ، والرضا من أعمال القلوب .

٩ - في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾[(٢)]، آثار إيمانية على القلب

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : « يقول تعالى ذكره: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾ ، أيها الناس، خلائف من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا ، تخلفونهم في الأرض، وتكونون فيها بعدهم ﴿لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ ، يقول: لينظر ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الأمم بذنوبهم وكفرهم بربهم، تحتذون مثالهم فيه، فتستحقون من العقاب ما استحقوا، أم تخالفون سبيلَهم فتؤمنون بالله ورسوله وتقرّون بالبعث بعد الممات، فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل» [(٣)].

ويشبه هذا النوع قوله صلى الله عليه وسلم : **(وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)**[(٤)].

فإذا أكثر المؤمن من التفكر في ملك الله وملكوته أعطي اليقين ، ووهب حياة القلب ؛ قال تبارك وتعالى في حق خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[(٥)]. ، وإذا باشر القلب اليقين امتلأ نوراً ، وانتفى عنه كل ريب وشك ، وعوفي من أمراضه القاتلة ، وامتلأ شكراً لله ، وذكراً له ،

---

(١) سورة الشورى الآية (٢٧)

(٢) سورة يونس الآية (١٤)

(٣) تفسير الطبري ١٥/ ٣٨

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٧٧

(٥) سورة الأنعام الآية (٧٥)

ومحبةً ، وخوفاً [١].

١٠ ــ استحضار هذه الصفات يعود العبدالصبر على ما يلاقيه من أذى الخلق جميعهم ، سواء ما يقولونه من السب، والشتم، والبهتان، والظلم، والتهم الباطلة، لأن الله – عز وجل – يرى مكانهم ولايخفى عليه أمرهم؛ وسينصف سبحانه عباده المؤمنين منهم إن عاجلاً أو آجلاً، وهذا يثمر في القلب الصبر والرضى والطمأنينة والاستعانة به سبحانه، وانتظار فرجه ونصره، وعدم استبطاء ذلك، لأن الله سبحانه بصير ، ولكنه يمهل ولا يهمل.

(١) انظر : مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم ١/١٥٤ .بتصرف واختصار

المبحث الثاني :

الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال اللسان

الإيمان بصفة البصر والرؤية والنظر له آثار إيمانية على أقوال اللسان وأعماله ، فإذا تدبرنا الآيات والأحاديث الواردة في ذلك ، وقفنا على آثار كثيرة يحصل بها صلاح اللسان واستقامته فمن ذلك :

١ ـــ قوله تعالى عن موسى عليه الصلاة و السلام :﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[(١)].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري : « وقوله ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾أي أنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك شيء من أمرنا وهذا من موسى توسل إلى الله تعالى في قبول دعائه وما طلبه من ربه توسل إليه بعلمه تعالى به وبأخيه وبحالهما» [(٢)].

فمن تأمل قرب الله تعالى ورؤيته له ، فإنه بلا شك سيقوده ذلك إلى التضرع إليه بالدعاء والابتهال إليه بالرجاء، وهذا ما حصل من موسى عليه السلام عندما ختم الدعاء بقوله : ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾وهذا من ثمرات الإيمان بهذه الصفة .

٢ ـــ وقوله تعالى :﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾[(٣)]

قال الشيخ السعدي رحمه الله : « ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾أي: ألجأ إليه وأعتصم، وألقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحي ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي

---

(١) سورة طه الآية (٣٥ ـــ ٣٦)

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٣ / ٣٤٦

(٣) سورة غافر الآية (٤٤ ، ٤٥).

فيمنعني منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيئته، فإن سلطكم عليَّ فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيئته صدر ذلك. ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ ﴾ أي: وقى الله القويّ الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون وآله له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على أنفسهم» [١]

٣ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[٢] .

قال الطبري رحمه الله : «وقوله:﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾يقول تعالى ذكره: فاستجر بالله يا محمد من شرّ هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، ومن الكبر أن يعرض فى قلبك منه شيء ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾يقول: إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول البصير بما تمله جوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك »[٣].

ففي الآية استعاذة وتوسل وهما من أعمال اللسان .

٤ - قوله تعالى : ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾[٤]

قال الشيخ السعدي رحمه الله في معنى الآية : «وهذا إخبار عن كمال سمعه

---

(١) تفسير السعدي ص ٧٣٨

(٢) سورة غافر الآية (٥٦)

(٣)تفسير الطبري ٢١ / ٤٠٤ ـــ ٤٠٥

(٤)سورة المجادلة الآية (١)

وبصره، وإحاطتهما بالأمور الدقيقة والجليلة، وفي ضمن ذلك الإشارة بأن الله تعالى سيزيل شكواها، ويرفع بلواها »[١]

في الآية دلالة على التضرع والإلحاح في الدعاء ، لأن الله يبصر الداعي ، ويرى تضرعه وإقباله فيستجيب الدعاء ، ويرفع البلاء ، والدعاء والتضرع من أعمال لسان .

٥- وقوله : ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢]

قال ابن القيم رحمه الله-: « وعلمه بسمعه وبصره وعلمه، وأنَّه لا يخفى عليه مثقال ذرَّة في السموات والأرض، وأنَّه يعلم السرَّ وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يُثمر له حفظ لسانه وجوارحه خطرات قلبه عن كلِّ ما لا يرضي الله، وأنْ يجعل تعلُّق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرَّمات والقبائح»[٣].

وبذلك يحفظ لسانه عن كل قول باطل ، فلا همز ، ولا لمز ، ولا غيبة ، ولا نميمة ، ولا كذب ، وإنما يكون لسانه ذاكراً لله ، وهذه ثمرة عظيمة على اللسان إذا استشعر رؤية الله له .

٦ – الإكثار من دعاء الله بتنوير البصر والبصيرة

وكان من دعائه – صلى الله عليه وسلم – : (**اللهمَّ اجْعَل فِي قَلبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَل فِي سَمْعِي نُورًا وَاجْعَل فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَل مِنْ خَلفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَل مِنْ فَوْقِي نُورًا وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللهمَّ أَعْطِنِي نُورًا**)[٤].

---

(١) تفسير السعدي / ص ٨٤٣

(٢)سورة الشعراء الآية (٢١٨،٢١٩ ، ٢٢٠) .

(٣) مفتاح دار السعادة ٢/٩٠ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٢٥ (٧٦٣) .

المبحث الثالث :

الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال الجوارح

الإيمان بصفة البصر، والرؤية، والنظر، والعين له آثار إيمانية على أعمال الجوارح، فإن أكثر الآيات والأحاديث الواردة في هذه الصفات مقترنة بالأعمال ، وهذا يدل دلالة واضحة على أثرها على أعمال الجوارح فمن تلك الآيات :

قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾[١]، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[٢]، وقوله : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[٣]، وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٤]،وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[٥]، وقوله : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[٦]، وقوله ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[٧]، وقوله : ﴿ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[٨]،وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[٩]، وقوله ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[١٠]، وقوله : ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴾[١١] ، وقوله : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[١٢]، وقوله :

---

(١) سورة البقرة الآية (٩٦) .

(٢) سورة البقرة الآية (١١٠)

(٣) سورة البقرة الآية (٢٣٣)

(٤) سورة البقرة الآية (٢٦٥).

(٥) سورة آل عمران الآية (١٥).

(٦) سورة الأنفال الآية (٣٩) .

(٧) سورة هود الآية (١١٢) .

(٨) سورة سبأ الآية (١١) .

(٩) سورة غافر الآية (٤٤) .

(١٠) سورة الحجرات الآية (١٨) .

(١١) سورة الملك الآية (١٩) .

(١٢) سورة الأحزاب الآية (٩) .

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾[١]،وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[٢]، قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[٣] ، قولهتعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[٤] وقوله تعالى : ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[٥]، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٦] ، قوله تعالى : ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾[٧] ، قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٨] .هذا ما جاء في القرآن الكريم ، أما السنة النبوية فالأحاديث كثيرة في ذلك منها :

قوله صلى الله عليه وسلم : (**ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ ، وملك كذّاب ، وعائل مستكبر**)[٩].

وقوله صلى الله عليه وسلم : (**إن الدنيا حلوة خَضِرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في**

---

(١) سورة فاطر الآية (٤٥)

(٢) سورة يونس الآية (١٤)

(٣) سورة الأعراف الآية (١٢٩)

(٤) سورة العلق الآية (١٤)

(٥)سورة طه الآية (٤٦)

(٦) سورة الشعراء الآية (٢١٨-٢٢٠)

(٧) سورة التوبة الآية (٩٤) .

(٨) سورة التوبة الآية (١٠٥)

(٩) تقدم تخريجه ص ٢٨٢

النساء)[١].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**)[٢] وغير ذلك من الأحاديث .

وإن المؤمن متى أعطى هذه الصفات العظيمة حقها من العلم والعمل بمقتضاهما، حصل له بذلك من الآثار الإيمانية على الجوارح الشيء الكثير مثل : الثبات على العبادة، والإحسان فيها ، ومراقبة الله في جميع الأحوال ، والنصر والتأييد ، وحفظ الجوارح من الوقوع في الفواحش ، وإعطاء الحقوق ، والتحذير من الظلم ، وامتثال جميع الأوامر والانتهاء عن جميع النواهي .

ومن الإيجاز إلى التفصيل فنقول وبالله التوفيق :

١ - نلحظ من هذه الصفات العظيمة (البصر ، والنظر ، والرؤية ، والعين) قرب الله تعالى من عبده، فمن كان لذلك ملاحظاً غير غافل عنه، راقب تصرفاته، ومعاملاته وعباداته، وسائر حياته، وفي ذلك صلاح دنياه وآخرته .

قال مسروق بن الأجدع[٣]:«من راقب الله في خطرات قلبه؛ عصمه الله في حركات جوارحه»[٤].

٢ ـــ إن في استحضار هذه الصفات حفظ للجوارح ، كما جاء في الحديث : عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول اللهِ – صلى الله عليه وسلم – قال فيما يروي

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٨٣

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٨٣

(٣) أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي ، من أهل اليمن. ثقة فقيه عابد، مخضرم ،من الثانية مات سنة اثنتين ويقال سنة ثلاث وستين ، روى له الجماعة . انظر : السير / ٤ / ٦٣ ، التقريب ص ٥٢٩

(٤) انظر: صفة الصفوة (١٢٩/٤)

عن رب العزة – جل جلاله –: (**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَال عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلي بِالنَّوَافِل حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ**)[١] .

وقال الخطابي رحمه الله : « هذه أمثال والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الاصغاء إلى اللهو بسمعه ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره ومن البطش فيما لا يحل له بيده ومن السعي إلى الباطل برجله» [٢]

٣ ــ في قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[٣]، وهذا فيه وعدٌ منه سبحانه، أنه لا يَضيع عنده شيء، من أعمال الخير التي قدموها لأنفسهم، وأنه بصير بهم، وسيثيبهم على ذلك عظيم الثواب ،وهذا فيه الحث على فعل الخير والإكثار منه .

٤ ــ في قوله تعالى : ﴿ **وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا** ﴾[٤]

إن استحضار العبد بكون الله سبحانه وتعالى بصيراً به،مطَّلعًا عليه، يفيده فوائد عظيمة ، في جانبي الترغيب والترهيب ، ويوصله إلى مقام الإحسان الذي هو أعلى مقامات الدين وهو أن تعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال ابن رجب: «والإحسان في ترك المحرمات والانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها».[٥]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الرقاق / باب التواضع / برقم (٦١٣٧) / ٥ / ٣٨٤

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري / ابن حجر / ١١ / ٣٤٤

(٣) سورة البقرة الآية (١١٠)

(٤) سورة الإسراء الآية (١٧)

(٥) جامع العلوم والحكم (٣٨٢/١).

٥ـــ التعبد بهذه الصفات له أثره الطيب في حسن الخلق وسلامةالسلوك

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « إن الأدب مع الله تبارك وتعالى هو القيام بدينه والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنًا. ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق- علمًا وعملاً وحالاً- والله المستعان» [١]

٦ – التهديد والوعيد لكل من عصى الله وكذب رسله كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[٢] أي: أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء[٣]، وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٤]

فتوعَّد تعالى من ألحد فيها بأنه لا يخفى عليه، بل هو مطلع على ظاهره وباطنه، وسيجازيه على إلحاده بما كان يعمل .[٥]

٧ – في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[٦]

قال ابن كثير رحمه الله : « أي لا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى عليّ من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري

---

(١) مدارج السالكين / ٢ / ٤٠٣

(٢) سورة العلق الآية (١٤)

(٣) تفسير ابن كثير ٨ / ٤٣٨

(٤) سورة فصلت الآية (٤٠)

(٥) تفسير السعدي ص ٧٥٠

(٦) سورة طه الآية (٤٦)

وتأييدي»[١].

ففي هذه الآية النصرة ،والتأييد ، والحفظ ، والإقدام على فعل الخير ، وهذا كله من آثار صفة رؤية الله تعالى على العبد المؤمن .

٨ ــ في قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٢]، ترغيب وترهيب

فإذا علم العبد أن الله يراه حيث كان، وأنه مطلع على باطنه وظاهره وسره وعلانيته، واستحضر ذلك في خلواته، أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر.

قال ابن الجوزي[٣] رحمه الله: « فقلوب الجهال تستشعر البُعْد؛ ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكُفَّ عن الخطايا، والمتيقظون علموا قربه فحضرهم المراقبة، وكفتهم عن الانبساط» [٤].

وقال ابن القيم رحمه الله : «فإن الإحسان إذا باشر القلب منعه من المعاصي، فإن من عبد الله كأنه يراه لم يكن ذلك إلا لاستيلاء ذِكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنه يشاهده، وذلك يحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلاً عن مواقعتها» [٥].

وقال أيضاً: «فمن راقب الله في سره حفظه الله في حركاته في سره وعلانيته» [٦].

---

(١) تفسير ابن كثير / ٣ / ١٨٩

(٢) سورة التوبة الآية (١٠٥)

(٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي التيمي البكري البغدادي، الحنبلي، الشيخ الامام العلامة، الحافظ المفسر، الواعظ، صاحب التصانيف ، مات سنة ٥٩٧ هــ . انظر : السير ٢١ / ٣٦٥ ــ ٣٨٤ ، الأعلام / للزركلي / ٣ / ٣١٦

(٤) صيد الخاطر (٢٣٦).

(٥) الجواب الكافي (٧٠).

(٦) مدارج السالكين (٢/٩٦).

٩ – في قوله صلى الله عليه وسلم : (**ثلاثة ولا ينظر إليهم** ...) وأمثال ذلك من الأحاديث، فهؤلاء فعلوا أفعالاً مقتهم الله عليها، فأعرض عنهم، ومن أعرض الله عنه فهو هالك، الهلاك الأكبر ، لأن نظر الله – تعالى – إلى العبد يقتضي الرحمة ، والإحسان، فعلى العبد المؤمن التخلص من هذه الأفعال الشنيعة .

١١ ـــ قصص وعبر عن السلف في حفظ الجوارح ، بسبب استحضار رؤية الله تعالى لهم في جميع أحوالهم :

قال عبد الله بن دينار[١]:خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فعرّسنا في بعض الطريق، فانحدر عليه راعٍ من الجبل، فقال له: يا راعي، بعني شاة من هذه الغنم، فقال: إني مملوك، فقال: قل لسيّدك: أكلها الذئب، قال: فأين الله ؟ قال: فبكى عمر، ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه، وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تُعتقك في الآخرة.[٢]

سئل الجنيد –رحمه الله– بم يستعان على غضِّ البصر؟ قال: «بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى من تنظره».[٣]

وكتب ابنُ السَّماك[٤] الواعظ إلى أخٍ له : أما بعدُ : « أُوصيكَ بتقوى الله الذي هو

---

(١) أبو عبد الرحمن عبد الله بن دينار العدوي العمري مولاهم المدني ، مولى عبدالله بن عمر رضي الله عنه ، الامام المحدث الحجة ، مات سنة ١٢٧ هـــ انظر : السير ٥ / ٢٥٤ ، التقريب ص ٣٠٢

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٢٩٦/٤)، والسير (٢١٦/٣).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم ص ٣١٩.

(٤) أبو العباس محمد بن صبيح بن السماك ،العجلي، مولاهم الكوفي ، الزاهد، القدوة، سيد الوعاظ، روى عنه من الأئمة يحيى بن يحيى النيسابورى وأحمد بن حنبل ، توفي ابن السماك سنة ١٨٣هـــ . انظر : صفة الصفوة ٣ / ١٧٤ ، السير ٨ / ٣٢٩

نَجِيُّكَ في سريرتك ورقيبُك في علانيتك ، فاجعلِ الله من بالك على كُلِّ حالك في ليلك ونهارك ، وخفِ الله بقدر قُربه منك ، وقُدرته عليك ، واعلم أنَّك بعينه ليس تَخرُجُ من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى مُلك غيره، فليعظم منه حَذَرُك، وليكثر منه وَجَلُكَ والسلام »[١]

وقال أيضاً : أوصاني أخي داود الطائي[٢] بوصية : « انظر لا يراك الله حيث نهاك وأن لا يفقدك من حيث أمرك واستحيه في قربه منك وقدرته عليك »[٣]

وقال أبو الجلد[٤] : « أوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من الأنبياء : قُلْ لقومك : ما بالكم تسترون الذنوبَ من خلقي ، وتُظهرونها لي ، إنْ كنتم ترون أني لا أراكم ، فأنتم مشركون بي ، وإنْ كنتم تَرَونَ أني أراكم فلم جعلتموني أهونَ الناظرين إليكم ؟» [٥]

وكان وهيبُ بن الورد[٦] يقول : « خَفِ الله على قدر قدرته عليك ، واستحي منه

---

(١)أخرجه : أبو نعيم في " الحلية " ٢٠٦/٨ ،صفة الصفوة / ابن الجوزي / ٣ / ١٧٥ ، جامع العلوم والحكم ص ٣١٨.

(٢)أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي ، الإمام الفقيه، القدوة الزاهد،كان من كبار أئمة الفقه والرأي، سمع الحديث وتفقه ثم اشتغل بالتعبد ، كان رأسا في العلم والعمل،مات سنة ١٦٥هـ انظر : صفة الصفوة ٣ / ١٣١ ، السير ٧ / ٤٢٥

(٣) صفة الصفوة / ابن الجوزي / ٣ / ١٤٢

(٤)أبو الجلد : جيلان بن أبي فروة الأسدي البصري ،كان ممن يقرأ كتب الأوائل ، وكان من العباد ،قال عنه الإمام أحمد ابن حنبل: أبو الجلد جيلان بن فروة ثقة. انظر : الجرح والتعديل /ابن ابي حاتم الرازي / ٢ / ٥٤٧ ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم / ٦ / ٥٤

(٥) انظر : جامع العلوم والحكم ص ٣١٨.

(٦) أبو أمية: وهيب بن الورد بن أبي الورد المخزومي، بالولاء، من العباد الحكماء ، قال عنه ابن معين: ثقة ، وقال النسائي: ليس به بأس ، مات سنة ١٥٣هـ انظر : صفة الصفوة / ١ / ٤١٨ ، و السير ٧ / ١٩٩ ،

على قدر قُربه منك وقال له رجل : عِظني ، فقال : اتَّقِ الله أنْ يكونَ أهونَ الناظرين إليك [١] .

راود بعضُهم أعرابيةً ، وقال لها : ما يرانا إلا الكواكبُ ، قالت : فأين مُكوكِبُها؟» [٢]

رأى محمد بن المنكدر[٣] رجلاً واقفاً مع امرأة يُكلمها فقال : « إنَّ الله يراكما سترنا الله وإياكما ».[٤]

وكان الإمامُ أحمد يُنشِدُ :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ســـاعـــةً ولا أن ما يخفى عليه يغيب[٥]

وكان ابن السّماك يُنشِدُ:

يا مدمن الذنب أما تستحي والله في الخلـــوة ثانيكـــا

غـــرك من ربـــك إمهالـــه وستره طول مساويكا[٦]

---

(١) أخرجه : أبو نعيم في " الحلية " ١٤٢/٨ ، جامع العلوم والحكم ص ٣١٨.

(٢) انظر : جامع العلوم والحكم ص ٣١٨.

(٣) أَبُو عَبْدِ اللهِ : مُحَمَّدُ بنُ المُنْكَدِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ القُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ ، الإِمَامُ، الحَافِظُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ ، قال ابن عيينة: كان من معادن الصدق، يجتمع إليه الصالحون ، روى له الجماعة، مات سنة ١٣٠هـ السير : ٥ / ٣٥٣ ، التقريب ص ٥٠٨

(٤) انظر : جامع العلوم والحكم ص ٣١٨.

(٥) تُنْسب لأبي نواس، ولأبي العتاهية، ولغيرهما، انظر الخلاف في ذلك في: حماسة الظرفاء (١٨٧/١) وشعر الخوارج / جمع د . إحسان عباس / ص ٢٨٩ / دار الثقافة بيروت ، جامع العلوم والحكم ص ٣١٩

(٦) انظر: جامع العلوم والحكم ص ٣١٩.

وقال أبو محمد القحطاني الأندلسي في نونيته : «

وإذا ما خلوت بريبة في ظلمة   والنفس داعيـــةٌ إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها   إن الذي خلق الظلام يراني» [١]

فعلى العبد المؤمن أن يستشعر رؤية الله جلّ وعلا ، في جميع أحواله فيحفظ جوارحه ، فلا يفقده الله حيث أمره ، ولا يجده يحيث نهاه ، فمن فعل ذلك أفلح في الدنيا والآخرة .

هذا ما تيسر جمعه من الآثار الإيمانية المتعلقة بأعمال الجوارح .

وكل ما ذكر من آثار وتأملات في هذه الصفات العظيمة ، إنما هي قطرة من بحر وزهرة من بستان، فلو سودت الدفاتر والأوراق كلها ، ما أدركت جميع ما في هذه الصفات من الأسرار والمعاني، وهكذا كل اسم من أسماء الله تعالى، أو صفة من صفاته، وإنما هي فتوحات يفتح الله بها لكل عبد بحسبه، أسأل الله بمنه وكرمه أن يفتح علينا ، وأن يلهمنا فهم أسمائه وصفاته ، ويوفقنا للعمل بمقتضاهما ، إنه سميع قريب مجيب .

---

(١) نونية القحطاني (٢٥).

الفصل السادس :

العقائد المنحرفة في صفة (البصر، والنظر، والرؤية ، والعين) لله تعالى والرد على المخالفين .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : العقائد المنحرفة في اسم البصير والرد على المخالفين.

المبحث الثاني :العقائد المنحرفة في صفة (البصر، والنظر، والرؤية) لله تعالى، والرد على المخالفين.

المبحث الثالث : العقائد المنحرفة في صفة العين لله تعالى، والرد على المخالفين.

المبحث الأول :

العقائد المنحرفة في اسم الله البصير والرد على المخالفين.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الانحرافات لدى من أنكره بالكلية والرد على المخالفين .

أنكر اسم الله البصير من أنكر أسماء الله تعالى من الجهمية والفلاسفة ومن سار على نهجهم ،ومما يدل على هذه العقيدة من أقوالهم :

أما الجهمية فلم يكن لهم كتب موجودة فننقل عن أصحاب المقالات :

حكى الأشعري ــ رحمه الله ــ عن الجهمية مذهبهم في الصفات ــ بقوله : «ونفى الجهمية أن يكون لله تعالى وجه كما قال وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين ووافقوا النصارى لأن النصارى لم تثبت الله سميعا بصيرا إلا على معنى أنه عالم وكذلك قالت الجهمية ففي حقيقة قولهم أنهم قالوا : نقول إن الله عالم ولا نقول سميع بصير على غير معنى عالم وذلك قول النصارى... قالت الجهمية : إن الله لا علم له ولا قدرة ولا سمع له ولا بصر وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد والتكذيب بأسماء الله تعالى فأعطوا ذلك له لفظا ولم يحصلوا قولهم في المعنى ولولا أنهم خافوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم »[1].

وقال أيضاً : « وزعمت الجهمية أن الله تعالى لا علم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر له وأرادوا أن ينفوا أن الله تعالى عالم قادر حي سميع بصير فمنعهم خوف السيف من إظهارهم نفي ذلك فأتوا بمعناه لأنهم إذا قالوا لا علم لله ولا قدرة له فقد قالوا إنه ليس بعالم ولا قادر ووجب ذلك عليهم وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة / أبو الحسن الأشعري / ص ١٠٤ ــ ١٠٥ / تحقيق : بشير محمد عون / مكتبة المؤيد / ط ٣

لأن الزنادقة قد قال كثير منهم : إن الله تعالى ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير فلم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك فأتت بمعناه وقالت إن الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر » (١)

وقال أبو الحسين الملطي رحمه الله : «الجهمية وهم ثماني فرق :

منهم صنف من المعطلة يقولون إن الله لا شيء وما من شيء ولا في شيء ولا يقع عليه صفة شيء ولا معرفة شيء ولا توهم شيء ولا يعرفون الله فيما زعموا إلا بالتخمين فوقعوا عليه اسم الألوهية ولا يصفونه بصفة يقع عليه الألوهية ...ومنهم صنف زعموا أن الله شيء وليس كالأشياء لا يقع عليه صفة ولا معرفة ولا توهم ولا نور ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا تكلم وإن القرآن مخلوق وإنه لم يكلم موسى ولا يكلم قط وإن الله خلق قولا وكلاما فوقع ذاك القول والكلام في مسامع من شاء الله من خلقه فبلغه السامع عن الله بعد ما سمعه فسمى ذلك قولا وكلاما تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا » (٢)

وقال الشهرستاني : «الجهمية أصحاب جهم بن صفوان ــ من عقيدته ــ قوله : لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقضي تشبيهاً فنفى كونه : حياً عالماً وأثبت كونه : قادراً فاعلاً خالقاً لأنه لا يوصف شيء من خلقه : بالقدرة والفعل والخلق » (٣) .

وقال البغدادي رحمه الله: «الجهمية أتباع جهم بن صفوان ... امتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد وقال لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء موجود وحى وعالم ومريد ونحو ذلك ووصفه بأنه قادر وموجود وفاعل وخالق

(١) الإبانة / الأشعري / ص ١١٣ــ ١١٤

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع / لأبي الحسين محمد الملطي / ص ٩٦ / تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري / المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة / ط ٢

(٣) الملل والنحل / ١ /٦١ .

ومحيي ومميت لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية ولم يسم الله تعالى متكلما به وأكفره أصحابنا في جميع ضلالاته »[١].

وقد حكى هذه الأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموعة من كتبه[٢]فمن أقواله:

قال رحمه الله: « ولهذا نقلوا عن جهم أنه لا يسمي الله بشيء، ونقلوا عنه أنه لا يسميه باسم من الأسماء التي يسمى بها الخلق: كالحي، والعالم، والسميع، والبصير، بل يسميه قادراً خالقاً، لأن العبد عنده ليس بقادر، إذ كان هو رأس الجهمية الجبرية[٣]»[٤].

وقال أيضاً : «وزاد الجهم في ذلك هو والغلاة – من القرامطة والفلاسفة – نحو ذلك فقالوا : وليس له اسم كالشيء والحي والعليم ونحو ذلك؛ لأنه إذا كان له اسم من هذه الأسماء لزم أن يكون متصفا بمعنى الاسم كالحياة والعلم؛ فإن صدق المشتق مستلزم لصدق المشتق منه؛ وذلك يقتضي قيام الصفات به وذلك محال؛ ولأنه إذا سمي بهذه الأسماء فهي مما يسمى به غيره . والله متره عن مشابهة الغير . وزاد آخرون بالغلو فقالوا : لا يسمى بإثبات ولا نفي ولا يقال : موجود ولا لا موجود ولا حي ولا لا حي؛ لأن في الإثبات تشبيها له بالموجودات وفي النفي تشبها له بالمعدومات وكل ذلك تشبيه»[٥].

---

(١) الفرق بين الفرق / البغدادي / ص / ١٩٩

(٢) انظر : مجموع الفتاوى، ٣٥٥/٥، ١٣١، ١٣، ودرء التعارض، ٣٦٧/٣، ومنهاج السنة، ٥٢٣/٢-٥٢٤، وشرح العقيدة الأصفهانية، ص ٧٧، والنبوات، ٥٧٨/١.

(٣) الجبرية: أحدى الفرق الكلامية التي تقول بالجبر وهو أن العباد مجبورون على أعمالهم، وأول من قال بهذه المقالة هو الجعد بن درهم وأظهرها تلميذه الجهم بن صفوان، ولذلك فإن الجهمية أول من حمل لواء هذه الدعوة. انظر : الملل والنحل، ٦١/١، ومجموع الفتاوى، ٤٦٠/٨، الموسوعة الميسرة، ١٠٤٥/٢-١٠٤٦.

(٤) درء تعارض العقل والنقل (١٨٧/٥)، مجموع الفتاوى (٤٦٠/٨).

(٥) مجموع الفتاوى / ٦ / ٣٥

وقال أيضاً : « وكذلكَ الجهميَّة عَلَى ثَلَاث دَرَجات فَشرُّها الْغَالية الَّذِين ينفونَ أَسماء اللَّهِ وَصِفَاته وَإِنْ سَمُّوه بِشَيْءٍ مِنْ أَسْمَائِه الْحُسْنَى قَالُوا: هُوَ مَجَاز فَهُو فِي الْحَقِيقَة عِنْدهم لَيْس بِحَيٍّ وَلَا عَالِم وَلَا قَادِر وَلَا سَمِيع وَلَا بَصِير وَلَا مُتَكَلِّم وَلَا يَتَكَلَّم » (١).

كما نص على ذلك ابن القيم ــ رحمه الله ــ حيث قال: «اختلف النظار في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد، كالحي والسميع والبصير والعليم والقدير والملك ونحوها، فقالت طائفة من المتكلمين: هي حقيقة في العبد، مجاز في الرب، وهذا قول غلاة الجهمية، وهو أخبث الأقوال وأشدها فسادا » (٢).

أما أقوال الفلاسفة في إنكار أسماء الله الحسنى ومنها اسم السميع :

قال ابن سينا : « أن واجب الوجود واحد ، بحسب تعين ذاته وأن واجب الوجود لا يقال على كثرة أصلا. ..لو التأم ذات واجب الوجوب من شيئين ، أو أشياء تجتمع ، لوجب بها ، ولكان الواحد منها ، أو كل واحد منها ، قبل واجب الوجود ، ومقوماً لواجب الوجود فواجب الوجود لا ينقسم في المعنى ولا في الكم »(٣).

وقال ابن سبعين : « وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به ، ولا تبال ، وأي شيء يخطر ببالك سمه به ، ومن اسمه الموجود كيف يخصص بأسماء منحصرة ، هيهات ، الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض ، فإن قلت : نسميه بما يسمي به نفسه أو نبيه يقال لك : من سمى نفسه الله قال لك : أنا كل شيء ، وجميع من تنادي أنا هو » (٤)

---

(١) الفتاوى الكبرى / ابن تيمية/ ٦/٣٧٠/المحقق : محمد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا/ دار الكتب العلمية/الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ

(٢) بدائع الفوائد / ابن القيم الجوزية / ١ / ١٧٢

(٣) الإشارات والتنبيهات / ابن سينا / مع شرح نصير الدين الطوسي / ٣ / ٤٤ / تحقيق د : سليمان دنيا / دار المعارف / ط : ٣

(٤) رسائل ابن سبعين / عبدالحق بن سبعين / ص ١٨ ٤ / تحقيق عبدالرحن بدوي / الدار

ويقول الجيلي: « " الذات الإلهية " عبارة عن الوجود المطلق ، بسقوط جميع الاعتبارات ، والإضافات ، والوجوهات ، ...هذا الوجود المطلق هو الذات الساذجة الذي لا ظهور فيه لاسم ، ولا نعت ، ولا نسبة ولا إضافة .. »[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «فالقرامطة الذين قالوا لا يوصف بأنه حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، بل قالوا لا يوصف بالإيجاب ولا بالسلب، فلا يقال حي عالم ولا يقال ليس بحي عالم، ولا يقال هو عليم قدير، ولا يقال ليس بقدير عليم، ولا يقال هو متكلم مريد، ولا يقال ليس بمتكلم مريد قالوا: لأن في الإثبات تشبيها بما تثبت له هذه الصفات، وفي النفي تشبيه له بما ينفى عنه هذه الصفات »[(٢)] .

وقال أيضاً : « ومنهم من يقول : نحن لا نقول ليس بموجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت، فلا ننفي النقيضين، بل نسكت عن هذا وهذا، فنمتنع عن كل من المتناقضين، لا نحكم لا بهذا ولا بهذا، فلا نقول: ليس بموجود ولا معدوم، ولكن لا نقول: هو موجود، ولا نقول هو معدوم.

ومن الناس من يحكي نحو هذا عن الحلاج ، وحقيقة هذا القول هو الجهل البسيط والكفر البسيط، الذي مضمونه الإعراض عن الإقرار بالله ومعرفته وحبه وذكره وعبادته

المصرية نقلاً عن عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية / د : أحمد القصير / ص ٤٢٦ ـــ ٤٢٧ / مكتبة الرشد / ط١ .

(١) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل / عبدالكريم الجيلي/ ٧٦ / تحقيق : فاتن محمد خليل / موسسة التأريخ العربي / بيروت / ط ١ .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٧٦.، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى/ د . محمد بن خليفة التميمي ص ١٦/أضواء السلف.

ودعائه».[١]

وقال أيضاً : « ومنهم من يقول بتصويب كل واحد من القائلين للأقوال المتناقضة، كما يقوله من يقوله من أصحاب الوحدة، كابن عربي ونحوه الذي يقول بأن كل من اعتقد في الله عقيدة فهو مصيب فيها، حتى قال:

عقدالخلائق في الإله عقائدا   وأنا أعتقدت جميع ما عقدوه[٢]

فأصحاب وحدة الوجود يعطون أسماءه سبحانه لكل شيء في الوجود، إذ كان وجود الأشياء عندهم هو عين وجوده ما ثمت فرق إلا بالإطلاق والتقييد ». [٣]

وقال أيضاً : « وغاية ما عندهم في الإثبات قولهم هو (وجود مطلق) أي وجود خيالي في الذهن، أو وجود مقيد بالأمور السلبية، وقالوا: لا نقول موجود ولا معدوم، أو قالوا: هو لا موجود ولا معدوم» .[٤]

وقال أيضاً : « أما منكرو أسماء الله تعالى بألفاظها ومعانيها فهم الملاحدة وهؤلاء لم يعرفوا وجود الله، فكيف يعرفون أسماءه. ووافقهم على ذلك غلاة الفلاسفة والقرامطة. وهذا كما هو واضح تكذيب صريح لكتاب الله تعالى فهو كفر واضح ».[٥]

من خلال أقوالهم يتبين لنا إنكارهم وتعطيلهم لأسماء الله الحسنى، ومن ضمنها اسم البصير .

---

(١) الصفدية / شيخ الإسلام ابن تيمية / ١/ ٩٦- ٩٨ / تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ

(٢) الفتوحات المكية / ابن عربي / ٣ / ١٣٢ / دار الكتب العربية / مصر

(٣) مجموع الفتاوى / ٢ / ٩٨ ، و الصفدية ١/ ٩٨- ٩٩

(٤) الصفدية ١/١١٦- ١١٧

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية٦/٢٠٩، والرسالة التدمرية له ص: ٦٣.

ولهؤلاء المعطلة في تعطيلهم لأسماء الله عدة شبهات من ذلك :

١ ـــ دعوى تنزية الله تعالى، والفرار من التشبية، وذلك أنه إذا سمي بهذه الأسماء فهي مما يسمى به غيره، والله منزه عن مشابهة الغير.[١]

٢ ـــ وادعوا أن أسماء الله غير الله ، وأنها مستعارة مخلوقة ، كما أنه قد يكون شخص بلا اسم ، فتسميته لا تزيد في الشخص ، ولاتنقص .[٢]

٣ ـــ دعوى المجاز في النصوص التي ورد فيها إثبات أسماء الله الحسنى .

٤ ـــ إن الإثبات يستلزم تشبيهه بالموجودات .

هذه أقوى الشبه التي تمسكوا بها .

الرد عليهم بنقض هذه الشبهات :

الشبهة الأولى : " دعوى تنزية الله تعالى والفرار من التشبية "

جوابه: أن المعاني التي تلزم من إثبات الأسماء صفات لائقة بالله تعالى غير مستحيلة عليه، والمشاركة في الاسم أو الصفة لا تستلزم تماثل المسميات والموصوفات.

وقد رد هذه الشبهة وبين فسادها جمع من العلماء منهم :

أبو بكر ابن خزيمة رحمه الله حيث قال : « وذلك أنهم وجدوا في القرآن أن الله قد أوقع أسماء من أسماء صفاته على بعض خلقه فتوهموا ـــ لجهلهم بالعلم ـــ أن من وصف الله بتلك الصفة التي وصف الله بها نفسه قد شبهه بخلقه فاسمعوا ـــ يا ذوي الحجا ـــ ما

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٦/ ٣٥، ٣/١٠٠، ودرء تعارض العقل والنقل ٣/ ٣٦٧، وكتاب الصفدية ١/٨٨- ٨٩، ٩٦- ٩٧.

(٢) نقض الإمام عثمان بن سعيد / الدارمي /١ / ١٥٨ /تحقيق : د.رشيد بن حسن الألمعي /مكتبة الرشد - الرياض ط١

أبين من جهل هؤلاء المعطلة».

أقول وجدت الله وصف نفسه في غير موضع من كتابه فأعلم عباده المؤمنين أنه سميع بصير فقال : « ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١] وعلمنا جل وعلا أنه يرى فقال : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٢] وقال لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[٣] فأعلم عز وجل أنه يرى أعمال بني آدم...نحن نقول أن الله سميع بصير كما أعلمنا خالقنا وبارؤنا ونقول من له سمع وبصر من بني آدم فهو سميع بصير ولا نقول أن هذا تشبيه المخلوق بالخالق... فأما احتجاج الجهمية على أهل السنة والآثار في هذا النحو بقوله :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فمن القائل إن لخالقنا مثلاً أوإن له شبيهًا وهذا من التمويه على الرعاع والسفل ويموهون بمثل هذا على الجهال يوهموهم أن من وصف الله بما وصف به نفسه في محكم تنزيله أو على لسان نبيه فقد شبه الخالق بالمخلوق وكيف يكون ياذوي الحجا خلقه مثله »[٤].

قال أيضاً : «وتدبروا ـــ أيها العلماء ومقتبسو العلم مخاطبة خليل الرحمن أباه وتوبيخه إياه لعبادته من كان يعبد تعقلوا توفيق خالقنا جل وعلا صحة مذهبنا وبطلان مذهب مخالفينا من الجهمية المعطلة».

قال خليل الرحمن ـــ صلوات الله وسلامه عليه لأبيه « ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾[٥]أفليس من المحال ـــ يا ذوي الحجا أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر لم تعبد ما لا تسمع ولا يبصر ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر ثم يدعوه إلى عبادة من

---

(١) سورة الشورى الآية (١١)

(٢) سورة التوبة الآية (١٠٥)

(٣) سورة طه الآية (٤٦)

(٤) كتاب التوحيد / ابن خزيمة / ١ /٥٨ ـــ ٦٥

(٥) سورة مريم الآية (٢٤)

لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان أيضًا فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة عز ربنا وجل عن أن يكون غير سميع ولا بصير فهو كعابد الأوثان والأصنام لا يسمع ولا يبصر أو كعابد الأنعام ألم يسمعوا قول خالقنا وبارئنا ﴿ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾[١]فأعلمنا عز وجل أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ».[٢]

قال الأصفهاني رحمه الله: « فتوهم الجهمية لجهلهم بالعلم أن من وصف الله بالصفة التي وصف بها نفسه ، وقد أوقع اسم تلك الصفة على بعض خلقه فقد شبهه بخلقه ، وقال عز وجل : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ أخبر أنه سميع بصير ، وذكر أنه جعل الإنسان بصيراً ، قال عز وجل ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[٣] وسمى نفسه حليماً وسمى خليله حليماً فقال : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[٤] وسمى نفسه رؤوفاً رحيماً وقال في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥] . فإن كان علماء الآثار الذين يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه على زعم الجهمية ، فكل أهل القبلة إذا قرأوا كتاب الله فآمنوا به بإقرار اللسان وتصديق القلب ، وسموا الله عز وجل بهذه الأسامي ، وسموا المخلوقين بها ، فجميع أهل التوحيد مشبهة » .[٦]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والتحقيق أن التجهم المحض- وهو نفي الأسماء

---

(١) سورة الفرقان الآية (٤٣،٤٤)

(٢) التوحيد لابن خزيمة / ١ / ١٠٩ ـــ ١١٠

(٣) سورة الإنسان الآية (٢)

(٤) سورة التوبة الآية (١١٤)

(٥) سورة التوبة الآية (١٢٨)

(٦) الحجة في بيان المحجة / ١ /٢٠٣

والصفات، كما يحكى عن جهم والغالية من الملاحدة ونحوهم، من نفي الأسماء الحسنى- كفر بين مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم».[١]

وقال القرطبي : قال إسحاق بن إبراهيم : إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو مثل يد أو سمع كسمع أو مثل سمع فإذا قال سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه وأما إذا قال الله تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول كيد ولا مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيها وهو كما قال سبحانه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢].[٣]

من خلال هذا النقل يتبين بطلان هذه الشبهة .

أما الشبهة الثانية :وهي دعوى أن أسماء الله غير الله ، وأنها مستعارة مخلوقة ،

هذه دعوى باطلة مخالفة للكتاب والسنة ولإجماع سلف الأمة وقد بين بطلانها جمع من الأئمة

قال الدارمي رحمه الله : «باب الإيمان بأسماء الله وأنها غير مخلوقة»

ثم اعترض المعارض أسماء الله المقدسة فذهب في تأويلها مذهب إمامه المريسي فادعى أن أسماء الله غير الله وأنها مستعارة مخلوقة كما أنه قد يكون شخص بلا اسم فتسميته لا تزيد في الشخص ولا تنقص يعني أن الله كان مجهولا كشخص مجهول لا يهتدى لاسمه ولا يدرى ما هو حتى خلق الخلق فابتدعوا له أسماء من مخلوق كلامهم فأعاروها إياه من غير أن يعرف له اسم قبل الخلق .

ومن ادعى هذا التأويل فقد نسب الله تعالى إلى العجز والوهن والضرورة والحاجة

---

(١) النبوات ص ١٩٨.

(٢) سورة الشورى الآية (١١)

(٣) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشبهات / مرعي بن يوسف المقدسي /ص ١٣٩ /تحقيق : شعيب الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة / ط١

إلى الخلق لأن المستعير محتاج مضطر والمعير أبدا أعلى منه وأغنى ففي هذه الدعوى استجهال الخالق إذ كان بزعمه هملا لا يدرى ما اسمه وما هو وما صفته والله المتعالي عن هذا الوصف ».(١)

وقال الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله : « فكيف يكون القرآن مخلوقا وأسماء الله في القرآن ؟ هذا يوجب أن تكون أسماء الله مخلوقة ولو كانت أسماؤه مخلوقة لكانت وحدانيته مخلوقة وكذلك علمه وقدرته . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا...وقد قال الله تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ﴾(٢)،ولا يقال لمخلوق ﴿ تَبَٰرَكَ ﴾فدل هذا على أن أسماء الله غير مخلوقة وقال : ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ﴾(٣)فكما لا يجوز أن يكون وجه ربنا مخلوقا فكذلك لا يجوز أن تكون أسماؤه مخلوقة ... »(٤)

وقال أيضاً : « قال أبو عبد الله(٥) : والقرآن علم الله ألا تراه يقول : ﴿ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾(٦) والقرآن فيه أسماء الله عز و جل أي شيء يقولون ؟ ألا يقولون : إن أسماء الله غير مخلوقة لم يزل الله قديرا عليما عزيزا حكيما سميعا بصيرا لسنا نشك أن أسماء الله عز و جل غير مخلوقة لسنا نشك أن علم الله عز و جل غير مخلوق فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله فلا نشك أنه غير مخلوق وهو كلام الله عز و جل ولم يزل به متكلما ثم قال : وأي كفر من هذا ؟ وأي كفر أشر من هذا ؟ »(٧)

---

(١) النقض على بشر / ١ / ١٥٨

(٢) سورة الرحمن الآية (٧٨)

(٣) سورة الرحمن الآية (٢٧)

(٤) الإبانة عن أصول الديانة / ص ٧١

(٥) يقصد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

(٦) سورة الرحمن الآية (٢)

(٧) الإبانة عن أصول الديانة / ص ٨٧

وممن نص على أن الأسماء الحسنى من كلام الله شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه قال : «والذي كان معروفاً عند أئمة السنة أحمد وغيره : الإنكار على الجهمية الذين يقولون : أسماء الله مخلوقة فيقولون : الاسم غير المسمى ، وأسماء الله غيره ، وما كان غيره فهو مخلوق ، وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول ، لأن أسماء الله من كلامه ، وكلام الله غير مخلوق ، بل هو المتكلم به ، وهو المسمي لنفسه بما فيه من الأسماء ».[١]

وعلى أن الأسماء الحسنى غير مخلوقة مضى جماعة العلماء وأئمة السنة كالشافعي وأحمد وغيرهم :

قال الإمام الشافعي : « من حلف باسم من أسماء الله فحنث فعليه الكفارة لأن اسم الله غير مخلوق »[٢].

وقال ابن هانئ : « سمعت أحمد بن حنبل – وهو مختف عندي – فسألته عن القرآن فقال : من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر ».[٣]

وقد صرح الأئمة بتكفير من قال بخلق الأسماء الحسنى وذلك لما ظهرت بدع الجهمية في القول بخلق القرآن فكان قولهم بخلق الأسماء امتداداً لقولهم بخلق القرآن ، لأنهما من كلام الله تعالى .

وفي هذا المعنى يقول الإمام الدارمي رحمه الله : « فهذا الذي ادعوا في أسماء الله أصل كبير من أصول الجهمية التي بنوا عليها محنهم وأسسوا بها ضلالتهم» وقال قبلها : «وقد كان لإمامه المريسي في أسماء الله مذهب كمذهبه في القرآن كان القرآن عنده

---

(١) مجموع الفتاوى / ٦ / ١٧٥ ــ ١٧٦ .

(٢) ذكره البيهقي في السنن الكبرى / ١٠ /٢٨ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة /٢/ ٢٣٦ .

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة / ٢ / ٢٣٩ ــ ٢٤٠ .

مخلوقاً من قول البشر لم يتكلم الله بحرف منه» [١]

وقال الإمام إسحاق بن راهوية : « أفضوا (– أي الجهمية–) إلى أن قالوا : أسماء الله مخلوقة لأنه كان ولا اسم وهذا الكفر المحض » . [٢]

ومن خلال هذه النقول من الأئمة يتبين بطلان هذه الشبهة.

الشبهة الثالثة : دعوى المجاز في النصوص التي ورد فيها إثبات أسماء الله الحسنى

وقال الحافظ ابن عبدالبر : « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا المجاز » [٣]

وقد عقد الإمام ابن القيم رحمه الله : «فصل في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز» [٤] ثم شرع في إبطاله بما يزيد على خمسين وجهاً وفيها الغنية والكفاية لكل طالب للحق .

ومن الشبه أيضاً : قولهم: «إن الإثبات يستلزم تشبيهه بالموجودات»:

وجوابه: أن النفي الذي قالوا به يستلزم تشبيهه بالمعدومات على قياس قولهم، وذلك أقبح من تشبيهه بالموجودات، وحينئذ فإما أن يقروا بالإثبات فيوافقوا الجماعة، وإما أن ينكروا النفي كما أنكروا الإثبات فيوافقوا غلاة الغلاة من القرامطة والباطنية وغيرهم.وأما التفريق بين هذا وهذا فتناقض ظاهر.[٥]

---

(١) النقض على بشر /١ / ١٦٤ـــ ١٦٦

(٢) أخرجه عنه اللالكائي في شرح السنة / ٢ /٢٤٠

(٣) التمهيد / ابن عبد البر / ٣ /٣٥١ / تحقيق : محمد عبدالقادر عطا / دار الكتب العلمية / بيروت /ط ١

(٤) مختصر الصواعق / ٢ / ٧٠٠ وما بعدها .

(٥) تقريب التدمرية / الشيخ ابن عثيمين / ص٣٤ / دار الوطن / الرياض / ١٤٢٤هـــ.

وأما الموجود المطلق بشرط الإطلاق فلا وجود له في الخارج المحسوس، وإنما هو أمر يفرضه الذهن ولا وجود له في الحقيقة، فتكون حقيقة القول به نفي وجود الله تعالى إلا في الذهن، وهذا غاية التعطيل والكفر.(١)

ومما يدل على بطلان قول المعطلة : أن إنكارهم لأسماء الله يدخل في شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك .

قال الشيخ سليمان آل الشيخ : «الشرك في الربوبية وهو نوعان أحدهما : شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢)ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدومًا أصلاً، بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها، يسمونها: العقول، والنفوس».

ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود، كابن عربي، وابن سبعين، والعفيف التلمساني ، وابن الفارض ، ونحوهم من الملاحدة الذين كسوا الإلحاد حلية الإسلام، ومزجوه بشيء من الحق، حتى راج أمرهم على خفافيش البصائر.

ومن هذا شرك من عطّل أسماء الرب وأوصافه، من غلاة الجهمية، والقرامطة.(٣)

وقال أيضاً : عند باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات و قوله تعالى : ﴿وَهُمْ

---

(١) نفس المصدر ص ٣٣ .

(٢) سورة الشعراء الآية (٢٣)

(٣) تيسير العزيز الحميد / سليمان بن عبد الله آل الشيخ / ص ٢٧ / مكتبة الرياض الحديثة – الرياض

يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾[١]،«ومطابقة الآية للترجمة ظاهرة لأن الله تعالى سمى جحود اسم من أسمائه كفرا فدل على أن جحود شيء من أسماء الله وصفاته كفر فمن جحد شيئا من أسماء الله وصفاته من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة ونحوهم فله نصيب من الكفر بقدر ما جحد من الاسم أو الصفة »[٢].

---

(١) سورة الرعد آية: ٣٠.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٥١١ ـــ ٥١٢

المطلب الثاني : الانحرافات لدى من أثبته مجرداً عن الصفة والرد على

إثبات الأسماء لله تعالى مجردة عن الصفات:هذا قول المعتزلة، ووافقهم عليه ابن حزم الظاهري. والزيدية، والرافضة الإمامية، والإباضية.

وإليك شيئاً من أقوالهم :

فالمعتزلة مجمعون على تسمية الله بالاسم ونفي الصفة عنه وقد نص على الإجماع ابن المرتضى المعتزلي حيث قال : « فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثا قديما قادرا عالما حيا لا لمعان.. »[1]

يقول القاضي عبد الجبار في معنى قوله تعالى : « ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[2] ...فعند شيوخنا البصريين أن الله تعالى ــ سميع بصير مدرك للمدركات وأن كونه مدركاً صفة زائدة على كونه حياً وأما عند مشايخنا البغداديين ، هو أنه تعالى مدرك للمدركات على معنى أنه عالم بها ، وليس له بكونه مدركاً صفة »[3]

قال الأشعري : «فقال اكثر المعتزلة والخوارج وكثير من المرجئة وبعض الزيدية ان الله عالم قادر حي بنفسه لا بعلم وقدرة وحياة واطلقوا ان لله علما بمعنى انه عالم وله قدرة بمعنى انه قادر و لم يطلقوا ذلك على الحياة و لم يقولوا له حياة ولا قالوا سمع ولا بصر وانما قالوا قوة وعلم لأن الله سبحانه اطلق ذلك ، ومنهم من قال له علم بمعنى معلوم وله قدرة بمعنى مقدور و لم يطلقوا غير ذلك ، وقال ابو الهذيل هو عالم بعلم هو هو وهو قادر

---

(١) باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل، في شرح كتاب الملل والنحل / لأحمد بن يحيى بن المرتضى ص ٦، ط: دار المعارف حيدر آباد ، شرح الأصول الخمسة ص ١٥١ للقاضي عبد الجبار، مقالات الإسلاميين ص ١٦٤– ١٦٥

(٢) سورة الحج الآية (٦١) .

(٣) شرح الأصول الخمسة / القاضي عبدالجبار / ص ١٦٨ / تحقيق : د . عبدالكريم عثمان

بقدرة هي هو وهو حي بحياة هي هو وكذلك قال في سمعه وبصره وقدمه وعزته وعظمته » (١)

قال الباقلاني رحمه الله : « وزعم البغداديون منهم أن الله تعالى ليس بسميع ولا بصير وإنما يوصف بأنه يسمع الأصوات ويبصر الأشخاص على معنى أنه يعلم ذلك لا مزية له في هذين الوصفين على الضرير والأصم الذي لا يسمع ولا يبصر » (٢)

أما ابن حزم رحمه الله فقد وافق المعتزلة في ذلك فهو يرى أن الأسماء الحسنى كالحي، والعليم،والسميع ، والبصير ، بمنزلة أسماء الأعلام لا تدل على حياة ولا علم،ولا سمع ،ولا بصر، ولكن سميع بذاته بصير بذاته قال : « وذهبت طوائف ...إلى أن الله تعالى سميع بصير ولا نقول بسمع ولا يبصر لأن الله تعالى لم يقله ولكن سميع بذاته وبصير بذاته، قال أبو محمد : وبهذا نقول ولا يجوز إطلاق سمع ولا بصر حيث لم يأت به نص». (٣)

وقال أيضاً : « قال الله تبارك وتعالى﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فقلنا نعم أنه سميع بصير لا كشيء من البصراء ولا السامعين مما في العالم وكل سميع وبصير في العالم فهو ذو سمع وبصر فالله تعالى بخلاف ذلك بنص القرآن فهو سميع كما قال لا يسمع كالسامعين وبصير كما قال لا يبصر كالمبصرين لا يسمى ربنا تعالى إلا بما سمى به نفسه ولا يخبر عنه إلا بما أخبر به عن نفسه فقط كما قال الله تعالى هو السميع البصير فقلنا نعم هو السميع البصير و لم يقل تعالى أن له سمعا وبصرا فلا يحل لأحد أن يقول أن له سمعا وبصرا فيكون قائلا على الله تعالى بلا علم وهذا لا يحل وبالله تعالى

---

(١) مقالات الإسلاميين / ١ / ١٦٤ــ ١٦٥

(٢) كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل – الباقلاني / / ص ٢٨٧ / تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر / مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت / الطبعة

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم / ٢ / ١٠٩ ، مكتبة الخانجي – القاهرة

نعتصم » [١]

أما الزيدية من الشيعة فمذهبهم في الأصول مذهب المعتزلة يقول الشهرستاني عن أصحاب زيد : «وصارت أصحابه كلهم : معتزلة» [٢].

وقال أيضاً : « أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة : حذو القذة بالقذة ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت» [٣] .

وقد نص على هذه العقيدة جمع من علمائهم المتقدمين والمتأخرين [٤].

أما الرافضة الإمامية فقد تأثروا بالمعتزلة بعد القرن الرابع ، قال شيخ الإسلام : «ولكن في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة كابن النوبختي صاحب كتاب الآراء والديانات وأمثاله وجاء بعد هؤلاء المفيد بن النعمان وأتباعه»[٥]، كما صرح علامتهم ابن المطهر بذلك فقال : « بأن مذهبنا الشيعي في الأسماء والصفات كمذهب المعتزلة» [٦]، وقد روى ابن بابوية أكثر من سبعين رواية تقول أنه تعالى : «لا

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل / ٢ / ١١٠

(٢) الملل والنحل ١ / ٨٧

(٣) نفس المصدر ١/ ٩٢

(٤) من الكتب التي نصت على هذه العقيدة : كتاب القلائد في تصحيح العقائد / أحمد المرتضى / ص ٥٣ ، وينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة / لناصر لدين الله الحسين بن محمد / ص (١٩ــ ٢٢) وشفاء صدور الناس بشرح الأساس / أحمد الشرفي / ١/ ٣٨١ــ ٣٨٥ ، والزيدية نظرية وتطبيق/ علي شرف الدين / ص٤٩ ، وممن جمع هذه الأقوال د .عبد اللطيف الحفظي في كتابه : تأثير المعتزلة بالخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره / ص٤٣١

(٥) منهاج السنة ١ / ٣١

(٦) انظر : نهج المسترشدين ص ٣٢ ، وعقائد الإمامية الاثني عشرية/ لآية الله إبراهيم الموسوي الزنجاني / ص ٢٨ ، نقلاً عن عقائد الشيعة الإمامية الإمامية الاثني عشرية / أشرف الجيزاوي / ص ٢٧٢ / دار اليقين ــ مصر ــ الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ

يوصف بزمان ولا مكان ، ولا كيفية ، ولا حركة ، ولا انتقال ، ولا بشيء من صفات الأجسام وليس حساً ولا جسمانياً ولا صورة ... » [١]

وقال أيضاً : « إذا وصفنا الله تبارك وتعالى بصفات الذات فإنما ننفي عنه بكل صفة منها ضدها فمتى قلنا إنه حي ، نفينا عنه ضد الحياة وهو الموت ،...ومتى قلنا إنه سميع نفينا عنه ضد السمع وهو الصمم... » [٢]

وأما الإباضية فقد نص علماؤها على نفي الصفات وقالوا هي عين الذات فهو عالم بذاته وسميع بذاته ، وبصير بذاته ، وقد يراد بالصفات نفي أضدادها من النقائص سميع بصير نفي الصم والعمى والخرس . [٣]

يقول نور الدين السالمي [٤] :

---

(١) انظر : كتاب التوحيد / ابن بابوية / ص ٥٧ نقلاً من كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد / د : ناصر الغفاري / ٢ / ٥٣٧

(٢) انظر : كتاب التوحيد / ابن بابويه / ص ٢٦٩ نقلاً من كتاب تأثير المعتزلة بالخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره / ص ٤٨٣

(٣) انظر : تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والإيمان / الخليلي / ١ / ١٩٥ ــ ١٩٧ ، وغاية المراد في الاعتقاد / نور الدين السالمي / ضمن مجموعة القيمة / ص ٢٢ ، وتلقين الصبيان ما يلزم الإنسان / السالمي / ضمن مجموعة القيمة / ص ٤٧ ، نقلاً عن : كتاب تأثير المعتزلة بالخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره / ص ٣٥٢ ،و الإباضية عقيدة ومذهبا / د . صابر طعيمة / ص ٩٠ ــ ٩٥ / دار الجيل بيروت ١٤٠٦هـ ، ودراسات إسلامية في الإصول الإباضية / بكير سعيد أعوشت / ص ٤٢ــ٤٨ / دار التضامن للطباعة ــ القاهرة ــ ط الثالثة ١٤٠٨هـ

(٤) عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي ،الضرير ،من أعيان الإباضية ،مؤرخ فقيه،مشارك في أنواع من العلوم،ولد بعمان وتوفي بها سنة ١٣٣٢هـ انظر : الأعلام / ٤ / ٨٤ ، ومعجم المؤلفين / ٢ / ٢٤٠ .

«صفاته لذاته هي ذاته لا غيرها دلت بذا آياته» [١]

ويعلق الخليلي على هذا فيقول : « هذا هو المقصد الرابع من هذا الفصل ، وهو أن صفاته تعالى الذاتية عين ذاته أي مدلول صفاته الذاتية هي ذاته العلية ليس غيره ... وما قررناه هنا هو مذهبنا ، ومذهب المعتزلة والشيعة » [٢]

يقول علي يحى معمر : « صفات الباري جل وعلا ذاتية ليست زائدة على الذات ولا قائمة بها ولا حالة فيها » [٣]

وللمعتزلة ومن وافقها عدة شبهات تتلخص بما يأتي :

١ ــ أنهم اعتقدوا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه؛ لأنه لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم، والأجسام متماثلة، فإثبات الصفات يستلزم التشبيه.

٢ ــ لو أثبتنا هذه الصفات لمعان قديمة ، لشاركته في القدم ، ولو شاركته في القدم الذي هو أخص أوصافه لشاركته في الإلهية .[٤]

٣ ــ أن الاتصاف بصفة زائدة على الذات ، يؤدي إلى تعدد القدماء. [٥]

---

(١) مشارق أنوار العقول / السالمي / تعليق أحمد الخليلي / تحقيق : عبد المنعم العاني / ص ٢٣٤

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) الإباضية مذهب إسلامي معتدل / علي يحى معمر / ص ٢٨ / نشر وزارة التراث القومي سلطنة عمان سنة ١٩٨٧م ، وانظر : التأويل الكلامي عند الإباضية دراسة وتحليل / عبدالله الطعيمي / رسالة ماجستير من جامعة الملك سعود / ص١١٠

(٤) انظر : شرح الأصول الخمسة / القاضي / ص ١٩٥ ــ ١٩٦ ، الملل والنحل / ١ / ٤٤ ــ ٤٥

(٥) انظر : الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد / لأبي الحسين الخياط المعتزلي / ص ٨٢ ــ ٨٣ ، نقلاً من كتاب : المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها / د : عواد المعتق / ص ٨٥.

٤ ــ لو قامت به صفات وجودية لكان مفتقراً إليها وهي مفتقرة إليه فيكون الرب مفتقراً إلى غيره [١].

٥ ــ قولهم : « ولم يجئ خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره أنه يبصر ببصر».

٦ ــ قولهم : « إن قلنا إن الله يسمع بسمع ويبصر ببصر فقد ادعينا أن بعضه عاجز وبعضه قوي وبعضه تام وبعضه ناقص وبعضه مضطر» .[٢]

هذه بعض شبهاتهم وقد تقدم شيء منها عند الجهمية ومن وافقهم في إنكار الأسماء والصفات ، لأن هناك توافق بين شبهاتهم وقد تم الرد عليها .

أما الرد على هذه الشبهات فهو من وجوه متعددة :

١ ــ أن المعتزلة إنما نفوا الصفات فراراً من التشبيه والتجسيم، إذ إنهم يرون أن التجسيم والتشبيه لازمٌ لمن أثبت الصفات ، فيقال لهم: فيلزمكم على هذا أن تنفوا الأسماء أيضاً، فإنكم إذا قلتم: هو حي عليم قدير، كان في هذا تشبيه له بغيره ممن هو حي عليم قدير، وكان في هذا من التجسيم كما في إثبات الحياة والعلم والقدرة له، لأنه لا يُعرف مسمًّى بهذه الأسماء إلا جسم، كما لا يعرف موصوف بهذه الصفات إلا جسم، وبهذا استطالت الفلاسفة الغلاة والجهمية نفاة الأسماء والصفات على المعتزلة، وقلبوا عليهم دليلهم، فإن دليلهم في نفي الصفات دال على نقيض ما قالوا به في الأسماء، وهذا هو قلب الدليل بعينه، فعادت شبهتهم وحجتهم عليهم.[٣]

٢ ــ ومما يقال أيضاً أن قول هؤلاء في غاية التناقض، فإنَّ إثبات حيٍّ، عليم، قدير،

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة / القاضي / ص ٢١٣

(٢) نقض الدارمي / ١ /٣٠٠

(٣) انظر: الصفدية / ابن تيمية / ١/٨٨-٨٩، ومنهاج السنة النبوية / ابن تيمية / ٢/٥٢٣.

سميع، بصير، بلا حياة، ولا علم، ولا قدرة، ولا حكمة، ولا سمعٍ، ولا بصر مكابرةٌ للعقل، كإثبات مصلٍّ بلا صلاة، وصائم بلا صيام، وقائم بلا قيام، ونحو ذلك من الأسماء المشتقة، كأسماء الفاعلين، والصفات المعدولة عنها، ولهذا ذكروا في أصول الفقه: أن صدق الاسم المشتق كالحي والعليم لا ينفك عن صدق المشتق منه كالحياة والعلم.(١)

٣ ـــ قال الإمام أحمد رحمه الله : « نحن نقول قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف إلها واحدا بجميع صفاته ؟ وضربنا لهم في ذلك مثلا. فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع ، وكرب(٢)، وليف، وسعف، وخوص، وجمّار(٣)، واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها؟ فكذلك الله سبحانه وتعالى ـــ وله المثل الأعلى ـــ بجميع صفاته إله واحد .

لا نقول إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا يقدر حتى خلق له قدرة ، والذي ليس له قدرة هو عاجز .

ولا نقول قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علما فعلم ، والذي لا يعلم هو جاهل .

ولكن نقول : لم يزل الله عالما ، قادرا ،مالكاً، لا متى، ولا كيف .

وقد سمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا** ﴾(٤) وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدا له: عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه الله وحيدا بجميع صفاته ، فكذلك الله وله المثل الأعلى

---

(١) النبوات / ١ / ٢٦٥

(٢) الكرب : أصول العسف الغلاظ . انظر : اللسان / ١٢ / ٥٨

(٣) قلب النخلة وشحمها . انظر : اللسان / ٢ / ٣٥٢

(٤) سورة المدثر الآية (١١)

هو بجميع صفاته إله واحد » .[١]

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « وهذا الذي ذكره الإمام أحمد يتضمن أسرار هذه المسائل ، وبيان الفرق بين ما جاءت به الرسل من الإثبات الموافق لصريح العقل وبين ما تقوله الجهمية، وبين أن صفاته داخلة في مسمى أسمائه» [٢].

٤ــ قال ابن القيم رحمه الله : « لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معان وصفات لم يسغ أن يخبر عنه بأفعالها فلا يقال يسمع ويرى ويعلم ويقدر ويريد فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها ، وأيضا فلو لم تكن أسماؤه ذوات معان وأوصاف لكانت جامدة كالأعلام المحضة التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به فكانت كلها سواء و لم يكن فرق بين مدلولاتها وهذا مكابرة صريحة وبهت بين فإن من جعل معنى اسم القدير هو معنى اسم السميع البصير ومعنى اسم التواب هو معنى اسم المنتقم ومعنى اسم المعطي هو معنى اسم المانع فقد كابر العقل واللغة والفطرة ، فنفي معاني أسمائه من أعظم الإلحاد فيها » [٣]

٥ــ كما رد الإمام الدارمي رحمه الله على بعض هذه الشبهات بقوله : « فقد جمعت أيها المريسي في دعواك هذه جهلا وكفرا أما الكفر فتشبيهك الله تعالى بالأعمى الذي لا يبصر ولا يرى وأما الجهل فمعرفة الناس بأنه لا يستقيم في كلام العرب أن يقال لشيء هو سميع بصير إلا وذلك الشيء موصوف بالسمع والبصر من ذوي الأعين والأسماع والأبصار والأعمى من ذوي الأعين وإن كان قد حجب ..وأما ما ادعيت في تفسير قوله إن الله كان سميعا بصيرا أنه إنما عنى عالما بالأصوات عالما بالألوان لا يسمع بسمع ولا يبصر ببصر ثم قلت و لم يجئ خبر عن النبي وغيره أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية / ص ٢٨٢ ــ ٢٨٥

(٢) منهاج السنة / ٢ / ٤٨٥ ــ ٤٨٦

(٣) مدارج السالكين / ١ / ٢٩

ولكنكم قضيتم على الله بالمعنى الذي وجدتموه في أنفسكم ، فيقال لك أيها المريسي أما دعواك علينا أنا قضينا عليه بالمعنى الذي وجدناه في أنفسنا فهذا لا يقضي به إلا من هو ضال مثلك غير أن الله تبارك اسمه أخبر عن نفسه أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر واتصلت عن رسول الله بذلك أخبار متصلة فإن حرمك الله معرفتها فما ذنبنا ... وادعيت أيضا أنا إن قلنا إن الله يسمع بسمع ويبصر ببصر فقد ادعينا أن بعضه عاجز وبعضه قوي وبعضه تام وبعضه ناقص وبعضه مضطر فإن قلتم هو أيها المريسي لا يجوز هذا القياس في صفة كلب من الكلاب فكيف في صفة رب العالمين بل حرام على السائل أن يسأل عن مثل هذا وحرام على المجيب أن يجيب فيه ... أو لم تسمع أيها المريسي قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وكما ليس كمثله شيء ليس كسمعه سمع ولا كبصره بصر ولا لهما عند الخلق قياس ولا مثال ولا شبيه فكيف تقيسهما أنت بشبه ما تعرف من نفسك وقد عبت على غيرك ».[1]

٦ ــ أن الله سبحانه وتعالى أثبتَ لنفسه الأسماءَ والصفاتِ، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، فنفيُها عن الله أو نفي بعضِها: نفيٌ لما أثبته الله ورسوله، وهذا محادة لله ورسوله.قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

وفي قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾تهديدٌ من الله سبحانه وتعالى لِمَنْ خالف في أسماء الله وصفاته بأنّه سيعذّبه.[3]

٧ ــ أما قولهم لو أثبتنا هذه الصفات لمعان قديمة ، لشاركته في القدم ، ولو شاركته في القدم الذي هو أخص أوصافه لشاركته في الإلهية .

---

(١) نقض الدارمي ١ /٣٠٤ــ٣٠٨

(٢) سورة الأعراف الآية (١٨٠)

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد / الشيخ صالح الفوزان / ٢ / ٣١٥

فالجواب عنها أن يقال : المحذور الذي نفاه العقل والشرع والفطرة وأجمعت الأنبياء من أولهم إلى آخرهم على بطلانه أن يكون مع الله آلهة أخرى لا أن يكون إله العالمين الواحد القهار حيا قيوما سميعا بصيرا متكلما آمرا ناهيا فوق عرشه له الأسماء الحسنى والصفات العلى فلم ينف العقل والشرع والفطرة أن يكون للإله الواحد صفات كمال ونعوت جلال يختص بها.[1]

٨ ـــ أن الله تعالى وصف أسماءه بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[2]. وهذا يقتضي أن تكون دالة على معاني عظيمة وسيلة لنا في دعائنا، ولا يصح خلوها عنها ولو كانت أعلاماً محضة لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلاً عن أن تكون حسنى ووسيلة في الدعاء. وأن من لا يتصف بصفات الكمال لا يصلح أن يكون رباً ولا إلهاً، ولهذا عاب إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه باتخاذه ما لا يسمع ولا يبصر إلهاً فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾[3].[4]

٩ ـــ أن القول بأن الله تعالى عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة وسميع بلا سمع وبصير بلا بصر ... ونحو ذلك؛ قول باطل مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي، فإن من المعلوم في لغات جميع العالم أن المشتق دال على المعنى المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال عليم لمن لا علم له، ولا قدير لمن لا قدرة له، ولا سميع لمن لا سمع له ولا بصير لمن لا بصر له ... ونحو ذلك ، وإذا كان كذلك تعين أن تكون أسماء الله تعالى دالة على ما تقتضيه من الصفات اللائقة به؛ فيتعين إثبات الأسماء والصفات لخالق الأرض

---

(١) انظر : الصواعق المرسلة / ابن قيم الجوزية / ٣ / ٩٣٨

(٢) سورة لأعراف الآية (١٨٠)

(٣) سورة مريم الآية (٤٢)

(٤) تقريب التدمرية ص ٢٩ ـــ ٣٠

والسماوات).[1]

١٠ــ قولهم« إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب . هذا القول معلوم الفساد بالضرورة، فإن إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج، وإنما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله وهذا غاية التعطيل».[2]

من خلال هذه الردود يتبين بطلان هذه الشبه التي تمسك بها المعتزلة ومن وافقهم .

---

(١) تقريب التدمرية ص ٣٠ ــ ٣١ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨ .

المبحث الثاني :

العقائد المنحرفة في صفة(البصر، والنظر، والرؤية) والرد على المخالفين .

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : الانحرافات لدى من أنكرها بالكلية والرد عليهم

أنكر هذه الصفات الجهمية، والفلاسفة سواء كانوا أصحاب فلسفة محضة، كالفاربي، أو فلسفة باطنية إسماعيلية قرمطية، كابن سينا ، أو فلسفة صوفية اتحادية، كابن عربي وابن سبعين وغيرهم .

كما أنكرت الكلابية،ومن وافقهم من الأشاعرة ، والماتريدية، الصفات الفعلية التي تكون بمشيئة كالنظر والرؤية .

ومما يدل على هذه العقيدة من أقوالهم :

أما الجهمية فقد نص على أقوالهم من كتب في المقالات والفرق مثل :

الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله حيث قال : « وزعمت الجهمية أن الله تعالى لا علم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر له وأرادوا أن ينفوا أن الله تعالى عالم قادر حي سميع بصير فمنعهم خوف السيف من إظهارهم نفي ذلك فأتوا بمعناه لأنهم إذا قالوا لا علم لله ولا قدرة له فقد قالوا إنه ليس بعالم ولا قادر ووجب ذلك عليهم وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل لأن الزنادقة قد قال كثير منهم : إن الله تعالى ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير فلم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك فأتت بمعناه وقالت إن الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة

العلم والقدرة والسمع والبصر »[(١)].

والشهرستاني بقوله : «الجهمية أصحاب جهم بن صفوان ــ من عقيدته ــ قوله : لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقضي تشبيهاً فنفى كونه : حياً عالماً وأثبت كونه : قادراً فاعلاً خالقاً لأنه لا يوصف شيء من خلقه : بالقدرة والفعل والخلق» [(٢)] .

والملطي بقوله : « وأنكر جهم أن يكون لله سمع وبصر» [(٣)]

أما المعتزلة ومن وافقهم فقد تقدم ذكر شيء من أقوالهم في المبحث السابق ومن أقوالهم أيضاً:

قال واصل بن عطاء : «ومن أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهين» [(٤)]

وقال القاضي عبد الجبار في معنى قوله تعالى : « ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[(٥)] ...فعند شيوخنا البصريين أن الله تعالى ــ سميع بصير مدرك للمدركات وأن كونه مدركاً صفة زائدة على كونه حياً وأما عند مشايخنا البغداديين ، هو أنه تعالى مدرك للمدركات على معنى أنه عالم بها ، وليس له بكونه مدركاً صفة » [(٦)]

وقد نص على الإجماع ابن المرتضى المعتزلي حيث قال : «فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثا قديما قادرا عالما حيا لا لمعان.. » [(٧)]

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة / ص ١٤٣

(٢) الملل والنحل / ١ /٦١

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع / الملطي / ص ١٢١ / تحقيق : محمد زاهد الكوثري / المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة ــ ط٢

(٤) الملل والنحل / الشهرستاني / ١ /٦

(٥) سورة الحج الآية (٦١) .

(٦) شرح الأصول الخمسة / القاضي عبدالجبار / ص ١٦٨ / تحقيق : د . عبدالكريم عثمان

(٧) باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل، في شرح كتاب الملل والنحل / لأحمد بن يحيى بن المرتضى ص ٦، ط: دار المعارف حيدر آباد ، شرح الأصول الخمسة ص ١٥١ للقاضي عبد

وهم متفقون على أن الله تعالى لا يُرى ، ولا يَرى نفسه ، وقال كثير منهم : أنه لا يرى شيئا ولا يبصر بحال (١).

ويقولون – معللين زعمهم استحالة كون الله سميعا بصيرا – : « وجه استحالته أنه إن كان سمعه وبصره حادثين كان محلا للحوادث، وهو محال. وإن كانا قديمين فكيف يسمع صوتا معدوما، وكيف يرى العالم في الأزل، والعالم معدوم، والمعدوم لا يرى ».(٢)

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله : «فقال أكثر المعتزلة والخوارج وكثير من المرجئة وبعض الزيدية أن الله عالم قادر حي بنفسه لا بعلم وقدرة وحياة وأطلقوا أن لله علما بمعنى أنه عالم وله قدرة بمعنى أنه قادر و لم يطلقوا ذلك على الحياة و لم يقولوا له حياة ولا قالوا سمع ولا بصر وإنما قالوا قوة وعلم لأن الله سبحانه أطلق ذلك ، ومنهم من قال له علم بمعنى معلوم وله قدرة بمعنى مقدور و لم يطلقوا غير ذلك ، وقال أبو الهذيل هو عالم بعلم هو هو وهو قادر بقدرة هي هو وهو حي بحياة هي هو وكذلك قال في سمعه وبصره وقدمه وعزته وعظمته » (٣)

قال الشهرستاني : « واتفقوا ـــ المعتزلة ـــ على أن الإرادة والسمع والبصر : ليست معاني قائمة بذاته لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحامل معانيها » (٤) .

الجبار، مقالات الإسلاميين ص ١٦٤- ١٦٥

(١) انظر : الانتصار والرد على الراوندي الملحد / للخياط المعتزلي / ص ٦٧ ـــ ٦٨ ، وشرح الأصول الخمسة / عبدالجبار المعتزلي / ص ٢٣٢ وما بعدها ، ومقالات الإسلاميين ١ / ٢٣٨ ـــ ٢٧٧ ، والفرق بين الفرق / البغدادي / ص ٦٣ ، ٢٢٦ ، والتبصير في الدين / الاسفراييني / ص ٦٣،٦٤ ، ٨٠

(٢) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد / الغزالي / ص ٦٦

(٣) مقالات الإسلاميين / ١ / ١٦٤ـــ ١٦٥

(٤) الملل والنحل ١ / ٣٥

ويقولون – معللين زعمهم استحالة كون الله سميعا بصيرا – : "وجه استحالته أنه إن كان سمعه وبصره حادثين كان محلا للحوادث، وهو محال. وإن كانا قديمين فكيف يسمع صوتا معدوما، وكيف يرى العالم في الأزل، والعالم معدوم، والمعدوم لا يرى[١].

ووصف البغدادي عقيدتهم بقولهم : «بأنه ليس لله عز و جل علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية وزادوا على هذا بقولهم :إن الله تعالى لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة ومنها قولهم: باستحالة رؤية الله عز و جل بالأبصار وزعموا أنه لا يرى نفسه ولا يراه غيره واختلفوا فيه هل هو راء لغيره أم لا فأجازه قوم منهم وأباه قوم آخرون منهم» [٢]

وقال الإسفراييني : « الباب الخامس في تفصيل مقالات المعتزلة القدرية وبيان فضائحهم قد بينا قبل أنهم ينقسمون إلى عشرين فرقة فمما اتفق عليه جميعهم من مساوئ فضائحهم نفيهم صفات الباري جل جلاله حتى قالوا أنه ليس له سبحانه علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا بقاء ... ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم أن الله تعالى لا يرى وأنه لايرى نفسه وقال كثير منهم أنه لا يرى شيئا ولا يبصر بحال » [٣].

أما أقوال الفلاسفة :

قال ابن سينا : « أن واجب الوجود واحد ، بحسب تعين ذاته وأن واجب الوجود لا يقال على كثرة أصلا. ..لو التأم ذات واجب الوجود من شيئين ، أو أشياء تجتمع ، لوجب بها، ولكان الواحد منها ، أو كل واحد منها ، قبل واجب الوجود ، ومقوماً لواجب الوجود فواجب الوجود لا ينقسم في المعنى ولا في الكم». [٤]

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد / الغزالي / ٦٦ ، تحقيق عبدالله الخليلي / دار الكتب العلمية بيروت ط ١

(٢) انظر : الفرق بين الفرق ص ٩٤

(٣) التبصير في الدين / الإسفراييني / ص ٦٣ ــ ٦٤ / تحقيق :كمال يوسف الحوت / عالم الكتب – بيروت ط ١

(٤) الإشارات والتنبيهات / ابن سينا / مع شرح نصر الدين الطوسي / ٣ / ٤٤ / تحقيق د : سليمان دنيا / دار المعارف / ط : ٣

قال الشهرستاني : «قالت الفلاسفة واجب الوجود بذاته لن يتصور إلا واحداً من كل وجه فلا صفة ولا حال ولا اعتبار ولا حيث ولا وجه لذات واجب الوجود بحيث يكون أحد الوجهين والاعتبارين غير الآخر أو يدل لفظ على شيء هو غير الآخر بذاته ولا يجوز أن يكون نوع واجب الوجود لغير ذاته لأن وجود نوعه له لعينه ولا يشاركه شيء ما صفة كانت أو موصوفاً في وجوب الوجود والأزلية ولا ينقسم هو ولا يتكثر لا بالكم ولا بالمبادئ المقومة ولا بأجزاء الحقيقة والحد نعم له صفات سلبية مثل تقدسه عن الكثرة من كل وجه فيسمى لذلك واحداً حقاً أحداً صمداً ومثل تنزهه عن المادة وتجرده عن طبيعة الإمكان والعدم ويسمى لذلك عقلاً وواجباً وله صفات إضافية مثل كونه صانعاً مبدعاً حكيماً قديراً جوداً كريماً وصفات مركبة من سلب وإضافة مثل كونه مريداً أي هو مع عقليته ووجوبه بذاته مبدأ لنظام الخير كله من غير كراهية لما يصدر عنه وجواداً أي هو بهذه الصفة وزيادة سلب أي لا ينحو إعراضاً لذاته وأولاً أي هو مسلوب عنه الحدوث مع إضافة وجود الكل إليه وصفاته عندهم إما سلبية محضة وإما إضافية محضة وإما مؤلفة من سلب وإضافة والسلوب والإضافات لا توجب كثرة في الذات» [(١)].

أما متأخرو الرافضة الإمامية فقد نص جمع من أئمتهم على موافقة عقيدة المعتزلة في الأسماء والصفات، فقد روى ابن بابوية أكثر من سبعين رواية تقول أنه تعالى : «لا يوصف بزمان ولا مكان ، ولا كيفية ، ولا حركة ، ولا انتقال ، ولا بشيء من صفات الأجسام وليس حساً ولا جسمانياً ولا صورة ... » [(٢)]

أما قول الكلابية ومن وافقهم من الأشاعرة والماتريدية بأن البصر صفة أزلية لا علاقة لها بالمشيئة والإرادة وكذلك صفة النظر والرؤية؛ ومن أقوالهم :

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام ص ٦١

(٢) انظر : كتاب التوحيد / ابن بابوية / ص ٥٧ نقلاً من كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية عرض ونقد / د : ناصر القفاري / ٢ / ٥٣٧

يقول المحاسبي في تقسيره لقوله تعالى : ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [(١)] : «قوله إنا معكم مستمعون ليس معناه إحداث سمع ولا تكلف بسمع ما يكون من المتكلم في وقت كلامه وإنما معنى ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ ، و ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [(٢)] : أي المسموع والمبصر لن يخفى على سمعي ولا على بصري أن أدركه سمعاً وبصراً لا بالحوادث في الله جل وعز وتعالى عن ذلك وكذلك قوله ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[(٣)]لا يستحدث بصراً ، ولا لحظاً محدثاً في ذاته تعالى عن ذلك » [(٤)]

وقال أيضاً : «ومن ذهب إلى أنه يحدث له استماع مع حدوث المسموع ،وإبصار مع حدوث المبصر : فقد ادعى على الله عز وجل ما لم يقل » [(٥)].

قال أبو الحسن الأشعري : «قال عبد الله بن كلاب : لم يزل الله حياً سميعاً بصيراً عزيزاً عظيماً...قائلاً متكلماً رحماناً، بعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر وعزة وجلال وعظمة ...

وكان يقول : معنى إن أسماء الله وصفاته لذاته ، لا هي الله ولا هي غيره ، وإنها قائمة بالله ، ولا يجوز أن تقوم بالصفات صفات» [(٦)] .

وقال البغدادي : «قال أصحابنا : إن الله راءٍ ورؤية أزلية، يرى بها جميع المرئيات ، ولم يزل رائياً لنفسه » [(٧)].

---

(١) سورة الشعراء الآية (١٥)

(٢) سورة التوبة الآية (٩٤)

(٣) سورة التوبة الآية (١٠٥)

(٤) العقل وفهم القرآن / المحاسبي / ص ٣٤٥ / تحقيق : حسين القوتلي / ط ٢ / ١٣٩٨هـ

(٥) نفس المصدر ص ٣٤٤

(٦) مقالات الإسلاميين / الأشعري / ١ / ٢٤٩ ــ ٢٥٠

(٧) أصول الدين / البغدادي / ص ١١٩ / تحقيق : أحمد شمس الدين / دار الكتب العلمية لبنان بيروت ط١

كما أشار إلى هذه الأقوال شيخ الإسلام رحمه الله بقوله : «والقول بسمع وبصر قديم يتعلق بها عند وجودها قول ابن كلاب وأتباعه والأشعري، والقول بتجدد الإدراك مع قدم الصفة قول طوائف كثيرة كالكرامية وطوائف سواهم، والقول بثبوت الإدراك قبل حدوثها وبعد وجودها قول السالمية، كأبي الحسن بن سالم وأبي طالب المكي، والطوائف الثلاثة تنتسب إلى أئمة السنة كالإمام أحمد، وفي أصحابه من قال بالأول، ومنهم من قال بالثاني، والسالمية تنتسب إليه» (١)

وقال أيضاً : « وَ " الْكُلَّابِيَة " يَقُولُون : هُوَ مُتَّصِف بِالصِّفَات الَّتِي لَيْس لَه عَلَيْهَا قُدْرَة وَلَا تَكُون بِمَشِيئَته ؛ فَأَمَّا مَا يَكُون بِمَشِيئَته فَإِنَّه حَادث وَالرَّب – تَعَالَى – لَا تَقُوم بِهِ الْحَوَادِث . وَيُسَمُّون الصِّفَات الِاخْتِيَارِيَّة بِمَسْأَلَة حُلُول الْحَوَادِث» (٢).

هذه بعض أقوال منكري صفة البصر والنظر والرؤية لله تعالى ولهم عدة شبهات منها ما سبق ذكره والرد عليه عند مبحث إنكار اسم البصير لله تعالى وهناك شبهات أخرى منها :

١- نفي الجسمية عن الله تعالى :

قال أبو الحسن الأشعري : « وحكى " زرقان(٣) " عن جهم بن صفوان أنه كان يزعم أن الحركة جسم ومحال أن تكون غير جسم لأن غير الجسم هو الله سبحانه فلا

---

(١) رسالة في تحقيق مسألة العلم ــ جامع الرسائل ٢ / ١٨١ ــ ١٨٢

(٢) مجموع الفتاوى / ٦ / ٢٢٠ ، والصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل / ٢/ ٧ / المحقق : د. محمد رشاد سالم / دار العطاء – الرياض

(٣) هو محمد بن شداد بن عيسى المسمعي البصري ثم البغدادي المتكلم المعتزلي من أصحاب النظام له مجالس وكتب، منها «كتب المقالات» ت سنة ٢٧٩هـ، السير ١٣/١٤٨– ١٤٩، اللباب ٢١٢/٣، ميزان الاعتدال ٥٧٩/٣. الأعلام ١٥٧/٦.

فلا يكون شيء يشبهه» [١]

وقال ابن حزم : «وذهبت طائفة إلى أن الجسم في أول خلق الله تعالى ليس ساكنا ولا متحركا وذهبت طائفة إلى إثبات الحركة والسكون إلا أنها قالت أن الحركات أجسام وهو قول هشام بن الحكم شيخ الإمامية، وجهم بن صفوان السمرقندي » [٢] .

وقال ابن القيم في النونية :

«يا ويح جهم وابن درهم والأُلى قالوا بقولهما من الخوران

بقيت من التشبيه فيه بقية نقضت قواعده من الأركان

ينفي الصفات مخافة التجسيم لا يلوي على خبر ولا قرآن» [٣]

٢- شبهة تعدد القدماء :

وهذه الشبه من شبهات المعتزلة في نفي الصفات ، حيث يرى المعتزلة أن القدم هو أخص وصف للإله ، وهو الكاشف عن الحقيقة ، وهو تعالى إنما يخالف مخالفه بكونه قديماً فبه يعرف تميزه عن غيره [٤]

وفد نسب الشهرستاني هذه الشبهه لواصل بن عطاء رأس المعتزلة فقد حكى عنه أنه قال : «ومن أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهين» [٥]

وقال أبو الحسين الخياط المعتزلي: «إن الله لو كان عالما بعلم، فإما أن يكون ذلك العلم قديما، أو يكون محدثا.

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين / ٢ / ٣٧

(٢) الفصل في الملل والنحل / ٥ / ٣٥

(٣) نونية ابن القيم مع شرح الهراس ١ / ١٠٨

(٤) شرح الأصول الخمسة / القاضي عبدالجبار / ض ١٩٦ ، الملل والنحل / ١/ ٥

(٥) الملل والنحل / ١ / ٤٥

ولا يمكن أن يكون قديما: لأن هذا يوجب وجود اثنين قديمين، وهو تعدد، وهو قول فاسد. ولا يمكن أن يكون علما محدثا: لأنه لو كان كذلك، يكون قد أحدثه الله؛ إما في نفسه، أو في غيره، أو لا في محل.

فإن كان أحدثه في نفسه: أصبح محلا للحوادث، وما كان محلا للحوادث فهو حادث. وهذا محال.

وإذا أحدثه في غيره: كان ذلك الغير عالما بما حله منه دونه؛ كما أن من حله اللون فهو المتلون به دون غيره. ولا يعقل أن يكون أحدثه لا في محل: لأن العلم عرض لا يقوم إلا في جسم. فلا يبقى إلا حال واحد، وهو أن الله عالم بذاته »[١].

٣ــ شبهة دليل الأعراض وحدوث الأجسام :

أول من سلك هذه الطريقة – من المعتزلة –، واستدل بها على حدوث الأجسام: أبو الهذيل العلاف ، فزعم « أن الأجسام لم تنفك من الحوادث، ولم تتقدمها، وما لم يخل من المحدث، ولم يتقدمه يجب أن يكون محدثا مثله» [٢] .

ثم أخذ بهذه الشبهة المعتزلة في نفي الصفات عموماً والكلابية ومن وافقهم في الصفات الإختيارية التي فيها مشيئة وإرادة . يروي الشهرستاني عن المعتزلة أنهم قالوا: «لو قامت الحوادث بذات الباري تعالى لاتصف بها بعد أن لم يتصف، ولو اتصف لتغير، والتغير دليل الحدوث؛ إذ لابد من مغيره» [٣].

٤ ــ شبهة التركيب

وقد أخذ بها الفلاسفة وتبعهم المعتزلة قال الشهرستاني : «وقالت الفلاسفة واجب

---

(١) الانتصار والرد على الراوندي الملحد / للخياط المعتزلي / ص ١١١ ، ١٧٠

(٢)شرح الأصول الخمسة / القاضي عبدالجبار / ص ٩٥

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام / ص ٣٩

الوجود بذاته، لا يجوز أن يكون أجزاء كمية ولا أجزاء حد قولاً ولا أجزاء ذات فعلاً ووجوداً وواجب الوجود لن يتصور إلا واحداً من كل وجه فلا يتصور ولا يتحقق موجودان كل واحد منهما واجب بذاته وعن هذا نفوا الصفات ... ووافقهم المعتزلة على ذلك غير أنهم مختلفون في التفصيل »[١]

٥ ــ تفسير الآيات على غير معناها الصحيح .

يقول الرازي وهو يحكي شبهات المعتزلة في نفي الصفات: «والشبهة السادسة: أن الله تعالى إنما كفر النصارى في قوله تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ** ﴾[٢]، فلا يخلو إما أن يقال : أنه تعالى إنما كفرهم؛ لأنهم أثبتوا ذواتاً ثلاثة قديمة بأنفسها، أو لأنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات متباينة.

والأول باطل؛ لأن النصارى لا يثبتون ذواتاً ثلاثة قديمة قائمة بأنفسها، ولما لم يقولوا بذلك استحال أن يكفرهم الله بسبب ذلك، ولما بطل القسم الأول ثبت القسم الثاني، وهو أنه تعالى إنما كفرهم لأنهم أثبتوا ذاتا موصوفة بصفات متباينة، ولما كفر النصارى لأجل أنهم أثبتوا صفاتا ثلاثة، فمن أثبت الذات مع الصفات فقد أثبت أكثر من ثلاثة، وكان كفره أعظم من كفر النصارى؛ لأنه أثبت أكثر مما أثبتوا »[٣].

هذه من أشهر الشبه التي تمسك بها نفاة صفات الله تعالى ومن ضمن هذه الصفات البصر والنظر والرؤية .

الرد على هذه الشبهات :

فصل الرد عليهم جمع من العلماء قديماً وحديثاً، ومن أشهر هؤلاء العلماء ابن تيمية

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام / ص ٣١

(٢) سورة المائدة الآية (٧٣)

(٣) كتاب الأربعين في أصول الدين / الرازي / ص ١٥٣

وتلميذة ابن القيم وقد جمعت أقوالهم في رسائل علمية وإليك بعض أقوالهم :

الرد على الشبهة الأولى : نفي الجسمية عن الله تعالى :

فصل القول فيها شيخ الإسلام وبين بطلانها حيث قال رحمه الله : «فمن قال : إنه جسم وأراد أنه مركب من الأجزاء فهذا قوله باطل، وكذلك إن أراد أنه يماثل غيره من المخلوقات، فقد علم بالشرع والعقل أن اللّه ليس كمثله شيء في شيء من صفاته، فمن أثبت للّه مثلًا في شيء من صفاته فهو مبطل، ومن قال : إنه جسم بهذا المعنى، فهو مبطل، ومن قال : إنه ليس بجسم بمعنى أنه لا يرى في الآخرة، ولا يتكلم بالقرآن وغيره من الكلام، ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات، ولا ترفع الأيدي إليه في الدعاء، ولا عرج بالرسول صلى الله عليه وسلم إليه، ولا يصعد إليه الكلم الطيب، ولا تعرج الملائكة والروح إليه فهذا قوله باطل . وكذلك كل من نفى ما أثبته اللّه ورسوله، وقال : إن هذا تجسيم فنفيه باطل، وتسمية ذلك تجسيمًا تلبيس منه، فإنه إن أراد أن هذا في اللغة يسمى جسمًا، فقد أبطل، وإن أراد أن هذا يقتضي أن يكون جسمًا مركبًا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة، أو أن هذا يقتضي أن يكون جسمًا، والأجسام متماثلة، قيل له : أكثر العقلاء يخالفونك في تماثل الأجسام المخلوقة، وفي أنها مركبة، فلا يقولون : إن الهواء مثل الماء ولا أبدان الحيوان مثل الحديد والجبال، فكيف يوافقونك على أن الرب تعالى يكون مماثلًا لخلقه، إذا أثبتوا له ما أثبت له الكتاب والسنة ؟ ! واللّه تعالى قد نفي المماثلات في بعض المخلوقات، وكلاهما جسم كقوله تعالى : ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾[1] ، مع أن كلاهما بشر، فكيف يجوز أن يقال : إذا كان لرب السموات علم وقدرة أنه يكون مماثلًا لخلقه ؟ ! والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

ونكتة الأمر : أن الجسم في اعتقاد هذا النافي يستلزم مماثلة سائر الأجسام، ويستلزم

---

(١) سورة محمد الآية (٣٨)

أن يكون مركبًا من الجواهر الفردة، أو من المادة والصورة، وأكثر العقلاء يخالفونه في هذا التلازم، وهذا التلازم منتف باتفاق الفريقين، وهو المطلوب .

فإذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفي عن اللّه شرعًا وعقلًا؛ بقي بحثهم في الجسم الاصطلاحى : هل هو مستلزم لهذا المحذور ؟ وهو بحث عقلي، كبحث الناس في الأعراض : هل تبقى أو لا تبقى ؟ وهذا البحث العقلي لم يرتبط به دين المسلمين، بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر من السلف بلفظ الجسم في حق اللّه تعالى لا نفيًا ولا إثباتًا، فليس لأحد أن يبتدع اسمًا مجملًا يحتمل معاني مختلفة، لم ينطق به الشرع ويعلق به دين المسلمين، ولو كان قد نطق باللغة العربية، فكيف إذا أحدث للفظ معنى آخر ؟ !

والمعنى الذي يقصده إذا كان حقًا عبر عنه بالعبارة التي لا لبس فيها، فإذا كان معتقده أن الأجسام متماثلة، وأن اللّه ليس كمثله شيء، وهو سبحانه لا سمي له، ولا كُفْو له، ولا ند له، فهذه عبارات القرآن تؤدي هذا المعنى بلا تلبيس ولا نزاع، وإن كان معتقده أن الأجسام غير متماثلة، وأن كل ما يرى وتقوم به الصفات فهو جسم، فإن عليه أن يثبت ما أثبته اللّه ورسوله من علمه وقدرته وسائر صفاته» [(١)]

من خلال كلام شيخ الإسلام يتبين بطلان هذه الشبهة .

الرد على الشبهة الثانية : شبهة تعدد القدماء :

رد على الشبة ابن القيم رحمه الله بقوله : «ومن ذلك قول هؤلاء المعطلة أخص صفات الإله القديم فإذا أثبتم معه صفات قديمة لزم أن تكون آلهة فلا يكون الإله واحدا بل يكون لكم آلهة متعددة فيقال لهؤلاء المدلسين الملبسين على أمثالهم من أشباه الأنعام: المحذور الذي نفاه العقل والشرع والفطرة وأجمعت الأنبياء من أولهم إلى آخرهم على بطلانه أن يكون مع الله آلهة أخرى لا أن يكون إله العالمين الواحد القهار حيا قيوما سميعا

(١) مجموع الفتاوى ١٧ / ٣١٧ ــ ٣١٩

بصيرا متكلما آمرا ناهيا فوق عرشه له الأسماء الحسنى والصفات العلى فلم ينف العقل والشرع والفطرة أن يكون للإله الواحد صفات كمال ونعوت جلال يختص بها لذاته فلبستم على المخدوعين المغرورين وأوهمتموهم أنه لو كان فوق عرشه موصوفا بصفات الكمال يرى بالأبصار عيانا يوم القيامة لم يكن إلها واحدا وكان هناك آلهة متعددة وقدماء متغايرة وأعراض وأبعاض وحدود وجهات وتكثر وتغير وتحدد وتجرد وتجسم وتشبيه وتركيب وأكثر الناس إذا سمعوا هذه الألفاظ نفرت عقولهم من مسماها ونبت أسماعهم عنها وقد علم المؤمنون المصدقون للرسول العارفون بالله وصفاته وأسمائه أنكم توسلتم بها إلى نفي صفاته وأفعاله وحقائق أسمائه فلم ترفعوا بها رأسا ولم تروا لها حرمة ولم ترقبوا فيها ذمة وغرت ضعاف العقول الجاهلين بحقائق الإيمان فضلوا بها وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل »[1]

أما الشبهة الثالثة (شبهة دليل الأعراض وحدوث الأجسام) .

فقد فصل القول فيها شيخ الإسلام ابن تيمية[2] :

حيث قال في معرض رده على هذه الشبهة : « وقد دل الكتاب والسنة واتفاق سلف الامة ودلائل العقل على انه سميع بصير والسمع والبصر لا يتعلق بالمعدوم فإذا خلق الأشياء رآها سبحانه واذا دعاه عباده سمع دعاءهم وسمع نجواهم» [3].

وقال أيضاً: « فَصْل وكذلك السمع و البصر و النظر. قال الله تعالى : ﴿ **وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ** ﴾ [4]، هذا في حق المنافقين، وقال في حق التائبين : ﴿ **وَقُلِ**

---

(١) الصواعق المرسلة / ابن قيم الجوزية / ٣ / ٩٣٨ ــ ٩٣٩

(٢) انظر : الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام / د . عبدالقادر عطا صوفي /الباب الثاني / ١ / ٣١٧ ــ والمجلد الثاني كامل .

(٣) الرد على المنطقيين / ابن تيمية / ص ٤٦٥ / دار المعرفة – بيروت

(٤) سورة التوبة الآية (١٠٥)

﴿ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾(١) ، وقوله : ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾دليل على أنه يراها بعد نزول هذه الآية الكريمة، والمنازع إما أن ينفي الرؤية، وإما أن يثبت رؤية قديمة أزلية . وكذلك قوله : ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾(٢) ، ولام كي تقتضي أن ما بعدها متأخر عن المعلول، فنظره كيف يعملون هو بعد جعلهم خلائف ... وقوله لموسى : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾(٣). والمعقول الصريح يدل على ذلك، فإن المعدوم لا يرى، ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء، لكن قال من قال من السالمية : إنه يسمع ويرى موجودًا، في علمه لا موجودًا بائنا عنه، ولم يقل : إنه يسمع ويرى بائنًا عن الرب .

فإذا خلق العباد، وعملوا، وقالوا؛ فإما أن نقول : إنه يسمع أقوالهم ويرى أعمالهم؛ وإما لا يرى ولا يسمع، فإن نفي ذلك فهو تعطيل لهاتين الصفتين، وتكذيب للقرآن، وهما صفتا كمال لا نقص فيه، فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولا يبصر .

والمخلوق يتصف بأنه يسمع ويبصر، فيمتنع اتصاف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق سبحانه وتعالى وقد عاب الله تعالى من يعبد من لا يسمع ولا يبصر في غير موضع، ولأنه حي، والحي إذا لم يتصف بالسمع والبصر، اتصف بضد ذلك وهو العمى والصمم، وذلك ممتنع، وبسط هذا له موضع آخر .

وإنما المقصود هنا أنه إذا كان يسمع ويبصر الأقوال والأعمال بعد أن وجدت؛ فإما أن يقال : إنه تجدد، وكان لا يسمعها ولا يبصرها، فهو بعد أن خلقها لا يسمعها ولا يبصرها، وإن تجدد شيء : فإما أن يكون وجودًا أو عدمًا، فإن كان عدمًا فلم يتجدد شيء، وإن كان وجودًا : فإما أن يكون قائمًا بذات الله، أو قائمًا بذات غيره والثاني

---

(١) سورة التوبة الآية (١٠٥)

(٢) سورة يونس الآية (١٤)

(٣) سورة طه الآية (٤٦)

يستلزم أن يكون ذلك الغير هو الذي يسمع ويرى، فيتعين أن ذلك السمع والرؤية الموجودين قائم بذات الله، وهذا لا حيلة فيه .

والكُلاَّبية يقولون في جميع هذا الباب : المتجدد هو تعلق بين الأمر والمأمور، وبين الإرادة والمراد، وبين السمع والبصر، والمسموع والمرئي، فيقال لهم : هذا التعلق إما أن يكون وجودًا وإما أن يكون عدمًا، فإن كان عدمًا فلم يتجدد شيء فإن العدم لا شيء، وإن كان وجودًا بطل قولهم .

وأيضًا، فحدوث تعلق هو نسبة وإضافة، من غير حدوث ما يوجب ذلك، ممتنع . فلا يحدث نسبة وإضافة إلا بحدوث أمر وجودي يقتضى ذلك ».(1)

وقال أيضاً : «وإنما المقصود هنا أن يعرف أن نفيهم للصفات الاختيارية التي يسموها حلول الحوادث ليس لهم دليل عقلي عليه، وحذاقهم يعترفون بذلك وأما السمع فلا ريب أنه مملوء بما يناقاضه، والعقل أيضًا يدل على نقيضه من وجوه نبهنا على بعضها .

ولما لم يكن مع أصحابها حجة لا عقلية، ولا سمعية من الكتاب والسنة، احتال متأخروهم فسلكوا طريقًا سمعية، ظنوا أنها تنفعهم، فقالوا : هذه الصفات إن كانت صفات نقص وجب تنزيه الرب عنها، وإن كانت صفات كمال فقد كان فاقدًا لها قبل حدوثها، وعدم الكمال نقص، فيلزم أن يكون كان ناقصًا، وتنزيهه عن النقص واجب بالإجماع، وهذه الحجة من أفسد الحجج وذلك من وجوه :

أحدها : أن هؤلاء يقولون : نفي النقص عنه لم يعلم بالعقل وإنما علم بالإجماع وعليه اعتمدوا في نفي النقص فنعود إلى احتجاجهم بالإجماع، ومعلوم أن الإجماع لا

---

(١) مجموع الفتاوى / ٦ / ٢٢٧ـ ٢٢٩ ، والصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل / ٢/١٦ ـ ١٨

يحتج به في موارد النزاع؛ فإن المنازع لهم يقول : أنا لم أوافقكم على نفي هذا المعنى، وإن وافقتكم على إطلاق القول بأن الله منزه عن النقص؛ فهذا المعنى عندي ليس بنقص، ولم يدخل فيما سلمته لكم، فإن بينتم بالعقل أو بالسمع انتفائه، وإلا فاحتجاجكم بقولي مع أني لم أرد ذلك كذلك علي؛ فإنكم تحتجون بالإجماع، والطائفة المثبتة من أهل الإجماع، وهم لم يسلموا هذا

الثاني : أن عدم هذه الأمور قبل وجودها نقص، بل لو وجدت قبل وجودها لكان نقصًا، مثال ذلك : تكليم الله لموسى عليه السلام ونداؤه له فنداؤه حين ناداه صفة كمال، ولو ناداه قبل أن يجيء لكان ذلك نقصًا، فكل منها كمال حين وجوده، ليس بكمال قبل وجوده، بل وجوده قبل الوقت الذي تقتضي الحكمة وجوده فيه نقص .

الثالث : أن يقال : لا نسلم أن عدم ذلك نقص، فإن ما كان حادثًا امتنع أن يكون قديمًا، وما كان ممتنعًا لم يكن عدمه نقصاً؛ لأن النقص فوات ما يمكن من صفات الكمال .

الرابع : أن هذا يرد في كل ما فعله الرب وخلقه . فيقال : خلق هذا إن كان نقصًا فقد اتصف بالنقص، وإن كان كمالاً فقد كان فاقدًا له، فإن قلتم : صفات الأفعال عندنا ليست بنقص، ولا كمال . قيل : إذا قلتم ذلك أمكن المنازع أن يقول : هذه الحوادث ليست بنقص ولا كمال .

الخامس : أن يقال : إذا عرض على العقل الصريح ذات يمكنها أن تتكلم بقدرتها وتفعل ما تشاء بنفسها، وذات لا يمكنها أن تتكلم بمشيئتها ولا تتصرف بنفسها البتة، بل هي بمنزلة الزَّمِن الذي لا يمكنه فعل يقوم به باختياره، قضى العقل الصريح بأن هذه الذات أكمل، وحينئذ فأنتم الذين وصفتم الرب بصفة النقص، والكمال في اتصافه بهذه الصفات، لا في نفي اتصافه بها .

السادس : أن يقال : الحوادث التي يمتنع أن يكون كل منها أزليًا، ولا يمكن

وجودها إلا شيئًا فشيئًا، إذا قيل : أيما أكمل : أن يقدر على فعلها شيئًا فشيئًا، أو لا يقدر على ذلك ؟ كان معلومًا بصريح العقل أن القادر على فعلها شيئًا فشيئًا، أكمل ممن لا يقدر على ذلك . وأنتم تقولون : إن الرب لا يقدر على شيء من هذه الأمور، وتقولون : إنه يقدر على أمور مباينة له، ومعلوم أن قدرة القادر على فعله المتصل به قبل قدرته على أمور مباينة له، فإذا قلتم : لا يقدر على فعل متصل به، لزم ألاَّ يقدر على المنفصل، فلزم على قولكم ألا يقدر على شيء، ولا أن يفعل شيئًا، فلزم ألاَّ يكون خالقًا لشيء، وهذا لازم للنفاة لا محيد لهم عنه

ولهذا قيل : الطريق التي سلكوها في حدوث العالم، وإثبات الصانع، تناقض حدوث العالم وإثبات الصانع، ولا يصح القول بحدوث العالم وإثبات الصانع إلا بإبطالها، لا بإثباتها . فكان ما اعتمدوا عليه وجعلوه أصولاً للدين ودليلاً عليه، هو في نفسه باطل شرعًا وعقلاً، وهو مناقض للدين ومناف له »[1].

الرد على الشبهة الرابعة : شبهة التركيب[2]

لقد أجاب ابن تيمية –رحمه الله– عن هذه الشبهة فقال: « الذي عليه الكتاب والسنة أن الله سبحانه وتعالى له علم وقدرة ورحمة ومشيئة وعزة . . . وساق النصوص على ذلك من الكتاب والسنة إلى أن قال . . . وأما الجواب على شبهتي العرض والتركيب، فهو كما يلي :–أولا: أنهم– أي: المعتزلة– يثبتونه تعالى عالماً وقادراً ويثبتونه واجباً بنفسه فاعلاً لغيره، ومعلوم بالضرورة أن مفهوم كونه عالماً، غير مفهوم الفعل بغيره، فإذا كانت ذاته مركبة من هذه المعاني لزم التركيب الذي ادعوه، وإن كانت عرضية؛ لزم الافتقار الذي ادعوه، وإن كان الواجب بنفسه لا يتميز عن غيره بصفة

---

(١) مجموع الفتاوى ٦ / ٢٤٠ ــ ٢٤٣

(٢) انظر : الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام / د . عبدالقادر محمد عطا صوفي / الباب الرابع ٣ / ٩٩ ــ ٣١٣

ثبوتية، فلا واجب، وإذا لم يكن واجبا لم يلزم من التركيب محال؛ وذلك أنهم إنما نفوا المعاني باستلزامها ثبوت التركيب المستلزم نفي الوجوب، وهذا محال .

ثانيا: أنا لا نسلم أن هناك تركيبا من أجزاء بحال، وإنما هي ذات قائمة بنفسها مستلزمة للوازمها التي لا يصح وجودها إلا بها، وليست صفة الموصوف أجزاء له ولا أبعاضا يتميز بعضها عن بعض أو تتميز عنه حتى يصح أن يقال هي مركبة منه أو ليست مركبة، فثبوت التركيب وعدمه فرع تصوره، وتصوره هنا منتف .

ثالثا: أنه لو فرض أن هذا يسمى مركبا، فليس هذا مستلزما للإمكان، ولا للحدوث؛ وذلك أن الذي علم بالعقل والسمع أنه يمتنع أن يكون الرب تعالى فقيرا إلى خلقه، بل هو الغني عن العالمين. وقد علم أنه حي قيوم بنفسه وأن نفسه المقدسة قائمة بنفسه وموجودة بذاته، وأنه أحد صمد، غني بنفسه، ليس ثبوته وغناه مستفادا من غيره، وإنما هو بنفسه لم يزل ولا يزال حقا صمدا قيوما، فهل يقال في ذلك أنه مفتقر إلى نفسه أو محتاج لأن نفسه لا تقوم إلا بنفسه؟ فالقول في صفاته التي هي داخلة في مسمى نفسه هو القول في نفسه»[(١)].

الرد على الشبهة الخامسة : استدلالهم بقوله تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[(٢)]

يقال لهم: إن استدلالكم بهذه الآية باطل؛ وذلك أن الله تعالى إنما كفر النصارى لأنهم أثبتوا صفاتاً ثلاثة، هي في الحقيقة ذوات بدليل اعتبارهم إياها آلهة، ويدل على أنهم يعتبرونها آلهة قوله تعالى: في آخر الآية﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾فحصره سبحانه وتعالى

---

(١) تلبيس الجهمية ١ / ٦٠٥ـــ ٧٠٧ ، وقد فصل القول في ذلك الدكتور عبد القادر عطا صوفي في رسالة (الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليهم من كلام شيخ الإسلام)

(٢) سورة المائدة الآية (٧٣)

الألوهية في واحد بعد تكفيره من قال:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾؛. وبدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ ﴾(١) يقول القرطبي – عند تفسير هذه الآية – : « المعنى: ثلاثة آلهة »(٢)

ويقول الرازي – في معرض رده على هذه الشبهة – : « ألا ترى أنهم – أي: النصارى – جوزوا انتقال أقنوم الكلمة من ذات الله إلى بدن عيسى – عليه السلام – والشيء الذي يكون مستقلا بالانتقال من ذات إلى ذات أخرى، يكون مستقلا بنفسه قائما بذاته؛ فهم وإن سموها صفات؛ إلا أنهم قائلون في الحقيقة بكونها ذوات، ومن أثبت كثرة في الذوات المستقلة، فلا شك في كفره فلم قلتم : إن من أثبت الكثرة في الصفات لزمه الكفر »(٣)

وعلى ذلك: فإن تكفير الله للنصارى ليس لأنهم أثبتوا ثلاث صفات بل لأنهم أثبتوا ثلاثة آلهة. وبذلك يبطل استدلالكم بهذه الآية. والله أعلم.

بعد نقض هذه الشبهات يتبين لنا بطلان القول بنفي الصفات ، فالواجب إثباتها على ما يليق بجلال الله وعظمته .

---

(١) سورة النساء الآية (١٧١)

(٢) تفسير القرطبي ٦ / ٢٥٠

(٣) الأربعين في أصول الدين ص ١٥٨

المطلب الثاني : الانحرافات لدى من تأولها على غير معناها والرد عليهم

لقد أول صفة البصر، والنظر، والرؤية، على غير معناها الصحيح اللائق بالله جل وعلا المعتزلة ومن تأثر بهم من بعض الفرق الأخرى فمن أقوالهم :

نقل أبو الحسن الأشعري رحمه الله عن الجهمية قوله : « ونفى الجهمية أن يكون لله تعالى وجه كما قال وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين ووافقوا النصارى لأن النصارى لم تثبت الله سميعاً بصيراً إلا على معنى أنه عالم وكذلك قالت الجهمية ففي حقيقة قولهم أنهم قالوا : نقول إن الله عالم ولا نقول سميع بصير على غير معنى عالم وذلك قول النصارى »[1].

وقال أيضاً : « وزعمت الجهمية أن الله تعالى لا علم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر له، وأرادوا أن ينفوا أن الله تعالى عالم قادر حي سميع بصير فمنعهم خوف السيف من إظهارهم نفي ذلك فأتوا بمعناه لأنهم إذا قالوا لا علم لله ولا قدرة له فقد قالوا إنه ليس بعالم ولا قادر ووجب ذلك عليهم وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل لأن الزنادقة قد قال كثير منهم : إن الله تعالى ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير فلم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك فأتت بمعناه وقالت إن الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر» [2]

أما المعتزلة : فلهم في تأويل صفة البصر قولان :

القول الأول: قول الجبائي وابنه ، ومن تابعهما من البصريين:

ويتلخص رأيهما في « أن الله سميع بصير»، بمعنى أنه حي لا آفة به تمنعه من إدراك المسموع والمرئي إذا وجدا؛ ذلك أنهم يرون أن الحي إذا سلمت نفسه عن الآفة، سمي

---

(١) الإبانة / ص ١٢٣

(٢) نفس المصدر ص ١٤٤

سميعاً بصيراً.

ويقول البغدادي – وهو يحكي مذاهب المخالفين له في صفتي السمع والبصر – فيقول: « والفرقة الرابعة قدرية البصرة، قالوا: إن الله تعالى لم يزل سميعاً بصيراً على معنى أنه كان حياً لا آفة به تمنعه من إدراك المسموع إذا وجد» [١] .

القول الثاني: «رأي النظام والكعبي، ومن تابعهما من البغداديين في معنى السميع والبصير: ويتلخص رأيهم في أن الله تعالى لا يسمع، ولا يبصر شيئاً على الحقيقة، وتأولوا وصفه بالسميع والبصير، على معنى العلم بالمسموعات والمرئيات».

يقول الشهرستاني: «وذهب الكعبي، ومن تابعه من البغداديين إلى أن معنى كونه تعالى سميعاً بصيراً؛ أنه عالم بالمسموعات والمبصرات... » [٢]

قال الباقلاني : « وزعم البغداديون منهم أن لله تعالى ليس بسميع ولا بصير وإنما يوصف بأنه يسمع الأصوات ويبصر الأشخاص على معنى أنه يعلم ذلك لا مزية له في هذين الوصفين على الضرير والأصم الذي لا يسمع ولا يبصر» [٣]

ويقول القاضي عبدالجبار المعتزلي في معنى قوله تعالى ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: « ... فعند شيوخنا البصريين ـــ أن الله تعالى ـــ سميع بصير مدرك للمدركات أن كونه مدركاً صفة زائدة على كونه حياً ، أما عند مشايخنا البغداديين ، هو أنه تعالى مدرك للمدركات على أنه عالم بها ، وليس له بكونه مدركاً صفة»

---

(١) أصول الدين / ص٩٦ وانظر / مقالات الإسلاميين – الأشعري / ١ / ١٧٥ ، نهاية الإقدام/ الشهرستاني / ص ٣٤١ ، ٣٤٤ ، غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدى ص ١٢١

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام / ص٣٤١ وانظر :مقالات الإسلاميين – الأشعري / ١ / ١٧٥ ، الفرق بين الفرق / ص١٨١ ، غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدى ص ١٢١

(٣) كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل – الباقلاني /ص ٢٨٧

قال الزمخشري في تفسيره قوله تعالى: « ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[(١)]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾يصح أن يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر . فإن قلت : ما معنى﴿قَدْ﴾فيقوله : ﴿قَدْ سَمِعَ﴾؟ قلت : معناه التوقع؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك مايفرّج عنها»[(٢)].

وقال أيضاً : « فإن قلت: ما السميع البصير؟

قلت : الذي يصح أن يسمع ويبصر ، وأما السامع والمبصر ؛ فهو المدرك للمسموع والمُبْصَرِ؛ ولذلك وصف النائم بأنه سميع بصير ، ولم يوصف بأنهسامع مبصر، ومصحح الإدراك كون الشيء حيا لا آفة به، والله تعالى حي والآفات مستحبلة عليه ، فكان أبعد من الآفات من غيره،لاستحالتها عليهأصلاً؛ فوجب أن يكون مدركا للمدركات، وإدراكا لله تعالى للمدركات أمر زائد على كونه عالما بها؛ لأن حال النفس عند إدراك الأشياء يخالف حالها إذا لم تدركها مع استواء العلم في الحالين . وقيل: هوكونه عالما بها لا غير ؛ لأن المدْرِك منا هوالذي يشعر بالأشياء من طريق الحواس، والله متعالٍ عن ذلك ». [(٣)]

وقال عند قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[(٤)] : ﴿لِنَنظُرَ﴾أتعملون خيراً أم شراً فنعاملكم على حسب عملكم . و

---

(١) سورة المجادلة الآية (١)

(٢) الكشاف / الزمخشري / ٤ / ٤٨٤ /

(٣) المنهاج في أصول الدين / الزمخشري / ص ٩ / تحقيق : عباس حسين / مكتبة مركز بدر العلمي / صنعاء

(٤) سورة يونس الآية (١٤)

﴿كَيْفَ﴾ في محل النصب بتعلمون لا ينتظر ، لأنّ معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدّم عليه عامله . فإن قلت : كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت: هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجوداً شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه » [١].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [٢]: «مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به وإحسانه اليه » [٣] .

وممن تأثر بالمعتزلة ابن حزم كما في الفصل حيث قال : «أن يسمع ويرى وأسمع وأرى ويدرك كل ذلك بمعنى واحد وهو معنى يعلم ولا فرق» [٤]

وكذلك ابن الهمام من الماتريدية، وقد نص على ذلك بقوله: «اعلم أنهما "أي السمع والبصر" يرجعان إلى صفة العلم » . [٥]

قال ابن فورك : «فأما وصف الله تعالى بأنه ناظر ، فلا يصح على معنى الرؤية ...

وعلى ذلك يتأول قوله تعالى : ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾، أي : لا يتعطف عليهم ولا يرحمهم .

ولا يجوز أن توصف رؤية الله تعالى بأنها نظر ، كما لا يوصف بأنه ناظر على معنى

---

(١) الكشاف ٢ / ٣١٨

(٢) سورة آل عمران الآية (٧٧)

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل / الزمخشري / ١ / ٤٠٣ ــ ٤٠٤

(٤) انظر : الفصل في الملل والنحل / ٢ / ٢١٥

(٥) المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة / للكمال بن الهمام / ص ٦٧ / دار بولاق مصر /ط١/ مع شرحه المسامرة لابن أبي الشريف وحاشية ، الماتريدية دراسة وتقويماً / أحمد بن عوض الحربي / ص ٦٣ / دار العاصمة ط١، الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء و الصفات / شمس الأفغاني / ٢ / ٤٨١ / رسالة ماجستير / مكتبة الصديق الطائف / ط ٢

أنه راء . وكذلك لا يجوز أن يوصف بأن له رؤية بعد رؤية ... »[(١)]

وقد تأول هذه الصفات بعض العلماء المتأثرين بعلم الكلام فمن الأمثلة على ذلك :

قال ابن الأثير رحمه الله عند قوله صلى الله عليه وسلم :"إن اللَّه لا يَنْظُر إلى صُوَرِكم"[(٢)] « معنى النَّظَر ها هنا الاخْتِيار والرحمة والعَطْف لأنَّ النظر في الشاهد دليلُ المحبَّة وتَرْك النظر دليل البُغْض والكراهة ومَيْلُ الناس إلى الصور المُعْجِبة والأموال الفائقة واللَّه يَتَقَدّس عن شَبَه المخلوقين فجَعَل نَظَره إلى ما هو السِّرُّ واللُّبُّ وهو القلب والعَمل . والنَّظَر يقع على الأجسام والمعاني فما كان بالأبصار فهو للأجسام وما كان بالبَصائر كان للمعاني »[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر : « قوله: "لا ينظر الله" أي لا يرحمه؛ فالنظر إذا أضيف إلى الله كان مجازًا، وإذا أضيف إلى المخلوق كان كناية، ويحتمل أن يكون المراد لا ينظر الله إليه نظر رحمة .

وقال شيخنا[(٤)] في" شرح الترمذي" : عبر عن المعنى الكائن عند النظر بالنظر لأن من نظر إلى متواضع رحمه ، ومن نظر إلى متكبر مقته، فالرحمة والمقت متسببان عن النظر.

وقال الكرماني : نسبة النظر لمن يجوز عليه النظر كناية، لأن من اعتد بالشخص التفت إليه ثم كثر حتى صار عبارة عن الإحسان، وأن لم يكن هناك نظر. ولمن لا يجوز عليه حقيقة النظر وهو تقليب الحدقة ، والله متره عن ذلك ، فهو بمعنى الإحسان مجاز عما

---

(١)كتاب مشكل الحديث أو تأويل الأخبار المتشابهة / ابن فورك /ص ١٤٠ ــ ١٤٢ / تحقيق وتعليق : دانيال جيماريه / مطبعة ألف باء الأديب في سوريا ٢٠٠٣م

(٢) تقدم تخريجه ص٢٨٣

(٣) النهاية في غريب الأثر / ابن الأثير/ ٥ / ١٧١

(٤) يعني :زين الدين العراقي

وقع في حق غيره كناية. »[١]

هذه إشارة لبعض من أول هذه الصفات

الرد على من تأول هذه الصفات من وجوه :

أولاً : أن في تأويلهما مخالفة للنقل الصحيح والعقل الصريح و ذلك أن النقل والعقل قد دلا على ثبوت هذه الصفات، فالقول بنفيها مخالفة لهما ، وما خالفهما باطل بالاتفاق.

فمن الأدلة من النقل: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢].

ففي هذه الآية دلالة صريحة على وصف الله تعالى بالبصر.

وقوله تعالى حاكياً ما قاله إبراهيم عليه السلام لأبيه-: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾[٣].

وجه الدلالة:يقول ابن خزيمة: «أفليس من المحال أن يقول خليل الرحمن لأبيه:(لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا . فيعيبه بعبادة ما لا يسمع، ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة ما لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من الموتى لا من الحيوان... »[٤]

ومن العقل : أنه قد ثبت أنه تعالى حي، والحي إذا لم يتصف بالسمع والبصر اتصف بضد ذلك وهو العمى والصمم وذلك ممتنع .[٥]

---

(١) فتح الباري / ابن حجر / ١٠ / ٢٥٨

(٢) سورة الشوري الآية (١١)

(٣) سورة مريم الآية (٤٢)

(٤)كتاب التوحيد / ابن خزيمة / ٧٧/١

(٥) جامع الرسائل / ابن تيمية / ٢ / ١٧ / المحقق : د. محمد رشاد سالم / دار العطاء ـــ الرياض ـــ ط ١

قال ابن بطة رحمه الله : « فالجهمية تجحد أن لله سمعا وبصرا وقالوا معنى قوله ﴿ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ أي لا يخفى عليه شيء كقولك للمكفوف ما أبصره بكيت وكيت فدل ذلك من قولهم على إبطال صفات الموصوف وردوا كتاب الله وجحدوا صفات الله التي وصف الله بها نفسه وقد أكذبهم الله عز و جل ورسوله» [١]

وكذا صفة النظر والرؤية لله تعالى جاء وصف الله بهما في الكتاب والسنة على ما يليق بجلاله وعظمته .

قال الدارمي رحمه الله في رده على بشر المريسي : «.. ميز الله في كتابه السمع من البصر فقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[٢]،﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾[٣] ، وقال:﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾[٤] ففرق بين الكلام والنظر دون السمع، فقال عند السماع والصوت: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾[٥] ،﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ ﴾[٦] ولم يقل قد رأى الله قول التي تجادلك في زوجها، وقال في موضع الرؤية:﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[٧] ، وقال: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ ﴾[٨] ، ولم يقل: يسمع تقلبك ويسمع الله عملكم، لم يذكر الرؤية فيما يسمع، ولا السماع فيما يرى، لما أنهما

---

(١)الإبانة - ابن بطة ٣ /٣١٩ ــ ٣٢٢

(٢)سورة طه الآية (٤٦)

(٣)سورة الشعراء الآية (١٥)

(٤)سورة آل عمران الآية (٧٧)

(٥)سورة المجادلة الآية (١)

(٦)سورة آل عمران الآية (١٨١)

(٧)سورة الشعراء الآية (٢١٨-٢١٩)

(٨)سورة التوبة الآية (١٠٥)

عنده خلاف ما عنده » [(١)] .

ثانياً:إن في التأويل نفياً لحقيقة هذه الصفات القائمة بذات الله ، فتأويلها بالحي الذي لا آفة به أو بالعلم، ينافي حقيقتها ، مع أنه جاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – (أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [(٢)] فوضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينيه) [(٣)]

وقال البيهقي رحمه الله ـــ بعد أن أورد هذا الحديث للدلالة على ثبوت صفتي السمع والبصر لله تعالى ـــ : « والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله – عز وجل – بالسمع والبصر، فأشار إلى محلي السمع والبصر منا؛ لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى، كما يقال: قبض فلان على مال لفلان، ويشار باليد على معنى أنه حاز ماله، وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر حقيقيان، لا على معنى أنه عليم؛ إذ لو كان بمعنى العلم، لأشار في تحقيقه إلى القلب، لأنه محل العلوم منا، وليس في الخبر إثبات الجارحة تعالى الله عن شبه المخلوقين علواً كبيراً... » [(٤)].

وقد بين بطلان هذا التأويل جمع من العلماء قديماً وحديثاً منهم :

الأشعري رحمه الله حيث قال : «وزعمت المعتزلة أن قوله تعالى: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [(٥)] أن معناه عليم... قيل لهم: فإذا قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [(٦)]. فمعنى ذلك – عندكم – علم. فإن قالوا: نعم. قيل لهم: فقد وجب عليكم أن تقولوا معنى قوله

---

(١) نقض الدارمي / ١ / ٢٢١ ـــ٢٢٢

(٢) سورة النساء الآية (٥٨)

(٣) تقدم تخريجه ص ١٠٤-١٠٥

(٤) الأسماء والصفات/ البيهقي / ص١٨٠

(٥) سورة النساء الآية (١٣٤)

(٦) سورة طه الآية (٤٦)

تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾. أعلم وأعلم إذا كان معنى ذلك العلم» [(١)]

ويقول في موضع آخر: «.... فيقال للمعتزلة: إذا زعمتم أن معنى ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ عالم، فهلا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم؟... فإن قالوا: هذا يوجب أن يكون كل معلوم مقدوراً. قيل لهم: ولو كان معنى سَمِيعًا بَصِيرًا معنى عالم؛ لكان كل معلوم مسموعاً، وإذا لم يجز ذلك، بطل قولكم » [(٢)]

و الدارمي رحمه الله بقوله : « وادعى المريسي في قول الله تعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[(٣)]﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[(٤)]أنه يسمع الأصوات ويعرف الألوان بلا سمع ولا بصر وأن قوله : ﴿بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾يعني عالم بهم لا أنه يبصرهم ببصر ولا ينظر إليهم بعين فقد يقال لأعمى ما أبصره أي ما أعلمه وان كان لا يبصر بعين .

فيقال لهذا المريسي الضال الحمار: والكلب أحسن حالا من إله على هذه الصفة لأن الحمار يسمع الأصوات بسمع ويرى الألوان بعين وإلهك بزعمك أعمى أصم لا يسمع بسمع ولا يبصر ببصر ولكن يدرك الصوت كما يدرك الحيطان والجبال التي ليس لها أسماع ويرى الألوان بالمشاهدة ولا يبصر في دعواك

فقد جمعت أيها المريسي في دعواك هذه جهلا وكفرا أما الكفر فتشبيهك الله تعالى بالأعمى الذي لا يبصر ولا يرى ، وأما الجهل فمعرفة الناس بأنه لا يستقيم في كلام العرب أن يقال لشيء هو سميع بصير إلا وذلك الشيء موصوف بالسمع والبصر من ذوي الأعين والأسماع والأبصار والأعمى من ذوي الأعين وإن كان قد حجب .

فإن كنت تنكر ما قلنا فسم شيئا من الأشياء التي ليست لها أسماع وأبصار هل

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة / (ص١٥٧)، بتصرف.

(٢)نفس المصدر / ص١٥٨، ١٥٩، بتصرف.

(٣) سورة الحج الآية (٧٥)

(٤) سورة آل عمران الآية (١٥)

يجوز أن يقال هو سميع بصير ونحن نقول الله سميع بصير ثم نفيت عنه السمع والبصر اللذين هما السمع والبصر ونفيت عنه العين وكما يستحيل هذا في الأشياء التي ليست لها أسماع وأبصار فهو في الله السميع البصير أشد استحالة »(١).

و قوام السنة الأصفهاني رحمه الله بقوله : «مذهب أهل السنة : أنه يجوز وصف الله تعالى بأنه راء بصير ، وقال ابن فورك : لا يجوز وصفه بأنه ناظر نظراً هو رؤية لأنه لا يجوز أن نثبت له إلا ما وصف به نفسه ، أو وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم . وليس كما ذكر ابن فورك : فإن الله عز وجل قد وصف نفسه بهذه الصفة ، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقال تعالى : ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فوصف نفسه بالنظر ... قالوا : وإذا جاز وصفه بالرؤية جاز وصفه بالنظر »(٢).

و الإمام الحافظ أبو عمر بن عبدالبر رحمه الله حيث يقول : « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنّة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ، ولا يحدون فيه صفة محصورة . وأمّا أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج ، فكلهم ينكرها ، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقرّ بها مشبه ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنّة رسوله ، وهم أئمة الجماعة والحمدلله »(٣).

وشيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : «إذا وصف الله نفسه بصفة، أو وصفه بها رسوله، أو وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر، ومجاز ينافى

---

(١) نقض الدارمي ١ / ٣٠٠ ــ ٣٠١

(٢) الحجة في بيان المحجة ٢ / ٤٩٢

(٣) التمهيد / ٧ / ١٤٥

الحقيقة، لابد فيه من أربعة أشياء :

أحدها : أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي؛ لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد بشي منه خلاف لسان العرب، أو خلاف الألسنة كلها، فلابد أن يكون ذلك المعنى المجازي ما يراد به اللفظ، وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له، وإن لم يكن له أصل في اللغة .

الثاني : أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة، وفي معنى بطريق المجاز، لم يجز حمله على المجازيّ بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء، ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة، فلابد له من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف . وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلابد من دليل مرجح للحمل على المجاز .

الثالث : أنه لابد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصًا قاطعًا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرًا فلابد من الترجيح .

الرابع : أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته،فلابد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته، وأنه أراد مجازه، سواء عينه أو لم يعينه، لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم، دون عمل الجوارح، فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نورًا وهدى، وبيانًا للناس، وشفاء لما في الصدور، وأرسل الرسل ليبين للناس ما نزل إليهم، وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (١).

وابن القيم رحمه الله حيث قال : «فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل

---

(١) مجموع الفتاوى ٦ / ٣٦٠ ـــ ٣٦١

الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه ولادل عليه أنه مراده وهل اختلف الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أوصغيره إلا بالتأويل فمن بابه دخل إليها وهل أريقت دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل » [١]

وابن أبي العز الحنفي " شارح الطحاوية" حيث قال : «ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص.

وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية، فهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين، والحرة؟ وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد » [٢].

من خلال ما تقدم يتبين لنا بطلان تأويل صفات الله تعالى البصر والنظر والرؤية وأنها صفات ثابتة على ما يليق بجلال الله وعظمته .

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين / ابن القيم / ٤ / ٢٥٠

(٢) شرح الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي / ص ١٨٩

المطلب الثالث : الانحرافات لدى من فوضها والرد عليهم .

أغلب من يسلك مسلك التفويض الباطل هم من الأشاعرة والماتريدية وكلهم إنما يدرجون مسلك التفويض تحت نصوص الصفات السمعية الخبرية التي توهم التشبيه على زعمهم بعد أن يثبتوا الصفات السبع صفات المعاني ومنها صفة البصر .

ولكن إثباتهم لهذه الصفات لا يخلو من تأويل أو تفويض إما من جهة حقيقة الصفة أو من جهة المتعلقات أو من جهة تجدد آحاد هذه الصفة.

يقول الجويني غفر الله له : « اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على ان إجماع الأمة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما لا وشك ان يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع »[(١)] وقول الجويني يدل على أن التفويض للمعنى عام لجميع الصفات ونسب ذلك للسلف والسلف إنما يفوضون الكيفية دون المعنى .[(٢)]

وبين الشيخ عبدالرحمن المحمود حفظه الله أن الأشاعرة يخالفون السلف حتى في إثبات صفتي السمع والبصر . حيث قال : « ثم إن الأشاعرة مع قولهم بهذا – أي منع حلول الحوادث – وتقريرهم له ؛ أثبتوا لله الصفات السبع ، فوجدوا أن هذه الصفات

---

(١) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية / الجويني/ ص ٣٢ / تحقيق : محمد زاهر الكوثري / الناشر المكتبة الأزهرية للتراث / ١٤١٢هـ

(٢) انظر :كتاب علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين . د. رضا نعسان معطي / دار الهجرة الرياض / ط ٦ / ١٤٢٦هـ وكتاب تبرئة السلف من تفويض الخلف / محمد إبراهيم اللحيدان / دار الكتاب والسنة ودار الحميضي / ط١ / ١٤١٣هـ

– ما عدا صفة الحياة – يلزم من إثباتها حلول الحوادث بالله ، لأنه مع وجود المخلوقات توجد معلومات ومرادات ومسموعات ومبصرات ومقدرات ... فحلوا هذه المعضلة بزعمهم بأن قالوا بأزلية هذه الصفات ، وأنها لازمة لذات الله أزلا وأبدًا ، وقالوا إنه لا يتجدد لله عند وجود هذه الموجودات نعت ولا صفة ، وإنما يتجدد مجرد التعلق بين العلم والمعلوم فقط ! وهؤلاء قد خالفوا المعقول والمنقول .... الخ كلامه »(١).

كما أني وجدت كلاماً للشيخ محمد ابن ابراهيم رحمه الله يذكر فيه أن المفوضة يفوضون فى الصفات السبع اذ يقول: « السميع البصير ما يدرون أيش معنى البصير، هذا غلط المعنى معلوم كما قال الإمام مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول، نعرف أن السمع ضد الصمم، البصر ضد العمى، الاستواء معناه في اللغة معروف الاستقرار والصعود والعلو والارتفاع ».(٢)

وجاء في كتاب الترويض في تبيان حقيقة التفويض (٣) أن صفة البصر من الصفات التي نص العلماء على تفويض معناها إلى الله قال في الفصل الثاني المبحث الأول : تفويض الآيات المشتملة على الألفاظ المضافة إلى الله المطلب التاسع : السمع والبصر ثم ذكر الآيات والأحاديث الدالة على إثباتهما مع بيان معنى ذلك من أقوال العلماء كالبيهقي ، والرازي ، والغزالي ، والحافظ ابن حجر ، والملا علي قاريء ، ثم ختمها بقول الإمام القرطبي في الأسنى شرح الأسماء الحسنى ثم قال : «فالإمام القرطبي يصرح هنا بالتفويض في صفتي السمع والبصر ، وكذا في غيرها من الصفات ، لأن المعاني التي تفهم من ظاهر الخطاب يكون فيها تشبيه للخالق بالمخلوق ، ولذا فإن الواجب هو أن يبقى مثل هذا النص من غير تفسير ويؤمن به كما جاء ، ويوكل علمه إلى الله تعالى.

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة / ص١٠٥٤

(٢)مجموع فتاوى الشيخ ابن إبراهيم / ١ / ٢٠١

(٣) للدكتور : علي عايد مقدادي / من الأردن ـــ عمان

وعليه فإن صفتي السمع والبصر صفتان ثابتتان لله تعالى ، وأن السلف والخلف من بعدهم قد فوضوا أمرهما إلى الله تعالى ، معتقدين اتصافه سبحانه وتعالى بما يليق بجلالته وعظمته ، معتبرين الخوض فيهما من التكلف الذي نهينا عنه » . [١]

ومن خلال هذا النقل يتبين أن التفويض الباطل أُدخل في صفة البصر لله تعالى .

الرد عليهم وبيان لوازمهم الفاسدة [٢]:

أولاً : أن نتيجة مذهب التفويض الباطل هي الجهل المطبق بمعاني النصوص، ولذا سماهم أهل السنة (أهل التجهيل)، فقال ابن القيم في أقسام الناس في نصوص الوحي: «والصنف الثالث: أصحاب التجهيل: الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها. ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله. وهي عندنا بمنزلة﴿كهيعص﴾[٣]﴿حم ۝١ عسق﴾[٤]﴿المص﴾[٥]. فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهاً، ولم نعرف معناه. وننكر على من تأوله، ونكل علمه إلى الله»[٦] ، وسماهم مرة: (اللاأدرية) «الذين يقولون: لا ندري معاني هذه الألفاظ، ولا ما أريد منها، ولا ما دلت عليه، وهؤلاء ينسبون طريقتهم إلى السلف»[٧]

---

(١) الترويض في حقيقة التفويض / د . علي مقدادي / ص ١٦٩ / دار الحامد / الأردن ــ عمان ط الأولى ٢٠٠٥م

(٢) انظر : الحموية ، التدمرية ، درء التعارض ١ /٢٠٤ / لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ، الصواعق المرسلة / ٢ / ٤٢٣ ــ ٤٢٤، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات / د . أحمد القاضي ص ١٥٦

(٣) سورة مريم الآية (١)

(٤) سورة الشورى الآية (١ – ٢)

(٥) سورة الأعراف الآية (١)

(٦) الصواعق المرسلة / ٢ / ٤٢٢

(٧) الصواعق المرسلة / ٣ / ٩٢٠

ثانياً : أن القول بالتفويض الباطل قدح في حكمة الرب تبارك وتعالى ، وفي القرآن الكريم ، وفي الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك بأن يكون الله تعالى أنزل كلاماً لا يفهم ، وأمر بتدبر ما لا يتدبر ، وأن يكون القرآن الذي هو النور المبين والذكر الحكيم سبباً لأنواع الاختلافات والضلالات ، وأن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ البلاغ المبين ، وبهذا تكون قد فسدت الرسالة وبطلت الحجة ، وهو الذي لم يتجرأ عليه صناديد الكفر .

ثالثاً : أن القول بالتفويض الباطل وقوع في التعطيل المحض ، لأن إثبات أسماء الله وصفاته يلزم منه الإيمان بما تدل عليه من معان ، وأهل التفويض على النقيض من ذلك ، آمنوا بألفاظ مجردة عن المعاني ، فاسمه الرحمن – مثلاً – دال على صفة الرحمة كما يقوله أهل السنة ، والمفوضة لم يؤمنوا بهذا لعدم علمهم بمعنى كل اسم من أسمائه على التعيين .

رابعاً : أن أصحاب التفويض الباطل وافقوا أهل التأويل في أن الله أنزل كلاماً يراد به خلاف الظاهر منه ، فنصوص الصفات التوحيد والقدر ، ألفاظ لا نعقل معانيها ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها .

خامساً : مصادمة دلائل النصوص الشرعية في باب الإثبات ، فإذا كان أحد لا يعلم معنى النصوص وما تدل عليه ، أصبح الحق متعلقاً بالأدلة العقلية ، والمقدمات المنطقية التي يقيمونها فيظهر من ذلك أن قول أهل التفويض الباطل من شر أقوال أهل البدع والإلحاد .

سادساً : وفيه تجهيل للأئمة والسابقين من العلماء ، فأهل التفويض على حد زعمهم في نصوص الصفات " أنها ألفاظ لا تعقل معانيها ، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها ، ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها ، قد جنوا على السلف الصالح الذين تواترت أقوالهم في إثبات دلالات هذه النصوص على صفات الله على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى .

قال العلامة ابن عثيمين ــــ رحمه الله ــــ :

«والشبهة التي احتج بها أهل التجهيل هي وقف أكثر السلف على (إلا الله) من قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ (١)

وقد بنوا شبهتهم عل مقدمتين :

الأولى : أن آيات الصفات من المتشابه .

الثانية : أن التأويل المذكور في الآية : هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر فتكون النتيجة أن لآيات الصفات معنى يخالف ظاهرها لا يعلمه إلا الله .

والرد عليهم من وجوه :

الأول : أن نسألهم ماذا يريدون بالتشابه الذي أطلقوه على آيات الصفات أيريدون اشتباه المعنى وخفاءه أم يريدون اشتباه الحقيقة وخفاءها ؟

فإن أرادوا المعنى الأول — وهو مرادهم — فليست آيات الصفات منه ؛ لأنها ظاهرة المعنى ، وإن أرادوا المعنى الثاني فآيات الصفات منه ؛ لأنه لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلاّ الله تعالى . وبهذا عرف أنه لا يصحّ إطلاق التشابه على آيات الصفات بل لا بدّ من التفصيل السابق.

الثاني : إن قولهم :إن التأويل المذكور في الآية هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يُخالف الظاهر غير صحيح ، فإن هذا المعنى للتأويل اصطلاح حادث لم يعرفه العرب والصحابة الذين نزل القرآن بلغتهم وإنما المعروف عندهم أن التأويل يراد به

---

(١) سورة آل عمران الآية (٧)

معنيان :

إمّا التفسير ويكون التأويل على هذا معلوماً لأولي العلم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله وعليه يحمل وقف كثير من السلف على قوله تعالى : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾من الآية السابقة.

وإمّا حقيقة الشيء ومآله وعلى هذا يكون تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر غير معلوم لنا ؛ لأن ذلك هو الحقيقة والكيفية التي هو عليها وهو مجهول لنا كما قاله مالك وغيره في الاستواء وغيره وعليه يحمل وقف جمهور السلف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ من الآية السابقة » [١].

من الأخطاء الفاحشة نسبة القول بالتفويض الباطل إلى مذهب السلف الصالح .

والسلف أجروا نصوص الصفات على ظواهرها ، من غير تشبيه ، ولا تكييف . وعلموا أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى ، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته وصفاته [٢]

وأما من زعم أن مذهب السلف التفويض فإن ما تواتر عن السلف من إثبات معاني نصوص الصفات يبطل قوله د ع الفطرة والعقل السليم

وإليك من كلام السلف ، والأئمة ما يدل على أن مذهبهم، الإيمان بألفاظها ، وفهم معانيها ، على الوجه الذي يليق بجلال الله وكماله وعظمته :

قال الإمام الحافظ الخطيب البغدادي :

« أمّا الكلام في الصفات فإن ماروى منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية « (١٠٣)

(٢) شرح أصول الإيمان « لابن عثيمين (٨٤)

وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها»[(١)] .

وقال الإمام الذهبي رحمه الله : «قد صار الظاهر اليوم ظاهرين : أحدهما حق ، والثاني باطل . فالحق أن يقول : إنه سميع بصير ، مريد متكلم، حيٌّ عليم ، كل شيء هالك إلاّ وجهه ، خلق آدم بيده ، وكلّم موسى تكليما ، واتخذ إبراهيم خليلا ، وأمثال ذلك ، فنمرّهُ على ما جاء ، ونفهم منه دلالة الخطاب كما يليق به تعالى ، ولا نقول : له تأويل يخالف ذلك . والظاهر الآخر وهو الباطل ، والضلال : أن تعتقد قياس الغائب على الشاهد ، وتمثل البارئ بخلقه ، تعالى الله عن ذلك ، بل صفاته كذاته ، فلا عِدْلَ له، ولا ضدَّ له ، ولا نظير له ، ولا مثل له ، ولا شبيه له ، وليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، وهذا أمر يستوي فيه الفقيه والعاميّ ، والله أعلم »[(٢)] .

وبهذا يتبين أن طريقة السلف هي الأعلم والأحكم :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين، كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لا يعرف قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها ، من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنى صحيحاً ، فإنّ هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف ، إنما أتوا من حيث ظنّوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك ، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[(٣)] وإن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك

---

(١) تذكرة الحفاظ، للذهبي (ص ١١٤٢)

(٢) السير، (٤٤٩/١٩) .

(٣) سورة البقرة الآية (٧٨)

المقالات التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر .

وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف .

وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين فلمّا اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر – وكان مع ذلك لا بدّ للنصوص من معنى – بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمّونها طريقة السلف ، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف، فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع ، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات، والسمع حرّفوا فيه الكلام عن مواضعه فلمّا انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريّتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم ، واعتقاد أنهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحّروا في حقائق العلم بالله و لم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي ، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله »[(١)] .

معنى قول بعض السلف ومن اتبعهم من الأئمة أمرّوها كما جاءت بلا تفسير

يخطئ بعض الناس ، فيظن أنّ معنى هذا القول تفويض نصوص الصفات بالمعنى ، الذي يزعمه بعض الخلف – وهو القطع بأنّ ظاهرها غير مراد، وعدم الخوض في تفسيرها – وليس الأمر كذلك ؛ لما تواتر عنهم من إثبات معاني تلك النصوص .

والحق أنهم أرادوا بقولهم :أمرّوها كما جاءت ، أي: على ظاهرها من غير تحريف ؛ فإنها جاءت ألفاظاً دالة على معاني .

أمّا قولهم بلا تفسير ، فتارة يقصدون به بلا تفسير الكيف ، وتارة يقصدون به بلا

---

(١) الفتوى الحموية / ضمن مجموع الفتاوى(٥/ ٨ – ٩)

تفسير الجهمية الذي هو التأويل .

ومن أطلق منهم لفظ التفويض أراد تفويض الكيف، وإليك ما يرشدك إلى ذلك ويكشف لك عن وجه الحقيقة :

قال الإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل : « سألت أبي عن قوم يقولون : لما كلم الله موسى لـــم يتكلم بصوت فقال أبي: بلى تكلم بصوت هذه الأحاديث نرويها كما جاءت » [١].

وقال : الحافظ محمد بن إسحاق بن منده رحمه الله : «عن الوليد بن مسلم قال:

سألت سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي في الرؤية وأمثالها فقالوا:نؤمن بها وتمضي على ما جاءت ولا نفسرها»[٢].

هكذا قالوا – رحمهم الله تعالى – مع كونهم يثبتون رؤية الله في الدار الآخرة كما هو معلوم .

وقال إمام أهل السنة والجماعة في عصره أبو محمد الحسن بن علي البربهاري[٣] رحمه الله : «فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض . لا تفسر شيئاً من هذه بهواك فإن الإيمان بهذا واجب ، فمن فسّر شيئاً من هذا بهواه أو ردّه فهو جهمي » [٤] .

مع قوله هذا قال في الكتاب نفسه: «والإيمان بأن الله تبارك وتعالى هو الذي كلّم

---

(١)كتاب السنة /عبد الله بن أحمد بن حنبل /(ص ٧٠ رقم ٣٤٩

(٢) كتاب التوحيد / ٣/ ٣٠٧

(٣) أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، شيخ الحنابلة في وقته، كان قوالا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، صنف مصنفات منها شرح السنة مات سنة ٣١٥ هـــ انظر : طبقات الحنابلة / ابن أبي يعلى / ٢/ ١٦ ، والسير ١٥/ ٩٠

(٤) شرح السنة / البربهاري / ص ٨٥

موسى بن عمران يوم الطور ، وموسى يسمع من الله الكلام بصوت وقع في مسامعه منه لا من غيره ، فمن قال غير هذا ، فقد كفر بالله العظيم » [(١)] .

فأين هذا الاعتقاد من عقيدة التفويض بالمعنى ، الذي ذكره بعض الخلف ، وزعم أنه مذهب السلف ، وما هو بمذهب السلف ، وما ينبغي أن يكون من مذهب السلف .

فمن هذا العرض يظهر صحة منهج السلف الصالح وسلامة طريقتهم في أسمـــاء الله وصفاته ، فأهل السنة يثبتون أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق به سبحانه تعالى من غير تعطيل ولا تمثيل على حد قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [(٢)]

(١) المصدر نفسه ص ٩٢

(٢) سورة الشورى آية (١١) .

المطلب الرابع : الانحرافات لدى من شبهها بصفة المخلوقين والرد عليهم

للمشبهة أقوال شنيعة في صفة البصر لله تعالى حيث شبهوه ببصر المخلوق تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا فمن أقوالهم :

أولاً : أقوال مشبهة الرافضة :

١ــ قول الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقي «يزعمون أن ربهم على صورة الإنسان وينكرون أن يكون لحما ودما ويقولون هو نور ساطع يتلألأ بياضا وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان له يد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وأنه يسمع بغير ما يبصر به وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم» (١)

٢ ــ قول الزرارية أصحاب زرارة بن أعين الرافضي« يزعمون أن الله لم يزل غير سميع ولا عليم ولا بصير حتى خلق ذلك لنفسه . » (٢)

٣ ــ وحكي عن داود الجواربي أنه قال : « معبوده : جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء من : يد ورجل ورأس ولسان وعينين وأذنين ومع ذلك : جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء وكذلك سائر الصفات وهو : لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء ».(٣)

٤ ــ قول البيانية: أتباع بيان بن سمعان التميمي . «وزعم: أن معبوده على صورة إنسان : عضواً فعضواً وجزءاً فجزءاً ».(٤)

---

(١) مقالات الإسلاميين / ١ / ١٠٩ ، الملل والنحل / الشهرستاني / ١ / ٧٦

(٢) مقالات الإسلاميين ١ / ١١٠ - ١١١

(٣) الملل والنحل / الشهرستاني ١ / ٧٦

(٤) الملل والنحل / الشهرستاني ١ / ١١٠ ــ١١١

٥ ـــ قول المغيرية أصحاب : المغيرة بن سعيد العجلي زعم : « أن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على مثال حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور وله قلب تنبع منه الحكمة» .[١]

ثانياَ : أقوال مشبهة الصوفية [٢]

١ـــ يقول ابن عربي الصوفي : «ومن عرف ما قررناه علم أن الحق المتره هو الخلق المشبه ، كل ذلك من عين واحدة ، لا بل هو عين الواحدة» . [٣]

٢ ـــ قول التجانيةمن الصوفية : « أن لله صفة السمع والبصر والقدرة والإرادة ، كل صفة من هذه الصفات تحيط بجميع الوجود في آن واحد ... وهكذا إذا رفعه إلى محل القرب يصير يسمع كسماع الحق ، باتساع دائرته ... فلا تختلط عليه أصوات الوجود في الآن الواحد ... » [٤]

فهذه نماذج من أقوالهم في صفة بصر الله تعالى وقد تصدى لهم العلماء قديماً وحديثاً وأنكروا عليهم هذه الأقوال الشنيعة، بل كفروا كثيرا منهم واعتبروهم غلاة خارجين عن الإسلام فمن أقوال العلماء في الرد عليهم :

١ـــ قول نعيم بن حمادشيخ البخاري : « من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها» [٥].

---

(١) الملل والنحل / الشهرستاني ١ / ١٢٩

(٢) وللمزيد من أقوالهم انظر :الرسالة العلمية . عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية / د . أحمد القصير / ص ٤٢٦ ـــ ٤٣١ / مكتبة الرشد / الرياض الطبعة الأولى

(٣) فصوص الحكم / لابن العربي بشرح القاشاني / ص ٨١

(٤) جواهر المعاني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني / لعلي حرازم برادة /٢ /٩٤ / دار الحلبي ١٣٨٠هـــ

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٥٧٨) وانظر : مجموع

٢ــ قول عثمان الدارمي رحمه الله في رده على بِشر المريسي المعتزلي: « فيقال لهذا المعارض: أما دعواك عليهم أنهم ثبتوا له سمعا وبصرا، فقد صدقت. وأما دعواك عليهم أنه كعينٍ وكسمعٍ فإنه كذب ادعيت عليهم؛ لأنه ليس كمثله شيء، ولا كصفاته صفة.

وأما دعواك أنهم يقولون: «جارح مركب» فهذا كفر لا يقوله أحد من المسلمين، ولكنا نثبت له السمع والبصر والعين بلا تكييف، كما أثبته لنفسه فيما أنزل من كتابه، وأثبته له الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وهذا الذي تكرره مرة بعد مرة: جارح وعضو وما أشبهه، حشو وخرافات، وتشنيع لا يقوله أحد من العالمين: وقد روينا روايات السمع والبصر والعين في صدر هذا الكتاب بأسانيدها وألفاظها عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فنقول كما قال، ونعني بها كما عنى والتكييف عنا مرفوع، وذكر الجوارح والأعضاء تكلف منك وتشنيع». [(١)]

وقال أيضاً «إنما نصفه بالأسماء لا بالتكييف ولا بالتشبيه، كما يقال: إنه ملك كريم، عليم، حكيم، حليم، رحيم، لطيف، مؤمن، عزيز، جبار، متكبر. وقد يجوز أن يدعى البشر ببعض هذه الأسماء، وإن كانت مخالفة لصفاتهم. فالأسماء فيها متفقة، والتشبيه والكيفية مفترقة، كما يقال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، يعني في الشبه والطعم والذوق والمنظر واللون. فإذا كان كذلك فالله أبعد من الشبه وأبعد. فإن كنا مشبهة عندك أن وحدنا الله إلهًا واحدًا بصفات أخذناها عنه وعن كتابه، فوصفناه بما وصف به نفسه في كتابه، فالله في دعواكم أول المشبهين بنفسه، ثم رسوله الذي أنبأنا ذلك عنه. فلا

فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ١١٠ - ١٩٦ - ٢٦٣) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٠ / ٦١٠) (١٣ / ٢٩٩) وشرح العقيدة الطحاوية ص ١١٧ ،

(١) نقض الدارمي (ج٢ ص٦٨٨-٦٨٩)

تظلموا أنفسكم ولا تكابروا العلم؛ إذ جهلتموه فإن التسمية في التشبيه بعيدة».[(١)]

٣ ـــ وقول ابن خزيمة الشافعي رحمه الله : «نحن نقول: إن الله سميع بصير كما أعلمنا خالقنا وبارؤنا، ونقول: من له سمع وبصر من بني آدم فهو سميع بصير، ولا نقول أن هذا تشبيه المخلوق بالخالق».[(٢)]

وقـــال: «ولو لزم – يا ذوى الحجا– أهل السنة والآثار إذا أثبتوا لمعبودهم يدين كما ثبتهما الله لنفسه، وثبتوا له نفسا –عز ربنا وجل–، وأنه سميع بصير، يسمع ويرى، ما ادعى هؤلاء الجهلة عليهم أنهم مشبهة، للزم كل من سمى الله ملكًا، أو عظيمًا ورؤوفًا، ورحيمًا، وجبارًا، ومتكبرًا، أنه قد شبه خالقه –عز وجل– بخلقه، حاش لله أن يكون من وصف الله جل وعلا، بما وصف الله به نفسه، في كتابه، أو على لسان نبيه المصطفى — صلى الله عليه وسلم– مشبها خالقه بخلقه»[(٣)].

قال ابن البنا الحنبلي رحمه الله : «وأما المشبهة والمجسمة فهم الذين يجعلون صفات الله –عز وجل– مثل صفات المخلوقين، وهم كفار. »[(٤)]

وقال أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني الشافعي رحمه الله بعد ذكر مجموعة من الآيات والأحاديث في صفات الله عز وجل : «فهذا وأمثاله مما صح نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن مذهبنا فيه ومذهب السلف إثباته وإجراؤه على ظاهره، ونفي الكيفية والتشبيه عنه .... والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، وإثبات الله تعالى إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو

---

(١) نقض الدارمي ١ /٣٠٢-٣٠٣

(٢)كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/ ٦١

(٣)كتاب التوحيد ١ /٦٤

(٤) المختار في أصول السنة/ لابن البنا / ص ٨١ / تحقيق د . عبدالرزاق العباد البدر / مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة / ط الأولى ١٤١٣هـــ .

إثبات وجود لا إثبات كيفية، فإذا قلنا يد، وسمع، وبصر، ونحوها، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه ولم يقل: معنى اليد: القوة، ولا معنى السمع والبصر: العلم والإدراك. ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار، ونقول إنما وجب إثباتها لأن الشرع ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١]، كذلك قال علماء السلف في أخبار الصفات: أمروها كما جـــاءت. »[٢]

وقد ساق الإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة جمعاً من أقوال أهل العلم في التشنيع على المشبهة تحت قوله : «سياق ما روي في تكفير المشبهة» [٣]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وإن وجود ذات الله خالق السموات والأرض هي نفس وجود المخلوقات فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره ولا أنه رب العالمين ولا أنه غني وما سواه فقير» [٤]

قال ابن الوزير الصنعاني رحمه الله : «وكذلك كل صفة يوصف بها الرب سبحانه ويوصف بها العبد، وان الرب يوصف بها على أتم الوصف مجردة عن جميع النقائص، والعبد يوصف بها محفوفة بالنقص، وبهذا فسر أهل السنة نفي التشبيه، ولم يفسروه بنفي الصفات وتعطيلها كما صنعت الباطنية الملاحدة »[٥] .

---

(١) سورة الشورى الآية (١١)

(٢) الحجة في بيان المحجّة لإسماعيل الأصبهاني (ج١ ص٢٨٨-٢٨٩)

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي / ٣/ ٥٨٣

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية / علق عليه : السيد محمد رشيد رضا / ١ / ١٧٢ / الناشر : لجنة التراث العربي

(٥) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (ص١٢٨)

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله : «ووصف نفسه بالسمع والبصر في غير ما آية من كتابه قال: «إن الله سميع بصير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، ووصف بعض الحوادث بالسمع والبصر، قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾[2]. ونحن لا نشك أن ما في القرآن حق فله جل وعلا سمع وبصر حقيقيان لائقان بجلاله وكماله. كما أن للمخلوق سمعا وبصرا حقيقين مناسبين لحاله من فقره وفنائه وعجزه وبين سمع وبصر الخالق وسمع وبصر المخلوق من المخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق »[3]

وقال أيضاً : «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4] فهده الآية فيها تعليم عظيم يحل جميع الإشكالات ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع. ذلك لأن الله قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾بعد قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات، فكأن الله يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر وأن ذلك تشبيه بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. فالله جل وعلا له صفات لائقة بكماله وجلاله والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم وكل هذا حق ثابت لا شك فيه إلا أن صفة رب السموات والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين، فمن نفى عن الله وصفا أثبته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم،. من ظن أن صفة ربه تشبه شيئا من صفة الخلق فهذا مجنون ضال ملحد لا عقل له يدخل في قوله: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5]. ومن

---

(١) سورة الشورى الآية (١١)

(٢) سورة مريم الآية (٣٨)

(٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات / ص ٦

(٤) سورة الشورى الآية (١١)

(٥) سورة الشعراء الآية (٩٧ ، ٩٨)

يسوي رب العالمين بغيره فهو مجنون »[1].

التشبيه في مفهوم السلف :

التشبيه عند السلف هو أن يُقال: يد كيدي ، وسمع كسمعي وبصر كبصري .

وأما من رمى من يثبت الصفات الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة بالتشبيه ، فهو جهمي معطل .

قال الإمام الحافظ الترمذي رحمه الله تعالى : « وقد قال غيرُ واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرّب تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا ، قالوا : قد تثبتُ الروايات في هذا ويُؤمَّنُ بها ولا يُتَوَهمُ ولا يُقال كيف ».

هكذا روي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينه وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمرّوها بلا(كيف) ، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنّة والجماعة.

وأمّا الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه.

وقد ذكر الله تعالى في غير موضع من كتابه اليدَ والسمع والبصرَ فتأوّلت الجهمية هذه الآيات وفسّروها على غير ما فسّر أهل العلم وقالوا إنّ الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا إنّما معنى اليد القوّة .

وقال إسحق بن إبراهيم : إنّما يكون التشبيه إذا قال يدٌ كيدٍ أو مثل يدٍ أو سمع كسمع أو مثل سمع ، فإذا قال سمع كسمع أو مثل سمع فهذا تشبيه .

وأمّا إذا قال كما قال الله يدٌ وسمعٌ وبصرٌ ولا يقول كيف ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيهاً وهو كما قال الله تبارك وتعالى في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢ ـــ ٣

شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنّ الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبهاً ، كذباً منهم وافتراء ، حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك، حتى قال ثمامة بن الأشرس[٢]من رؤساء الجهمية : ثلاثة من الأنبياء مشبهة : موسى حيث قال ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾[٣] ، وعيسى حيث قـــال ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾[٤] ، ومحمد حيث قال «ينزل ربّنا» [٥] وحتى إن جلّ المعتزلة تُدخل عامة الأئمة – مثل مالك وأصحابه والثوري وأصحابه والأوزاعي وأصحابه والشافعي وأصحابه وأحمد وأصحابه وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم – في قسم المشبهة »[٦] .

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا بطلان مقالة التشبيه ، وأن أهل السنة والجماعة في إثباتهم لصفات الله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته وجماله وكبريائه ، ليسوا مشبهة .

---

(١) سنن الترمذي / كتاب الزكاة / باب فضل الصدقة / ٣/ ٥٠

(٢) ثمامة بن الأشرس من رؤساء المعتزلة ، مات سنة ٢١٣هـــ انظر : السير / ١٠ / ٢٠٣

(٣) سورة لأعراف:١٥٥ .

(٤) سورة المائدة:١١٦ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب أبواب التهجد / باب الدعاء والصلاة من آخر الليل/ برقم (١٠٩٤) ومسلم في صحيحه/ كتاب صلاة المسافرين / باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل / برقم (١٨٠٨) .

(٦) الفتوى الحموية ضمن مجموع الفتاوى ٥ / ١١٠ .

المبحث الثالث :

العقائد المنحرفة في صفة العين، والرد على المخالفين،

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الانحرافات لدى من أنكرها بالكلية والرد عليهم :

أنكر صفة العين لله تعالى الجهمية، والفلاسفة ، ومن تأثر بهم من بعض الفرق الأخرى

ومن أقوالهم الدالة على إنكارهم هذه الصفة :

الجهمية :

ذكر أقوالهم من كتب في المقالات والفرق ومنهم :

الشهرستاني حيث يقول : « الجهمية أصحاب جهم بن صفوان ـــ من عقيدته ـــ قوله : لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقضي تشبيهاً فنفى كونه : حياً عالماً وأثبت كونه : قادراً فاعلاً خالقاً لأنه لا يوصف شيء من خلقه : بالقدرة والفعل والخلق »[1] .

قال الدارمي رحمه الله : «وادعى المريسي أيضا في قول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[2] ، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[3]، أنه يسمع الأصوات ويعرف الألوان بلا سمع ولا بصر وأن قوله : ﴿بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ يعني عالم بهم لا أنه يبصرهم ببصر ولا ينظر إليهم بعين فقد يقال لأعمى ما أبصره أي ما أعلمه وان كان لا يبصر بعين ... ثم نفيت عنه السمع والبصر اللذين هما السمع والبصر ونفيت عنه العين وكما يستحيل

---

(١) الملل والنحل / ١ /٦١ .

(٢) سورة المجادلة الآية (١) .

(٣) سورة آل عمران الآية (١٥) .

هذا في الأشياء التي ليست لها أسماع وأبصار فهو في الله السميع البصير أشد استحالة »[١]

أما أقوال الفلاسفة :

قال ابن سينا : «أن واجب الوجود واحد ، بحسب تعين ذاته وأن واجب الوجود لا يقال على كثرة أصلا. ..لو التأم ذات واجب الوجوب من شيئين ، أو أشياء تجتمع ، لوجب بها ، ولكان الواحد منها ، أو كل واحد منها ، قبل واجب الوجود ، ومقوماً لواجب الوجود فواجب الوجود لا ينقسم في المعنى ولا في الكم». [٢]

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا الصدد ما وقع فيه ابن حزم ـــ رحمه الله ـــ من الخطأ الجسيم في هذا الباب؛ إذ يقول : « وأن لله ـــ عزّ وجلّ ـــ عزاً وعزة، وجلالاً وإكراماً، ويداً ويدين وأيدياً، ووجهاً، وعيناً وأعين» [٣].

وقد تمسك من أنكر صفة العين لله تعالى بعدة شبهات منها :

١ – دعوى التتريه عن مشابهة المخلوقات .

٢ – اعتقاد أن إثبات الصفة على ظاهرها يقتضي التشبيه والتجسيم [٤]

٣ –أن الأدلة عليها ظنية .[٥]

هذه أشهر شبهاتهم وقد تقدم الرد على الشبهة الأولى والثانية في المبحث السابق أما الشبهة الثالثة وهي قولهم : « إن الأدلة الدالة على صفة العين أدلة ظنية ويقصدون بها»:

---

(١) نقض الدارمي على بشر ١ / ٣٠٠ ـــ ٣٠١ .

(٢) الإشارات والتنبيهات / ابن سينا / مع شرح نصر الدين الطوسي / ٣ / ٤٤ / تحقيق د : سليمان دنيا / دار المعارف / ط : ٣ .

(٣)كتابه المحلى / ابن حزم / ٣٣/١ .

(٤) انظر : الملل والنحل ١ / ٩١ .

(٥) انظر : شرح الأصول الخمسة / القاضي عبدالجبار / ٢٢٦ ، ٢٢٩ .

أدلة الكتاب والسنة وهذا أصل من الأصول التي وضعها أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن تأثر بهم من الأشاعرة وغيرهم لإبطال مدلولات نصوص الشريعة ومن أشهر من صور ذلك إمام المتكلمين الفخر الرازي حيث يقول : «إن الدلالة اللفظية لا تكون قطعية لأنها موقوفة على نقل اللغات ونقل وجود النحو والصرف وعلى عدم الاشتراك والمجاز والتخصيص والإضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي وكل واحد من هذه المقدمات مظنونه والموقوف على المظنون أولى أن يكون مظنوناً فثبت أن شيئاً من الدلائل اللفظية لا يمكن أن يكون قطعياً »[(١)].

وجاء عنه أيضاً أن الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة وهي : « عصمة رواة تلك الألفاظ ، وإعرابها، وتصريفها، وعدم الاشتراك ، والمجاز، والنقل، والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، وعدم الإضمار، والتقديم والتأخير، والنسخ، وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه إذ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل لافتقاره إليه فإذا كان المنتج ظنيا فما ظنك بالنتيجة »[(٢)].

وممن فند هذا القول وبين بطلانه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذة ابن القيم رحمهم الله وسماه ابن القيم طاغوتاً [(٣)] وسوف نقتصر على ذكر بعض الأوجه في بيان فساد هذه الشبهة من أقوالهم رحمهم الله :

الوجه الأول : إن هذا المذهب فيه قدح في وحي الله تعالى الكتاب والسنة ، لأن لازمه أن يكون الله تعالى قد أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وحياً لا يفيد اليقين ، بل يفيد الظن والضلال ــ والعياذ بالله ــ فكان تركهم في الجاهلية خيراً من هذه الرسالة

---

(١) أساس التقديس ص ١٨٢ .

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين /الرازي / ٥٤٧/١ – ٥٧٣ / تحقيق طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١ .

(٣) انظر : الصواعق المرسلة : ٢ / ٦٣٢ .

التي لم تفدهم إلا الظن ، ولم تنفعهم بل ضرتهم ، ولم يستفيدوا منها إلا الحيرة وعدم اليقين [١].

وهذا ينكره كل من له أدنى معرفة وإيمان .

الوجه الثاني : إن قول القائل الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند أمور عشرة نفي عام وقضية سالبة كلية فإن أراد قائلها أن أحدا من الناس لا يعلم مراد متكلم ما يقينا إلا عند هذه الأمور العشرة فكذب ظاهر وإن أراد به أنه لا يعلم أحد المراد بألفاظ القرآن والسنة إلا عند هذه الأمور ففرية ظاهرة أيضا فإن الصحابة كلهم من أولهم إلى آخرهم والتابعين كلهم وأئمة الفقه كلهم وأئمة التفسير كلهم لم يتوقف علمهم بمراد الرسول على هذه الأمور بل لم يخطر ببالهم ولم يذكرها أحد منهم في كلامه .[٢]

الوجه الثالث : إن الذين لم يحصل لهم اليقين بالأدلة العقلية أضعاف أضعاف الذين حصل لهم اليقين بالأدلة السمعية والشكوك القادحة في العقليات أكثر بكثير من الشكوك القادحة في السمعيات فأهل العلم والكتاب والسنة متيقنون لمراد الله ورسوله جازمون به معتقدون لموجبه اعتقادا لا يتطرق إليه شك ولا شبهة أما المتكلمون الذين عدلوا عن الاستدلال بالأدلة السمعية إلى الأدلة العقلية فهم أكثر حيرة واضطراباً وتناقضاً .[٣]

الوجه الرابع : هذا المذهب يؤدي إلى إسقاط حرمة نصوص الكتاب والسنة من القلوب لأن من قال : إنها ظنية سقطت هيبتها من قلبه ، كما أنها تؤدي إلى فتح الطريق إلى كل زنديق ومنافق أن يطعن في شرع الله .[٤]

الوجه الخامس : إن قول القائل الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين إما أن يريد به نفي

---

(١) انظر : مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية / ١ / ١٩٩ ، والصواعق المرسلة ٢ / ٦٥٢

(٢) انظر : الصواعق المرسلة ٢ / ٦٥٩

(٣) انظر : الصواعق المرسلة ٢ / ٦٦٣

(٤) انظر : نفس المصدر ٢ / ٦٣٢

العموم أو عموم النفي فإن أراد نفي العموم لم يفده شيئا فإن عاقلا لا يدعي أن كل دليل لفظي يفيد اليقين حتى ينصب معه الخلاف ويحتج عليه وإن أراد به عموم النفي كان هذا مكابرة للعيان وبهتا ومجاهرة بالكذب والباطل [1].

من خلال هذه الردود يتبين لنا بطلان هذه الشبهة .

---

(١) انظر : نفس المصدر ٢ / ٦٥٢

المطلب الثاني : الانحرافات لدى من تأولها على غير معناها والرد عليهم:

لقد تأول صفة العين على غير معناها الصحيح اللائق بالله جل وعلا المعتزلة ومن تأثر بهم من بعض الفرق الأخرى كالزيدية ، والإباضية ، ومتأخري الأشاعرة ومن وافقهم .

وقد أولوها بعدة تأويلات مثل : العلم ،والبصر ، والرؤية ، والحفظ والكلاءة ، مزيد الاعتناء والحراسة ، الأعين التي انفجرت من الأرض .[١]

فمن أقوال المعتزلة :

قال القاضي عبد الجبار : « وقد تعلقوا أيضاً بقوله تعالى : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[٢] قالوا : فأثبت لنفسه العين ، وذو العين لا يكون إلا جسماً .

والأصل في الجواب عن ذلك ، أن المراد به لتقع الصنعة على علمي ، والعين تورد بمعنى العلم ، يقال جرى هذا بعيني أي : جرى بعلمي ، ولولا ما ذكرناه . وإلا لزم أن يكون لله تعالى عيون كثيرة ، لأنه قال : ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ والعلوم خلاف ذلك»[٣].

وهذا الكلام يدل على إنكار صفة العين لله تعالى . وقد نص على إجماع المعتزلة على إنكار صفة العين لله تعالى أبو الحسن الأشعري حيث قال : «وأجمعت المعتزلة

---

(١) انظر هذه التأويلات في : شرح الأصول الخمسة / القاضي عبدالجبار المعتزلي ص ٢٢٧ ، ومسند الربيع بن حبيب ٣ / ٣٣٥ ، وكتاب الإرشاد / الجويني / ص ٦٧، ١٥٥ ، وشرح المقاصد للتفتازاني ٤ / ١٧٤ ، وشرح المواقف / الإيجي / ٨ / ١٢٥ ، وأصول الدين للبغدادي ص: ١٠٩، وأساس التقديس للرازي ص: ١٢٠ ، والتترية في إبطال حجج التشبيه / ابن جماعة / ص ٣٩٦ ـــ ٣٩٧ ، تحقيق ودراسة : محمد أمين علي / دار البصائر القاهرة ، وكتابه الغنية في أصول الدين / ابن المأمون المتولي / ص: ١١٤) وغيرهم .

(٢) سورة طه الآية (٣٩) .

(٣) شرح الأصول الخمسة /ص ٢٢٧ .

بأسرها على إنكار العين واليد وافترقوا في ذلك على مقالتين : فمنهم من أنكر أن يقال لله يدان وأنكر أن يقال أنه ذو عين وأن له عينين ومنهم من زعم أن لله يدا وأن له يدين وذهب في معنى ذلك إلى أن اليد نعمة وذهب في معنى العين إلى أنه أراد العلم وأنه عالم وتأول قول الله عز و جل : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ أي : بعلمي »[(١)].

أما أقوال الزيدية :

قال إمام الزيدية يحي بن الحسين في كتابه " المسترشد " « باب تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾والرد على من قال من أهل الإلحاد : إن الله يبصر بعين كأعين العباد .

إن سأل سائل مسترشد عن ذلك ، أو تعنت متعنت ضال هالك .

قيل له : إن معنى ﴿بَصِيرُۢ﴾يخرج على معنين بينين ، عند أهل العلم نيرين :

فأما أحدهما : فهو العالم ... والمعنى الآخر : فهو البصير بالعين والنظر ، والله عن ذلك فبريء ، وعنه تعالى علي ، إذ ذلك ــ ومن كان كذلك فمشابه للمخلوقين ، وقد نفى ذلك عن نفسه رب العالمين »[(٢)].

وجاء عنهم تأويلها بالعلم أو الأمر .[(٣)]

من أقوال الإباضية :

أولوا العين في قوله تعالى : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ قالوا : أي لتربى بأمري أو بعلمي.[(٤)]

---

(١) مقالات الإسلاميين / ١ / ١٩٥

(٢) الصفات الإلهية عند الإمام يحي بن الحسين مع تحقيق كتاب المسترشد للإمام الهادي يحي بن الحسين / تحقيق د . إمام حنفي سيد عبدالله / ص ١٦٨ / دار الأوقاف العربية القاهرة

(٣) انظر : ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة / الناصر لدين الله الحسين بن محمد / ص ٤٥ ، نقلاً عن كتاب تأثير المعتزلة والخوارج والشيعة / الحفظي / ص ٤٢٥ .

(٤) مسند الربيع بن حبيب ٣ / ٣٣٥

وقال السالمي في منظومته :

«فهو عليم لا بعلم جلبا   وهو سميع لا بسمع ركبا

وهو بصير لا بعين نظرت   وهو قدير لا بقدرة عرت»

قال الخليلي في تعليقه على ذلك :

قوله « وهو بصير لا بعين نظرت » أي : وهو تعالى بصير بذاته لا ببصر هو غيره .

أي ذاته عز وجل كافية في انكشاف المبصرات لها انكشافاً تاماً غير محتاجة إلى صفة زائدة عليها قائمة بها تسمى بصرا ، كما زعمت الأشاعرة ، ولا إلى عين مركبة من حدقة وأجفان كما زعم أولئك المشبهة » [(١)]

من أقوال الأشاعرة ومن وافقهم في تأويل صفة العين لله تعالى :

يقول إمام الحرمين الجويني: « ذهب بعض أئمتنا إلى أنّ اليدين والعين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل، والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة، وحمل العين على البصر، وحمل الوجه على الوجود»[(٢)] .

يقول سعد الدين التفتازاني أثناء كلامه عن الصفات المختلف فيها : منها : «ما ورد به ظاهر الشرع، وامتنع حملها على معانيها الحقيقية، مثل ... والعين في قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[(٣)]،﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[(٤)]، فعن الشيخ[(٥)] أنّ كلاً منها صفة زائدة ، وعند الجمهور[(٦)]وهو أحد قولي الشيخ أنها

---

(١) مشارق أنوار العقول / السالمي / تعليق وتصحيح : أحمد الخليلي / تحقيق : د . عبدالرحمن عميرة ، دار الجبل بيروت ط١

(٢)كتاب الإرشاد / الجويني / ص ٦٧

(٣) سورة طه الآية (٣٩) .

(٤) سورة القمر الآية (١٤)

(٥) يقصد به أبا الحسن الأشعري شيخ الأشاعرة وإمامهم

(٦) وهم جمهور الأشاعرة .

مجازات ، فالاستواء مجاز عن الاستيلاء أو تمثيل وتصوير لعظمة الله تعالى ، واليد مجاز عن القدرة ، والوجه عن الوجود ، والعين عن البصر » (١).

ويقول اللقاني في منظومته :

«وكلّ نص أوهم التشبيها أوِّله أو فوّض ورُم تنزيها» (٢)

وقد تمسك من تأول صفة العين لله تعالى بعدة شبهات منها :

الشبهة الأولى: أنّ لفظ العين من الألفاظ المشتركة التي تدور حول معان كثيرة، فالعين في كلام العرب، منها ما يراد به الرؤية والمشاهدة، ومنها ما يراد به الحفظ والكلاءة، ومنها ما يراد به الجودة، ومنها ما يراد به الدلالة، ومنها ما يراد به الجارحة، وإذا كان لفظ العين مشتركاً بين هذه المعاني المختلفة، وكان وصف الله بالجارحة مستحيلاً، وجب أن يكون محمولاً على بعض هذه المعاني التي ذكرنا في معنى العين.

وسبب عدم أخذهم بظاهر الحديث دعواهم ما قاله الرازي: « لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجوه:

الأول: أن ظاهر قوله تعالى:﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ (٣)يقتضي أن يكون موسى عليه السلام مستقراً على تلك العين ملتصقاً بها، مستعلياً عليها، وذلك لا يقوله عاقل.

الثاني: أنّ قوله تعالى:﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾(٤)، يقتضي أن يكون آلة تلك الصنعة هي تلك الأعين.

---

(١) شرح المقاصد للتفتازاني/٤ / ١٧٤/ ط. سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، وشرح المواقف / الإيجي / ج٨ ص ١٢٥ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

(٢) حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد/ ص:١٦/دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٣) سورة طه الآية (٣٩)

(٤) سورة هود الآية (٣٧)

والثالث: أن إثبات الأعين في الوجه الواحد قبيح فثبت أنه لا بد من المصير إلى التأويل وذلك هو أن يحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة »[١].

الشبهة الثانية: أن معنى العين في الآيات هو البصر والعلم، فقد يسمى البصر عيناً لأجل أنه مما يتعلق به ويقوم به فينا، فاستعمال لفظ العين في البصر توسع لأنه من باب تسمية الشيء باسم محله وباسم ما هو قائم به.

الشبهة الثالثة:أنّ قوله:﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[٢] ،معناها بأوليائنا وخيار خلقنا؛ لأنهم كانوا هم المؤمنين في وقت نوح الطَّيْلا.

الشبهة الرابعة: أنّه أراد بذلك أعين الماء التي أخرجها الله تعالى من الأرض، وأضافها إلى نفسه إضافة التملك[٣].

الرد على هذه الشبه :

إن الناظر فيما سبق ذكره من شبهاتهم في تأويل صفة العين لله تعالى يجدها تدور حول أمرين:

الأول: كون لفظ «العين» من الألفاظ المشتركة التي تحتمل عدّة معانٍ.

---

(١) أساس التقديس في علم الكلام للرازي (٩٦/١).

(٢) سورة القمر الآية (١٤) .

(٣) وهذه الشبه كلها ذكرها ابن فورك في كتابه مشكل الحديث وبيانه (ص:٢٥٨-٢٦٢)، وذكر بعضها ابن جماعة في التتريه في إبطال حجج التشبيه ص٣٩٦ ــ ٣٩٨)، والآمدي في غاية المرام (ص:١٤٠)، وابن العربي في أحكام القرآن (١٧٨/٤)، والقرطبي في أحكام القرآن / ١٢ / ٦٣ ،والجويني في الإرشاد ص ١٤٦ ، والبغدادي في أصول الدين ص ١٠٩ ــ ١١٠ ، والتفتازاني في شرح المقاصد في علم الكلام (١١٠/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٧٨/١٧)، وابن الجوزي في دفع شبه التشبيه بأكف التتريه (ص:١١٣-١١٤).

والثاني: أنّ وصف الله تعالى بالجارحة مستحيل.

والجواب عن الأمر الأول :

أنه ينبغي أن يعلم أن الألفاظ في اللغة تنقسم إلى أربعة أقسام:

١- **الألفاظ المترادفة**: وهي ما اختلفت ألفاظها واتحدت معانيها، مثل: الليث، الأسد، الغضنفر، ألفاظ مختلفة ولكنها جميعها دلت على معنى واحد وهو الحيوان المعروف.

٢- **الألفاظ المشتركة**: وهي ما اتحدت ألفاظها واختلفت معانيها، مثل: ﴿ٱلْعَيْنِ﴾: تطلق على العين الباصرة، والعين الجارية، والجاسوس، ومثل: كلمة ﴿عَسْعَسَ﴾.بمعنى: أقبل وأدبر، وكلمة ﴿قَسْوَرَةٍ﴾.بمعنى: الأسد والرامي ، وكلمة «قرء» .بمعنى: حيض وطهر، وقس على ذلك .

٣- **الألفاظ المتباينة**: ما اختلفت ألفاظها ومعانيها، مثل: السماء والأرض، الجدار والسقف.

٤- **الألفاظ المتواطئة**: ما اتفقت ألفاظها ومعانيها.

فإذا كان المعنى متساوياً في الجميع فهو التواطؤ المطلق، ومثاله: "الرجل": لزيد وعمرو.

وإذا كان المعنى متفاضلاً فهو التواطؤ المشكك، ومثاله ﴿ٱلنُّورِ﴾ ، للشمس والسراج[1].

فظهر لنا أنّ لفظ ﴿ٱلْعَيْنِ﴾ بمجرده من الألفاظ المشتركة التي تحتمل عدة معان. ويبين ابن فارس في معجمه أنّ جميع معاني لفظة العين ترجع إلى العين الباصرة فيقول ما

---

(١) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي / ص٢٤١ / تحقيق عبدالرحمن المحمود، دار الوطن، ١٤١٤هـ.

مختصره: «العين والياء والنون أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على عُضوٍ به يُبْصَر ويُنظَر، ثم يشتقُّ منه، والأصلُ في جميعه ما ذكرنا. ومن الباب العين: الذي تبعثُه يتجسَّس الخبرَ، كأنَّه شيءٌ تَرَى به ما يَغيب عنك. ومن الباب: العين السَّحاب ما جاءَ من ناحية القبلة، وهذا مشبَّه بمشبَّه، لأنَّه شُبِّه بعين الماء التي شبِّهت بعين الإنسان. ومن الباب عَيْنُ السِّقاء. قال الخليل: يقال للسِّقاء إذا بَلِي ورقَّ موضعٌ منه: قد تعيَّن. وهذا أيضاً من العَين، لأنه إذا رقّ قرُب من التخرُّق فصار السِّقاء كأنّه يُنظر به. ومن الباب قولهم: أعيان القَوم، أي أشرافهم، وهمْ قياسُ ما ذكرناه، كأنَّهم عيونُهم التي بها ينظرون. ومن الباب: العَين، وهو المال العَتِيد الحاضر؛ يقال هو عَينٌ غير دَين، أي هو مال حاضرٌ تراه العيونُ» [(١)]. فالمعاني الواردة في لفظة العين كلها ترجع إلى معنى العين المبصرة.

فإن قيل: كيف يعرف المراد من لفظ العين وكيف يعيّن لها أحد المعاني؟

فيقال: إنّ العرب تنظر في ذلك إلى سياق الكلام والقرائن المحتفة به، وإلى الإضافة والتقييد والتخصيص[(٢)]، فهذا هو الذي يميز أحد المعاني عن غيرها، وذلك لأن اللفظ بمجرده لا يدل على معنى معين محدد إلا بالسياق والتركيب، وهذه هي لغة العرب، يقول ابن القيم –رحمه الله-: «فإن اللفظ بدون القيد والتركيب بمنزلة الأصوات التي ينعق بها لا تفيد فائدة، وإنما يفيد تركيبه مع غيره تركيباً إسنادياً يصح السكوت عليه، وحينئذ فإنه يتبادر منه عند كل تركيب بحسب ما قيد به، فيتبادر منه في هذا التركيب ما لا يتبادر منه في هذا التركيب الآخير » [(٣)]. ويقول أيضاً: «فإنَّ اللفظ المفرد لا يفيد بإطلاقه وتجرده شيئاً البتة، فلا يكون كلاماً ولا جزء كلام فضلاً عن أن يكون حقيقة أو مجازاً» [(٤)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/١٩٩-٢٠٤).

(٢) انظر: التدمرية لابن تيمية (ص:٢٠-٢١).

(٣) مختصر الصواعق لابن القيم (٢/٢٤٠-٢٤١).

(٤) المصدر السابق (٢/٢٥٤).

فسياق الكلام هو الحاكم على معاني الألفاظ فلا يجوز إهماله ولا تجاهلـه، يقـول العلامة ابن القيم: «السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته، فانظر إلى قولـه تعـالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾[1] ،كيف تجد سياقه يدل على أنَّه الذَّليل الحقير »[2].

وعلى هذا أمثلة كثيرة في اللغة ، منها لفظة العين، في الآيات الـواردة في ذلـك كقوله تعالى:﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[3]، أو قوله:﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ ،فمن زعم أنها ليست صفة لله تعالى، أو زعم أن السفينة تجري في عين الله –كما يزعمه المعطِّلة– فإنَّه لا يعرف لغة العرب التي نزل بها القرآن.

يقول العلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في القواعد المثلى: « المثال التاسـع والعاشر: قوله تعالى عن سفينة نوح:﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ ، وقوله لموسى:﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾.

والجواب: أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته، لكن مـا ظـاهر الكلام وحقيقته هنا؟.

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله، أو أن موسـى عليـه الصلاة والسلام يُرَبَّى فوق عين الله تعالى؟.

أو يقال: إن ظاهره أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربيـة موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها.

ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين:

---

(١)سورة الدخان الآية (٤٩) .

(٢) بدائع الفوائد (٤/٨١٥).

(٣)سورة القمر الآية (١٤) .

الأول: أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، قال الله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[١] وقال تعالى:﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾[٢]، ولا أحد يفهم من قول القائل: فلان يسير بعيني. أن المعني: أنه يسير داخل عينه. ولا من قول القائل: فلان تخرج على عيني. أن تخرجه كان وهو راكب على عينه. ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء.

الثاني: أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى، لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه، لا يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته، سبحانه و تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية، تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني: أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها.

وهذا معنى قول بعض السلف: «بمرأى مني»، فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه، كما هو معلوم من دلالة اللفظ، حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام »[٣].

أما بالنسبة للأمر الثاني : وهو جعلهم صفات الله من قبيل الجوارح التي تشابه جوارح المخلوقين وهذا مستحيل.

فهذا الأمر مبني على دليل الأعراض والحوادث الذي هو عمدة نفاة صفات الله

---

(١) سورة يوسف الآية (٢)

(٢) سورة الشعراء الآية (١٩٣-١٩٥)

(٣) القواعد المثلى (ص:٧٠).

تعالى في إنكارهم أو تأويلهم للصفات، مع دليل التركيب ودليل الاختصاص، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إذ عمدة النفاة هي هذه الثلاث وكلامهم كله يدور عليها حجة التركيب وحجة الأعراض بأن ما لا يخلو عن الحادث فهو حادث وحجة الاختصاص»(١).

وأوّل من أحدث القول بهذا الدليل وألزم النّاس به هم الجهمية والمعتزلة، ثم أخذه عنهم بقية أهل الكلام كالكلابيّة والأشعريّة والماتريدية وغيرهم، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولم يكن في الصحابة والتابعين أحد يستدل على حدوث العالم بحدوث الأجسام ويثبت حدوث الأجسام بدليل الأعراض، والحركة والسكون والأجسام مستلزمة لذلك لا تنفك عنه وما لا يسبق الحوادث فهو حادث ويبني ذلك على حوادث لا أول لها، بل أول ما ظهر هذا الكلام في الإسلام بعد المائة الأولى من جهة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان ثم صار إلى أصحاب عمرو بن عبيد كأبي الهذيل العلاف وأمثاله»(٢).

ومما يرد به عليهم كذلك :

أنه لا يجوز تفسير العين بالعلم ولا بالرؤية مع نفي الصفة وذلك لأمور منها :

١- مخالفته لظاهر النصوص.

٢-إن تأويلها وردها هو من جملة التحريف الذي هو كفر بالصفات كما قال جل وعلا ﴿**وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي**﴾(٣) لما أنكروا اسم الرحمن لله جل وعلا وقالوا لا نعرف إلا رحمان اليمامة فكل من أنكر صفة من صفات الله جل وعلا فهو كافر بها .

---

(١) درء التعارض (٢٧٢/٤).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/٨).

(٣) سورة الرعد الآية (٣٠) .

٣- فيه مخالفته لإجماع السلف على إثبات العين.

٤- أما تفسير بعض السلف لقوله تعالى ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[(١)]، أي بمرأى منا فجوابه :

أ – أنهم لم يريدوا بذلك نفي حقيقة معنى صفة العين.

ب- أنه تفسير باللازم مع إثبات الصفة .

٦ــ أن الأصل الحقيقة ودعوى المجاز خروج عن الأصل ويلزمه إقامة الدليل لخروجه عن هذا .

٧ - أن نصوص العين جاءت على جهة لا يمكن حملها إلا على الحقيقة ويبطل حملها على المجاز ، ومن ذلك :

أ - إشارة النبي ﷺ [(٢)] ، فإشارة النبي ﷺ بيده تدل على أن المراد العين التي هي الصفة ، إذ لو كان المراد بالعين غير الصفة لما أشار النبي ﷺ إلى عينه .

ب - نفي العور فالعور لغة لا يستخدم بمعنى العلم أو الرؤية وإنما بمعنى ذهاب العين أصلا أو ذهاب نورها .

قال ابن القيم رحمه الله: « فما ذنب أهل السنة والحديث إذا نطقوا بما نطقت به النصوص، وأمسكوا عما أمسكت عنه، ووصفوا الله بما وصف به نفسه، ووصفه رسوله، وردوا تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، الذين عقدوا ألوية الفتنة، وأطلقوا أعنة المحنة، وقالوا على الله وفي الله بغير علم، فردّوا باطلهم، وبينوا زيفهم، وكشفوا إفكهم، ونافحوا عن الله ورسوله » [(٣)].

ومن خلال ما تقدم يتبين بطلان تأول صفة العين لله تعالى فالواجب إثباتها على ما يليق بجلال الله وعظمته .

---

(١) سورة القمر الآية (١٤) .

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠٥

(٣) الصواعق المرسلة (٢٦٢/١).

المطلب الثالث : الانحرافات لدى من فوضها والرد عليهم . :

أغلب من يسلك مسلك التفويض الباطل هم من الأشاعرة والماتريدية وكلهم إنما يدرجون مسلك التفويض تحت نصوص الصفات السمعية الخبرية التي توهم التشبيه على زعمهم ومن هذه الصفات صفة العين لله تعالى

يقول اللقاني:

وكلّ نص أوهم التشبيها أوِّله أو فوّض ورُم تتريها[1]

وقال الشهرستاني: «إن جماعة كثيرة من السلف يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولا يؤولون ذلك، إلاّ أنهم يقولون إنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه، مثل قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[2]، ومثل قوله تعالى :﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[3].ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له، وذلك قد أثبتناه »[4].

ويقول الجويني غفر الله له : « اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما لا وشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك

---

(١) حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد ص:١٦.

(٢) سورة طه الآية (٥)

(٣) سورة ص الآية

(٤) الملل والنحل/ ١/ ٩٢ – ٩٣ بتلخيص.

هو الوجه المتبع » [١] وقول الجويني يدل على أن التفويض للمعنى عام لجميع الصفات ونسب ذلك للسلف والسلف إنما يفوضون الكيفية دون المعنى .[٢]

ويقول الرازي : « هذه المتشابهات يجب القطع بأنَّ مراد الله منها شيء غير ظواهرها، كما يجب تفويض معناها إلى الله تعالى ولا يجوز الخوض في تفسيرها» [٣].

وقال ابن المنير : « وجه الاستدلال على إثبات العين لله من حديث الدجال من قوله : « ان الله ليس بأعور» من جهة أن العور عرفا عدم العين وضد العور ثبوت العين فلما نزعت هذه النقيصة لزم ثبوت الكمال بضدها وهو وجود العين وهو على سبيل التمثيل والتقريب للفهم لا على معنى إثبات الجارحة قال : ولأهل الكلام في هذه الصفات كالعين والوجه واليد ثلاثة أقوال : أحدها انها صفات ذات أثبتها السمع ولا يهتدي إليها العقل. والثاني :إن العين كناية عن صفة البصر واليد كناية عن صفة القدرة والوجه كناية عن صفة الوجود. والثالث :إمرارها على ما جاءت مفوضا معناها إلى الله تعالى» [٤].

وقال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ : «والصواب الإمساك عن أمثال هذه المباحث والتفويض إلى الله في جميعها والاكتفاء بالإيمان بكل ما أوجب الله في كتابه أو على لسان نبيه إثباته له أو تنزيهه عنه على طريق الإجمال وبالله التوفيق ولو لم يكن في

---

(١) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية / الجويني/ ص ٣٢ / تحقيق : محمد زاهر الكوثري / الناشر المكتبة الأزهرية للتراث / ١٤١٢هـ .

(٢) انظر :كتاب علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين . د. رضا نعسان معطي / دار الهجرة الرياض / ط ٦ / ١٤٢٦هـ وكتاب تبرئة السلف من تفويض الخلف / محمد إبراهيم اللحيدان / دار الكتاب والسنة ودار الحميضي / ط١ / ١٤١٣هـ .

(٣) أساس التقديس، ص ٢٢٣.

(٤) نقله ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٣٩٠ .

ترجيح التفويض على التأويل إلا أن صاحب التأويل ليس جازما بتأويله بخلاف صاحب التفويض » [١].

وممن نص على تفويض صفة العين من المتقدمين :

ابن الزاغوني[٢] : « وأما العين التي وصف الباري تعالى نفسه فهي مناسبة لذاته في كونها غير جسم ولا جوهر ولا عرض ، ولا يعرف لها ماهية ولا كيفية كسائر ما قدمناه من الصفات » [٣]

ومن المعاصرين الدكتور : علي عايد مقدادي كما في كتاب "الترويض في تبيان حقيقة التفويض " حيث يقول : «لما كان مذهب العديد من علماء السلف هو التسليم لنصوص الكتاب والسنة ، وإمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحديد ولا تشبيه ولا تصوير . فقد كان موقفهم من لفظ العين تماماً كموقفهم من غيرها من الألفاظ التي تشعر بالتشبيه والتجسيم كالوجه واليد ... » ثم ذكر قول البيهقي كما في الاعتقاد، والأسماء والصفات ثم ذكر أن ابن حجر نقل في الفتح عن ابن المنير قوله : «ولأهل الكلام في الصفات _ كالعين ، والوجه ، واليد _ ثلاثة أقوال : والثالث : إمرارها على ما جاءت مفوضاً معناها إلى الله تعالى » ثم قال : وقد سبق القول بأن الله تعالى في صفاته متعال عن الأشباه ، ولذا فأن الواجب يحتم علينا الإيمان بكل أمر ثبت التتريل فيه على مراد الله تعالى ، ومن جملة ذلك لفظ «العين »، هذا إذا لم نصل إلى المعنى المراد من ذلك اللفظ ، وذلك بعد استفراغ الوسع والطاقة في سبيل الوصول إلى المعنى المراد .

---

(١) فتح الباري (١٣ / ٣٨٣)

(٢) علي بن عبيدالله بن نصر بن السري، أبو الحسن ابن الزاغوني ، الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، شَيْخُ الحَنَابِلَةِ، ذُو الفُنُوْنِ، من أهل بغداد ، مات سنة ٥٢٧هـ . انظر : السير ١٩/ ٦٠٥ ، الأعلام ٤/٣١٠

(٣) الإيضاح في أصول الدين / ابن الزاغوني / ص ٢٩١

ثم ختم بقول الكوثري : « ومن ذكر من السلف أن العين واليد صفتان لم يرد بهذا اللفظ القول بالجارحة ، بل يكون قائلاً بأن المراد بالعين معنى قائم بالله وكذا اليد ، لكن لا أعين ذلك المعنى المراد » .

ثم علق على ذلك بقوله : « فهذه طائفة من أقوال العلماء الذين نصوا على أن العديد من علماء السلف وبعض الخلف في لفظ العين الواردة في الكتاب العزيز ، إنما هو التفويض إلى الله تعالى ، مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن الشبيه والجوارح والأعضاء». [١]

ومن خلال هذا النقل يتبين أن التفويض الباطل داخل في صفة العين لله تعالى .

الرد عليهم وبيان لوازمهم الفاسدة من عدة وجوه[٢]:

أولاً : أن نتيجة مذهب التفويض الباطل هو الجهل المطبق بمعاني النصوص، ولذا سماهم أهل السنة (أهل التجهيل)، فقال ابن القيم في أقسام الناس في نصوص الوحي: «والصنف الثالث: أصحاب التجهيل: الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها. ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله. وهي عندنا بمنزلة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[٣]﴿حمٓ ۞ عٓسٓقٓ﴾[٤] ﴿الٓمٓصٓ﴾[٥]. فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهاً، ولم نعرف

---

(١) الترويض في حقيقة التفويض / د . علي مقدادي / ص ١٤٥ ــ ١٤٦ / دار الحامد / الأردن ــ عمان ط الأولى ٢٠٠٥م

(٢) انظر : الحموية ، التدمرية ، درء التعارض ١ /٢٠٤ / لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ، الصواعق المرسلة / ابن القيم / ٢ / ٤٢٣ ــ ٤٢٤ ، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات / د . أحمد القاضي ص ١٥٦

(٣) سورة مريم الآية (١)

(٤) سورة الشورى الآية (١ — ٢)

(٥) سورة الأعراف الآية (١)

معناه. وننكر على من تأوله، ونكل علمه إلى الله »[١]، وسماهم مرة: (اللاأدرية) « الذين يقولون: لا ندري معاني هذه الألفاظ، ولا ما أريد منها، ولا ما دلت عليه، وهؤلاء ينسبون طريقتهم إلى السلف»[٢]

ثانياً : أن القول بالتفويض الباطل قدح في حكمة الرب تبارك وتعالى ، وفي القرآن الكريم ، وفي الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك بأن يكون الله تعالى أنزل كلاماً لا يفهم ، وأمر بتدبر ما لا يتدبر ، وأن يكون القرآن الذي هو النور المبين والذكر الحكيم سبباً لأنواع الاختلافات والضلالات ، وأن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ البلاغ المبين ، وبهذا تكون قد فسدت الرسالة وبطلت الحجة ، وهو الذي لم يتجرأ عليه صناديد الكفر .

ثالثاً : أن القول بالتفويض الباطل وقوع في التعطيل المحض ، لأن إثبات أسماء الله وصفاته يلزم منه الإيمان بما تدل عليه من معان ، وأهل التفويض على النقيض من ذلك ، آمنوا بألفاظ مجردة عن المعاني ، فاسمه الرحمن – مثلاً – دال على صفة الرحمة كما يقوله أهل السنة ، والمفوضة بم يؤمنوا بهذا لعدم علمهم بمعنى كل اسم من أسمائه على التعيين .

رابعاً : أن أصحاب التفويض الباطل وافقوا أهل التأويل في أن الله أنزل كلاماً يراد به خلاف الظاهر منه ، فنصوص الصفات التوحيد والقدر ، ألفاظ لا نعقل معانيها ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها .

خامساً : مصادمة دلائل النصوص الشرعية في باب الإثبات ، فإذا كان أحد لا يعلم معنى النصوص وما تدل عليه ، أصبح الحق متعلقاً بالأدلة العقلية ، والمقدمات المنطقية التي يقيمونها فيظهر من ذلك أن قول أهل التفويض الباطل من شر أقوال أهل

---

(١) الصواعق المرسلة / ٢ / ٤٢٢

(٢) الصواعق المرسلة / ٣ / ٩٢٠

البدع والإلحاد .

سادساً : وفيه تجهيل للأئمة والسابقين من العلماء ، فأهل التفويض على حد زعمهم في نصوص الصفات " أنها ألفاظ لا تعقل معانيها ، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها ، ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها ، قد جنوا على السلف الصالح الذين تواترت أقوالهم في إثبات دلالات هذه النصوص على صفات الله على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى .

قال العلامة ابن عثيمين ـــ رحمه الله ـــ :

والشبهة التي احتج بها أهل التجهيل هي وقف أكثر السلف على (إلا الله) من قوله تعالى : ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ**﴾ (١)

وقد بنوا شبهتهم عل مقدمتين :

الأولى : أن آيات الصفات من المتشابه .

الثانية : أن التأويل المذكور في الآية : هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر فتكون النتيجة أن لآيات الصفات معنى يخالف ظاهرها لا يعلمه إلا الله .

والرد عليهم من وجوه :

الأول : أن نسألهم ماذا يريدون بالتشابه الذي أطلقوه على آيات الصفات أيريدون اشتباه المعنى وخفاءه أم يريدون اشتباه الحقيقة وخفاءها ؟

فإن أرادوا المعنى الأول — وهو مرادهم — فليست آيات الصفات منه ؛ لأنها ظاهرة

---

(١) سورة آل عمران الآية (٧)

المعنى ، وإن أرادوا المعنى الثاني فآيات الصفات منه ؛ لأنه لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلاّ الله تعالى . وبهذا عرف أنه لا يصحّ إطلاق التشابه على آيات الصفات بل لا بدّ من التفصيل السابق.

الثاني : إن قولهم : «إن التأويل المذكور في الآية هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يُخالف الظاهر غير صحيح ، فإن هذا المعنى للتأويل اصطلاح حادث لم يعرفه العرب والصحابة الذين نزل القرآن بلغتهم وإنما المعروف عندهم أن التأويل يراد به معنيان :

١ــ إمّا التفسير ويكون التأويل على هذا معلوماً لأولي العلم وعليه يحمل وقف كثير من السلف على قوله تعالى : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ من الآية السابقة.

٢ــ وإمّا حقيقة الشيء ومآله وعلى هذا يكون تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر غير معلوم لنا ؛ لأن ذلك هو الحقيقة والكيفية التي هو عليها وهو مجهول لنا كما قاله مالك وغيره في الاستواء وغيره وعليه يحمل وقف جمهور السلف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ من الآية السابقة » (١).

والسلف أجروا نصوص الصفات على ظواهرها ، من غير تشبيه ، ولا تكييف . وعلموا أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى ، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته وصفاته (٢)

ومن خلال ما تقدم من الردود يتبين لنا بطلان قول المفوضة التي تفوض معاني الصفات الخبرية ، أما تفويض الكيفية فهذا هو القول الصحيح وهو قول السلف الصالح لا ما يزعمه أهل التفويض من أن السلف يفوضون الجميع .

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية/ الشيخ ابن عثيمين/ص١٠٣. بإختصار .

(٢) شرح أصول الإيمان /الشيخ ابن عثيمين/ ص ٨٤ .

المطلب الرابع : الانحرافات لدى من شبهها بصفة المخلوقين والرد عليهم :

للمشبهة أقوال شنيعة في صفة العين لله تعالى حيث شبهوها بعين المخلوق تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا فمن أقوالهم :

أولاً : أقوال مشبهة الرافضة :

١ــ قول الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقي «يزعمون أن ربهم على صورة الإنسان وينكرون أن يكون لحما ودما ويقولون هو نور ساطع يتلألأ بياضا وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان له يد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وأنه يسمع بغير ما يبصر به وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم» [١]

٢ ــ وحكي عن داود الجواربي أنه قال : « معبوده : جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء من : يد ورجل ورأس ولسان وعينين وأذنين ومع ذلك : جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء وكذلك سائر الصفات وهو : لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء ».[٢]

٣ ــ قول البيانية: أتباع بيان بن سمعان التميمي .وزعم: « أن معبوده على صورة إنسان : عضواً فعضواً وجزءاً فجزءاً ».[٣]

٤ ــ قول المغيرية أصحاب : المغيرة بن سعيد العجلي زعم : «أن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على مثال حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج

---

(١) مقالات الإسلاميين / ١ / ١٠٩ ، الملل والنحل / الشهرستاني / ١ / ٧٦

(٢) الملل والنحل / الشهرستاني ١ / ٧٦

(٣) الملل والنحل / الشهرستاني ١ / ١١٠ ــ١١١

من نور وله قلب تنبع منه الحكمة» .[١]

٥ــ وللرافضة في الأئمة غلو يفوق الوصف، ويتجاوز كل حد، في صور متعددة وأمثلة متنوعة، تمجها النفوس، وتأباها العقول والفطرة السليمة، وتعارضها النصوص الشرعية.

فمن ذلك وصفهم لهم بصفات الربوبية وإخراجهم عن طبائعهم البشرية إلى منزلة رب البرية، جاء في بصائر الدرجات فيما نسبوه إلى علي – رضي الله عنه – أنه قال: «أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله» [٢].

وفي روايه أخرى أنه قال: « أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق،وعين الله الناظر، وأنا جنب الله، وأنا يد الله». [٣]

وقال علي وهو فوق السحابة: «أنا عين الله في أرضه، أنا لسان الله الناطق في خلقه، أنا نور الله الذي لا يطفأ، أنا باب الله الذي يؤتى منه، وحجته على عباده» [٤]

ثانياَ : أقوال مشبهة الصوفية [٥]

١ــ يقول ابن عربي الصوفي : « ومن عرف ما قررناه علم أن الحق المنزه هو الخلق

---

(١) الملل والنحل / الشهرستاني ١ / ١٢٩

(٢) بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد صلى الله عليه وسلم / لأبي جعفر الصفار / ص ٨١ / منشورات الأعلمي، طهران، تاريخ الطبعة ١٣٦٢هــ.

(٣) أصول الكافي / الكليني / ١/١٤٥، بحار الأنوار / المجلسي / ٢٤/١٩٤ ، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد صلى الله عليه وسلم / لأبي جعفر الصفار / ص ٨١ / منشورات الأعلمي، طهران، تاريخ الطبعة ١٣٦٢هــ. ،ابن بابويه/ التّوحيد ص١٦٤،

(٤) بحار الأنوار / المجلسي / ٢٧/٣٤

(٥) وللمزيد من أقوالهم انظر :الرسالة العلمية . عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية / د . أحمد القصير / ص ٤٢٦ ــ ٤٣١ / مكتبة الرشد / الرياض الطبعة الأولى

المشبه ، كل ذلك من عين واحدة ، لا بل هو عين الواحدة » . [(١)]

٢ ـــ وقال الحلاج :

«أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا» [(٢)]

فهذه نماذج من أقوالهم فيها تقرير تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق ومن هذه الصفات صفة العين ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

وقد تصدى لأهل التشبيه العلماء قديماً وحديثاً وأنكروا عليهم هذه الأقوال الشنيعة، بل كفروا كثيرا منهم واعتبروهم غلاة خارجين عن الإسلام فمن أقوال العلماء في الرد عليهم :

١ـــ قول نعيم بن حماد شيخ البخاري : «من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها» .

٢ـــ قول عثمان الدارمي رحمه الله في رده على بِشر المريسي المعتزلي: « فيقال لهذا المعارض: أما دعواك عليهم أنهم ثبتوا له سمعا وبصرا، فقد صدقت. وأما دعواك عليهم أنه كعينٍ وكسمعٍ فإنه كذب ادعيت عليهم؛ لأنه ليس كمثله شيء، ولا كصفاته صفة.

وأما دعواك أنهم يقولون: «جارح مركب» فهذا كفر لا يقوله أحد من المسلمين، ولكنا نثبت له السمع والبصر والعين بلا تكييف، كما أثبته لنفسه فيما أنزل من كتابه، وأثبته له الرسول -ﷺ-، وهذا الذي تكرره مرة بعد مرة: جارح وعضو وما أشبهه، حشو وخرافات، وتشنيع لا يقوله أحد من العالمين: وقد روينا روايات السمع والبصر والعين في صدر هذا الكتاب بأسانيدها وألفاظها عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-،

---

(١) فصوص الحكم / لابن العربي بشرح القاشاني / ص ٨١

(٢) الطواسين / للحلاج / ص ١٣٤

فنقول كما قال، ونعني بها كما عنى والتكييف عنا مرفوع، وذكر الجوارح والأعضاء تكلف منك وتشنيع». [١]

وقال أيضاً «إنما نصفه بالأسماء لا بالتكييف ولا بالتشبيه، كما يقال: إنه ملك كريم، عليم، حكيم، حليم، رحيم، لطيف، مؤمن، عزيز، جبار، متكبر. وقد يجوز أن يدعى البشر ببعض هذه الأسماء، وإن كانت مخالفة لصفاقم. فالأسماء فيها متفقة، والتشبيه والكيفية مفترقة، كما يقال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، يعني في الشبه والطعم والذوق والمنظر واللون. فإذا كان كذلك فالله أبعد من الشبه وأبعد. فإن كنا مشبهة عندك أن وحدنا الله إلهًا واحدًا بصفات أخذناها عنه وعن كتابه، فوصفناه بما وصف به نفسه في كتابه، فالله في دعواكم أول المشبهين بنفسه، ثم رسوله الذي أنبأنا ذلك عنه. فلا تظلموا أنفسكم ولا تكابروا العلم؛ إذ جهلتموه فإن التسمية في التشبيه بعيدة». [٢]

٣ ــ قال ابن البنا الحنبلي رحمه الله : «وأما المشبهة والمجسمة فهم الذين يجعلون صفات الله -عز وجل- مثل صفات المخلوقين، وهم كفار. » [٣]

٤ ــ قال أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني الشافعي رحمه الله بعد ذكر مجموعة من الآيات والأحاديث في صفات الله عز وجل : «فهذا وأمثاله مما صح نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن مذهبنا فيه ومذهب السلف إثباته وإجراؤه على ظاهره، ونفي الكيفية والتشبيه عنه .... والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، وإثبات الله تعالى إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فإذا قلنا يد، وسمع، وبصر، ونحوها، فإنما هي صفات

---

(١) نقض الدارمي (ج٢ ص٦٨٨-٦٨٩)

(٢) نقض الدارمي ١ /٣٠٢-٣٠٣

(٣) المختار في أصول السنة/ لابن البنا / ص ٨١ / تحقيق د . عبدالرزاق العباد البدر / مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة / ط الأولى ١٤١٣هـ .

أثبتها الله لنفسه و لم يقل: معنى اليد: القوة، ولا معنى السمع والبصر: العلم والإدراك. ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار، ونقول إنما وجب إثباتها لأن الشرع ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١)، كذلك قال علماء السلف في أخبار الصفات: أمروها كما جـــاءت. »(٢)

٥ ـــ ساق الإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة جمعاً من أقوال أهل العلم في التشنيع على المشبهة تحت قوله : «سياق ما روي في تكفير المشبهة »(٣)

٦ ـــ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وإن وجود ذات الله خالق السموات والأرض هي نفس وجود المخلوقات فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره ولا أنه رب العالمين ولا أنه غني وما سواه فقير»(٤)

وقال أيضاً : « من اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات التي قتل الحلاج عليها فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين، فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد، ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد، كقوله : أنا الله، وقوله : إله في السماء وإله في الأرض .

وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا إله إلا الله، وأن الله خالق كل شيء، وكل ما سواه مخلوق و ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾(٥) ، وقال تعالى :

---

(١) سورة الشورى الآية (١١)

(٢) الحجة في بيان المحجّة لإسماعيل الأصبهاني (ج١ ص٢٨٨-٢٨٩)

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي / ٣/ ٥٨٣

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية / علق عليه : السيد محمد رشيد رضا / ١ / ١٧٢ / الناشر : لجنة التراث العربي

(٥) سورة مريم الآية (٩٣)

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[(١)]، وقال تعالى : ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾[(٢)]. فالنصارى الذين كفرهم الله ورسوله، واتفق المسلمون على كفرهم بالله ورسوله، كان من أعظم دعواهم الحلول والاتحاد بالمسيح ابن مريم، فمن قال بالحلول والاتحاد في غير المسيح كما تقوله الغالية في علي، وكما تقوله الحلاجية في الحلاج، والحاكمية في الحاكم، وأمثال هؤلاء فقولهم شر من قول النصارى؛ لأن المسيح ابن مريم أفضل من هؤلاء كلهم . وهؤلاء من جنس أتباع الدجال، الذي يدعي الإلهية ليتبع، مع أن الدجال يقول للسماء : أمطري فتمطر، وللأرض : أنبتي فتنبت، وللخربة : أخرجي كنوزك، فتخرج معه كنوز الذهب والفضة، ويقتل رجلا مؤمنا ثم يأمر به فيقوم، ومع هذا فهو الأعور الكذاب الدجال، فمن ادعى الإلهية بدون هذه الخوارق، كان دون هذا الدجال . والحلاج كانت له مخاريق وأنواع من السحر، وله كتب منسوبة إليه في السحر . وبالجملة، فلا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر، واتحاده به، وأن البشر يكون إلها، وهذا من الآلهة، فهو كافر مباح الدم، وعلى هذا قتل الحلاج »[(٣)].

٧ ــ قال ابن الوزير الصنعاني رحمه الله : «وكذلك كل صفة يوصف بها الرب سبحانه ويوصف بها العبد، وان الرب يوصف بها على أتم الوصف مجردة عن جميع النقائص، والعبد يوصف بها محفوفة بالنقص، وبهذا فسر أهل السنة نفي التشبيه، ولم يفسروه بنفي الصفات وتعطيلها كما صنعت الباطنية الملاحدة »[(٤)] .

من خلال ما تقدم يتبين لنا بطلان مقالة التشبيه ، وأن أهل السنة والجماعة في إثباتهم لصفات الله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته وجماله وكبريائه ، ليسوا مشبهة .

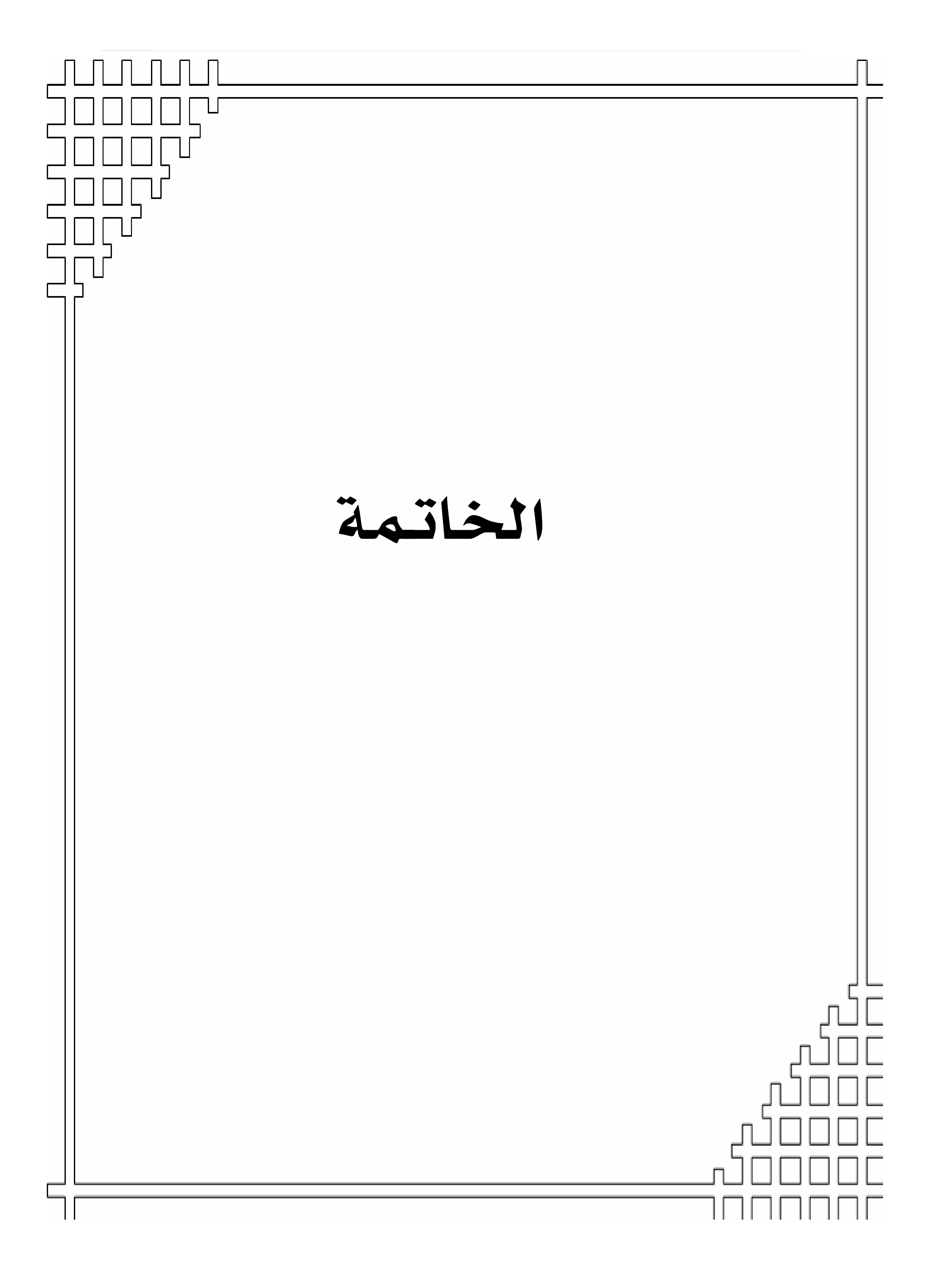
---

(١) سورة النساء الآية (١٧١)

(٢) سورة المائدة الآية (٧٢)

(٣) حقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود / ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٢ / ٤٨٠ ــ ٤٨١

(٤) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (ص١٢٨)



الخاتمة

الخاتمة:

الحمد لله أولاً وآخرًا، والشكر له ظاهراً وباطناً، وأصلي وأسلم على الهادي البشير والسراج المنير نبينا محمد بن عبد الله وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : فبعد إتمام هذا البحث ـ وهو بتوفيق من الله عز وجل ـ نصل إلى ختامه، وفي ختامه نجمل أهم نتائجه وأبرزها في النقاط التالية :

١-السمع في اللغة وهو إيناسُ الشيء بالأُذُن، ويُعَبَّر به تارةً عن الفَهم ، وتارةً عن الطاعة،وقد يطلق ويراد به القبول والعمل بما يُسمع .

٢-أن السمع له عدة مرادفات في اللغة العربية مثل:(أصغى، أنْصت، آنس، وعى،وغيرها) ، وهذا يدل على سعة هذه اللغة لغة القرآن الكريم .

٣- ورد السمع في القرآن والسنة،ويراد به أربعة معان:

أ – سمع إدراك ومتعلقه الأصوات.

ب – سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني.

ج –سمع إجابة وإعطاء ما سئل.

د – سمع قبول وانقياد.

٤-يطلق البصر في اللغة على أصلين من المعاني : العِلْمُ بالشيء؛ يقال هو بَصِيرٌ به، والغِلظ وهو البُصْر ؛فبُصْر الشَّيْءِ غِلَظُه،ومنه البَصْرُ، هو أن يضمَّ أدِيمٌ إلى أديم.

٥- للبصر عدة مرادفات في اللغة العربية مثل : الرؤية ، النظر ، المعاينة ، المشاهدة وغيرها.

٦- ورد البصر في القرآن والسنة ويراد به معان :الأوّل: البصر بالقلب،والبصر بالعين، والبصر بالحجّة، والبصر بالاعتبار .

٧- منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، مبني على أسس ثلاثة وهي:

أ- الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة .

ب – تتريه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

ج – قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات .

٨- المنهج الذي عليه أهل السنة والجماعة، قديمًا، وحديثًا، في تلقي الدين وتقريره والعمل به، هو الأخذ بالدليل من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة، وإجماع السلف الصالح ، لأن الإجماع لا يكون إلا على ما له دليل من الكتاب والسنة .

٩- السميع الذي قد استوى في سمعه سر القول وجهره، وسع سمعه الأصوات، فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشتبه عليه، ولا يشغله منها سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه كثرة السائلين

١٠- اسم الله السميع من الأسماء الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، بأدلة متنوعة وكثيرة، فقد سمى الله نفسه به على سبيل الإطلاق مرادا به العلمية، ودالاً على الوصفية، في كثير من النصوص القرآنية، وسماه به رسوله صلى الله عليه وسلم في كثير من النصوص النبوية، وقد ذكره كل من جمع أسماء الله الحسنى، قديماً وحديثاً، ولم يختلف أحد فيه ، وهو ثابت بالأدلة العقلية، كما هو ثابت بالأدلة الشرعية.

١١- استشعار اسم السميع لله تعالى؛يثمر في القلب الخوف من الله – عز وجل – والمحافظة على اللسان من أن ينطق بما يسخط الله تعالى، ومن تعبد لله تعالى بهذا الاسم الكريم جنب لسانه الفحش من القول كسب، وسخرية، وغيبة، ونميمة، وبهتان، ولهو باطل أو نشر لباطل يضل به الناس.

١٢-دعاء الله باسمه السميع يشمل نوعي الدعاء : دعاء العبادة، ودعاء المسألة ، والدعاء به وارد في الكتاب والسنة .

١٣-التعبيد باسم السميع أمر مشروع، وهو من آداب دعاء العبادة، وتوحيد العبودية لله ، فيسمى : عبدالسميع .

١٤- التوسل جائز باسم الله السميع ،وقد جاء في الكتاب والسنة .

١٥- جاء في الأسماء الحسنى ما يقارب اسم السميع؛ من جهة تعلقه بالمعنى العام، أو الخاص؛ وذلك على درجات فمن هذه الأسماء : العليم ،والبصير ، والخبير ، والرقيب، والشهيد ،القريب ، وغيرها .

١٦- السمع المضاف إلى الله تعالى نوعان :

أحدهما عام : وهو سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجليّة، وإحاطته التامة بها .

والثاني خاص : وهو سمع الإجابة منه للسائلين والداعين و العابدين، فيجيبهم ويثيبهم .

١٧-صفةُ السمع؛ صفة ذاتية باعتبار أصلها، وصفة فعلية باعتبار آحادها وهي ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بالكتاب ، والسنة ، والإجماع، كما دلّ عليها العقل الصحيح ..

١٨- صفة السمع لله تعالى يتوسل بها إلى الله، كما أنه يجوز الاستعاذة والقسم بها؛ بدلالة الكتاب والسنة .

١٩- التعبد لله بصفة السمع؛ له أثر عظيم ، وثمرة يانعة ،على القلب، واللسان، والجوارح ، وذلك بحفظهما، ومراقبة الله جل وعلا في جميع الأحوال .

٢٠- أنكر اسم الله السميع لله جل وعلا ، الجهمية، و الفلاسفة، سواء كانوا أصحاب فلسفة محضة، كالفارابي، أو فلسفة باطنية إسماعيلية قرمطية، كابن سينا، أوفلسفة صوفية اتحادية، كابن عربي، وابن سبعين وغيرهم .

٢١- أثبت اسم السميع لله تعالى مجرداً عن الصفة : المعتزلة، ووافقهم عليه ابن حزم الظاهري. والزيدية، ومتأخرو الرافضة الإمامية، والإباضية .

٢٢- أنكر صفة السمع الجهمية ، والفلاسفة ، ومن سلك طريقهم .

٢٣- تأول صفة السمع المعتزلة ومن تأثر بهم من بعض الفرق .

٢٤- فوض صفة السمع التفويض الباطل بعض الأشاعرة، والماتريدية .

٢٥-شبه سمع الله _ تبارك وتعال _ بسمع المخلوق متقدمو الشيعة والرافضة ،وبعض الصوفية وأهل وحدة الوجود .

٢٦- أشهر الشبه التي تمسك بها؛ أصحاب العقائد المنحرفة في صفة السمع لله عز وجل :

أ – أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه.

ب – شبهة دليل الأعرض وحدوث الأجسام

ج – شبهة تعدد القدماء .

٢٧- اسم البصير المضاف إلى الله يأتي بمعنيين :

الأول: أن له سبحانه بصرًا يليق بعظمته وجلالة يحيط بأقطار السماوات والأرض ويرى به سبحانه جميع مخلوقاته دقيقها وجليلها باطنها وظاهرها، ولا يخفى عليه منهم شيء.

الثاني: أنه ذو البصيرة بالأشياء الخبير بها المطلع على بواطنها .

٢٨-اسم الله البصير من الأسماء الحسنى الواردة في الكتاب والسنة بأدلة متنوعة وكثيرة : فقد سمى الله نفسه به على سبيل الإطلاق مرادا به العلمية ودالاً على الوصفية في كثير من النصوص القرآنية ، وسماه به رسوله صلى الله عليه وسلم في كثير من

النصوص النبوية ،وقد ذكره كل من جمع أسماء الله الحسنى قديماً وحديثاً و لم يختلف أحد فيه ،كما دلت عليه الأدلة العقلية .

٢٩- استحضار العبد بِكون الله سبحانه وتعالى بصيراً به ، مطَّلعًا عليه، يفيده فوائد عظيمة ، على القلب واللسان والجوارح ، ويوصله إلى مقام الإحسان الذي هو أعلى مقامات الدين وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

٣٠- اسم البصير من أسماء الله الحسنى ،يدعى ويتوسل إلى الله به ، كما أنه يعُبّد به فتقول : عبد البصير .

٣١-جاء في الأسماء الحسنى ما يقارب اسم البصير من جهة تعلقه بالعلم أو من جهة تعلقه بالرؤية والمعاينة . فمن الأول : العليم، السميع . ومن الثاني : القريب ، الشهيد .

٣٢- لله بصر يليق بجلاله وعظمته يدرك به جميع المبصرات، لا يحجبه شيء عن شيء، مهما كبر أو صغر ، وبصره تعالى نوعان : بصر رؤية ، وبصر علم .

٣٣-صفة البصر من الصفات الثابتة بالأدلة من الكتاب ، والسنة النبوية، والإجماع، كما دل عليها العقل .

٣٤- صفة البصر صفة ذاتية باعتبار أصلها، وصفة فعلية باعتبار آحادها.

٣٥-صفة البصر لله تعالى يتوسل بها إلى الله، كما أنه يجوز الاستعاذة، والقسم بها؛ بدلالة الكتاب والسنة .

٣٦-النَّظَرُ صفةٌ فعليةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بالكتاب والسنة،على ما يليق بجلاله وعظمته ، فهو تعالى ينظر إلى ما شاء ومن شاء كيف شاء .

٣٧- النظر المضاف إلى الله ينقسم إلى قسمين: نظر بمعنى العلم والاطلاع والرؤية ، فهذا عام ، ونظر بمعنى التكريم والإحسان والرحمة والرأفة ، وهذا خاص لأولياء الله ، وقد حُرِم منه الكفار وبعض أهل المعاصي من المسلمين وعلى هذا تكون صفة النظر صفة ذاتية

باعتبار أصلها لأنها من معنى البصر وصفة فعلية باعتبار آحادها لأن الله ينظر متى شاء لمن شاء .

٣٨-ورد النظر في الكتاب والسنة بعدة استعمالات ، والمعنى يتبين بحسب السياق، ولا يمنع من حمل اللفظ على المعنى الذي يرد به سياقه ، ولا يصح حمله على معنى واحد في كل سياق مع اختلاف السياقات في دلالاتها .

٣٩-رؤية الله سبحانه وتعالى لخلقه صفة ذاتية ثابتة؛ بالكتاب والسنةعلى ما يليق بجلاله وعظمته؛ فاللهُ تعالى يرى ما تحت الأرضِ السّابعةِ السّفلى وما في السّماواتِ العلى، لا يغيب عن بصرِه شيءٌ من ذلك ولا يخفى.

٤٠-جاءت الرؤية مضافة إلى الله بمعنيين: فالمعنى الأول : العلم.

والمعنى الثاني : رؤية المبصرات، يعني: إدراكها بالبصر. وكل ذلك ثابت لله عز وجل بالكتاب والسنة .

٤١- للرؤية ، لوازمها ؛كالحفظ والرعاية، والنصر والتأييد، والترغيب والترهيب، ولا يمنع من التفسير ببعض اللوازم مع اعتقاد حقيقة الصفة لله جل وعلا على ما يليق بجلاله .

٤٢- العين صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عَزَّ وجَلَّ بالكتاب ، والسنة، على ما يليق بجلاله وعظمته .

٤٣- معناها المضاف إلى الله : أن لله تعالى عين حقيقية تليق بجلاله ، وعظمته، وسلطانه ، يبصر وينظر ويرى بها كل شيء من غير تكييف ولا تمثيل " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

٤٤- العين تطلق في الأصل على العين الباصرة، ومن لوازمها الحفظ والرعاية والكلاءة ونحو ذلك ، ولا مانع من التفسير باللازم مع اعتقاد حقيقة الصفة على ما يليق بالله .

٤٥-وردت العين في القرآن الكريم مضافة إلى الله تعالى بصيغة الإفراد، والجمع في خمس مواضع . وكلٌّ هذه الآيات تدلٌّ صراحة على إثبات صفة العين لله تعالى، وأنها من الصفات الذاتية الخبرية .

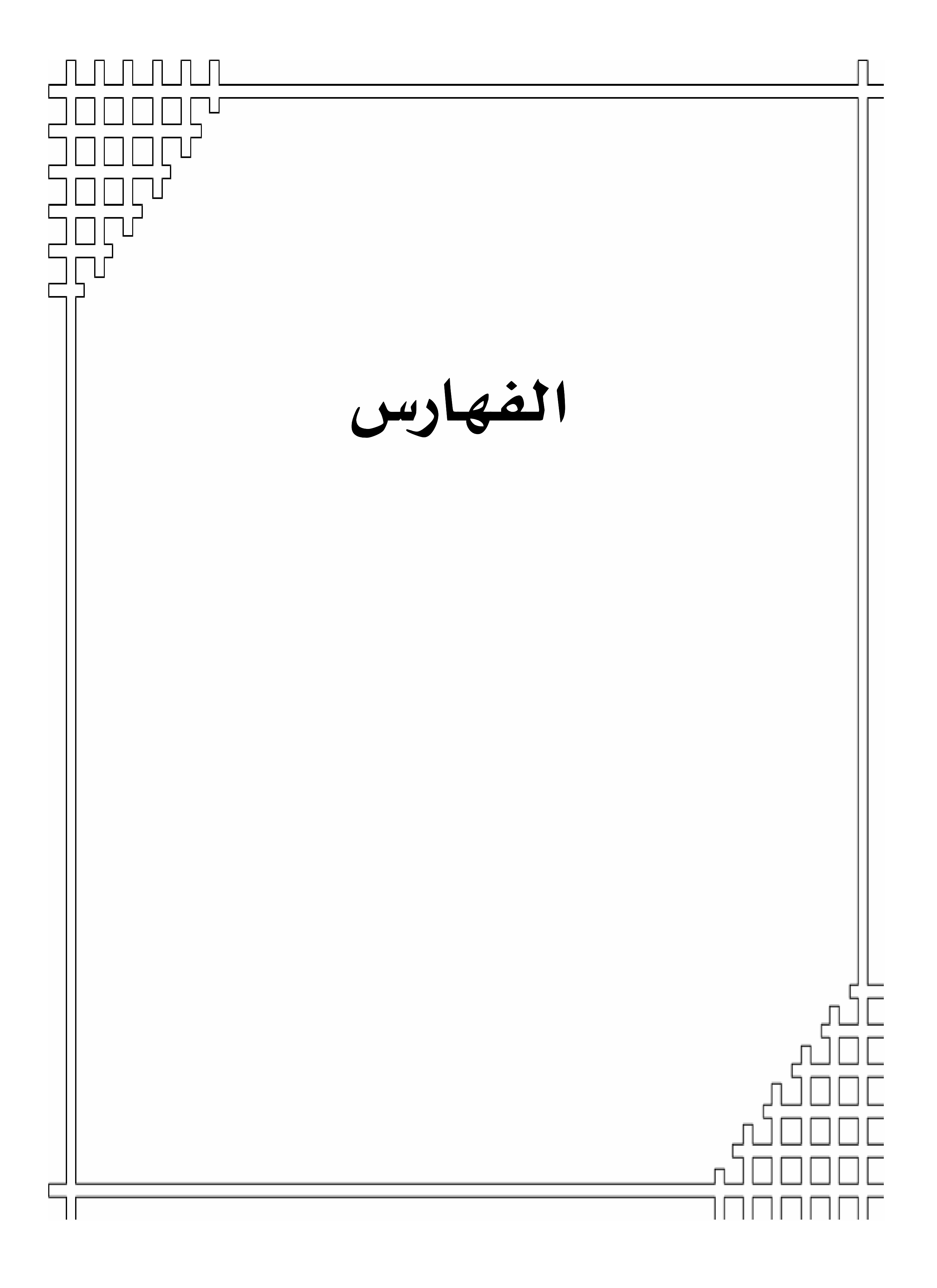
٤٦-أما تثنية العينين فقد جاء بها حديث ضعيف جداً ، لا يعتمد عليه في باب الاعتقاد.والنصوص نطقت بإثبات العين ، ولم تنطق بالعدد ، وما جاء من كلام أهل العلم في لفظ التثنية للعين لله تعالى هو مجرد اجتهاد ، والله أعلم بالحق في ذاته ما هو ، ولكن المعلوم يقينا بلا ريب أن عين الله تليق بجلاله ، وعظمته ، وسلطانه ، ليس كمثلها شيء تعالى الله وتقدس .

٤٧-للإيمان بصفات الله (البصر، والنظر ،والرؤية ، والعين) ؛آثار عظيمة؛ على القلب، واللسان، والجوارح، وذلك بحفظ هذه الجوارح عن كل ما يغضب الله ؛ من اعتقاد، أو قول، أو فعل .

٤٨- أنكر صفة البصر والرؤية والنظر والعين : الجهمية والفلاسفة ، وتأوّلها: المعتزلة ومن وافقهم من بعض الرافضة ومتأخري الأشاعرة ، وفوضها : بعض الأشاعرة والماتريدية ، وشبهها: متقدم الرافضة وبعض الصوفية .

وفي الختام فهذا جهد المقل أقدمه، فما كان فيه من صواب فمن الله وهو المحمود على توفيقه، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان واستغفر الله في سري وعلني .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .



الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيات	رقمها	الصفحة
﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾	١٤٣	٣٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ (١٦١) خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾	١٦٢	٢٨
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٦٨	٨٦
﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾	١٨١	١٦١
﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾	٢٣٣	٣٣٦
﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾	٢٤٤	٦٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٢٦٥	٢٥٦
سورة آل عمران		
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾	٧	٤٠، ٤٤٣ ٣١٥، ٨
﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾	١٣	٢٨
﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾	١٥	٢٥٣، ٤٢٢

الآيات	رقمها	الصفحة
﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	٢٦	٣١٩
﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾	٢٨	٣٢٢
﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾	٢٩	١٥٩
﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	٣٥	٧٩
﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	٣٥	٧٧،٦٩،٩٢،١٤٩،١ ٦٦،٢٢،٤٣
﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾	٣٨	١٢٣،٧٣،٦٩،٧٩،١ ٤٩
﴿سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾	٣٨	٤٧
﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾	٧٧	٣٩٥،٢٧ ،٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾	٧٧	٣٩٨
﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾	١٨١	٣٩٨
سورة النساء		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾	١	٨٤،٢٥٠
﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	١٣	١٤٨

الآيات	رقمها	الصفحة
﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾	١٩	٣٢٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾	٣٥	٧٥
﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾	٤١	١٧، ٢٠
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾	٥٠	٣٢٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾	٥٨	٢٣١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾	٥٨	١٦، ٢٣٧، ٢٦٠، ٣٠٢، ٣٠٩
﴿ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾	٥٨	١٠٤
﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٦٧	١٣٩
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾	٦٨	٢٩
﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾	٧١	٢٢٩
﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴾	٧٢	٤٥٠
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾	٧٣	٣٨٢
﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾	٧٥	٣٣١

الآيات	رقمها	الصفحة
﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	٧٦	٧١
﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	٧٦	٧٣
﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾	٩٩	٢٨٦
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ﴾	١٠٨	١٥٧
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾	١١٥	٣٤
﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾	١١٦	٤٢١
﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾	١٣٤	،٢١٠ ٣٩٩،٢٣٢،٢٤٦
﴿سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾	١٤٨	٤٧
﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾	١٤٨	١٦١
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	١٥٣	٣٤
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	١٦٥	٣
﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا ﴾	١٧١	٩١ ،٤٣

الآيات	رقمها	الصفحة
سورة الأعراف		
﴿الٓمٓصٓ﴾	١	٤٤١ ٤٠٦،٢١٦،
﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾	١٢٩	٣٣٧،٢٨ ١
﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾	١٤٨	١١٥
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	١٨٠	٧٦،٦٦،٧٨،١٢٠،١ ٨٩،٣٧٠
﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	١٨٥	٢٨٦،٢٨ ٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾	١٩٤-١٩٥	٢٦٢
﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ	١٩٥	٣٢٥،٢٦ ٣

الآيات	رقمها	الصفحة
شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾		
﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾	١٩٨	٢٧
﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٠٠	١٢٧
﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٠٠	١، ٦٢، ٦٩، ١٢٧، ٤٩
﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾	٢٠٤	٢٢
﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	٥٥-٥٦	٦٦
سورة الأنفال		
﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾	٩	٨٦
﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ (٢٢) وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾	٢٢-٢٣	١٠١
﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾	٣٩	٢٥٧، ٣٣٦
﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٤٢	٤٧
﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	٦١	٦٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾	٧٥	٨٢

الآيات	رقمها	الصفحة
إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾		٩،٨٥
﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾	٨٥–٨٦	١٢٠
﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ ﴾	١٠١	٢٨٥
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾	١٤	٢٧٦،٢٨ ١،٣٣١،٣ ٣٧،٣٨٦، ٣٩٤
﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	٦٥	١٤٨
سورة هود		
﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	٢٤	٣٢٥
﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	١١٢	٣٢٦،٢٤ ٦
﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾	٣٧	٢٩٩،٣٢ ٢،٣١٩،٣ ١٢،٣٠٥

الآيات	رقمها	الصفحة
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾	١١٠	٦٩
﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	١	٢٤٨،٨٣، ٤٦
﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾	١٧	٢٤٠٢٤٩ ٢٣٩،
﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾	٣٠-٩٦	٢٥٧
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾	٥٦-٥٧	٧٦
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾	١١٠	٧١
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾	٣٠	٢٤٩
سورة الكهف		
﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾	٢٦	٢٥٨،١٤٣،١٠٠
﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾	٦٢	٢٥٤،٢٥٣
سورة مريم		
﴿كٓهيعٓصٓ﴾	١	٤٤١،٤٠٦

الآيات	رقمها	الصفحة
﴿لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾	٢٤	٣٥٤،١٧٥
﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾	٣٨	٤١٩
﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾	٤٢	٣٩٧،٣٧١،٣٢٥٢٦ ٢،٢٣٤،١١٦،١١٥، ،١١٤،١١،١٠٢،٥٥
﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾	٩٣	٤٤٩،٧٢
سورة طه		
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾	٥	٤٣٨
﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾	٣٥-٣٦	٣٣٣،٢٦ ٩،٢٤٥
﴿لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا﴾	١٢٥	٢٧
﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾	٣٩	٤٣٠،٤٢٩،٤٢٧،٣ ٢٢،٣١٥،٣١٣،٣٠٥ ٢٩٩،
﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾	٤٦	٣٩٩،٣٩٨،٣٨٦،٣ ٥٤،٣٤٠،٣٣٧،٣٢٨ ٢٩٧،٢٩١،٢٨٨،٢١ ١٧٤،١٦٢،١٤٢،٩٧ ٩٣،٨٩،٦٨،٤٥،
﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾	٣٥	٢٥٧

الآيات	رقمها	الصفحة
		٣٩٨،٣٧٨
﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢٣	٣٦٠،١٨٠
﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾	٧١-٧٣	١١٥،١١١
﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٩٧-٩٨	٤١٩
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾	١٩٣-١٩٥	٤٣٥
﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾	٢١٢	٦٣،٢١
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾	٢١٧-٢١٨	٢٤١
﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٢١٦-٢٢٠	٢٩١،٢٢٨، ٣٣٧
سورة القصص		
﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾	٥٥	٢١
﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾	٨٨	٣٢٢
سورة العنكبوت		
﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٥	٤٢
سورة الروم		

الآيات	رقمها	الصفحة
﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾	٤١	٣٢٠
سورة لقمان		
﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾	٢٨	٤٧،٢٣١
سورة السجدة		
﴿ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴾	٢٦	١٥٧
سورة الأحزاب		
﴿ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾	٧٩	٢٨
﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾	٩	٢٥٧،٣٣٦
﴿ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾	١٠	٢٤
سورة سبأ		
﴿ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴾	٥٠	٤٧،٨
﴿ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾	١١	٢٥٧
﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ	٥٠	٦،٨٠

الآيات	رقمها	الصفحة
رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴾		
سورة فاطر		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾	٢٢	١٠، ٩١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾	٣١	٢٥٧
﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾	٤٥	٢٥، ٣٣٧
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾	٢٦	١٥٩
﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	٣٦	٤٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٤٠	٢٤٠
سورة يس		
﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾	٤٩	٢٨
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾	٧١	٣١٩
سورة ص		
﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾	٨٢	١٣٠
سورة الزمر		
﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ	١٧	١٥٧

الآيات	رقمها	الصفحة
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾		
﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾	٣٣	١٣٨
﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾	٣٦	٧٢
﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾	٦٠	٢٩
سورة غافر		
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ ﴾	١٨	١٤٢
﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾	١٩	٢٢٨
﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	٢٠	١، ٢٤
﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾	٤٤	٢٦، ٣٣٣، ٩
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	٥٦	٢، ٩
﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	٥٦	٥٩
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	٦٠	٦٤

الآيات	رقمها	الصفحة
سورة فصلت		
﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾	٢٢	١٠٤
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾	٢٦	١٥٧٨
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٣٦	١، ٦، ١٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٤٠	٢٣٩، ٢٥٧، ٣٤٠
سورة شورى		
﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	١١	٤١٨١٣،٤١٩،٤٤٩ ٣٢٥٣١،٣٥٤،٣٥٦ ،٢٩٩،٣١٤،٣١٥،٦ ٢٣،٢٤٣،٢٥٨،٢٨٤ ،١٧٦،٢١٨،٢٢٤،١ ٧٣،١٠٠،١٤٤،١٧٤ ،٥،٣١،٣٢،٤٠،٦٠
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	١١	٥
﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾	٢٧	٣٢، ٣٨

الآيات	رقمها	الصفحة
سورة الحجرات		
﴿سميع عليم﴾	١	٤٧
﴿والله بصير بما تعملون﴾	١٨	٢٥،٣٣٦ ٢٥٣،٧
سورة ق		
﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾	١٨	١٤٦
﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾	٢١	٣٠
﴿فبصرك اليوم حديد﴾	٢٢	٢٥،٢٧،
سورة الذاريات		
﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾	٢١	٢٧
سورة الطور		
﴿إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾	٢٨	٨٦
﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾	٤٨	٢٩٩،٣٠٥،٣١٣
سورة النجم		
﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾	١٧	٢٥
سورة القمر		
﴿تجري بأعيننا﴾	١٤	٤٣١،٤٣٤،٤٣٧، ٣١،٣١٩،٣٢٢،٤٢٩

الآيات	رقمها	الصفحة
سورة الملك		
﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾	١	٣١٩
﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾	١٩	٣٣٦،٢٥٧
سورة المعارج		
﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾	٦–٧	٢٩٧،٢٩٢،٢٨٧
سورة المدثر		
﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾	١١	٣٦٨،١٨٨
سورة القيامة		
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	٢٢–٢٣	٢٨
﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾	١٤	٢٤
سورة الإنسان		
﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾	٢	٣٥٥،١٧٦
سورة الإنشقاق		
﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾	١٥	٢٥٧

الآيات	رقمها	الصفحة
سورة البروج		
﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾	٩	٢٢٨
سورة الغاشية		
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾	١٧	٢٨٥
سورة البلد		
﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾	٨–١٠	٢٦١
سورة العلق		
﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾	١٤	٣٤٠،٣٣ ٧،٢٩٧،٢ ٩١

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأعلام

فهرس الفرق والطوائف والمذاهب

فهرس المصادر والمراجع

١. الإباضية عقيدة ومذهباً، للدكتور صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٦هـ .

٢. الإباضية مذهب إسلامي معتدل / علي يحى معمر / نشر وزارة التراث القومي سلطنة عمان سنة ١٩٨٧م.

٣. الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق بشير محمد عون، مكتبة المؤيد، ط ٣ .

٤. إبطال التأويلات لأخبار الصفات، لأبي يعلى، تحقيق محمد بن حمود النجدي .

٥. أخبار الدجال، لعبدالغني بن عبد الواحد المقدسي، دار الصحابة للتراث بطنطا .

٦. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ، لابن عبد البر، تحقيق سالم محمد عطا- محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة النشر ٢٠٠٠م .

٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي ، الناشر دار الجيل بيروت .

٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، تحقيق عادل أحمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة النشر ١٤١٧ هـ .

٩. أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به، د. همر الأشقر ، دار النفائس، الأردن ، الطبعة الأولى .

١٠. الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي – جدة، الطبعة الأولى .

١١. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكريا الأنصاري، تحقيق د . محمد محمد تامر ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٢ هـ.

١٢. الأسنى شرح الأسماء الحسنى، للقرطبي، تحقيق د. محمد جبل، وطارق أحمد، دار

الصحابة للتراث، طنطا ، ط١ .

١٣. الإشارات والتنبيهات / ابن سينا / مع شرح نصر الدين الطوسي تحقيق د : سليمان دنيا / دار المعارف / ط .

١٤. الإشارات والتنبيهات، لابن سينا، شرح نصر الدين الطوسي، تحقيق د. سليمان دنيا، دار المعارف،ط٣ .

١٥. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل، بيروت ، سنة نشر ١٤١٢هـ .

١٦. الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام / د . عبدالقادر عطا صوفي.

١٧. أصول الدين، للبغدادي ، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١ .

١٨. أصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط ٣.

١٩. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد ، د : ناصر القفاري ، ط ١.

٢٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان .

٢١. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح الفوزان، مؤسسة الرسالة ،الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.

٢٢. اعتقاد أهل السنة /أبو بكر الإسماعيلي / تحقيق : جمال عزون/ دار ابن حزم.

٢٣. الأعلام ، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م .

٢٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل - بيروت ، ١٩٧٣م .

٢٥. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ .

٢٦. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشبهات، لمرعي بن يوسف المقدسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١.

٢٧. الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي، تحقيق عبدالله الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١ط.

٢٨. اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تحقيق د. ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٢٩. أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان /د . عبدالعزيز المبدل / رسالة دكتوراه.

٣٠. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، للعمراني، تحقيق د. سعود الخلف، أضواء السلف ، ط١.

٣١. الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد / لأبي الحسين الخياط المعتزلي .

٣٢. الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، لعبدالكريم الجيلي، تحقيق فاتن محمد خليل، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١.

٣٣. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة .

٣٤. الإيضاح في أصول الدين ، ابن الزاغوني، تحقيق عصام السيد محمود، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،الرياض ، ط١ .

٣٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، محمد باقر المجلسي، إحياء التراث

العربي ، بيروت ، ط٣ .

٣٦. بحر العلوم ، للسمرقندي، تحقيق د.محمود مطرجي ، دار الفكر – بيروت.

٣٧. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسى، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٨. بدائع الفوائد، لابن القيم، تحقيق هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي، دار نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة ، الطبعة الأولى.

٣٩. البداية والنهاية، لابن كثير ، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

٤٠. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / الشوكاني ، الناشر دار المعرفة بيروت.

٤١. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد صلى الله عليه وسلم، لأبي جعفر الصفار، منشورات الأعلمي، طهران، تاريخ الطبعة ١٣٦٢هـ.

٤٢. بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ، الفيروزابادى، تحقيق الأستاذ : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية بيروت .

٤٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر المكتبة العصرية ، صيدا .

٤٤. تاج العروس من جواهر القاموس ، للزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٤٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى.

٤٦. تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي / دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٧. التأويل الكلامي عند الإباضية دراسة وتحليل / عبدالله الطعيمي / رسالة ماجستير

من جامعة الملك سعود .

٤٨. تبرئة السلف من تفويض الخلف، لمحمد إبراهيم اللحيدان، دار الكتاب والسنة ودار الحميضي، ط١، ١٤١٣هـ .

٤٩. التبصير في الدين، للإسفراييني، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - بيروت، ط ١.

٥٠. التحبير في المعجم الكبير، للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي، تحقيق منيرة ناجي سالم، الناشر رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد .

٥١. التحرير والتنوير، لابن عاشور، الطبعة التونسية .

٥٢. تحفة القاري في الرد على الغماري / للشيخ حماد الأنصاري .

٥٣. التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي، تحقيق عبدالرحمن المحمود، دار الوطن، ١٤١٤هـ.

٥٤. تذكرة الحفاظ، للذهبي، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .

٥٥. الترويض في حقيقة التفويض، د. علي مقدادي، دار الحامد، الأردن ـ عمان، ط الأولى، ٢٠٠٥م .

٥٦. التعريفات ، للجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت .

٥٧. تعظيم قدر الصلاة، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .

٥٨. التعليق على فتح الباري شرح صحيح البخاري ، عبدالله بن محمد بن أحمد الدويش،"ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ عبدالله الدويش " دار العليان ، بريدة ، السعودية ، ط١ ، ١٤١١ه .

٥٩. تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري ،

٦٠. تفسير أسماء اللّه الحسنى، للزجّاج، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق .

٦١. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت ، الطبعة الأولى .

٦٢. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع .

٦٣. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق محمود عبدالقادر الأرناؤوط ، مكتبة الرشد الرياض، ط١، مجلد واحد .

٦٤. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للرازي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ.

٦٥. تقريب التدمرية، لابن عثيمين، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٤هـ.

٦٦. تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق محمد عوَّامة، طبعة دار الرشيد بحلب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٦٧. تكملة الإكمال ، محمد بن عبد الغني البغدادي، تحقيق د. عبد القيوم عبد رب النبي ، دار النشر جامعة أم القرى – مكة المكرمة — ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى .

٦٨. تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان / السالمي / ضمن مجموعة القيمة.

٦٩. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة .

٧٠. تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والإيمان / نور الدين السالمي .

٧١. التمهيد، ابن عبد البر، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط١ .

٧٢. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين محمد الملطي، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، ط ٢.

٧٣. التنزيه في إبطال حجج التشبيه، لابن جماعة، تحقيق ودراسة محمد أمين علي، دار البصائر القاهرة .

٧٤. تهذيب التهذيب، لابن حجر ، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ .

٧٥. تهذيب الكمال، للمزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٧٦. تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – ٢٠٠١م، ط١.

٧٧. التوسل أحكامه وأنواعه، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

٧٨. التوصل إلى حقيقة التوسل / للشيخ نسيب الرفاعي.

٧٩. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة.

٨٠. التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، تحقيق د. عبدالحميد حمدان ، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٨١. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله آل الشيخ، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض .

٨٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي ، تحقيق عبد الرحمن بن

معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ، عدد الأجزاء.

٨٣. التيسير بشرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، دار النشر ، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٤٠٨هـ ، الطبعة الثالثة .

٨٤. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان .

٨٥. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى .

٨٦. جامع البيان في تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٨٧. جامع الرسائل، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، دار العطاء – الرياض .

٨٨. جامع العلوم والحكم / ابن رجب / ص ٢٧٤/ دار المعرفة – بيروت .

٨٩. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن و د . عبدالعزيز العسكر و د . حمدان الحمدان ، دار العاصمة، الرياض، ط ٢.

٩٠. جواهر المعاني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني / لعلي حرازم برادة /٢ /٩٤ / دار الحلبي ١٣٨٠هـ .

٩١. حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩٢. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للأصبهاني، تحقيق د محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية الرياض، سنة النشر ١٤١٩هـ.

٩٣. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د . محمد الخطيب، دار عالم الكتب .

٩٤. الحقّ الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية ، للشيخ عبدالرحمن السعدي، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ .

٩٥. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم .

٩٦. دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، لبكير سعيد أعوشت، دار التضامن للطباعة ـ القاهرة ـ ط الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٩٧. الدرر الكامنة، لابن حجر، دار الجيل بيروت ط ١٤١٤هـ .

٩٨. الدعاء الطبراني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر ١٤١٣ هـ .

٩٩. الدعاء، لابن فضيل الضبي، تحقيق د . عبد العزيز البعيمي، مكتبة الرشد الرياض .

١٠٠. ذم التأويل ، ابن قدامة ، تحقيق : بدر البدر ، الدار السلفية ، الكويت ، ط١.

١٠١. الرد على الزنادقة والجهمية / الإمام أحمد بن حنبل / تحقيق : محمد حسن راشد / المطبعة السلفية – القاهرة ، ١٣٩٣هـ.

١٠٢. الرد على المنطقيين، لابن تيمية، دار المعرفة — بيروت .

١٠٣. رسائل ابن سبعين، لعبدالحق بن سبعين، تحقيق عبدالرحمن بدوي، الدار المصرية .

١٠٤. رسالة في تحقيق مسألة العلم / ابن تيمية / ضمن : جامع الرسائل.

١٠٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي — بيروت .

١٠٦. الزهد، هناد بن السري، تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي — الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦.

١٠٧. الزيدية نظرية وتطبيق/ علي شرف الدين.

١٠٨. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة ، الألباني ، مكتبة المعارف الرياض.

١٠٩. السنة ، لأبي بكر بن أبي عاصم ، تحقيق الشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي ،

بيروت ط١.

١١٠. سنن ابن ماجه، لابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية – بيروت .

١١١. سنن أبي داود، لأبي داود، تحقيق عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، حمص .

١١٢. سنن الترمذي، للإمام الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، وكمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت .

١١٣. سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٨٦هـ .

١١٤. السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ.

١١٥. السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق دكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.

١١٦. سنن النسائي، للنسائي، بشرح السيوطي وحاشية السندي، دار الفكر، بيروت، ط١.

١١٧. سير أعلام النبلاء ، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت – الطبعة التاسعة، ١٤١٣ هـ

١١٨. شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية، دمشق، ط٣، ١٤١٢هـ.

١١٩. شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ، للعز بن عبدالسلام، تحقيق أحمد فريد المزيدروتي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط الأولى .

١٢٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، دار الكتب العلمية، بيروت .

١٢١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق د . أحمد بن سعيد الغامدي، دار طيبة، ط الرابعة .

١٢٢. شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبدالجبار، تحقيق د . عبدالكريم عثمان .

١٢٣. شرح السنة ، للبغوي، تحقيق علي معوض و عادل عبدالجواد ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط الأولى .

١٢٤. شرح السنة، للبغوي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ .

١٢٥. شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، تحقيق سعيد بن نصر بن محمد ، مكتبة الرشد الرياض ، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ .

١٢٦. شرح العقيدة السفارينية ، الشيخ ابن عثيمين .

١٢٧. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي .

١٢٨. شرح العقيدة الواسطية ، للهراس، تحقيق علوي بن عبدالقادر السقاف ، دار الهجرة.

١٢٩. شرح القصيدة النونية لابن القيم ، للشيخ محمد خليل هراس، دار المنهاج، مصر ، ط الأولى ١٤٢٤هـ .

١٣٠. شرح المسامرة لابن أبي الشريف وحاشية، الماتريدية دراسة وتقويماً ، لأحمد بن عوض الحربي، دار العاصمة، ط١.

١٣١. شرح المواقف، للإيجي، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

١٣٢. شرح صحيح البخارى، لابن بطال، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة

الرشد – السعودية، الرياض – ١٤٢٣هـ .

١٣٣. الشريعة، للآجري ، / تحقيق : د . عبدالله الدميجي / دار الوطن / ط ٢.

١٣٤. شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

١٣٥. شعر الخوارج، جمع د . إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت .

١٣٦. شفاء صدور الناس بشرح الأساس / أحمد الشرفي .

١٣٧. الصارم المنكي في الرد على السبكي / لابن عبد الهادي، تحقيق : عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني ، مؤسسة الريان ، بيروت – لبنان .

١٣٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت .

١٣٩. صحيح البخاري، للبخاري، تحقيق د. مصطفى الذهبي .

١٤٠. صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ .

١٤١. صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

١٤٢. صحيح سنن أبي داود، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ .

١٤٣. صحيح مسلم، للإمام مسلم، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٢هـ ، عدد الأجزاء (١).

١٤٤. الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، دار العطاء – الرياض .

١٤٥. الصفات الإلهية عند الإمام يحي بن الحسين مع تحقيق كتاب المسترشد للإمام الهادي يحي بن الحسين ، تحقيق د . إمام حنفي سيد عبدالله، دار الأوقاف العربية،

القاهرة .

١٤٦. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية ، د . محمد أمان الجامي، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

١٤٧. صفة الصفوة / ابن الجوزي/٤/ ١٣٢ / تحقيق : محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي / دار المعرفة – بيروت .

١٤٨. الصفدية، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ .

١٤٩. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، لمحمد بن أيوب، تحقيق د. علي .

١٥٠. طبقات الحنابلة، للقاضي أبي يعلى، دار المعرفة بيروت .

١٥١. طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق : تحقيق : د. محمود محمد الطناحي و د.عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ،١٤١٣هـ

١٥٢. طبقات الصوفية، للأزدي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية .

١٥٣. طبقات المفسرين ، لأحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى .

١٥٤. طبقات المفسرين، للسيوطي، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة – القاهرة.

١٥٥. طبقات النسابين، للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد ، دار الرشد ، الرياض .

١٥٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن القيم، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، ط٢ .

١٥٧. الطواسين ، للحلاج ، " ضمن كتاب الحلاج الأعمال الكاملة ، قاسم محمد عباس ، رياض الريس .

١٥٨. عقائد الإمامية الاثنى عشرية/ لآية الله إبراهيم الموسوي الزنجاني.

١٥٩. عقائد الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، لأشرف الجيزاوي، دار اليقين ــ مصر ــ الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

١٦٠. العقل وفهم القرآن، للمحاسبي، تحقيق حسين القوتلي، ط ٢، ١٣٩٨هـ .

١٦١. عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، د. أحمد القصير، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى .

١٦٢. عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي عثمان الصابوني، تحقيق بدر البدر، مكتبة الغرباء ، ط الثانية ١٤١٥ هـ .

١٦٣. العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، للجويني، تحقيق محمد زاهر الكوثري، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ .

١٦٤. علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين، د. رضا نعسان معطي، دار الهجرة، الرياض، ط ٦، ١٤٢٦هـ .

١٦٥. علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبدالله البسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية.

١٦٦. غاية المراد في الاعتقاد / نور الدين السالمي / ضمن مجموعة القيمة.

١٦٧. غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدى ، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، ١٣٩١هـ .

١٦٨. غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، تحقيق ج برجستراسر ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ .

١٦٩. غريب الحديث، لابن الجوزي، تحقيق د.عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٧٠. غريب الحديث، للقاسم بن سلام، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى .

١٧١. الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر– بيروت .

١٧٢. الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، تحقيق محمد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

١٧٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ .

١٧٤. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبدالرحمن بن حسن، تحقيق د. الوليد بن عبدالرحمن آل فريان ، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة .

١٧٥. الفتوحات المكية، لابن عربي، دار الكتب العربية ، مصر .

١٧٦. الفتوى الحموية / ابن تيمية / ضمن مجموع الفتاوى .

١٧٧. الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة — بيروت ، ط٥ .

١٧٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، مكتبة الخانجي — القاهرة .

١٧٩. فضائح الباطنية، للغزالي، تحقيق محمد علي القطب، المكتبة العصرية، بيروت .

١٨٠. فضائل القرآن، لابن كثير، تحقيق أبو إسحاق الحويني الأثري، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ.

١٨١. فضل علم السلف على علم الخلف ، لابن رجب، المكتبة المحمودية — مصر- .

١٨٢. فقه الأسماء الحسنى ، لعبدالرزاق البدر، مطابع الحميضي، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ .

١٨٣. الفهرست ، لابن النديم، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٨٤. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، تحقيق د. ربيع بن هادي المدخلي، دار الإمام أحمد، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ .

١٨٥. القواعد الحسان في تفسير القرآن، للسعدي، مكتبة الرشد الرياض ط١.

١٨٦. القواعد النورانية الفقهية ، لابن تيمية، تحقيق د. أحمد الخليل ، دار ابن الجوزي .

١٨٧. كتاب الأسماء والصفات، للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت .

١٨٨. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، لابن خزيمة، تحقيق د.عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة الخامسة.

١٨٩. كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد، لابن مندة، تحقيق د. علي فقيهي .

١٩٠. كتاب التوحيد، لابن خزيمة، تحقيق د . عبدالعزيز الشهوان ، دار الرشد الرياض.

١٩١. كتاب السنة، للإمام عبدالله بن أحمد، تحقيق د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم – الدمام .

١٩٢. كتاب القلائد في تصحيح العقائد ، أحمد المرتضى .

١٩٣. كتاب تأثر المعتزلة بالخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره، لعبد اللطيف الحفظي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، دار الأندلس، جدة، ط١، ١٣٢١هـ .

١٩٤. كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة .

١٩٥. كتاب الأربعين في دلائل التوحيد / الهروي / تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر

الفقيهي / الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ.

١٩٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٩٧. كشف المشكل، للإمام ابن الجوزي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

١٩٨. الكشف عن حقيقة الصوفية، لمحمد القاسم، المكتبة الإسلامية، ط الثانية.

١٩٩. الكليات ـ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي ، تحقيق عدنان درويش – محمد المصري، دار النشر، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢٠٠. الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ، عبدالعزيز السلمان، مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة السادسة .

٢٠١. لسان العرب، لابن منظور، تحقيق أمين عبدالوهاب و محمد الصادق ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ .

٢٠٢. لسان الميزان، لابن حجر، تحقيق دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الثالثة .

٢٠٣. لطائف الإشارات، للقشيرى، تحقيق إبراهيم بسيونى، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٠٤. الماتريدية دراسة وتقويماً / أحمد بن عوض الحربي / ص ٦٣ / دار العاصمة ط١.

٢٠٥. الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، لشمس الأفغاني، رسالة ماجستير، مكتبة الصديق، الطائف ، ط ٢.

٢٠٦. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، أشرف على جمعه وطبعه محمد

بن سعد الشويعر ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء .

٢٠٧. محاسن التأويل ، للقاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١ عام ١٣٧٦هـ .

٢٠٨. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، للرازي، تحقيق طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١.

٢٠٩. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت .

٢١٠. المختار في أصول السنة، لابن البنا، تحقيق د. عبدالرزاق البدر ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط الأولى ١٤١٣هـ .

٢١١. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة / لابن القيم / اختصار محمد الموصلي / تحقيق : د. الحسن العلوي / أضواء السلف / ط ١.

٢١٢. مختصر منهاج القاصدين / ابن قدامة المقدسي .

٢١٣. مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ .

٢١٤. مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات (عرض ونقد)/ الدكتور أحمد القاضي / دار العاصمة .

٢١٥. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لابن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت .

٢١٦. المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، لكمال بن الهمام، دار بولاق مصر، ط١.

٢١٧. المستدرك على الصحيحين، للحاكم تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، مع تعليقات الذهبي في التلخيص ، دار الكتب العلمية، بيروت .

٢١٨. مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة .

٢١٩. مسند علي بن الجعد الجوهري، تحقيق عامر أحمد حيدر ، الناشر مؤسسة نادر بيروت، سنة النشر ١٤١٠هـ .

٢٢٠. المسند، لعبد بن حميد، تحقيق صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، سنة النشر ١٤٠٨هـ .

٢٢١. مشارق أنوار العقول، للسالمي، تعليق وتصحيح أحمد الخليلي، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١.

٢٢٢. مشاهير علماء نجد وغيرهم/عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ /دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر/ ط ١.

٢٢٣. مشكاة المصابيح، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٢٢٤. مشكل الحديث أو تأويل الأخبار المتشابهة، لابن فورك، تحقيق وتعليق دانيال جيماريه، مطبعة ألف باء الأديب،سوريا ٢٠٠٣م .

٢٢٥. مصرع التصوف، أو "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي"، للبقاعي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، عام ١٤١٥هـ .

٢٢٦. المصنف، لابن أبي شيبة، تحقيق محمد عوامة . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي الهندي، تحقيق بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة .

٢٢٧. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحافظ الحكمي، تحقيق عمر بن محمود، دار ابن القيم — الدمام .

٢٢٨. معالم التنزيل ، للبغوي، تحقيق محمد النمر وجماعة ، دار طيبة الرياض .

٢٢٩. المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها / د : عواد المعتق .

٢٣٠. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط١ عام ١٩٩٣م .

٢٣١. المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين، القاهرة، سنة النشر ١٤١٥هـ .

٢٣٢. المعجم الصغير، للطبراني، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت ط ١ .

٢٣٣. المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مكتبة المدرسة .

٢٣٤. المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل ١٤٠٤هـ .

٢٣٥. مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٣٦. مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة .

٢٣٧. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانى، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة

٢٣٨. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، تحقيق محيي الدين ديب، يوسف بديوي وآخرون، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق .

٢٣٩. مفهوم النظر في القرآن الكريم / د. عبدالحكيم درقاوي / مقالات متعلقة بالقرآن.

٢٤٠. مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها، د.جابر إدريس ، أضواء السلف ، الطبعة الأولى .

٢٤١. مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الناشر دار الفكر ،

الطبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٤٢. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين،الرازي ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

٢٤٣. الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق أبي عبدالله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط١عام ١٤١٥هـ .

٢٤٤. المنجد في المترادفات والمتجانسات، لرفائيل نخل اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ط٣

٢٤٥. منهاج السنة، ابن تيمية ، المحقق : د. محمد رشاد سالم / مؤسسة قرطبة ، الطبعة لأولى.

٢٤٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للنووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ .

٢٤٧. المنهاج في أصول الدين، للزمخشري، تحقيق عباس حسين، مكتبة مركز بدر العلمي، صنعاء .

٢٤٨. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، لعثمان علي حسن، مكتبة الرشد، الطبعة الخامسة .

٢٤٩. منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، لأحمد عبدالرحمن الصويان، المنتدى الإسلامي .

٢٥٠. منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ضمن مجموعة القواعد الطيبات في الأسماء والصفات ، جمع أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض ، ط الأولى، ١٤١٦ هـ .

٢٥١. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للهيثمي، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية .

٢٥٢. الموسوعة الفقهية الكويتية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية — الكويت .

٢٥٣. موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د: عبدالرحمن المحمود، مكتبة الرشـد، الطبعة الأولى.

٢٥٤. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت .

٢٥٥. نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ، لإبراهيم اليـازجي، مطبعة المعارف، مصر، ١٩٠٤م ،

٢٥٦. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجـوزي، تحقيـق محمـد عبدالكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان ، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٥٧. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، المؤلف عدد من المختـصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

٢٥٨. النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد ، محمد محيي الدين عبدالحميد، حاشية على إتحاف المريد بجوهرة التوحيد ، دار القلـم العـربي ، حلـب ، سـوريا ، ط١ ، ١٤١١هـ.

٢٥٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين إبراهيم البقاعى، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي دار النشر ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥ هـ.

٢٦٠. نقض الإمام عثمان بن سعيد، للدارمي، تحقيق د. رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشيد – الرياض ط١.

٢٦١. نهاية الإقدام، للشهرستاني، تحقيق الفرد جيوم ، طبعة مصورة عن طبعة ليدن.

٢٦٢. النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد الحمود النجدي، مكتبـة الإمـام الذهبي، الكويت، ط الرابعة .

٢٦٣. الوافي بالوفيات، للصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحيـــاء التراث ــ بيروت ــ ١٤٢٠هــ .

٢٦٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، الناشر دار صادر – بيروت . ١ــ القاموس المحيط /الفيروزآبادي/ ص ١٢٨٢ / مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة / الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م.

فهرس الموضوعات